



جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

التوجيهات الصّرفيّة للقراءات العشرة وأثرها
على تعدّد معاني التنزيل

إعداد الطّالب
وليد حسين محمد عبدالله

إشراف
الأستاذ الدكتور عبد القادر المرعي خليل

رسالة مقدّمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلّبات الحصول على درجة الدكتوراه
في اللّغة العربيّة قسم اللّغة العربيّة وآدابها

جامعة مؤتة، ٢٠١٤م

الآراء الواردة في الرسالة الجامعية لا تُعبر
بالضرورة عن وجهة نظر جامعة مؤتة



MUTAH UNIVERSITY

Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة
عمادة الدراسات العليا

(نموذج رقم 14)

قرار إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب وليد حسين محمد الموسومة بـ:

التوجيهات الصرفية للقراءات العشرة وأثرها على تعدد معاني التنزيل

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في اللغة العربية.

القسم: اللغة العربية.

التوقيع	التاريخ	ملاحظات
	2014/02/27	مشرفاً ورئيساً
	2014/02/27	عضواً
	2014/02/27	عضواً
	2014/02/27	عضواً

عميد الدراسات العليا

د. علي الضمور



MUTAH-KARAK-JORDAN

Postal Code: 61710

TEL :03/2372380-99

Ext. 5328-5330

FAX:03/ 2375694

e-mail:

dgs@mutah.edu.jo

sedgs@mutah.edu.jo

http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤتة - الكرك - الاردن

الرمز البريدي: 61710

تلفون: 03/2372380-99

فرعي 5328-5330

فاكس 03/2 375694

البريد الالكتروني

الصفحة الالكترونية

الإهداء

إلى من حملتني وهنا على وهن، إلى العطاء والحب والحنان، إلى من كان دعائها سرّاً ناجحي حتى وصلت إلى النهاية، رافعة يديها بالدعاء لي بالنجاح والتوفيق ونيل المراد.

أيها النابض بالحبّ أبداً... والحامل عني تعب هذه السنين الطويلة... أيها السرير الدافئ... لأحلامي التي لا تنتهي...

يا قلب أمي

إلى مقامك الرفيع... أرفع هذه الكلمات

إلى من كلّه الله بالهيبة والوقار... إلى من أحمل اسمه بكل افتخار... إلى من كان سبباً في وجودي، أسأل الله عز وجل أن يمد في عمره ليرى ثماراً قد حان قطافها بعد طول انتظار...

إلى والدي الحبيب

إلى من شاطرتني سهر الليالي، وآزرتني بالصبر لأصل إلى ما أنا فيه...

إلى من حصدت الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم...

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله تعالى...

إلى الشمعة المتقدة التي تنير ظلمة حياتي... إلى القلب الذي يمدني بالصبر

والتحدي... إلى الأريج الذي يملأ دربي عباقراً وأملاً...

إلى زوجتي الغالية، زهرة

وليد حسين محمد عبدالله

الشكر والتقدير

بعد أن منّ الله عليّ بإتمام هذا البحث، أشعر هنا كمن يطوق عنقي بفضلته، فكان من الواجب عليّ أن أعترف لكل ذي فضل بفضلته.

وأول من أتوجّه إليه بشكري وامتناني وتقديري- بعد الله سبحانه ذي الفضل والوجود والإحسان- هو أستاذي وشيخي الأستاذ الدكتور عبد القادر مرعي الخليل، الذي تفضّل بالإشراف على هذه الدراسة، ورعايتها منذ كانت فكرة تجول في الذهن، إلى أن غدت حبراً يسودّ هذه الصفحات. والله أسأل أن يجعلني وعملي هذا في ميزان حسناته يوم القيامة، وأن يحفظه ذخراً لدارسي العربية.

كما وأتوجه بالشكر للأستاذة الفاضلة: الدكتورة سيف الدين الفقراء والدكتور عادل البقاعين والأستاذ الدكتور أحمد شكري، الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الدراسة، لتقويم اعوجاجها وإصلاح مفسدها وسدّ ثلومها، وتشذيب نتوئها، فجزاهم الله عني خير الجزاء.

وإلى من زرعوا التفاؤل في دربي وقدموا لي الكثير من المساعدة والتشجيع، فلهم مني عظيم الشكر والامتنان:

رفيق رحلة الصعاب عمي إسماعيل الشيخ ديب.

والأخ العزيز المهندس إبراهيم الجعافرة.

والأصدقاء الأعزاء محمد عبد الحليم وعبد اللطيف أبو دوش وفادي المعاني.

والأخ الفاضل الزميل الدكتور بلال الضمور.

أما الشكر الذي من النوع الخاص فأنا أتوجه بالشكر أيضاً إلى كل من لم يقف إلى جانبنا، ومن وقف في طريقنا وعرقل مسيرة بحثنا، وزرع الشوك في طريق بحثنا فلولا وجودهم لما أحسست بمتعة البحث، ولا حلاوة المنافسة الإيجابية، ولولاهم لما وصلت إلى ما وصلت إليه فلهم مني كل الشكر...

وفي الختام أتوجه بشكري وتقديري لكل من قدّم إلي يد العون والمساعدة مكثرأ أو مقلأ وأعانني على إنجاز هذه الدراسة.

والله من وراء القصد.

وليد حسين محمد عبدالله

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
أ	الإهداء
ب	الشكر والتقدير
ج	فهرس المحتويات
د	الملخص باللغة العربية
هـ	الملخص باللغة الإنجليزية
١	المقدّمة
١٠	تمهيد
	الفصل الأوّل: في بنية الأسماء الجمعية.....
٢٥	١.١ توطئة:
٣١	٢.١ في بنية الجمع السّالم
٦٨	٣.١ في بنية جمع التّكسير.....
	الفصل الثّاني: في بنية المصادر.....
١٢٢	١.٢ مدخل
	الفصل الثّالث: في بنية المشتقات
١٨٠	١.٣ مدخل
	الفصل الرابع: في البنية الدّلايية (معاني الزيادة)
٢٣٨	١.٤ مدخل:.....
٢٤٤	٢.٤ في زيادة الهمزة
٢٥٦	٣.٤ في زيادة الألف
٢٨٢	٤.٤ في الزيادة بتضعيف العين
٣٣٤	الفصل الخامس: في البنية الاشتقاقية
٣٦٠	الخاتمة
٣٥٨	المراجع

المُلخَص

التّوجيّهات الصّرفيّة للقراءات العشرة وأثرها

على تعدّد معاني التّنزيل

وليد حسين محمد عبدالله

جامعة مؤتة، ٢٠١٤م

تبحث هذه الدّراسة في واحد من مظاهر الإعجاز اللغويّ للقرآن الكريم وهو القراءات القرآنيّة لما تزخر به من تنوّع في الأداء الصّوتيّ وتعدّد في المبنى الصّرفيّ وتحول في الأنماط الجمليّة، وإنّ سبر أعماق هذا الميراث التّليد ليكشف عن دلالات قارّة ووجوه بلاغيّة معجزة لا نظير لها.

ومن هنا تحاول هذه الدّراسة أن ترسم صورة مفصّلة لأثر البنية الصّرفيّة في تعيين مقاصد التّنزيل في السّياق القرآنيّ، وما يترتّب عن تعدّد البنيات الصّرفيّة والتّراكيب الجمليّة من تباين في الدّلالة وتغاير في المرمى، إنّها محاولة لاستشراف أثر تنوّع القراءات على مستوى البنية والأسلوب.

وقد انعقد البحث في هذا المطلب على محاور ثلاثة: مثلّ المحور الأوّل منها مقدّمات تمهيديّة أساسيّة عرضت الدّراسة فيه للأبعاد المختلفة للقراءات القرآنيّة، فبيّنت الإرهاصات الأولى التي واكبت نشأة القراءات، ثمّ عرضت للمراحل التي مرّت بها القراءات حتى صار علماً له قواعده ومصطلحاته الخاصّة، وانتهى هذا المحور بذكر مختصر للقراء العشر ورواتهم.

أمّا المحور الثّاني فصوّر دور البنية الصّرفيّة في توجيه القراءات العشرة على مستوى أبنية الأسماء، فبحث في الجمع السّالم وجمع التّكسير، ثمّ انتقل لبحث في أبنية المصادر والمشتقات.

وأمّا المحور الثّالث فبحث دور البنية الصّرفيّة في توجيه القراءات العشرة على مستوى أبنية الأفعال، فدرس دلالات الزّيادات التّصريفية في جانب منه، وعرض في جانب آخر للبنية الاشتقاقية والبنية التصريفية للأفعال.

Abstract
The Morphological Justification of the Ten Qur'anic Modes of Reading and it's Impact on the Multiplicity of Meanings of the Revelation

Waleed Hossein Mohammad Abdullah

Mu'tah University, 2014

This study searches in one of the linguistic singularity phenomena of the Holy Qur'an, The Qur'anic Readings. The Qur'anic Readings have variety in the phonological performance, multiplicity in the morphological structure and transformation in sentence patterns. A deep view to the origin of this inherited heritage leads to the guidance and the rhetorical miracle styles.

This study tries to present a deep view of the effects of the morphological structure in specifying the meanings of The Qur'an Language. It also shows the effects of multiplicity of the morphological structure in creating dissimilarity in meanings and aims in Qur'anic Readings. This study tries to present a deep view of the effects of the morphological structure in specifying the meanings of The Qur'an Language. It also shows the effects of multiplicity of the morphological structure in creating dissimilarity in meanings and targets in Qur'anic Readings.

This research has been based on three dimensions; the first of which represents basic introductions, which show the concept of the Qur'anic Readings, then showing the practical procedures and its methodology. The second dimension depicts the role of the morphological structure of words to justify the Ten Qur'anic Modes of Reading, studying the regular plural nouns, irregular ones, gerunds and derivations. The Third dimension characterizes the role of the morphological structure of verbs to justify the Ten Qur'anic Modes of Reading, searching for the lexical suffixes and the derivation of verbs.

المقدمة:

لما كانت اللغة تمثل أحد أبرز مظاهر الحضارة البشرية؛ فحضارات الأمم تقاس بلسانها، ومدى تلقّيها لما ينتجه الفكر الإنساني في مختلف حقول المعرفة، لذا كان من الطبيعي أن تنصبّ عناية العلماء نحو اللغة من أجل الحفاظ عليها والارتقاء بها، وتخليصها مما قد يعلق بها من شوائب عبر صيرورة التاريخ والزمان. ولعلّ العربية من أوفر اللغات حظاً، فقد اجتمع لها من قدسيّة النزول وإعجاز البيان أن تتفرد بالقدر الأكبر من الرعاية والدراية لما كانت تحمله في نفوس أبنائها من قدسيّة.

وتعدّ لغة التّزليل المنتهى في الفصاحة والبلاغة في سمت نظمها وعميق معانيها حتى أنّها أعيت فحول الشعراء وفصحاء الكلام أن يأتوا بمثلها. وأمام هذا البحر الزاخر والمعين غير النّاضب طفق علماء العربية يتدبّرون الذكر الحكيم متلمّسين جوانب إعجازه اللّغوي وبلاغة عباراته وسحر بيانه.

وتتمثّل القراءات القرآنيّة أحد مظاهر هذا الإعجاز اللّغويّ لما تزخر به من تنوّع في الأداء الصّوتيّ وتعدّد في المبنى الصّرفيّ وتحول في الأنماط الجمليّة، لذا لا نعجب إذا ما وجدنا المشتغلين بها - وقد تعدّدت مشاربهم وتنوّعت مناهجهم - يتزاحمون في طلبها ويتنافسون في تناولها، فلقد انكبّ نفر من العلماء الأجلاء على القراءات فعنوا بنقلها والتنبّث من رواياتها، كما اهتمّوا بتوجيهها والاحتجاج لها أو بها كلُّ بحسب منطلقه المعرفيّ ومنزعه العقليّ، فاتخذ منها اللّغويّ شاهداً على قاعدته أو حجةً لمذهبه، واعتضد بها الفقيه في استنباط الأحكام أو في ترجيح حكم على آخر، وتوسّل المتكلم ببعض وجوهها في إثبات مذهبه أو في تفنيد مذهب غيره، وكانت أداتهم إلى ذلك هي اللغة بمستوياتها المختلفة.

وإذا كانت القراءات القرآنيّة من طبيعتها الاختلاف والتعدّد، فإنّ سبر أعماق هذا الميراث التّليد ليكشف عن دلالات قارّة ووجوه بلاغيّة معجزة نتيجة هذه المغامرة وتلك المبادلة حتى جعلها بعض العلماء وجهاً من وجوه الإعجاز البلاغيّ في القرآن الكريم.

ومن هنا تحاول هذه الدراسة أن ترسم صورة مفصلة لأثر البنية الصرفية في تعيين مقاصد التنزيل في السياق القرآني، وما يترتب عن تعدد البنيات الصرفية والتراكيب الجمليّة من تباين في الدلالة وتغاير في المرمى، إنها محاولة لاستشراف أثر تنوع القراءات على مستوى البنية والأسلوب.

ولعلّ من النافل المعروف أنّ للبنية الصرفية دوراً دلاليّاً في تحديد وجهة الخطاب في الموقف الإبلاغيّ، وأنّ انتقال الأداء القرآنيّ في السياق القرآنيّ من بنية صرفية إلى بنية أخرى يتمخض عنه تنوع في المقصد والغاية، فتحوّل الصيغة الصرفية في السياق التركيبيّة من التذكير إلى التأنيث، وتنوع البنيات بين التعريف والتّكثير أو الإفراد والجمع، وتغاير الكلم في صيغ اشتقاقها، يعدّ آية على ما تكنه ألفاظه من معانٍ قارّة، ولوناً من ألوان بلاغته وفصاحته، وهو في الوقت نفسه تمثّل قرينة لفظية تعين المفسّر على استكناه دلالات الخطاب في السياق القرآنيّ. وتتبع أهمية مثل هذه الدراسة من جهتين:

الأولى: قدسية مادتها وأهميتها؛ فقراءات التنزيل هي مضمار البحث وميدان الدرس، ولا يخفى على أحد مبلغ العناية والرعاية التي حظي بها الكتاب العزيز عند العلماء المسلمين، فلقد نشأت تحت ظلاله علوم ومباحث عديدة كان همّها ولوج بحره الزاخر من أجل استكناه دلالاته المستودعة في ألفاظه العربية حتى يتسنى للفقهاء والمفتي والحاكم وطالب العلم معرفة أحكامه ومقاصده.

الثانية: النزر القليل من الدراسات والبحوث المتخصصة في هذا الحقل المعرفي؛ فجلّ الدراسات التي تعرّضت لبحث القراءات القرآنية ولا سيّما تلك البحوث التي صرفت عنايتها نحو التوجيهات اللغوية كانت تركز على الجانب الصوتي والنحوي على التّعيين، وكثيراً ما كانت تضمّن بحثها مسائل من علم التفسير والفقهاء والعقيدة، فضلاً عن المباحث اللغوية المختلفة على غرار ما نألفه في كتب التفسير كالمحرر الوجيز لابن عطية، والبحر المحيط لأبي حيّان، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

وإذا ما بحثت التوجيهات الصرفية وجدناها لا تفصل بين مقولات ومصطلحات علم الصرف أو البلاغة ومعطيات ومصطلحات علم النحو أو الصوتيات أو غيرها.

وأحترس هنا لأبين أن هذا الحكم لا ينبغي أخذه على إطلاق؛ فليست هذه الدراسة بدءاً بين مثيلاتها من البحوث، وإنما هي استكمال لما قد بدأه الآخرون، فثمة بحوث ودراسات تناولت في جانب منها التوجيهات الصرفية وهو ما سنبسط القول عنه في قسم الدراسات السابقة.

وأما عن سبب تخصيص الدراسة بالقراءات العشرة على التعيين؛ فذلك انصياعاً لشروط وضوابط المنهج العلمي التي توجب الدقة في البحث وتفرض التأطير في تناول. ولذلك أيضاً حدّد الباحث للقراءات العشر موضوع البحث طريقاً بعينها وهي طريق طيبة النشر لابن الجزري. وفضلاً عن ذلك فإنّ تحديد الطريقة يدفع عن المتلقي غير العارف بعلم القراءات مغبة الوقوع في اللبس أو الوهم من جهة أنه قد يقف على قراءة منسوبة لقارئ في هذا البحث؛ ثم لا يجدها كذلك في كتاب التيسير أو السبعة... إلخ؛ فيلتبس عليه أمر نسبة القراءة ويتردد في الحكم عليها.

وإذا كان المبتغى من هذه الدراسة هو تجلية النظر في درس القراءات العشرة في سياقها القرآني، وتلمس أثر البنية الصرفية في تعدد المعنى، كان من علمية المنهج الذي تصطبغ به هذه الأطروحة أن تستبعد في تناولها للظواهر الصرفية كل ما لا يشتغل في استكناه المعنى، ولاسيما تلك القراءات التي يعود الاختلاف فيها إلى التباين اللهجي؛ فذلك مبحث مستقل يستلزمه بحث آخر يتناوله بالنظر والدرس، ومما يؤكد ما ذهبنا إليه أن الدرس اللساني الحديث قد جعل درس اللهجات مبحثاً مستقلاً له مناهجه ونظرياته الخاصة به.

وهذا لا يعني بمكان خلو هذه الدراسة من الأنظار اللهجية على التعيين؛ إنما القصد هو عدم إشغال التوجيهات اللهجية للقراءات حيزاً خاصاً في هذه الدراسة، أما تلك القراءات التي يمثّل التباين اللهجي أحد وجوهاها، فإنها تدخل في بحثنا، بل هي تسيّر جنباً إلى جنب والتوجيهات الصرفية؛ ذلك أنه يعزّ وجود قراءة من القراءات لم يكن الوجه اللهجي أحد الاحتمالات التي يمكن توجيهها على هديه.

الدّراسات السّابقة

لم أقف في مكتبتنا العربيّة على بحثٍ مُتكامِلٍ في هذا المطلب على التّعيين، فلم أجد بين أيدينا من الكتب والمقالات دراسات تناولت موضوع بحثنا بشيءٍ من التّفصيل والشموليّة. إلا أنّ ذلك لا يعني خلوّ المكتبة العربيّة من دراسات أشارت إلى هذا الموضوع إشاراتٍ جزئيةً، ووقفتُ عندها وقاتت وصفيّة عامّة عرضت لجانبٍ من جوانبه، ونشير إلى بعض تلك الدراسات:

دراسة (أبوراس، ٢٠٠٥م) بعنوان اختلاف البنية الصّرفية في القراءات السّبع من طريق الشّاطبيّة توجيهه، وأثره على المعنى.

تناول الباحث في هذه الدّراسة أثر اختلاف البنية الصّرفية في القراءات السّبع من طريق الشّاطبية بناءً على توجيهها من ناحية واختلاف المعنى من ناحية أخرى، فعرض لأثر الاختلافات الصّرفيّة على مستوى الأسماء والمصادر والأفعال، ولكن درسه لهذا الموضوع جاء مضطرباً؛ فهو لم يحدّد ما يعنيه بالبنية الصّرفيّة، الأمر الذي ترتّب عليه تضمين أطروحته مباحث لا تمت للبنية الصّرفيّة بصلة، كالمدّ والقصر، والتّفخيم والتّريق التي هي من مباحث علم الأصوات.

دراسة (الشمري، ٢٠٠١م) بعنوان القراءات العشر المختلفة في العلامة الإعرابيّة وأثر ذلك في المعنى من خلال كتاب النّشر لابن الجزري.

تناول الباحث القراءات العشر المختلفة في العلامة الإعرابيّة وأثر ذلك في المعنى، فبحث في العلامة الإعرابيّة اللاحقة لها من رفع ونصب وجر وجزم، فهو يعنى بالقراءات المتّفقة في لفظها وأحرف بنيتها المختلفة في علاماتها الإعرابيّة، إضافة إلى ما قد ينشأ من اختلاف في المعنى أو اتّفاق فيه.

دراسة (محمد، ١٩٩٧م) بعنوان التّوجيه البلاغيّ للقراءات القرآنيّة. تناول الباحث في أطروحته مباحث علم البلاغة وأثرها في توجيه القراءات، فعرض لأثر الأساليب الإنشائيّة من استفهام وأمر ونهي وأساليب الخبر والذّكر والحذف والفصل والوصل وغيرها من الظواهر البلاغيّة، ولكن تناوله للأثر البلاغيّ في القراءات جاء مختلطاً بمباحث أخرى صرفيّة ونحويّة، ثم إنّه لم يحدّد القراءات موضوع البحث.

دراسة (الزامل، ١٤٢٧هـ) بعنوان الخلاف التصريفي وأثره في القرآن الكريم، تناول الباحث في هذه الأطروحة الأبواب الصرفية التي كانت موضع الخلاف بين الصرّفيين، ثم أخذ يدرس أثر هذه الخلافات على تفسير آيات الذكر الحكيم، لينتهي إلى نتيجة مؤداها أنّ الخلاف التصريفي يؤدي إلى تعدّد معاني التنزيل ممّا يكشف الغطاء عن جانب آخر من بلاغة ألفاظ القرآن ومعانيها الكامنة.

دراسة (سيكو) بعنوان طبيعة الاختلاف بين القراء العشرة وبيان ما انفرد بقراءته كل منهم " من خلال إعراب القرآن وتفسيره". حاول الباحث في هذه الدراسة أن يلقي الضوء على مجموعة من القضايا التي تتصل بالقراءات العشرة فبحث مسألة ما انفرد بالقراءة كل من القراء العشرة، مع مقارنة الانفرادات بما قرأ به الجماعة من حيث الإعراب والمعنى، بغية الوصول إلى مناسبة أو تلازم بينهما، ثم استنتاج ثمره الخلاف، كما تعرّض لمسألة أثر اختلاف القراءات في إعجاز القرآن الكريم.

منهج الدراسة

لما كان مطلب هذه الدراسة الكشف عن دور التوجيهات الصرفية للقراءات العشرة في تعدّد معاني التنزيل، فقد وجب على الباحث أن يمضي في استقراء ما كتبه وصنّفه الأولون، وهذا يعني أنّها دراسة وصفية في جانب كبير منها، غير أنّه وصفٌ يبتعد عن الوصف التقريري الذي يكتفي بوصف الظاهرة اللغوية دون أن يشغل نفسه بتفسيرها، أمّا منهجي فهو وصفيٌ تفسيريٌ.

وقد حرصت على أن يكون منهجي علمياً خالصاً لا أميل مع هوى، ولا أتعصّب لرأي، إنّما كان الموضوع بذاته هو نصب عيني لا غايةً تطمع النفس من تحقيقها أو التّدليل عليها سوى النتائج التي سينتهي إليها البحث الموضوعي وحده، فشرعت أقرأ في كتابات المفسرين ومصنّفات أهل القراءات جامعاً النصوص والشواهد التي تمثّل مادّة الدراسة، ورتبته على أبواب البحث وفصوله ثمّ مضيت أفحص هذه النصوص والشواهد، وأدرسها دراسة دقيقة تقوم على الاستقراء والوصف في جانب كبير منها، غير أنّه وصفٌ يبتعد عن الوصف التقريري الذي يكتفي بوصف الظاهرة اللغوية دون أن يشغل نفسه بتفسيرها.

وإذا كان السّمَت المنهجيّ العام وصفيّاً؛ فإنّه يتّخذ من الأنظار الوصفيةّ الحادثة مستأنساً. فيستفيد من اللّسانيّات التّقابليّة من جهة واللّسانيّات البنيويّة والتّوليديّة التّحويليّة من جهة ثانية، ويتكئ في جانب منها على اللّسانيّات الوظيفيّة. ويسير منهج الدّرس في محورين متوازيين:

الأول: درس القراءات العشرة بوصفها وقائع لغويّة متداولة على السنة أبناء العربيّة.

الثاني: درس التّوجيهات الصّرفيّة في مستوى النّظر اللّغوي؛ أي التّفسير والتّعليل الذي كان مصاحباً للوقائع اللّغويّة؛ إذ لا نجد ظاهرة مقرّرة إلاّ وقد علّلتها الأوائل وفسّروها، فإنّ عزّ ذلك توافرنا على تعليلات خاصّة ممّا تسعفنا به اللّسانيّات المعاصرة.

مصادر الدّراسة ومراجعتها

تعدّدت مصادر هذا البحث وتتوّعت، فكانت موزّعة بين كتب الصّرف واللّغة قديمها وحديثها، وكتب علوم القرآن وإعرابه ومعانيه وتفسيره وقراءاته، وبعض البحوث المنشورة في المجالات والدّوريات المتخصّصة. وقد كان منهجي في التعامل مع هذه المصادر في هوامش البحث وحواشيه كالآتي:

١. عند الأخذ من كتاب مطبوع لأوّل مرة أسجّل في الهامش كافّة المعلومات المتعلّقة بصاحبه ومكان النّشر وتاريخها، ثم أكتفي بذكر اسم الكتاب ورقم الجزء والصّفحة؛ لئلا أثقل الهوامش وحتى لا ألزم نفسي بما لا يلزم، وأثبت جميع بيانات الكتاب في القسم الخاص بقائمة المراجع آخر هذه الأطروحة.
٢. إذا كان الأخذ من رسالة جامعيّة أو بحث منشور في مجلة، فأشير عند ذكر هذا المصدر أوّل مرة إلى المعلومات التي توضّح للقارئ أنّ هذا العنوان هو رسالة أو بحث علمي، ثم أثبت كل ذلك في القسم الخاص به في قائمة المصادر والمراجع في آخر البحث.
٣. أمّا الشّواهد التي سقّتها في هذا البحث فقد توزّعت بين آيات من الذّكر الحكيم وأبيات من الشّعْر وشيء من كلام العرب وأمثالهم وبعض الأحاديث النّبويّة

الشَّريفة وقد أفدت في تخريج هذه الشَّواهد - على قدر استطاعتي - من مسلك المحققين:

٤. عزوت الآيات الكريمة إلى سورها من المصحف الشَّريف المطبوع على رواية حفص لقراءة عاصم بن أبي النُّجود.

٥. خرَّجت القراءات العشرة من متن طيبة النَّشر لابن الجزريّ، وبعض شروحها، وأثبت كل ذلك بهامش خاص عند كل فرشيّة من الفروش التي كانت موضع الدِّراسة.

٦. خرَّجت أبيات الشَّعر من أمهات كتب الصِّرف والنحو واللُّغة التي تمَّ الاستشهاد بهذه الأبيات فيها.

٧. ثم خرَّجتها بعد ذلك من المجموعات الشَّعرية ومن دواوين الشَّعراء إن كان البيت منسوباً لشاعر مطبوع ديوانه على حدِّ علمي.

٨. حاولت أن أعزو الشَّواهد الشَّعرية التي لم تنسبها المصادر التي كانت مادّة للاستشهاد فيها، وقد أفدت كثيراً من معجم شواهد العربيّة لعبد السلام هارون، ومن معجم شواهد اللُّغة العربيّة لإميل يعقوب، فإن عزّ ذلك ذكرت في الهامش ما عجزت عن نسبته. وخرَّجت كلام العرب وأمثالهم من المعجمات اللُّغويّة وكتاب (مجمع الأمثال) للميداني.

٩. خرَّجت الأحاديث الشَّريفة كلّها من كتب السنن التي وردت هذه الأحاديث فيها.

١٠. وألحقت بآخر هذا البحث جريدة مفصّلة حسب أسماء المؤلِّفين مرتّبة على حروف المعجم مع ذكر سنوات وفياتهم وأسماء كتبهم وطبعاتها التي رجعت إليها.

١١. وقد تطلبت طبيعة هذه الدِّراسة أن يتوزعها خمسة فصول يتقدّمها تمهيد على النحو الآتي:

التمهيد: تناولت فيه معنى القراءة وأنواعها، والشُّروط الواجب توافرها حتّى ترتقي إلى مستوى المقبوليّة بالصّحة والتّواتر.

الفصل الأول: التوجيهات الصرّفية للقراءات العشرة على مستوى أبنية الأسماء، تناولت فيه التوجيهات الصرّفية للقراءات القرآنية التي جاءت بصيغ الجمع، فدرست في جانب منه جموع التّكسير، ثم أردفت ذلك بمبحث ثانٍ خصّصه الباحث للجمع السّالم.

الفصل الثاني: وتناولت فيه الدّراسة التّوجيهات الصرّفية للقراءات القرآنية التي وردت بصيغ المصادر، فبحثت الدّلالات الصرّفية التي تطّلع بها أبنية المصادر من ناحية والدّلالة التي يتميّر بها اسم المصدر من ناحية أخرى.

الفصل الثالث: وتناولت فيه الدّراسة التوجيهات الصرّفية للقراءات العشرة على مستوى المشتقات، فبحثت الدّلالات التي يحقّقها صيغ اسم الفاعل واسم المفعول والصّفة المشبّهة وصيغ المبالغة في السيّاقات القرآنية التي جاءت بها القراءات العشرة.

الفصل الرابع: في البنية الدّلالية (معاني الزيادة)، ويبحث في الدّلالات التصريفية التي تكتسبها الأفعال من إلحاقها بحروف الزيادة، فيتناول في جانب منه معاني زيادة الهمزة على الفعل الثلاثي المجرد، ثمّ تمضي في جانب آخر فتدرس الزيادة بالتّضعيف، فتهتم بإبراز أثر تثقيل البنية وتخفيفها على المعنى ثمّ تنتهي إلى بحث الزيادة بالألف في صيغة فاعل.

الفصل الخامس: في البنية الاشتقاقية للأفعال، ويبحث في زمرة من الأفعال التي وردت بها القراءات العشرة وقد اختلفت في بنيتها الاشتقاقية، فيقف على الأصل الاشتقاقي لتلك الأفعال والدّلالات المتحصّلة جرّاء اختلافها في بنيتها الاشتقاقية.

الخاتمة: أمّا الخاتمة فعود على بدء؛ فتحاول أن تجلّي النظر في الفرضية التي تأسّست عليها هذه الدراسة، لتنتهي إلى النتائج التي خلصت إليها من بحث التّوجيهات الصرّفية للقراءات العشرة من ناحية، والدّلالات التي يمكن استكناها من الأبنية التي قرئت بها تلك القراءات من ناحية أخرى.

وبعد:

فقد بذلت الوسع كلّه في إنجاز هذا البحث حتى استوى على سوقه ولست أدّعي لنفسى الكمال والبراءة من النّقص والعيب، فالكمال لله وحده، والبراءة من

النقص والعيب لذاته تعالى ولكتابه العزيز، فهذا هو جهد المقل، وهذه هي حدود الاستطاعة، فإن كان التوفيق من نصيبي، فهذا فضل من الله أحمده عليه الحمد كله، وأشكره عليه الوقت كله، وإن أخطأت وقصرت فحسبي أنني حاولت واجتهدت، آملاً أن أجرى عليه خير جزاء وما التوفيق إلا بالله والحمد لله رب العالمين.

تمهيد

القرآن الكريم هو معجزة الله الخالدة أنزله الروح الكريم على قلب النبي الأمين - عليه الصلاة والسلام - في نظم معجز وعقد متين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو المعجزة الكبرى التي بها ختمت الرسالات، وغلقت السموات عن بعثة الأنبياء، فجمعت الأمم والشعوب على تشريع واحد بعد أن كانوا ملأاً وطرائق متفرقة، قال: - صلى الله عليه وسلم -: " ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة". (١)

وقد انطبعت هذه اللغة المقدسة على صفائح أفئدة من رافق صاحب الرسالة، عبر عشرين عاماً ونيّفاً، (٢) محتضنة لسان كل من عايشها في موطنها الأول في بطحاء جزيرة العرب، فكانت لساناً لكل من رضي بالدعوة وشرح قلبه للهداية، عن أبي بن كعب قال: " لقي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جبريل، فقال: يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين: منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط، قال: يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف". (٣)

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، (٢٠٠٢م)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة، ج٦، ص١٨٢.

(٢) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، (ت: ٥٧٩٤هـ)، (١٩٥٧م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، مصر، ج١، ص١٧٧. الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣، ج١، ص٥١.

(٣) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ)، (١٩٩٨م)، الجامع الكبير، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم: ٢٩٤٤، ج٥، ص٤٤-٤٥.

وهكذا انتظمت لغة التنزيل نظماً صوتية وتصريفية وتركيبية ومعجمية، بلغت عدتها أحرفاً سبعة، هي غاية ما نزل بها الذكر الحكيم، وتغدو هذه الأحرف السبعة ميداناً رحباً للدرس والبحث، من أجل تبين ما تكتننه من دلالات قارّة أو معاني مرادة تحنكم في أفلاكها،^(١) وقد بلغت الأربعين وجهاً،^(٢) منها وجه قال إنّ الحروف هي القراءات،^(٣) " ولكنّ هناك من ضعف مقولة القول بأنّ المراد بها القراءات - كما حكى عن الخليل بن أحمد - هو أضعف الأقوال بلا ريب، ولاسيما إذا توهم القائل أنّها ما يسمّى بالقراءات السبع"،^(٤) وفي ذلك يقول أبو شامة: " وقد ظنّ جماعة ممّن لا خبرة له بأصول هذا العلم أنّ قراءة هؤلاء الأئمة السبعة هي التي عبّر عنها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: " أنزل القرآن على سبعة أحرف"، فقراءة كلّ واحد من هؤلاء حرف من تلك الأحرف، ولقد أخطأ من نسب إلى ابن مجاهد أنّه قال ذلك".^(٥)

(١) راجع في ذلك: أبو شهبه، محمد بن محمد بن سويلم أبو شهبه (ت: ٤٠٣هـ-)، (٢٠٠٣م)، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبة السنة، ط٢، القاهرة، مصر، ص١٦٦-٢١٨.

(٢) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ-)، (١٩٧٤م)، الإتيان في علوم القرآن، ط٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج١، ص١٦٤.

(٣) أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، (ت: ٤٤٤هـ-)، (١٩٨٨م)، الأحرف السبعة للقرآن، ط١، تحقيق: عبد المهيم طحان، مكتبة المنارة، السعودية، ص٣٠.

(٤) الزركشي، البرهان، ج١، ص٢١٤. صبحي الصالح، (٢٠٠٠م)، مباحث في علوم القرآن، ط٢٤، دار العلم للملايين، ص١٠٣.

(٥) أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي (ت: ٦٦٥هـ-)، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، (١٩٧٥م)، تحقيق: طيار التي قولاج، دار صادر، بيروت، لبنان، ص١٤٧. والحديث في صحيح البخاري، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، حديث رقم: ٤٩٩٢، ج٦، ص١٨٤. وفي مسلم، مسلمبن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ-)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار

وتستمر حركة تلقي القراءة بالسَّماع والمشاهدة زمن التابعين الأخيار، حيث كان كل واحد منهم يقرأ ويقرئ القرآن بالحرف الذي تلقاه عن الصحابة الذين سمعوه عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،^(١) فكان أن اختلف النقل بين هؤلاء المقرئين وتلاميذهم على نحو أوجد معه حالة من التعدد والاختلاف في القراءة، بل ظهر الشذوذ في بعضها،^(٢) " فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءات، فكان إذا ضمهم مجمع أو موطن من موطن الغزو عجب البعض من وجود هذا الاختلاف حتى كاد الأمر يصل إلى النزاع والشقاق بينهم، وإنكار بعضهم على بعض ".^(٣)

ويبلغ هذا الأمر ذروته زمن فتح (أرمينيا وأذربيجان)؛ حيث اشترك جيش الشام مع جيش العراق في الغزو والفتح سنة خمس وعشرين للهجرة النبوية، فرأى حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- ما انتهى إليه حال الناس من تخطئة بعضهم

إحياء التراث العربي، بيروت، باب: بيان أن القرآن على سبعة أحرف وبيان معناه، حديث رقم: ٨١٨، ج ١، ص ٥٦٠.

^(١) في ذكر أشهر هؤلاء راجع: ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، ج ١، ص ٨.

^(٢) السندي، أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، (١٩٩٥م)، صفحات في علوم القراءات، المكتبة الأمدادية، ط ١، ص ٣٥.

^(٣) العبيد، علي بن سليمان العبيد، جمع القرآن الكريم حفظا وكتابة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية، ص ٤٢.

بعضاً، بل وصل الأمر ببعضهم إلى حدِّ التكفير والإخراج من الملة،^(١) فـ " كادت تكون فتنة في الأرض وفساد كبير ".^(٢)

ولمّا رأى حذيفة بن اليمان تلك الحال استنجد خليفة المسلمين عثمان بن عفان - رضي الله عنه - أن يطفئ شرارة تلك الفتنة وأن يقيم الأمر قبل استفحال ذلك الداء،^(٣) فكان من عثمان أن لبّى ذلك النداء فأوعز لرهط من الصحابة ممّن اشتهروا بحفظ القرآن^(٤) أن ينسخوا " من ذلك المجموع الذي عند حفصة الذي أجمعت الصحابة عليه"^(٥) مصحفاً، سُمّي بـ (المصحف الإمام)،^(٦) فكان بهذا الصنيع الجليل

(١) أخرج ابن أبي داود في كتاب المصاحف من طريق أبي قلابة أنه قال: " لَمَّا كَانَ فِي خِلاَفَةِ عُمَانَ جَعَلَ الْمُعَلِّمُ يُعَلِّمُ قِرَاءَةَ الرَّجُلِ، وَالْمُعَلِّمُ يُعَلِّمُ قِرَاءَةَ الرَّجُلِ، فَجَعَلَ الْغُلَمَانُ يَلْتَقُونَ فَيَخْتَلِفُونَ حَتَّى ارْتَفَعَ ذَلِكَ إِلَى الْمُعَلِّمِينَ قَالَ أَيُّوبُ: لِمَا أَعْلَمُهُ إِلَّا قَالَ: حَتَّى كَفَرَ بَعْضُهُمْ بِقِرَاءَةِ بَعْضٍ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُثْمَانَ، فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: «أَنْتُمْ عِنْدِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَتَلْحَنُونَ، فَمَنْ نَأَى عَنِّي مِنَ الْأَمْصَارِ أَشَدُّ فِيهِ اخْتِلَافًا، وَأَشَدُّ لَحْنًا، اجْتَمِعُوا يَا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ وَارْتَبُوا لِلنَّاسِ إِمَامًا " ابن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، أبو بكر ابن أبي داود، (ت: ٣١٦هـ)، (٢٠٠٢م)، المصاحف، تحقيق: محمد بن عبده، ط١، الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر، ص ٩٥.

(٢) الدليمي، أكرم عبد خليفة حمد الدليمي، (٢٠٠٦م)، جمع القرآن (دراسة تحليلية لمروياته)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ١٧٨.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، باب جمع القرآن، حديث رقم: ٤٩٨٧، ج ٦، ص ١٨٣. أبو عبيد، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)، (١٩٩٥م)، فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين، ط١، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ص ٢٨٢.

(٤) هم: زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام. البخاري، صحيح البخاري، باب جمع القرآن، حديث رقم: ٤٩٨٧، ج ٦، ص ١٨٣.

(٥) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، (١٩٩٤م)، التبيان في آداب حملة القرآن، ط٣، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص ١٨٦.

(٦) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، (ت: ٧٧٤هـ)، (١٩٩٦م)، فضائل القرآن، ط١، مكتبة ابن تيمية، ص ١٥٢.

أن جمع الناس على " الأحرف الثابتة عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في العرضة الأخيرة برسم واحد في غالبه على حرف ولغة قریش، يحتمل الأوجه المختلفة، وطرح ما سواها، لكونه نسخ في العرضة الأخيرة؛ أو لكونه يعدّ تفسيراً وشرحاً للآيات الكريمة من قبل الصحابة الكرام".^(١)

وقد بعث عثمان بنفر من القراء ومعهم نسخ من المصحف إلى الأمصار، فأقبل الناس عليهم يتلقون القرآن عنهم قراءة وحفظاً، " فحفظوا ما وافق رسمه، ورفضوا ما خالفه"،^(٢) فاشتهر " في كل مصر قراء من التابعين... وكان ذلك في النصف الثاني من القرن الأول، والنصف الأول من القرن الثاني"،^(٣) قال أبو عمرو: " أكثر العلماء على أن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - لما كتب المصحف جعله على أربع نسخ وبعث إلى كل ناحية من النواحي بواحدة منهن فوجه إلى الكوفة إحداها وإلى البصرة أخرى وإلى الشام الثالثة وأمسك عند نفسه واحدة وقد قيل إنه جعله سبع نسخ ووجه من ذلك أيضاً نسخة إلى مكة ونسخة إلى اليمن ونسخة إلى البحرين والأول أصحّ وعليه الأئمة".^(٤)

وبمرور الأيام والسنين بدأت معالم درس القراءات تتحدّد وأخذت أسسها تتشكّل، وظهر ما يمكن أن نسمّيه بالمدارس في القراءات، فقد برز في كل مصر من الأمصار أئمة من التابعين تصدّروا للإقراء، " وخلفوا الصحابة في تعليم القرآن... فعلموا تابعي التابعين قراءة القرآن، ثم خلفهم تلامذتهم من تابعي التابعين

(١) القضاة، محمد أحمد مفلح القضاة، شكري، أحمد خالد شكري، منصور، محمد خالد منصور، (٢٠٠١م)، مقدمات في علم القراءات، دار عمار، ط١، عمّان، الأردن، ص٣٤.

(٢) ابن أبي الرضا الحموي، أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا، الحموي الحلبي، (ت: ٧٩١هـ)، (١٩٨٦م)، القواعد والإشارات في أصول القراءات، تحقيق: عبد الكريم بن محمد الحسن بكار، دار القلم، ط١، دمشق، سوريا، ص٣٦.

(٣) السندي، صفحات في علوم القراءات، ص٣٥-٣٦.

(٤) أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، (ت: ٤٤٤هـ)، المقنع في رسم مصاحف الأمصار، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر، ص١٩.

الَّذِينَ كَانَ مِنْ بَيْنِهِمُ الْقَرَاءُ السَّبْعَةُ الْمَشْهُورُونَ"،^(١) "فَكَانَ بِالْمَدِينَةِ أَبُو جَعْفَرٍ يَزِيدُ بْنُ الْقَعْقَاعِ، ثُمَّ شَيْبَةُ بْنُ نَصَاحٍ، ثُمَّ نَافِعُ بْنُ أَبِي نَعِيمٍ، وَكَانَ بِمَكَّةَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَثِيرٍ وَحُمَيْدُ بْنُ قَيْسِ الْأَعْرَجِ وَمَحَمَّدُ بْنُ مُحَيْصِنٍ، وَكَانَ بِالْكُوفَةِ يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ وَعَاصِمُ بْنُ أَبِي النَّجُودِ وَسُلَيْمَانُ الْأَعْمَشُ، ثُمَّ حَمَزَةُ، ثُمَّ الْكِسَائِيُّ، وَكَانَ بِالْبَصْرَةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي إِسْحَاقَ وَعَيْسَى بْنُ عُمَرَ وَأَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ، ثُمَّ عَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ، ثُمَّ يَعْقُوبُ الْحَضْرَمِيُّ، وَكَانَ بِالشَّامِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ وَعَطِيَّةُ بْنُ قَيْسِ الْكَلَابِيِّ وَإِسْمَاعِيلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُهَاجِرِ، ثُمَّ يَحْيَى بْنُ الْحَارِثِ الذَّمَارِيُّ، ثُمَّ شُرَيْحُ بْنُ يَزِيدِ الْحَضْرَمِيِّ".^(٢)

ولما اتسعت الدولة الإسلامية وظهرت الفرق وتعددت المذاهب، وكثر أصحاب البدع والهوى، كان من الطبيعي أن تمتد يد بعض هؤلاء إلى قراءات التنزيل؛ إذ القرآن وعلومه هو محط اهتمامهم وغاية نظرهم؛ لذلك لا نعجب إذا ما وجدنا منهم من قرأ بقراءات لا أصل لها كتلك المنقولة عن بعض المعتزلة والروافض،^(٣) "فَقَامَ جَهَابُذَةُ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ، وَصَنَادِيدُ الْأُمَّةِ، فَبَالِغُوا فِي الْجَاهِدِ وَبَيَّنُّوا الْحَقَّ الْمُرَادَ، وَجَمَعُوا الْحُرُوفَ وَالْقِرَاءَاتِ، وَعَزَّوْا الْوُجُوهَ وَالرُّوَايَاتِ، وَمَيَّزُوا بَيْنَ الْمَشْهُورِ وَالشَّاذِّ، وَالصَّحِيحِ وَالْفَاضِلِ، بِأَصُولِ أَصْلُوهَا، وَأَرْكَانِ فَصْلُوهَا".^(٤)

وقد قرّر علماء الإقراء أن "القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير إليها"،^(٥) وروي عن أبي عمرو بن العلاء قارئ البصرة وعالم العربية قوله: "لولا أنه ليس

(١) حمد، غانم قدوري حمد، (٢٠٠٣م)، محاضرات في علوم القرآن، ط١، دار عمّار، عمّان، الأردن، ص ١٢٠.

(٢) ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ١، ص ٨-٩. السندي، صفحات في علوم القراءات، ص ٣٧-٣٨.

(٣) السندي، صفحات في علوم القراءات، ص ٣٨.

(٤) ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ١، ص ٩.

(٥) أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، (ت: ٤٤٤هـ)، (٢٠٠٧م)، جامع

البيان في القراءات السبع، تحقيق: عبدالمهيمن عبدالسلام الطحان وطلحة محمد توفيق وسامي عمر إبراهيم وخالد علي الغامدي، ط١، جامعة الشارقة، الإمارات، (أصل الكتاب

لي أن أقرأ إلا بما قد قرئ به لقرأت حرف كذا كذا وحرف كذا كذا"؛^(١) وعليه فقد وضعوا ضوابط للقراءة الصحيحة وهي " كلّ قراءة وافقت العربية ولو بوجه، ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصحّ سندها سواء أكانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم غيرهم من الأئمة المقبولين ".^(٢) فإذا اختلف ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها حكم بضعفها أو شدوذها أو بطلانها، سواء أكانت عن السبعة أم عن أكبر منهم.^(٣)

وقد صنفت هذه القراءات التي اختلفت فيها بعض الشروط على درجات من حيث قبولها والحكم على القارئ بها، فما صحّ نقله عن الأحاد وصحّ وجهه في العربية وخالف لفظه خط المصحف فهذا يقبل ولا يقرأ به لعنتين، إحداهما: أنه لم يؤخذ بإجماع، والعلّة الثانية: أنه مخالف لما قد أجمع عليه العلماء فلا يجوز القراءة به، ولا يكفر جاحده. وأمّا "... ما نقله غير ثقة أو نقله ثقة ولا وجه له في العربية فهذا لا يقبل وإن وافق خط المصحف".^(٤) ومن هذا الضرب أيضاً: ما وافق العربية والرسم ولم ينقل البتّة، فهذا مردود،^(٥) وإن كان قد خالف في هذا بعض علماء

رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة)، ج ١، ص ٥١.

(١) ابن مجاهد، أحمد بن موسى بن العباس التميمي، أبو بكر بن مجاهد البغدادي (ت: ٣٢٤هـ)، (١٩٨٠م)، كتاب السبعة في القراءات، تحقيق شوقي ضيف، ط ٢، دار المعارف، مصر،

ص ٤٨، ٥٠، ٥٢. ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ١، ص ١٧.

(٢) ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ١، ص ٩. ابن مجاهد، كتاب السبعة، ص ٨٧.

(٣) ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ١، ص ٩.

(٤) مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، (ت: ٤٣٧هـ)، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ص ٥٢. ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ١، ص ٩.

(٥) ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ١، ص ٩.

القراءة كابن مقسم العطار محمد بن الحسن بن يعقوب، وابن شنبوذ محمد بن أحمد. (١)

وبعد أن استقام لدى علماء الإقراء ضبط قواعد قبول القراءة، شرعوا في تعبيد منهجهم في تلقي القراءة وروايتها، وأول أسس هذا المنهج السماع والمشافهة؛ إذ إن " في القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة "، (٢) ثم إنه لا بد لكل قراءة من إمام تُعرف به وتُسند إليه، وللإمام راوٍ يؤخذ عنه، ولكل راوٍ طريق أو عدة طرق لرواية القراءة عنه، فلدينا مثلاً: قراءة نافع برواية قالون عن طريق أبي نشيط محمد بن هارون الربيعي الحربي (٣) أو قراءة نافع برواية ورش عثمان بن سعيد بن عدّي عن طريق الأزرق يوسف بن عمرو بن يسار المدني المصري. (٤)

ومعنى إسناد القراءة إلى صاحبها أن هذه القراءة منسوبة إلى من هو أضيف لها، وأنه " اختار القراءَةَ بِذَلِكَ الْوَجْهِ مِنَ اللُّغَةِ حَسْبَمَا قَرَأَ بِهِ، فَآثَرَهُ عَلَى غَيْرِهِ، وَدَاوَمَ عَلَيْهِ وَلَزِمَهُ حَتَّى اسْتَهْرَ وَعَرِفَ بِهِ، وَقُصِدَ فِيهِ، وَأُخِذَ عَنْهُ ؛ فَلِذَلِكَ أُضِيفَ إِلَيْهِ دُونَ غَيْرِهِ مِنَ الْقُرَّاءِ، وَهَذِهِ الْإِضَافَةُ إِضَافَةُ اخْتِيَارٍ وَدَوَامٍ وَلُزُومٍ لَهَا إِضَافَةٌ اخْتِرَاعٍ وَرَأْيٍ وَاجْتِهَادٍ"، (٥) ولذلك قيل: إن كل خلاف نسب لأحد من الأئمة القراء

(١) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، غاية النهاية في طبقات القراء، مكتبة ابن تيمية، عني بنشره: ج. برجستراسر، ج ٢، ص ٥٢، ١٢٤. الذهبي، معرفة القراء الكبار، ج ١، ص ٢٧٧، ٣٠٧. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، (١٩٩٣م)، معجم الأدباء، إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق: إحسان عباس، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ص ٢٣٢٣. ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٢٩٩. الأنباري، نزهة الألباء، ص ٢٨٩. السيوطي، بغية الوعاة، ج ١، ص ٨٩.

(٢) ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، (١٩٩٩م)، منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ط ١، دار الكتب العلمية، ص ٩.

(٣) ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ١، ص ٥٤.

(٤) المصدر نفسه، ج ١، ص ٥٥.

(٥) ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ١، ص ٥٢.

وأجمع عليه الرواة عنه فهو قراءة،^(١) " وكل ما نسب للآخذ عن الإمام ولو بواسطة فهي رواية وما ينسب لمن أخذ عن الرواة وإن سفل فهو طريق ".^(٢)

وقد واكب حركة انتشار القراءات في الأمصار منذ مطلع القرن الأول الهجريّ شيوع ظاهرة حادثة ألفت بظلالها على رواية القراءات، وهي ظاهرة الاختيار في القراءة، ويراد بها انتخاب القارئ من مجموع مروياته قراءة مخصوصة، فيعتمدها في كلّ حرف من حروف القرآن المختلف في قراءتها في تعليمه القرآن وتلاوته له، فيقال: اختيار فلان، أي قراءته التي اختارها،^(٣) وهو بذلك يختلف عن الرواية من جهة أنها في الأصل قراءة شيخ القارئ بروايته هو، فهي من رواية واحدة، في حين يكون الاختيار من مجموع مروياته، قال مكي بن أبي طالب: " وهؤلاء الذين اختاروا إنّما قرؤوا بقراءة الجماعة وبرواياتهم، فاختار كلّ واحد ممّا قرأ وروى قراءة تنسب إليه بلفظ الاختيار،"^(٤) وقال القرطبي: " وهذه القراءات المشهورة هي اختيارات أولئك الأئمة القراء، وذلك أنّ كلّ واحد منهم اختار فيما روى وعلم وجهه من القراءات ما هو الأحسن عنده والأولى فالترمه طريقة، ورواه وأقرأ به واشتهر عنه وعرف به ونسب إليه، فقبل حرف نافع وحرف ابن كثير ولم يمنع واحد منهم اختيار الآخر ولا أنكره، بل سوّغه وجوّزه، وكلّ واحد من هؤلاء السبعة روي عنه صحيح، وقد أجمع المسلمون في هذه الأعصار على الاعتماد على ما صحّ عن هؤلاء الأئمة ممّا رووه ورأوه من القراءات ".^(٥)

(١) القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، البذور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة - القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص ١٠.

(٢) الصفاقسي، علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي (ت: ١١١٨هـ)، (٢٠٠٤م)، غيب النفع في القراءات السبع، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٢٣.

(٣) حمد، محاضرات في علوم القرآن، ص ١٢٥.

(٤) مكي، الإبانة عن معاني القراءات، ص ٨٩.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٤٦.

وقد استمرت ظاهرة الاختيار في القراءات حتى منتصف القرن الثالث الهجري، حين لمع نجم جديد في أفق القراءات، إنه الإمام الثقة المحقق شيخ المقرئين أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد شيخ العصر أبو بكر البغدادي العطشي، المقرئ الأستاذ، (ت: ٥٣٢٤هـ).^(١)

وقد نظر ابن مجاهد في مشاهير القراء في عصره، فألفى في كل مصر من الأمصار بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام إماماً في القراءة قد "أجمعت الخاصة والعامة على قراءته وسلكوا فيها طريقه وتمسكوا بمذهبه"،^(٢) فأراد أن يصنف كتاباً يشمل مذاهب هؤلاء القراء مبيّناً "اختلافهم واتفاقهم"،^(٣) فصادف أنه لم يجتمع لديه سوى سبعة قراء هم منتهى الثقة والشهرة في بلادهم، فضلاً عن تواتر قراءاتهم وانصياعها لضوابط الصحة والمقبولية؛ من أجل هذا كله وضع ابن مجاهد تصنيفه (السبعة في القراءات) معتمداً عيار الشهرة في الإمام في اصطفاء القراء مع التسليم بشروط صحة القراءة، ثم تناول هذه القراءات "فضبطها، وحررها ودون أصولها وفرشها، والظاهر أنه صنّف أولاً سبعة كتب، كل كتاب في قراءة، كلما ثبت عنده تواتر قراءة أفرادها بكتاب؛ حتى إذا اكتمل لديه الاختيار صنّف كتابه الشهير: السبعة في القراءات".^(٤)

وفي الأندلس والمغرب عمل أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت: ٤٤٤هـ) صنيع ابن مجاهد، فصنّف كتاباً سماه (التيسير في القراءات السبع) ضمّنه القراء أنفسهم الذين جمعهم ابن مجاهد في كتابه (السبعة)، وكأنّ أبا عمرو قد أراد أن

(١) الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، (١٩٩٧م)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ط١، دار الكتب العلمية، ص ١٥٤.

(٢) ابن مجاهد، السبعة، ص ٤٩.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) حبش، محمد حبش، (١٩٩٩م)، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام

الشرعية، دار الفكر، ط١، دمشق، سوريا، ص ٧٣.

يجعل لأهل المغرب والأندلس كتاباً خاصاً " في القراءات السبع" (١) يناظر كتاب أهل المشرق (السبعة). وقد كان لأبي عمرو ما أراد؛ فقد انكبّ طلاب العلم في مدن المغرب والأندلس على (التيسير) يدرسونه و" يحفظونه ويروونه ويقرأون القرآن بمضمونه". (٢)

وهكذا عرفت الأمة الإسلامية كتابين في القراءات الصحيحة المتواترة، ليس لأحدهما مزية على الآخر إلا في تقدّم النشأة وأسبقيّة الفكرة. وتشاء الحكمة الإلهية أن يسخر لتيسير الداني من يتكفّله بالرعاية ويتناوله بالدراية، فنظمه قصيدة هي أبداع ما ألف في فقه الإقراء وأحسن ما كتب عن السبعة الصّاح، إنها القصيدة الشاطبية، (٣) المسماة بـ (حز الأمانى ووجه التهاني)، (٤) ولقد لاقت هذه الدرّة

(١) أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر (ت: ٤٤٤هـ)، (١٩٨٤م)، التيسير في القراءات السبع، تحقيق: اوتوتريزل، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ص ٢.

(٢) القضاة، شكري، منصور، مقدمات في علم القراءات، ص ١٦٨.

(٣) سميت هذه القصيدة بالشاطبية نسبة للإمام الشاطبي، وهو: أبو محمد القاسم بن فيّره بن خلف بن أحمد، الرعيّني الشاطبي الضريّر المقرئ، المتوفى سنة ٥٩٠هـ، كان إماماً في عصره، قال عنه ابن خلّكان: " كان عالماً بكتاب الله تعالى قراءة وتفسيراً، وبحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مبرزاً فيه، وكان إذا قرئ عليه صحيح البخاري ومسلم والموطأ تصحح النسخ من حفظه، ويملي النكت على المواضع المحتاج إليها، وكان أوحداً في علم النحو واللغة، عارفاً بعلم الرّؤيا، حسن المقاصد، مخلصاً فيما يقول ويفعل ". ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلّكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ)، (١٩٧١م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط١، بيروت، لبنان، ج٤، ص ٧١.

(٤) هذه القصيدة نظمها الشاطبي على بحر الطويل وقافيتها اللّام، وتقع في ثلاثة وسبعين ومئة وألف بيتاً، قال ابن خلّكان فيها: "ولقد أبداع فيها كل الإبداع، وهي عمدة قرّاء هذا الزّمان في نقلهم، فقل من يشتغل بالقراءات إلا ويقدم حفظها ومعرفتها، وهي مشتملة على رموز عجيبة وإشارات خفية لطيفة، وما أظنة سبق إلى أسلوبها ". المصدر نفسه.

النَّفيسة من الشَّهرة والقبول ما لم يحظَ به غيرها في فنِّ القراءات، " ولا في غير هذا الفن " (١).

وبالقصيدة الشَّاطِبيَّة أُطبِق النَّاس على تواتر القراءات السَّبْع، فراح العلماء يشرحون هذه اللَّامِيَّة، (٢) ويوضِّحون معاني ألفاظها، ويفكِّون رموزها، (٣) كما ولَّى طائفة أخرى شطر أسانيد هؤلاء القراء، فشغلوا " في إظهار أسانيد هذه القراءات السَّبْع، وتحديد رواتها وطرقها، حتى بلغت في ذلك الغاية " (٤).

ولم يفت العلماء المحققون أنَّ ابن مجاهد قد تجاوز في كتابه السَّبعة عن ذكر بعض القراء ممَّن عرفوا بالإمامة في القراءة؛ فقد أنكر كثير من العلماء على ابن مجاهد إعراضه عن قراءة أبي جعفر، يزيد بن القعقاع، وتجاوزه عن قراءة يعقوب بن إسحاق الحضرمي، وتركه لقراءة خلف بن هشام " وهو مشهور بعلو الإسناد، والرَّسوخ في العلم " (٥). لذلك وجدنا من العلماء من صنَّف كتاباً في القراءات الثَّمانيَّة نحو: ابن غلبون في كتابه (التذكرة)، وهناك من صنَّف في القراءات العشرة كابن مهران في كتابه الغاية، وكتاب الإرشاد لأبي العز، وغاية الاختصار لأبي العلاء، وغيرهم.

وعلى هدي الشَّاطِبيِّ نظَّم ابن الجزريِّ لِامِيَّة ذات أربعين ومئتي بيت في هؤلاء القراء الثلاثة، سمَّاها: (الدَّرة المضيئة في القراءات الثلاث المتممة للعشر)، "

(١) ابن الجزريِّ، غاية النهاية، ج ٢، ص ٢٢.

(٢) يعد السَّخاوي أوَّل من تصدَّى لشرح الشَّاطِبيَّة فقد أفرد لها تصنيفاً سمَّاه (شرح الوصيد في شرح القصيد)، قال أبو شامة في كتابه (إبراز المعاني من حرز الأمانى): " حكى لنا بعض أصحابنا أنَّه سمع بعض الشُّيوخ المعاصرين للإمام الشَّاطِبي يقول: لُمته في نظمه لها لقصور الأفهام عن دركها، فقال: ياسيدي هذه يقيض الله لها فتىً يبينها، فلما رأيت السَّخاوي قد شرحها علمت أنَّه ذلك الفتى الذي أشار إليه ". أبو شامة، إبراز المعاني من حرز الأمانى، دار الكتب العلميَّة، ص ٨.

(٣) من أشهر هؤلاء أبو شامة فقد ألف كتاباً في شرح القصيدة الشَّاطِبيَّة سمَّاه: (إبراز المعاني من حرز الأمانى)، بسط فيه معاني أبياتها وحل رموز ألغازها.

(٤) حبش، القراءات المتواترة، ص ٧٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ٧٥-٧٦.

ذكر فيها قراءات كل من أبي جعفر المدنيّ ويعقوب البصريّ وخلف الكوفيّ،
 واستخدم رموز الشاطبيّ في العزو لهؤلاء القراء^(١)، ثمّ جمع القراء العشرة في
 نسيج واحد أودعه في كتابه (تحرير التيسير في القراءات العشر)، فيكون بذلك قد أتمّ
 ما نقص عند الشاطبي في نظمه،^(٢) وكمل ما تركه الداني في سفره.

قال ابن الجزريّ: " رأيت أن أتحف حفاظ الشاطبيّة بتعريف قراءات العشرة
 وأجعلها في متن الحرز منظومة مختصرة فجاءت في أسلوب من اللطف عجيب
 ونوع من الإعجاز والإيجاز غريب، ولما شكّ أن ذلك ببركة قصيد الشاطبي - رحمه
 الله ورَضِي عنه - وسر ولأيته الذي وصلنا منه، ولما تلقيت بالقبول وحصل بها
 لأهلها من النفع غاية المأمول رأيت أن أفعل ذلك في كتاب التيسير وأضيف إلى
 سبخته الثلثة في أحسن منوال يكون له كالتحبير مع ما أضيف إليه من تصحيح
 وتهذيب وتوضيح وتقريب من غير أن أُغَيّر لفظ الكتاب أو أُعدّل به إلى غيره من
 خطأ أو صواب، وحيث كانت الزيادة عليه يسيرة ألحقتها بالحمرة فيه وإن كانت
 كثيرة قدمت عليها لفظ "قلت"، وختمتها بقولي: والله الموفق".^(٣)

ويبلغ ابن الجزري الغاية في علم الإقراء بتصنيفه التليد وتأليفه الفريد في
 كتابه (النشر في القراءات العشر)، الذي كان وما زال البحر الزاخر لكل من يطلب
 علم القراءات ومعرفة القراء، وصار تلقّي القراءات من طريق (النشر) وطبيّة
 (النشر)^(٤) يُعرف بـ (القراءات الكبرى)؛ لكثرة الطرق التي احتواها، في حين سمّي

(١) القضاة، شكري، منصور، مقدمات في علم القراءات، ص ١٦٩.

(٢) ابن الجزريّ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)،
 (٢٠٠٠م)، الدرّة المضية في القراءات الثلاث المتممة للعشر، تحقيق: محمد تميم الزعبي،
 ط٢، دار الهدى، ص ١٣.

(٣) ابن الجزريّ، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)،
 (٢٠٠٠م)، تحرير التيسير في القراءات العشر، تحقيق: أحمد محمد مفلح القضاة، دار
 الفرقان، ط١، عمان، الأردن، ص ٩٣.

(٤) هي أرجوزة نظمها ابن الجزريّ في خمسة وعشر وألف بيت ضمّنها كتابه النشر، ويكثر
 فيها استعمال الرموز إلى حدّ يحتاج مريرها إلى من يشرح له بعضها ويذلّل ولوج شعابها.

تلقي القراءات من طريق (الشاطبية) و(الدرّة) أو (التيسير) و(التحبير) بـ (القراءات العشر الصغرى)؛ دلالة على قلة الطرق التي احتوتها.^(١)

وقد تمخض عن شيوع ظاهرة الاختيار في القراءات أن انشغل جماعة من العلماء في توجيه هذه الوجوه المختارة، فبحثوا علها وبيّنوا معانيها المستفادة، ولما كانت القراءات الصحيحة قد حسم أمر تواترها وحدّد مسالك إسنادها، كانت عناية هؤلاء العلماء متّجهة نحو قواعد اللّغة لاسيّما أنّ موافقة العربيّة كان أحد شروط قبول القراءة وصحتها.

وقد ظهرت أولى بشائر هذا العلم أيام الصحابة الكرام، منها أن ابن عباس - رضي الله عنهما - لما قرأ قوله تعالى: " وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوها لَحْمًا"^(٢) بالراء المهملة (نُنشِزُها)،^(٣) احتجّ على صحّة قراءته بقوله تعالى: " ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ "^(٤)

ثمّ سرعان ما " انتقل هذا العلم الجليل - نظير علم القراءات- من صدور الصحابة إلى صدور التابعين من تلاميذهم، وكلّمًا انتشر علم القراءات واشتهر زاد علم الاحتجاج وازدهر"^(٥) حتى ورد علينا من أئمّة القراءات بعض هذه التوجيهات؛ إذ إنّ منهم من كان مبرزاً في علم النحو والتّصريف، نحو: عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء والكسائي.^(٦)

(١) القضاة، شكري، منصور، مقدمات في علم القراءات، ص ١٧١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٥٩.

(٣) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٥٧٤٥هـ)

(٢٠٠٠م)، البحر المحيط في التفسير، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت،

لبنان، ج ٢، ص ٦٣٧. ابن جنّي، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت: ٣٩٢هـ)،

(١٩٩٩م)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف

المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ج ١، ص ٨.

(٤) سورة عبس، الآية ٢٢.

(٥) السندي، صفحات في علوم القراءات، ص ٢٩٢.

(٦) ابن جنّي، المحتسب، ج ١، ص ٨. السندي، صفحات في علوم القراءات، ص ٢٩٢.

وربما كانت أولى المحاولات الناصجة في الكتابة في هذا العلم على يدي ابن مجاهد في كتابه (السبعة)،^(١) فقد أفرد باباً مستقلاً أتى فيه على اختلاف القراء السبعة في سورة الفاتحة،^(٢) ثم أمسك عن بقية السور خشية أن يعيب كتابه الإطالة والنقل، قال ابن مجاهد: " استطلت ذكر العِلل بعد هذه السورة وكرهت أن يتقل الكتاب فأمسكت عن ذلك وأخبرت بالقراءة مجردة"،^(٣) ويكون ابن مجاهد في هذه المحاولة قد أطلق الشرارة الأولى في علم توجيه القراءات؛ حيث إن ما سبقه من محاولات لا تعدو أن تكون سوى ملاحظات متناثرة في بطون كتب التفسير ومعاني القرآن، أو هي كتب ضائعة لم يصلنا منها إلا أسماؤها وذكر يسير عنها، ثم إنها قد صنفت قبل تسبيع ابن مجاهد فلا ندري ماهية تلك القراءات ومدى حظها من الصحة والتواتر، ومع ذلك فهي تمثل إرهاصات أولى على طريق علم توجيه القراءات.

وعلى النهج الذي رسمه ابن مجاهد في توجيه سورة الفاتحة سار تلميذه أبو علي الفارسي (ت: ٣٧٧هـ) فنصف كتاباً في توجيه فرش حروف القراءات السبعة سماه (الحجة للقراء السبعة)، وهو يعدّ شرحاً لكتاب شيخه ابن مجاهد،^(٤) ثم كان كتاب مكي بن أبي طالب القيسي (ت: ٤٣٧هـ) (الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها)، وهو تصنيف في توجيه القراءات السبعة التي أودعها ابن مجاهد في كتابه السبعة، وهو يخلو من الاستطراد الذي حفل به كتاب الفارسي (الحجة)، وهكذا توالى الكتب وتتابع المؤلفات التي كانت في توجيه القراءات المتواترة، بل كان هناك من بحث في توجيه القراءات الشاذة كما فعل ابن جني في كتابه (المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها).

(١) يرى محمد محيسن أن أول من ألف في توجيه القراءات هو ابن السراج، ويرى عبد الفتاح شلبي أن التدوين في الاحتجاج بدأ في القرن الثاني الهجري. السندي، صفحات في علوم القراءات، ص ٢٩٧.

(٢) ابن مجاهد، السبعة، ص ١٠٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ١١٢.

(٤) ابن الجزري، الغاية، ج ١، ص ٢٠٧. ابن جني، المحتسب، مقدمة المحقق، ج ١، ص ١٧.

وقد وجد علم توجيه القراءات طريقه إلى علوم العربية؛ حيث شكّلت القراءات القرآنية مصدراً مهماً من مصادر الاحتجاج اللغوي، وكانت توجيهات القراءات هي في حقيقتها مسائل لغوية تتصل اتصالاً وثيقاً بسنن العرب في أدائها الفصيحة، وقد وجد النحاة في قراءات القرآن الكريم مادة لغوية تغني درسم وتثري بحثهم، فبنوا بها لبنات مسائلهم اللغوية، مستدلين على صحة ما استنبطوه من قواعد في قرار نظريتهم النحوية.

ومع ذلك لم يكن درس الأوائل للقراءات في الكثير الغالب متماشياً مع هذه الغاية؛ حيث إن النحاة كانوا ينظرون إلى الوجوه القرائية على أنها شواهد لغوية يُستدل بها على صحة القاعدة، فالبصريون الذين نهجوا في استقراء اللغة طريقاً ضيقاً يتحرى الدقة في الأخذ والانتقاء في التناول، أكثروا من ردّ القراءات التي تخالف قواعدهم، وتجرؤوا على أصحابها، وعتوهم من دون حرج بالجهل وقلة الدراية وكان ردّهم كثيراً من القراءات منسجماً مع منهجهم في ردّ النصوص اللغوية إذا لم تصحّ على شرطهم. وأمّا الكوفيون فقد قبلوا كلّ القراءات دون أن يفرّقوا بينها؛ انصياعاً لمنهجهم في تلقي اللغة الذي يسلم بقبول أي نص لغوي فيبني عليه قاعدة نحوية.

وأحسب أنّ هيمنة العقل والمنطق والرغبة في الاتفاق والانسجام في القواعد كان وراء رفض النحاة لبعض القراءات أو نعتها بالضعف والشذوذ؛ إذ إن أيّ شاردة لغوية تعطل ما قد قعدوه، أو قفوها على أنها مخالفة لغوية أو ضرورة لا تتقاس ولو كان نصاً قرآنيّاً له قدسيته. ومن هنا كانت جرأتهم على القراءات وامتناعهم عن التسليم بها كلّها، يقول الرّازي مصوراً ذلك: " إذا جوزنا إثبات اللغة بشعر مجهول منقول عن قائل مجهول، فلأن يجوز إثباتها بالقرآن العظيم، كان ذلك أولى،... وكثيراً أرى النحويين يتحيرون في تقرير الألفاظ الواردة في القرآن، فإذا استشهدوا في تقريره ببيت مجهول فرحوا به، وأنا شديد التعجب منهم؛ فإنهم إذا

جعلوا ورود ذلك البيت المجهول على وفقه دليلاً على صحته، فلأن يجعلوا ورود القرآن به دليلاً على صحته كان أولى". (١)

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج٩، ص٤٠١. السندي، صفحات في علوم القراءات، ص٢٩٠-

الفصل الأوّل

في بنية الأسماء الجمعيّة

١.١ توطئة:

أخال أنّ مبتدأ الحديث في هذه المباحثة هو طريقة العربيّة في جمع أسمائها؛ ذلك أنّ لكلّ سمت من أبنيتها سنناً خاصّة تضبط بنيانها وتغيّر أجناسها، وأنّ منها ما يخضع للميزان والقياس، وأنّ منها الآخر ما لا ينصاع لقانون ضابط ولا لقياس مانع. وقد تبين لدى الصرّفيين الأوائل عبر استقراءهم لأبنية الاسم في العربيّة أنّ منها ما يجمع بلا حقة صرفيّة تلتصق ببنيته الإفراديّة فتقله من حقل الكلم المفردة إلى حرم الأسماء المجموعة، وأنّ منها ما يعبر عن جمعه بالمخالفة الصوّتيّة التي تبادل بين الصوّات محدثة تنوّعات بنيويّة تحمل في مكوناتها معنى الجمع.

وقد سمّى الأوائل النوع الأوّل بـ (الجمع السّالم)؛ لأنّ الاسم في هذا الضّرب لا يعتري بنيته أي تغيير أو تبديل، إنّما الجمع حاصل بالإلصاق؛ ولذلك قيل عنه: " هو الذي يسلم فيه بناء الواحد وتزيد عليه واواً ونوناً أو ياء ونوناً... فإذا جمعت المؤنّث على حدّ التثنية زدت ألفاً وتاءً وحذفت الهاء إن كانت في الاسم".^(١) وأطلقوا على السّمّت الثاني (جمع التّكسير)؛ لأنّ الاسم في هذا النوع تتغيّر بنيته عند جمعه، " فكأنّه قد كسر؛ لأنّ كسر كلّ شيءٍ تغييره عمّا كان عليه".^(٢)

كما ميّز الصرّفيون بين هذين الجمعين من جهة الدلالة؛ فجمع المذكر السّالم والمؤنّث السّالم هما كما يقول سيبويه للقليل لما دون العشرة^(٣)، " ما لم تقترن بهما

^١ ابن السّراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي، (ت: ٣١٦هـ)، الأصول في النحو، تحقيق: عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ج ١، ص ٤٦، ٤٧.

^٢ المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢٩.

^٣ سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبو بشر، (ت: ١٨٠هـ)، (١٩٨٨م)، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج ٣، ص ٤٩٢. الأزهرّي، خالد بن عبدالله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهرّي، زين الدين المصري، (ت: ٩٠٥هـ)، (٢٠٠٠م)، شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في

الألف واللام الدالة على الاستغراق، أو يضافا إلى ما يدلّ على الكثرة^(١)، وقيل: هما للقليل والكثير،^(٢) وإلى ذلك ذهب الأنباري^(٣) وابن خروف، ونقل ابن إياز عن هذا الأخير قوله: "هو مشترك بينهما؛ وذلك لأنه مستعمل فيهما، والأصل الحقيقة، قال ابن إياز: واستضعفه بعض الأشياخ؛ لأنّ اللفظ إذا دار بين المجاز والاشتراك كان المجاز راجحاً"^(٤)، وذهب بعضهم إلى "أنّ الاسم إن كان له جمع تكسير وجمع سلامة كالجفان والجففات فجمع السلامة للقلّة وجمع التكسير للكثرة، وإن لم يكن له إلا جمع سلامة فجمع السلامة مشترك بين القلّة والكثرة"^(٥)، ورأى فريق ثالث أنّ المسألة تتجلى باعتبار المقام والسياق؛ فإذا تضمّن الكلام ما يوحي بالقلّة أو

-
- النحو**، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج ٢، ص ٤٥٥. وهو مذهب ابن السراج وابن جنيّ. ابن السراج، الأصول، ج ٢، ص ٤٣٩. ابن جني، المحتسب، ج ١، ص ١٨٧. الفيوميّ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية، بيروت، ج ٢، ص ٦٩٥.
- ^١ ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، جمال الدين، (ت: ٦٧٢هـ)، **شرح الكافية الشافية**، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، ط ١، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة، ج ٤، ص ١٨١٠.
- ^٢ الغلابيني، مصطفى بن محمد سليم الغلابيني (ت: ١٩٥٤م)، (١٩٩٣م)، **جامع الدروس العربية**، المكتبة العصرية، ط ٢٨، صيدا، بيروت، ج ٢، ص ٢٩.
- ^٣ الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، (ت: ٥٧٧هـ)، (١٩٩٩م)، **أسرار العربية**، دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط ١، ص ٢٥٠.
- ^٤ المرادي، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي، (ت: ٧٤٩هـ)، (٢٠٠٨م)، **توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك**، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، ط ١، دار الفكر العربي، ج ٣، ص ١٣٧٨.
- ^٥ رضي الدين الاسترأبادي، محمد بن الحسن الرضي الاسترأبادي، نجم الدين، (ت: ٦٨٦هـ)، (١٩٧٥م)، **شرح شافية ابن الحاجب**، حققهما وضبط غريبهما وشرح مبهمهما: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج ١، ص ٢٦٧.

الكثرة من قرائن، تعيّن المعنى بحسب تلكم القرينة، فإن عزّ ذلك احتملت المعنيين كليهما.^(١)

وأما جمع التكسير فإنّ الصرّفيين قد جعلوه في شعبتين: إحداهما للقلّة والثانية للكثرة، وعيّرُوا لكلّ واحد من الجمعين أوزاناً وصيغاً مخصوصة استتبطوها من استقراء كلام العرب نظمه ونثره، فكان نصيب جمع القلّة أربع صيغ، وعدد أوزان الكثرة ستّ عشرة صيغة ما خلا صيغ منتهى الجموع^(٢) الذي اختصّ بتسعة عشر وزناً.^(٣)

وقد فرّق الصرّفيون بين هذه الجموع اعتماداً على ملحظ الدلالة؛ فما كان لأدنى العدد من الثلاثة إلى العشرة فهو للقلّة، فإن تجاوز هذا العدد دخل بوابة جمع الكثرة. وإذا تطلّب المقام أن يجمع ما قد جمع على قلّة أو كثرة، أباحت اللّغة التصرف في ذلك مستعينة بـ (جمع الجمع)، فجمعت ما قد جُمع بالتكسير، إمّا بإلحاقه ألف وتاء على طريقة جمع المؤنّث السالم، نحو رجال رجالات، جمال جمالات، ومنه قراءة (جمالات) بالجمع من قوله تعالى: " كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ".^(٤) وإمّا بتكسير جمعه المكسر، بمشاكله مفرده في طريقة الجمع، نحو: أعبد أعابد، وفي أسلحة أسالِح،^(٥) فإن كان من صيغ منتهى الجموع وكان مذكراً عاقلاً فإنّه يجمع جمع مذكر سالم، نحو: أفاضلين ونواكسين، ويجمع على جمع المؤنّث السالم،

^١ حسن، عباس حسن (ت: ١٩٧٨م)، النحو الوافي، دار المعارف، ط ١٥، ج ١، ص ١٣٨.
^٢ الغلابي، جامع دروس العربية، ج ٢، ص ٣٥. ويرى الحملاوي أنّها ثلاثة وعشرون وزناً، انظر: الحملاوي، أحمد بن محمد الحملاوي، (ت: ١٩٣١م)، شذا العرف في فن الصرف، تحقيق: نصرالله عبد الرحمن نصرالله، مكتبة الرشد، الرياض، ج ٢، ص ٨٥. وإلى ذلك ذهب عباس حسن، النحو الوافي، ج ٤، ص ٦٤١.
^٣ المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٧.
^٤ انظر الدراسة ص ٦٦. سورة المرسلات، الآية ٣٣.
^٥ الحملاوي، شذا العرف، ص ٩٦. عباس حسن، النحو الوافي، ج ٤، ص ٦٧٤.

" إن كان للمؤنث، أو للمذكر غير العاقل نحو صَوَاحِبَاتٍ وَوَاهِلَاتٍ وفي الحديث " إِنْ كُنَّ لِأُنْتِنَّ صَوَاحِبَاتُ يَوْسُفَ".^(١)

كما ميّز الصرفيون في مبحث جمع التكسير بين زمرة من الأسماء سلكت سبيلاً يغاير سنن جمع التكسير؛ فهذه الأخيرة تخالف بنيتها الإفرادية عند التحول إلى صيغة الجمع، إمّا بالزيادة أو الاختزال أو المخالفة الصوتية. وقد سمى الصرفيون هذه البنيات المخالفة (اسم الجمع)؛ لأنّ بنيتها الجمعيّة منقطعة عن قسيميّتها الإفرادية؛ إنه اسم تضمّن معنى الجمع، يلتقي مع الاسم المفرد من جهة المعنى، ويتقاطع معه في بنيته الشكلية.

وعلى صعيد آخر فرّق الصرفيون في مبحث الجموع بين الاسم الذي يدلّ ببنيته على مطلق الجمع فيشمل أفراد أرومته كافة على سبيل الشمول والعموم، وبين الاسم الذي يراد بجنسه القليل والكثير. فالأول: هو (اسم الجنس الجمعي) وهو ما تفاوت عن واحده بتجرّده من تاء التانيث نحو: تَمْرٌ، تَمْرَةٌ،^(٢) أو من ياء النسبة نحو: تُرْكٌ، تُرْكِيٌّ.^(٣) وأمّا النوع الثاني: فهو (اسم الجنس الإفرادي) وهو ما دلّ ببنيته المجردة على القليل والكثير، إنه كلّ اسم " ... يصدق على القليل والكثير من الماهية أي: من الحقيقة الذهنية من غير اعتبار للقلّة أو الكثرة"،^(٤) نحو لبن وعسل. وإذا كانت العربية قد أفردت لكلّ جنس من المعدودات باباً مستقلاً لا يغادره، فإنّها قد سمحت لتلك الجموع أن يبادل بعضها بعضاً، فيحلّ القليل منها محلّ الكثير، ويشغل الكثير مكان القليل على سبيل النيابة أو الاستغناء؛ حيث " ينوب أحدهما عن الآخر وضعاً: بأن تضع العرب أحد البناءين صالحاً للقلّة والكثرة، ويستغنون به

^١ الغلابيني، جامع الدروس، ج ٢، ص ٦٧. والحديث في: النسائي، أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، (ت: ٣٠٣هـ)، (٢٠٠١م)، السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبدالله بن عبد المحسن التركي، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج ١، ص ٤٣٨.

^٢ سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ٥٨٢.

^٣ ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ج ٤، ص ١٩٦٠.

^٤ عباس حسن، النحو الوافي، ج ١، ص ٢٤.

عن وضع الآخر، فيستعمل مكانه بالاشتراك المعنوي لا مجازاً، ويسمى ذلك بالنيابة وضعاً، كأرجل، بفتح فسكون فضم، فيجمع رجل بكسر فسكون، وكرجال بكسر ففتح، وفي جمع رجل بفتح فضم، إذ لم يضعوا بناء كثرة للأول ولا قلة للثاني، فإن وضع بناءين للفظ واحد، كأفلس وفلوس، في جمع فلس بفتح فسكون، وأثوب وثياب فيجمع ثوب، فاستعمال أحدهما مكان الآخر يكون مجازاً، كإطلاق أفلس أحد عشر، وفلوس على ثلاثة، ويسمى بالنيابة استعمالاً^(١).

وقريب من هذا السياق أظهر الاستعمال اللغوي في مستواه الفصيح عن أداءات لغوية حل فيها الاسم المفرد محل الجمع، فكان ذلك إرهافاً بشر بخلاف لا يقل في حضوره عن خلافات النحويين في مسائل النحو والتصريف، بل ربما يفضلها جميعاً لاسيما إذا تعلق الأمر بمتنزه التنزيل، فإن في قراءاته العشر من مظاهر هذه المسألة ما يجعلها تصل إلى مرتبة الذروة في الاستعمال، ومع هذا لم يفتأ علماء العربية يتساجلون حول حظ هذه الظاهرة من مقبولية الاستعمال واطراد القياس^(٢).

وأول من يلاقينا من هؤلاء العلماء الأجلاء صاحب الكتاب الذي يجعل هذه المسألة في باب الضرورة الشعرية، حيث قال: "وليس بمستكر في كلامهم أن يكون اللفظ واحداً والمعنى جميعاً، حتى قال بعضهم في الشعر من ذلك ما لا يُستعمل في الكلام"^(٣)، وقد تبع المبرد سيبويه في هذه المسألة فرأى أن "المفرد يجوز أن يأتي في الشعر مراداً به الجماعة شرط أن يكون في الكلام ما يدل على الجمع"^(٤).

^١ الحملاوي، شذا العرف، ص ٨٥.

^٢ الدليمي، وجدان برهان عبد الكريم الدليمي، (٢٠٠٤م)، البحث الصرفي عند الشيخ محمد عبد الخالق عزيمة، رسالة ماجستير، إشراف: لطيفة عبد الرسول، قسم اللغة العربية، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ص ١٥٥، ١٥٦.

^٣ سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٢٠٩.

^٤ الدليمي، البحث الصرفي، ص ١٥٧.

وهناك فريق آخر رأى المسألة جائزة في العربية على إطلاق، يشهد على حجية تلك الجمهرة من الشواهد القرآنية بقراءتها المتعددة فضلاً عن تلك الأشعار التي تنسب للفحول من الشعراء^(١)، فهذا أبو عبيدة يقرّ بهذه الظاهرة حين يفسّر (ضيف) من قوله تعالى: "هُؤُلَاءِ ضَيْفِي فَلَا تَفْضَحُونِ"^(٢) قال: "اللفظ لفظ الواحد والمعنى على الجميع"^(٣)، ومنه قول لبيد:^(٤)

وَحْصِمِ كِنَادِي الْجِنِّ أَسْقَطْتُ شَأْوَهُمْ
بِمُسْتَحْصِدِ ذِي مِرَّةٍ وَصُرُوعِ
وإلى ذلك ذهب ابن قتيبة في تفسير (الرسول والضيف والطفل)، قال: "إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ" الرسول يكون بمعنى الجميع، كما يكون الضيف، قال: "هُؤُلَاءِ ضَيْفِي"، وكذلك الطفل؛ قال: "ثُمَّ نَخْرُجُكُمْ طِفْلاً"^(٥)، وحكي عن النحاس أنه قال: "وطفل بمعنى أطفال"^(٦).

ومما يتصل بمبحث الجموع مسألة يجد الباحث أنه من الضروري بمكان بحثها في هذا المدخل، وهي مسألة جمع المصدر، حيث إنّ العلماء مختلفون فيما بينهم حول هذه الظاهرة،^(٧) فإمام النحويين يقرّر أنّ هذا المبحث بابه السماع فـ

^١ الدليمي، البحث الصرفي، ص ١٥٨.

^٢ سورة الحجر، الآية ٦٨.

^٣ أبو عبيدة، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، (ت: ٢٠٩هـ)، (١٩٦١م)، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزكين، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج ١، ص ٣٥٣.

^٤ لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، (ت: ٤١هـ)، (٢٠٠٤م)، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدو طمّاس، ط ١، دار المعرفة، ص ٥٥.

^٥ ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ)، (١٩٧٨م)، غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ص ٣١٦. سورة الحجر، الآية ٦٨. سورة الحج، الآية ٥.

^٦ النحاس، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨)، (٢٠٠١م)، إعراب القرآن، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، ص ٦٢.

^٧ الدليمي، البحث الصرفي، ص ١٥٥، ١٥٦.

ليس كلُّ جمع يُجمع، كما أنه ليس كلُّ مصدر يجمع، كالأشغال والعقول والحلوم والألبان".^(١)

ويرى ابن جنِّي أن المصادر يباح جمعها إذا ما كانت مختلفة أجناسها، فإنَّ المصدر " إن جاء مؤكِّداً للفعل تأكيداً محضاً لم يجر تثنيته وجمعه ما دام المراد منه هو المعنى المجرد، لأنَّه مبهم لم يقصد به الفرق بين الأنواع... وسبب امتناع جمعه أو تثنيته أنه قصد به معنى الجنس (لا الأفراد) فهو يدلُّ بنفسه على القليل والكثير، ولهذا لا فائدة في جمعه ولا في تثنيته، أمَّا إذا اختلفت أجناسه وجاء مبيناً للنوع والعدد فيجوز جمعه".^(٢)

وثمة مذهب ثالث يرى في جمع المصدر ظاهرة مطرّدة في الاستعمال يقبلها القياس، وعلى رأس هؤلاء أبو زكريا الفراء الذي كان كثيراً ما يلجّ على هذه المسألة عند توجيهاته للقراءات القرآنية.

٢.١ في بنية الجمع السالم

(خطيئته)، (خطيآته):^(٣)

ومن ذلك "خطيئته" من قوله تعالى: " وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ "،^(٤) حيث جمع

^١ سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ٦١٩.

^٢ الدليمي، البحث الصرفي، ص ١٥٥.

^٣ ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، (١٩٩٤م)، متن طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: محمد تميم الزغبى، ط ١، دار الهدى، جدة، ص ٦٣. ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢١٨. ابن الجزري، تحرير التيسير، ص ٢٩٠. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، (٢٠٠٠م)، شرح طيبة النشر، تحقيق: أنس مهرة، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ص ١٧٨. محيسن، محمد محمد محمد سالم محيسن (ت: ١٤٢٢هـ)، (١٩٩٧م)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ط ١، دار الجيل،

بيروت، ج ٢، ص ٤٠.

^٤ سورة البقرة، الآية ٨١.

نافع وأبو جعفر خطيئة على (خطيئات) فاحتملت معنى كثرة الذنوب^(١) الذي قد يحتمله السياق. وقرأ الباقون بصيغة الإفراد (خطيئته)^(٢) على وزن (فَعِيلَة) اسماً للجنس للقليل والكثير.^(٣)

وربما يكون للمصاحبة المعجمية أو الاقتران اللفظي ما يصوغ هاتين القراءتين؛ فـ " الْإِحَاطَةُ لَا تَكُونُ لِلشَّيْءِ الْمُنْفَرِدِ إِنَّمَا تَكُونُ لِأَشْيَاءَ كَقَوْلِكَ أَحَاطَ بِهِ الرَّجَالُ وَأَحَاطَ النَّاسُ بِفُلَانٍ إِذَا دَارُوا بِهِ وَلَا يُقَالُ أَحَاطَ زَيْدٌ بِعَمْرٍو"^(٤)، وَأَمَّا مَنْ قَرَأَ بِالتَّوْحِيدِ فَـ " حَجَّتْهُمْ أَنَّ الْخَطِيئَةَ لَيْسَتْ بِشَخْصٍ فَإِذَا لَمْ تَكُنْ شَخْصًا وَاشْتَمَلَتْ عَلَى الْإِنْسَانِ جَازًا أَنْ يُقَالَ أَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ"^(٥)، ولذلك استحسَنَ أَهْلُ التَّحْقِيقِ " قِرَاءَةَ الْجَمْعِ بِأَنَّ الْإِحَاطَةَ لَا تَكُونُ بِشَيْءٍ وَاحِدٍ، وَوَجَّهَتْ قِرَاءَةَ الْإِفْرَادِ بِأَنَّ الْخَطِيئَةَ وَإِنْ كَانَتْ مَفْرَدَةً لَكِنَّهَا لِإِضَافَتِهَا مُتَعَدِّدَةٌ، مَعَ أَنَّ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ قَدْ يَحِيطُ كَالْحَلْقَةِ فَلَا تَغْفَلُ " .^(٦)

ويجلي أبو علي الفارسي هذه المسألة فيبين أن الاختيار عنده هو قراءة الأفراد؛ فـ (الخطيئة) في هذا السياق هي مضافة إلى ضمير الغائب المسند للمفرد،

^١ النويري، محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النويري (ت: ٨٥٧هـ-)، (٢٠٠٣ م)، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تقديم وتحقيق: مجدي محمد سرور سعد باسلوم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٢، ص١٦٨. محيسن، الهادي، ج٢، ص٤٠.
^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص٦٣. النشر في القراءات، ج٢، ص٢١٨. تحبير التيسير، ص٢٩٠.

^٣ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، (ت: ٦٧١هـ)، (١٩٦٤م)، الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، مصر، ج٢، ص١٢.

^٤ ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (ت: ٤٠٣هـ)، (د.ت)، حجة القراءات، حققه وعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، بيروت، لبنان، ص١٠٢.

^٥ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص١٠٢.

^٦ الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (ت: ١٢٧٠هـ)، (١٩٩٥م)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص٣٠٦.

فكما أفردت (السيئة) في السياق نفسه أفردت صاحبها التي تجاورها، ويشهد على صحة هذا الاستعمال نظائر في آيات التنزيل، ومنها قوله - عز من قائل -: "وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا"،^(١) والعدّ والإحصاء لا يكونان إلّا للكثير المجموع، "... وأنت إذا أفردته لم يمتنع وقوعه على الكثرة وإن كان مضافاً... فهذه أسماء مفردة مضافة، والمراد بها الكثرة فكذلك الخطيئة".^(٢)

ومما يعزّز هذا التوجيه ورود نظائر من التنزيل أضيف فيها الاسم المفرد للمفرد، مع أنّ النية معقودة للمغايرة. ومن ذلك قوله تعالى: "بلى من أسلم وجهه لله وهو محسنٌ فله أجره عند ربه"،^(٣) فقد امتنعت الإضافة للجمع لما كان المضاف اسماً مفرداً (أجره)، ولم يجمع كما جمع في قوله: "وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ"،^(٤) وفي ذلك يقول أبو علي الفارسي: "فكما لم يجمع الأجر في الإضافة إلى الضمير المفرد، كما جمع لما أضيف إلى الضمير المجموع، كذلك ينبغي أن تكون الخطيئة مفردة إذا أضيفت إلى الضمير المفرد، وإن كان المراد به الجميع. ومن قال (خطيئاته) فجمع، حمله على المعنى، والمعنى: الجمع والكثرة. فكما جمع ما كان مضافاً إلى جمع كذلك جمع ما كان مضافاً إلى مفرد، يراد به الجمع من حيث اجتماعها في أنهما كثرة".^(٥)

وعلى صعيد آخر تلمس بعض علماء الإقراء في الدلالة المعجمية سبيلاً يوجّه القراءة على هديه؛ فمن تمسك بقراءة الأفراد رأى في معنى الكفر والكبيرة ما يلبي

^١ سورة إبراهيم، الآية ٣٤.

^٢ الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، أبو علي، (ت: ٥٣٧٧هـ)، (١٩٩٣م)، الحجة للقراء السبعة، تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجاني، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، ط٢، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت، ج٢، ص ١١٩.

^٣ سورة البقرة، الآية ١١٢.

^٤ سورة النساء، الآية ٢٥.

^٥ الفارسي، الحجة، ج٢، ص ١٢٠.

احتجاجه؛^(١) إذ " المراد بالخطيئة الكفر وهو مفردٌ"،^(٢) أو هي اسم جمعيّ " المراد به جنسُ الكبيرة ".^(٣) ومن أثر قراءة الجمع اعتقد أنّ القصد يتحقق في أداء الجمع؛ فـ "المراد بالخطيئات أنواعُ الكفرِ المتجدّدة في كلِّ وقتٍ"،^(٤) ويمكن أن يكون

^١ ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت: ٤٥٨هـ)، (٢٠٠٠م)، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٥، ص٢٣١. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (ت: ٥٧١١هـ)، (١٤١٤م)، **لسان العرب**، ط٣، دار صادر، بيروت، ج١، ص٦٧. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، (٢٠٠٥م)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص٣٩، (خطأ).

^٢ السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، (ت: ٧٥٦هـ)، **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، ج١، ص٤٧٥. ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، (ت: ٧٧٥هـ)، (١٩٩٨م)، **اللباب في علوم الكتاب**، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ج٢، ص٢١٧.

^٣ السمين الحلبي، الدر المصون، ج١، ص٤٥٧. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، (١٤٢٢هـ)، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص١٧١. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، (ت: ١٢٥٠)، (١٤١٤هـ)، **فتح القدير**، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ج١، ص١٢٥. أبوراس، منصور سعيد أحمد أبوراس، (٢٠٠٥م)، **اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع من طريق الشاطبية توجيهه**، وأثره على المعنى، إشراف: مصطفى عبد الحفيظ سالم، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية، ص٧٦.

^٤ السمين الحلبي، الدر المصون، ج١، ص٤٥٧. ابن عادل، اللباب، ج٢، ص٢١٧. أبوراس، اختلاف البنية الصرفية، ص٧٦.

المعنى " وأحاطت به عقوبات خطيئته... والخطيئة: الكبائر"،^(١) وكون التعبير بالجمع هنا من باب مطابقة اللفظ للمعنى.^(٢)

ومما يتصل بهذه المباحثة (خطيئتكم) من قوله تعالى: " وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا البابَ سُجَّدًا نَغْفِرُ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ"،^(٣) فقد قرأ ابن عامر وحده (خطيئتكم) في هذه الآية الكريمة بصيغة المفرد (خطيئتكم) على وزن (فَعِيلَة) اسماً للجنس،^(٤) وقرأها الباقر بصيغة جمع المؤنث السالم (خطيئاتكم) على زنة (فَعِيلَات)، وقرأها أبو عمرو (خطاياكم) على وزن (فَعَائِل)^(٥) بصيغة جمع التكسير^(٦) ومن جهة ثانية قرأ جمهور القراء ما خلا أبا عمرو (خطيئاتهم) بصيغة جمع المؤنث السالم من قوله - جلّ

^١ ابن خالويه، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت: ٣٧٠هـ)، (١٤٠١هـ)، الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط٤، جامعة الكويت، دار الشروق، بيروت، ص٨٣.

^٢ محيسن، محيسن، محمد محمد محمد سالم محيسن (ت: ١٤٢٢هـ—)، (١٩٨٤م)، القراءات وأثرها في علوم العربية، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ج١، ص٢٨١.

^٣ سورة الأعراف، الآية ١٦١.

^٤ الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، (ت: ٦٠٦هـ)، (٢٠٠٠م)، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج٣٠، ص٥٨٦.

^٥ هذا هو مذهب البصريين، وأما الكوفيون فإنهم ذهبوا إلى أنها على زنة (فَعَالِي)، الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، (ت: ٥٧٧هـ—)، (٢٠٠٣م)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، المكتبة العصرية، ط١، مسألة ١١٦، ج٢، ص٦٦٣.

^٦ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص٧٦. شرح طيبة النشر، ص٢٣٨. النشر في القراءات، ج٢، ص٣٩١. النويري، شرح طيبة النشر، ج٢، ص٣٤٠. محيسن، الهادي، ج٢، ص٢٥٣-٢٥٤. القراءات، ج١، ص٣٤٩، ٥٧٠.

ثناؤه: " مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأَذْخَلُوا نَارًا "، وقرأها أبو عمرو (خطاياهم) على وزن (فعائل) بصيغة جمع التكسير. (١)

وموطن الخلاف في هاتين القراءتين معقود من جهة دلالة صيغة الجمع؛ إذ إنّ من الصرفيين من رأى أنّ دلالة القلّة تتحقّق في جمع السّلامة، وأنّ الكثرة تتحصّل بالجمع المكسر إلّا أن يكون أحد أوزان القلّة، ولذلك نقل الأصمعيّ عن أبي عمرو بن العلاء قوله: " قَوْمٌ كَفَرُوا أَلْفَ سَنَةٍ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِلَّا خَطِيئَاتٌ "، (٢) يريد أنّ الجمع بالألف والتاء هو دون جمع التكسير في العدد. (٣) وأمّا من قرأ بصيغة جمع المؤنّث السّالم فإنّه وجد معنى القلّة والكثرة تجلبهما الألف والتاء، وإلى ذلك ذهب الكسائي. (٤)

وأما إذا ولينا الفكر شطر الدّلالة والمعنى، فإنّنا نحسب هذه القراءات متقاربات في الدّلالة، فمن قرأ بصيغة التّوحيد رأى الخطيئة مطلباً يصعب على المرء عدّه أو الإحاطة به، فهي جنس ينصهر تحته أصناف متعدّدة وضروب كثيرة لا يحصيها إلّا من وكلّ بتسجيلها من الملائكة العظام.

ومما يدلّ على صواب ما ذهبنا إليه أنّ (الخطيئة) في هذا السّياق قد أضيفت إلى ضمير الجماعة، فقرئت (خَطِيئَتِكُمْ)، فدلّ ذلك على أنّ المراد بهذه القراءة جنس الخطيئة، وفي التّنزيل وكلام العرب ما يناظر هذا الاستعمال، (٥) قال تعالى: " خَتَمَ

^١ ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص ٧٦. شرح طيبة النشر، ص ٢٣٨. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٩١. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٤٠. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٥٤. القراءات، ج ١، ص ٣٤٩، ٥٧٠. سورة نوح، الآية ٢٥.

^٢ ابن عادل، اللباب، ج ١٩، ص ٣٩٨.

^٣ الكرمانى، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرمانى، (ت: ٥٠٥هـ)، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت، ج ٢، ص ١٢٥٧.

^٤ ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص ٧٢٧.

^٥ يعد القول بإقامة المفرد مقام الجمع من المسائل الخلافية بين النحاة، انظر: السيوطي، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر، ج ٣، ص ١٩٤ - ٢٠٠.

اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ" (١) فقد أضيف الاسم المفرد (سمع) إلى ضمير الجماعة (هم)، ويفسر النحاس ذلك بقوله: " فيه ثلاثة أجوبة: منها أن السَّمع مصدر فلم يجمع، وقيل: هو واحد يؤدي عن الجميع، وقيل: التقدير وعلى موضع سمعهم" (٢) وأنشد سيبويه شاهداً على " لفظ الواحد يراد به الجميع" (٣) قول الشاعر: (٤)

كُلُوا فِي بَعْضِ بَطْنِكُمْ تَعَفُّوا فَإِنَّ زَمَانَكُمْ زَمَنٌ خَمِيصٌ

قال أبو سعيد السيرافي شارحاً هذا البيت: " استعمل الواحد في موضع الجمع في قوله: بعض بطنكم، يريد بعض بطونكم، لأنه يريد بطن كل واحد منهم" (٥) وأما من اختار القراءة بصيغة جمع المؤنث السالم فإنه أراد أن يخبر أن الله سبحانه وتعالى لما كان من صفاته العلاء غفران الذنوب والتجاوز عن المذنبين مهما كبرت ذنوبهم، جاء هذا الخطاب القرآني ليؤكد لنا أن " هَذِهِ الذُّنُوبُ سَوَاءٌ كَانَتْ قَلِيلَةً أَوْ كَثِيرَةً، فَهِيَ مَغْفُورَةٌ عِنْدَ الْبَاتِيَانِ بِهَذَا الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ" (٦)

وأما القراءة بصيغة جمع التكسير فإنها لا تبعد كثيراً عما اجتهدنا في توجيهه قبلاً؛ وهو أن اختيار القراءة بصيغة جمع السالم لا تدل بالضرورة على أقل العدد؛ إنما هي صيغة يغلب استعمالها بهذا المعنى، وكأن اللغة قد أتاحت لابن الكفاية

(١) سورة البقرة، الآية ٧.

(٢) النحاس، إعراب القرآن، ج ١، ص ٢٨. أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص ٨١.

(٣) سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٢١٠.

(٤) لم أفق على صاحبه ولم يذكره سيبويه، ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، الحضرمي الإشبيلي، أبو الحسن، (ت: ٦٦٩هـ)، (١٩٨٠م)، ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، ط ١، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٢٥٢. البغدادي، خزنة الأدب، ج ٧، ص ٥٥٩.

(٥) السيرافي، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان أبو محمد السيرافي، (ت: ٣٨٥هـ)، (١٩٧٤م)، شرح أبيات سيبويه، تحقيق: محمد علي الريح هاشم، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ج ٢، ص ٢٤٧.

(٦) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٥، ص ٣٩٠.

استعمال جمع المؤنث السالم إذا قصد في خطابه هذا المعنى على التّعيين، فإن كان السياق يلمح إلى أنّ المعدود فيه يربو عن العشرة أو ما يزيد بقليل، وكانت الصيغة صيغة جمع السالم ترشح المعنى للكثرة فساوى بذلك جمع التّكسير.

وهكذا كانت هذه الآية الكريمة فضاءً رحباً للتعدّد والتّباين بين القراء العشرة، فكانت لفظة (الخطيئة) متأرجحة بين القراءة بصيغة الإفراد وبين القراءة ببناء الجمع، وهذه الأخيرة وقع فيها خلاف من نوع آخر، قراءتها بأحد الجمعين: إمّا بجمع السالم، وإمّا بجمع التّكسير. ولما كانت هذه القراءات ممّا ثبت تواتره وقطع بصحته، لم يكن من الصّحة بمكان الخوض في أمر المفاضلة بينهما أو ترجيح إحداهن على الأخرى؛ فجميعها سنة متّبعة يتعبّد بتلاوتها.

(رِسَالَتُهُ)، (رِسَالَاتِهِ): (١)

وقد وردت في متنزه التنزيل: " وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ " (٢) قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر وشعبة ويعقوب (رِسَالَاتِهِ) بإثبات ألف بعد اللام مع كسر التاء على طريقة جمع المؤنث السالم، وقرأ الباقر (رِسَالَتَهُ) بإسقاط الألف وفتح التاء بصيغة الاسم المفرد، (٣) وقد وجّهت قراءة التوحيد على أنّها من باب التّعبير بالجمع بلفظ المفرد بآية أنّ القرآن الكريم هو خاتم الرّسالات، فاستحقّ بذلك صفة الشّمول والعموم، واجتمع له رسالات الخلق جمعاء، (٤) ومنه قول العرب: " هَلَاكَ

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٢. شرح طيبة النشر، ص ٢٢٠. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٥٥. تحبير التيسير، ص ٣٦٣. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص. محيسن، الهادي شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ١٧٦.

^٢ سورة المائدة، الآية ٦٧.

^٣ البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، (ت: ٥١٠هـ)، (١٩٩٧م)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغوي، حقّقه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، ط ٤، دار طيبة للنشر والتوزيع، ج ٣، ص ٧٩.

^٤ ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت: ٥٨٠٣هـ)، (٢٠٠٨م)، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج ٢، ص ١١٦.

البَعِيرُ وَالشَّاةُ " و " أَهْلَكَ النَّاسَ الدِّينَارُ وَالدِّرْهَمُ " (١) أي الدِّراهم والدنانير، وهو تخريج قال به الفارسي واستحسنه الزركشي في (البرهان)، (٢) قال أبو منصور: " الرسالة بمنزلة المصدر على (فِعَالَة) فهو ينوب عن الجماعة، والقرآن كلّه رسالة الله إلى الخلق وهو مشتمل على رسالات كثيرة، والرسائل أكثر من الرسائل " (٣).
وقد وجّهت قراءة الجمع على أنّ الرّسل -عليهم السّلام - ينفرد كل واحد منهم بشريعة سماوية أمر بتبليغها، ويرى أبو إسحاق الزجاج أنّ الخطاب في هذا المقام موجه للرّسول الكريم على التّعيين؛ إذ غاية القصد هي وجوب تبليغ ما نزل به الرّوح الأمين من لدن الرّب الحكيم، (٤) والرسالات السّماوية هي من جملة ما أمر به خاتم النبيّين بتبليغه وليس بعضها بأولى بالأداء من بعضها الآخر، " كما أنّ من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلّها، لإدلاء كلّ منها بما يدلّه غيرها " (٥).
وثمة من وجد في معنى التّباين والاختلاف ما يسوّغ قراءة الجمع؛ فأصحاب الرسائل يبعثون بضروب من التّعاليم والشّرائع كالّتوحيد والعدل والأمانة ورفع الظّم والجهاد، (٦) وكلّ آية أنزلت على النبيّ الأمين هي - كما يرى الفخر الرّازي -

١ الأخفش، أبو الحسن المجاشعي، (ت: ٢١٥هـ-)، (١٩٩٠م)، معاني القرآن للأخفش، تحقيق: هدى محمود قراءة، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج١، ص٢٨٥.

٢ الزركشي، البرهان، ج٢، ص٢٢٤.

٣ الأزهرّي، محمد بن أحمد بن الأزهرّي الهروي، أبو منصور (ت: ٣٧٠هـ)، (١٩٩١م)، معاني القراءات، ط١، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعودية، ج١، ص٣٣٦.

٤ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، (ت: ٣١١هـ-)، (١٩٨٨م)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت، ج٢، ص١٩٢.

٥ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، (١٩٨٧)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ط٣، دار الكتاب العرب، بيروت، لبنان، ج١، ص٦٥٩. الألوسي، روح المعاني، ج٣، ص٣٥٥.

٦ الفارسي، الحجة، ج٣، ص٢٤٥.

رسالة بذاتها،^(١) " فلما اختلفت الشرائع والرسائل حسن الجمع "،^(٢) " لِأَنَّ جِنْسَ الرِّسَالَةِ مُخْتَلِفٌ "،^(٣) والعرب تجمع أسماء الأجناس إذا اختلفت،^(٤) ومن ذلك قولنا: " رأيت تموراً كثيرة، ونظرت في علوم كثيرة فجمعت هذه الأسماء إذا اختلفت ضروبها كما تجمع غيرها من الأسماء " .^(٥)

وعلى صعيد آخر اختلف القراء العشرة في (رسالاتي)^(٦) من قوله تعالى: " قال يا موسى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي "،^(٧) حيث قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر وأبو عمرو ورويس (برسالاتي) بإثبات الألف التي بعد اللام على الجمع. وقرأ الباقر (برسالاتي) بحذف الألف التي بعد اللام على التوحيد.^(٨)

وقد وجهت قراءة الجمع على أن التوراة التي أرسل بها موسى - عليه السلام - تشمل ضروباً مختلفة من التعاليم والرسالات، فناسبت صيغة الجمع هذا المعنى، ومثله قوله تعالى: "إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ"^(٩) " فَجَمَعَ لِاخْتِلَافِ أَجْنَاسِ الْأَصْوَاتِ وَاخْتِلَافِ الْمَصَوْتِينَ. صوت الحمار بعضها... ووحد في قوله: " الصوت " لَمَّا أَرَادَ بِهِ جِنْسًا وَاحِدًا مِنْ الْأَصْوَاتِ " .^(١٠)

واستدل من أثر صيغة الإفراد على صحة مذهبه أن " الرسالة " هي اسم يجري مجرى المصدر " الإرسال " فتفرد وإن كان المراد الجمع، " والمصدر قد يقع

^١ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٢، ص ٤٠٠.

^٢ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٣٢. أبوراس، اختلاف البنية الصرفية، ص ٨٢.

^٣ العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، (ت: ٦١٦هـ)، (د ت)، التبيين في

إعراب القرآن، علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج ١، ص ٤٥٠.

^٤ الفارسي، الحجة، ج ٣، ص ٢٤٥.

^٥ الفارسي، الحجة، ج ٣، ص ٢٤٥.

^٦ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ج ١، ص ٧٦. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٧٢.

^٧ سورة الأعراف، الآية ١٤٤.

^٨ النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٣٨. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٤٩.

^٩ سورة لقمان، الآية ١٩.

^{١٠} القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٢٨٠. الفارسي، الحجة، ج ٤، ص ٧٧-٧٨.

لفظ الواحد منه، والمراد به الكثرة" (١) وهذا الاستعمال ممّا ألفتَه العرب في كلامها؛ كلامها؛ فإنهم قد يجنحون إلى ضرب من الكلم فيدلّون به على الكثرة، وفي التنزيل نظائر على ذلك، ومنه قوله تعالى: "لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا" (٢) يقول أبو علي الفارسيّ في توجيه هذه الآية: "فوقع الاسم الشائع على الجميع، كما يقع على الواحد، فكذاك الرّسالة ولو وضع موضع القراءة بالإفراد الجمع، أو موضع الجمع الإفراد، لكان سائغاً في العربيّة". (٣)

وقريب من ذلك ما ورد في قراءة قوله تعالى: "اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ" (٤) حيث قرأ ابن كثير وحفص (رسالتَهُ) بصيغة المفرد، وذلك على سبيل النيابة: نيابة المفرد عن الجمع، وقرأها الباقر بصيغة الجمع، وذلك لمناسبة الآية السابقة لها، (٥) وهو قوله عز من قائل: "وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ". (٦)

(كلمت)، (كلمات): (٧)

وممّا كان مضماراً للتعدّد والاختلاف (كلمت) حيث تعاقبت عليها القراءات العشرة في أربعة مواضع في التنزيل، وهي:

- ١- في قوله تعالى: "وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا". (٨)
- ٢- في قوله تعالى: "كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ". (٩)

^١ الفارسيّ، الحجة، ج ٤، ص ٧٧.

^٢ الفرقان، الآية ١٤.

^٣ الفارسيّ، الحجة، ج ٣، ص ٢٤٦.

^٤ سورة الأنعام، الآية ١٢٤.

^٥ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٧١.

^٦ سورة الأنعام، الآية ١٢٤.

^٧ ابن الجزريّ، شرح طيبة النشر، ج ١، ص ٢٢٧. متن طيبة النشر، ص ٧٤. النشر في

القراءات، ج ٢، ص ٢٦٢. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣١٢. محيسن، الهادي،

ج ٢، ص ٢١١.

^٨ سورة الأنعام، الآية ١١٥.

^٩ سورة يونس، الآية ٣٣.

- ٣- في قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ " (١).
 ٤- في قوله تعالى: " وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ " (٢).

فقد قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر (كَلِمَت) في المواضع الأربعة بحذف الألف التي بعد الميم على سبيل الإفراد، وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (كَلِمَات) في المواضع نفسها بإثبات الألف التي بعد الميم على طريقة جمع المؤنث السالم، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بصيغة الجمع في الأنعام وبالإفراد في يونس وغافر.

وهذه اللفظة مرسومة بالتاء المفتوحة في جميع المصاحف، فمن قرأها بالجمع وقف عليها بالتاء المفتوحة، ومن قرأها بالإفراد فمنهم من وقف عليها بتاء التانيث المفتوحة، وهم: عاصم وحمزة وخلف العاشر، ومنهم من وقف عليها بالهاء وهما: الكسائي ويعقوب، وأما ابن كثير وأبو عمرو فإنهما قد وقفا بالتاء المفتوحة في قراءة الجمع، وبالتاء المربوطة في قراءة الإفراد. (٣)

وقد تعددت أقوال العلماء في توجيه هذه المواضع من القراءة، فمنهم من رأى في قراءة التوحيد دليلاً على أن الذكر الحكيم سمى معجز ذو نظم واحد وعقد متماسك، فالكلمة هي القرآن، (٤) والعرب تستغني بصيغة المفرد عن الجمع إذا دلّت على الكثرة، وهم " يَتَسَعُونَ فَيَسْمُونَ اللَّفْظَةَ الْوَاحِدَةَ الْمُفْهِمَةَ كَلِمَةً، وَالْقِصَّةَ كَلِمَةً،

^١ سورة يونس، الآية ٩٦.

^٢ سورة غافر، الآية ٦.

^٣ ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ٢، ص ١٢٩.

^٤ الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري، (ت: ٣١٠هـ)، (٢٠٠٠م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط ١، مؤسسة الرسالة، ج ١٢، ص ٦٢. الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٦٠. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٢، ص ٣٣٧. البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، (١٩٩٨م)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج ٢، ص ١٩٧. أبو حيان، البحر المحيط، ج ٤، ص ٦٢٨.

وَالْقَصِيدَةَ بِطُولِهَا كَلِمَةً"، (١) فـ " الْكَلِمَةُ قَدْ يُرَادُ بِهَا الْكَلِمَاتُ الْكَثِيرَةُ إِذَا كَانَتْ مَضْبُوتَةً بِضَابِطٍ وَاحِدٍ كَقَوْلِهِمْ قَالَ زُهَيْرٌ فِي كَلِمَتِهِ يَعْنِي قَصِيدَتَهُ وَقَالَ قَسٌّ فِي كَلِمَتِهِ أَيُّ خُطْبَتِهِ فَكَذَلِكَ مَجْمُوعُ الْقُرْآنِ كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ فِي كَوْنِهِ حَقًّا وَصِدْقًا وَمُعْجَزًا"، (٢) وهو بذلك اسم جنس على حدّ (رسالته) و(رسالاته). (٣)

وأما من قرأ بصيغة الجمع فاحتجّ بأنّ (الكلمة) في هذه السياقات جاءت مجموعة تلبية للمعنى الذي يرشحه المقام؛ فكلمات القويّ المتين هي متوّعة متعدّدة كالأمر والنهي والوعد والوعيد، فإنّ الله قال في سياق الآية " لَأَمْبَدَلٍ لِكَلِمَاتِهِ"، فاستحقّ الجمع في اللفظ الأوّل لمناسبة الثاني، (٤) " وقراءة الجَمْعِ ظَاهِرَةٌ؛ لِأَنَّ كَلِمَاتِهِ تَعَالَى مَتَّبُوعَةٌ بِالنَّسْبَةِ إِلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ، وَأَرَادَ بِالْكَلِمَاتِ: أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ وَوَعْدَهُ وَوَعِيدَهُ، فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ". (٥)

(مكانتكم، مكانتهم)، (مكاناتكم، مكاناتهم): (٦)

وعلى صعيد آخر انفرد شعبة من بين القراء العشرة بقراءة الجمع، فقرأ (مكانتكم) و(مكانتهم) حيثما وردت في التنزيل بصيغة الجمع، ومن ذلك:

- ^١ ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (ت: ٣٩٥هـ)، (١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (كلم)، ج ٥، ص ١٣١. ابن فارس، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج ١، ص ٧٦٩.
- ^٢ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٣، ص ١٢٤.
- ^٣ السمين الحلبي، الدرّ المصون، ج ٥، ص ١٢٥. ابن عادل، اللباب، ج ٨، ص ٣٩٥.
- ^٤ الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن، (ت: ٥٧٤١هـ)، (١٩٩٥م)، لباب التأويل في معاني التنزيل، وتصحيح: محمد علي شاهين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج ٤ ص ١٤٩.
- ^٥ ابن عادل، اللباب، ج ٨، ص ٣٩٥. الشوكاني، فتح القدير، ج ٢، ص ١٧٧.
- ^٦ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٤. شرح طيبة النشر، ص ٢٢٩. تحبير التيسير، ص ٣٦٤، ٥٣٥. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٦٢. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣١٧. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢١٨.

- ١- قوله تعالى: " قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ " (١).
 ٢- وقوله عزّ من قائل: " وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ " (٢).
 ٣- وقوله عزّ وجل: " قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ " (٣).
 ٤- وقوله تعالى: " وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ " (٤).

وقرأ الباقون ذلك كلّ بصيغة الإفراد. وقد اختلف العلماء في توجيه هاتين

القراءتين، فهناك من بحث في البنية الاشتقاقية لهذه الكلمة، فـ (مكانة) هي مصدر على وزن (مفعلة)، مشتقّ من (الكون)، ثمّ زيدت (الميم) وقلبت (الواو) ألفاً فتشكّلت بهذا البناء الأخير (مكانة)^(٥). وهناك من عدّ (الميم) أصلية والألف زائدة، إذ الأصل الاشتقائي لهذه الكلمة هو: (مكّن) ثمّ اشتقت على (مكانة)، ويكون وزنها بحسب هذا المذهب الأخير هو: (فَعَال) قياساً على (ذَهَبَ ذَهَابًا). وقد استدّلوا على صحّة مذهبهم بجمعها على (أمكنة)^(٦) " وَلَوْ كَانَ مَفْعَلًا لم يجمع على أفعله " (٧).

وهناك من تأوّل القراءتين على المصدرية؛ فـ (مكانة) بصيغة التّوحيد هي مصدر يحمل في قراره معنى الكثرة، وقراءة الجمع هي جمع لذلك المصدر المتوحّد في البنية المتعدّدة في الدلالة، وفي ذلك يقول الفارسي: " من أفرد فلأنّه مصدر، والمصادر تفرد في موضع الجمع لأنّه يراد به الكثرة، كما يراد ذلك في سائر أسماء الأجناس، ومن جمع فلأنّهم قد جمعوا من المصادر شيئاً نحو: العلوم والألباب " (٨).

وقد ترتّب على هذا التّباین في تقدير الأصل الاشتقائي لهاتين القراءتين أن تعدّدت الدلالات التي يمكن أن ترشّحها البنية الصّرفية في سياقاتها التركيبية، فمن

^١ سورة الأنعام، الآية ١٣٥.

^٢ سورة هود، الآية ١٢١.

^٣ سورة الزمر، الآية ٣٩.

^٤ سورة يس، الآية ٦٧.

^٥ ابن خالويه، الحجّة، ص ١٥٠.

^٦ ابن خالويه، الحجّة، ص ١٥٠.

^٧ ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص ٢٧٢.

^٨ الفارسي، الحجّة، ج ٦، ص ٤٦، ٤٧.

قَدَّرَ الصَّيْغَةَ مَصْدَرًا صَرِيحًا كَانَ الْمَعْنَى: " اَعْمَلُوا عَلَى تَمَكُّنِكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ وَأَقْصَى اسْتَطَاعَتِكُمْ وَإِمْكَانِكُمْ "،^(١) وَقِيلَ: " مَعْنَاهُ أَي عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مُسْتَمَكِّنُونَ "،^(٢) يُقَالُ: " مَكَّنَ مَكَانَةً إِذَا تَمَكَّنَ أَبْلَغَ التَّمَكُّنِ "،^(٣) وَمِنْ قَدَّرَ الصَّيْغَةَ مَصْدَرًا مِيمِيًّا كَانَ الْمَعْنَى: " اَعْمَلُوا عَلَى حَالَتِكُمْ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا يُقَالُ لِلرَّجُلِ إِذَا أُمِرَ أَنْ يَنْبُتَ عَلَى حَالَةٍ عَلَى مَكَانَتِكَ يَا فُلَانُ أَيِ اثْبُتْ عَلَى مَا أَنْتَ عَلَيْهِ لَا تَتَحَرَّفْ عَنْهُ "،^(٤)

وِثْمَةٌ فَرِيقٍ آخَرَ فَاضِلٍ بَيْنَ الْقَرَاءَتَيْنِ فَآثِرَ قِرَاءَةِ الْإِفْرَادِ عَلَى قِرَاءَةِ الْجَمْعِ، فَـ(مَكَانَةٌ) بِصَيغَتِهَا الْإِفْرَادِيَّةِ تَحْمَلُ مَعْنَى الْكَثْرَةِ فَتَنْوِبُ عَنِ الْجَمْعِ وَلَا يَنْوِبُ الْجَمْعُ عَنْهَا، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ أَبِي مَرْيَمٍ: "... الْأَوْلَى أَنْ لَا يَجْمَعَهُ؛ لِأَنَّ الْمَصَادِرَ تَقْرَدُ وَلَا تَجْمَعُ فِي الْأَمْرِ الْعَامِّ، وَمَنْ جَعَلَهُ اسْمًا غَيْرَ مَصْدَرٍ كَانَ، وَإِنْ كَانَ وَاحِدًا يُوَدِّي مَعْنَى الْجَمْعِ، لِأَنَّهُ لَمَّا أُضِيفَ إِلَى الْجَمْعِ عِلْمٌ أَنَّهُ جَمْعٌ، وَالْمَعْنَى لِيَعْمَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ كَمٍ عَلَى مَكَانَتِهِ".^(٥)

وَإِذَا كَانَ الْقَرَاءَةُ الْعَشْرَةَ قَدْ اخْتَلَفُوا فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ بَيْنَ الْإِفْرَادِ وَالْجَمْعِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَسْوُوعٍ يَبِيحُ لِلْبَعْضِ الْخَوْضُ فِي مَسْأَلَةِ أَفْضَلِيَّةِ الْقِرَاءَةِ وَأَوْلَوِيَّةِ الْاِخْتِيَارِ، فَذَلِكَ مَبْحَثٌ يَمْتَنِعُ النَّظَرُ فِيهِ.

وَيُرَى الْبَاحِثُ أَنَّ بَيْنَ هَاتَيْنِ الْقَرَاءَتَيْنِ مَشْتَرَكًا مَعْنَوِيًّا يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا؛ فَقِرَاءَةُ التَّوْحِيدِ تَحْكِي مَا انْتَهَى إِلَيْهِ هُوَ لَاءِ الْقَوْمِ مِنَ الْعِنَادِ وَالْعُلُوِّ، فَجَاءَ الْخَطَابُ الْقِرَائِيَّ مَهْدَدًا مَوْعِدًا إِيَّاهُمْ بِسُوءِ الْمُنْقَلَبِ، فَاسْتَدَّ فَعَلَ الْأَمْرَ إِلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: " اَعْمَلُوا مَا سَيُنْتَمُّ " ^(٦) عَلَى سَبِيلِ الْمَبَالِغَةِ " فِي الْوَعِيدِ كَأَنَّ الْمَهْدَدَ يَرِيدُ تَعْذِيبَهُ مَجْمَعًا عَازِمًا عَلَيْهِ

(١) الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٦٧. الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٣، ص ١٥٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، (مكن)، ج ١٣، ص ٤١٣.

(٣) الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٦٧. الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٣، ص ١٥٧.

(٤) الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٦٧، ٦٨. الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٣، ص ١٥٧.

(٥) ابن أبي مريم، نصر بن علي بن محمد، أبي عبدالله، الشيرازي الفارسي (ت: ٥٦٥هـ)،

(١٩٨٨م)، الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي،

إشراف: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، ج ١،

ص ١٨٧.

(٦) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٣، ص ١٥٧.

فيحمله بالأمر على ما يؤدي إليه وتسجيل بأن المهّد لا يتأتى منه إلا الشرّ كالمأمور به الذي لا يقدر أن يتفصى عنه".^(١) وتأتي قراءة الجمع لتكشف الستار عن أحوال هؤلاء القوم، فهم ذوو مقامات مختلفة ومكانات متباينة، ومع ذلك فإنّ نزعة الغرور تجمعهم، والميل نحو العناد ومقاومة التغيير هو هدف جمعيّ يشتركون فيه. وبناءً على ما تقدّم يمكننا القول: إنّ هاتين القراءتين تمثلان حالة فريدة من التحوّل من العام إلى الخاص، أو من المجلّم إلى المفصل في خطاب واحد معبّر معجز؛ فقراءة الإفراد هي ذاك العام المشخص لحال أفراد جنسه، وقراءة الجمع هي تخصيص لذلك العام وتفصيل لمجمله.

(ذُرِّيَّتَهُمْ)، (ذُرِّيَّاتَهُمْ):^(٢)

وقد تعدّدت القراءة في هذه الكلمة في ثلاثة مواضع من التّنزيل، وهي:

الأوّل: قوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ".^(٣)

الثاني: قوله جلّ ثناؤه: "وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ".^(٤)

الثالث: قوله تعالى: "وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ".^(٥)

فقد قرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر (ذُرِّيَّتَهُمْ) في

المواضع الثلاثة بصيغة المفرد، على سبيل الاستغناء بالواحد عن الجمع؛ لذلك قيل:

"... الذرية: تقع على الواحد والجماعة"^(٦)، فما ورد لمعنى المفرد قوله في متنزه

التّنزيل: "هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً... فَنَادَتْهُ

الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيحْيَى"،^(٧) وهذا نظير قوله

(١) الألوسي، روح المعاني، ج ٤، ص ٢٧٥.

(٢) ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٦. شرح طيبة النشر، ص ٢٤٠. تحبير التيسير، ص ٥٦٥.

النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٧٣، ٣٧٧. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٤٣،

٥٢٢، ٥٦٩. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٥٦.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٧٢.

(٤) سورة يس، الآية ٤١.

(٥) سورة الطور، الآية ٢١.

(٦) الأزهرّي، معاني القراءات، ج ٣، ص ٣٣.

(٧) سورة آل عمران، الآية ٣٩.

عزّ من قائل: " فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا، يَرِثُنِي"،^(١) وقوله: " يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ"،^(٢) وممّا جاء لمعنى الجماعة: قوله تعالى: " وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ"،^(٣) وقوله: " أَلَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلاً، ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ"،^(٤) وفي ذلك يقول الفارسيّ: "... من أفرد جعله جمعاً؛ فاستغنى عن جمعه بوقوعه على الجميع".^(٥)

وهناك من احتجّ لقراءة الأفراد بوجود نظائر قرآنيّة تماثل هذا الاستعمال على التّعيين، فـ (بشر) من قوله تعالى: "أَبَشْرٌ يَهْدُونَنَا"،^(٦) وقوله عزّ من قائل: " إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَنَا"،^(٧) قد وردت في هذه السيّاقات بمعنى الجمع، وأمّا مجيئها للواحد فمن ذلك قوله: " مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ"،^(٨) وقوله جلّ ثناؤه: " مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشْرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ"،^(٩) وفي ذلك يقول الفارسيّ: "... كما أنّ قوله: (بشر) تقع على الواحد والجميع... فكما لم يجمع بشر بتصحيح ولا تكسير، كذلك لا تجمع الذرّيّة".^(١٠)

^١ سورة مريم، الآية ٥.

^٢ سورة مريم، الآية ٧.

^٣ سورة الأعراف، الآية ١٧٣.

^٤ سورة الإسراء، الآية ٢ - ٣.

^٥ الفارسيّ، الحجة، ج ٤، ص ١٠٤-١٠٥.

^٦ سورة التغابن، الآية ٦.

^٧ سورة إبراهيم، الآية ١٠.

^٨ سورة يوسف، الآية ٣١.

^٩ سورة المؤمنون، الآية ٣٣ - ٣٤.

^{١٠} الفارسيّ، الحجة، ج ٤، ص ١٠٦.

وعلى صعيد آخر وافق أبو عمرو بن العلاء من قرأ بصيغة المفرد في سورة (يس) على التعيين؛ وذلك لأنّ " الذرية ما كان في الحُجُور "،^(١) وهذا ما يسوغ القراءة - كما يقول - بصيغة الأفراد في قوله تعالى: " وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ "،^(٢) قال: " لأنّ الإنسان لا تقرُّ عينه بما كان بعده "،^(٣)

وبناءً على ذلك اختار أبو عمرو القراءة بصيغة الجمع في سورتَيَّ (الأعراف والطور) على التعيين؛ إذ إنّ (الذريّات) تحمل في هذين السياقين معنى " الأعقاب المتناسلة، وأنّها إذا كانت كذلك كانت أكثر من الذريّة... ومحال أن تكون ذريّات بعد قوله " قُرَّةَ أَعْيُنٍ "... لأنّ الإنسان لا تقر عينه بما كان بعده "،^(٤) وقرأ الباقيون بالجمع في السور الثلاث.^(٥)

ومن جهة ثانية اتفق القراء العشرة على القراءة بصيغة الأفراد في قوله تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ "،^(٦) " ولا شيء أكثر من ذرية آدم "،^(٧) فدل ذلك على صحّة القراءة إذ الذين تناسلوا من ولد آدم أكثر ممّا يحصى، وفي ذلك يقول ابن زنجلة: " وقد أجمعوا هنا على ذرية بلّا خلاف بين الأمة فكان رد ما اختلفوا إلى ما أجمعوا عليه أولى بالصواب وقوله عقيب ذلك " وكنا ذرية من بعدهم " بلفظ واحد أدل دليل على صحّة التوحيد "،^(٨)

^١ السخاوي، علم الدين علي بن محمد أبي الحسن السخاوي، (ت: ٦٤٣هـ)، فتح الوصيد في شرح القصيد، دراسة وتحقيق: أحمد عدنان الزعبي، مكتبة دار البيان، الكويت، ج ٢، ص ٢٤٤.

^٢ سورة الفرقان، الآية ٧٤.

^٣ السخاوي، فتح الوصيد، ج ٢، ص ٢٤٥.

^٤ السخاوي، فتح الوصيد، ج ٢، ص ٢٤٥. ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٣٠١ - ٣٠٢.

^٥ ابن الجزري، النشر، ج ٢، ص ٣٧٧. شرح طيبة النشر، ج ١، ص ٢٤٠. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٤٣، ٥٢٢، ٥٦٩. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٥٧.

^٦ سورة مريم، الآية ٥٨.

^٧ مكّي، الكشف، ج ١، ص ٤٨٣.

^٨ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٣٠٢.

وهناك من ساوى بين القراءتين؛ فـ " المعنى واحد في الذرية والذريات " (١)، فتكون قراءة التوحيد هي من باب اختلاف اللفظين والمعنى واحد، وأمّا قراءة الجمع فإنّها تحقّق مطلب المجانسة اللفظية فـ " ظهورهم " في الآية الكريمة هي جمع تكسير، وفي جمع " ذرية " على " ذريات " ما يلبي مطلب المجانسة والانسجام (٢). غير أنّ هذا الرأى لا ينسحب على كل ما ورد فيه الخلاف بقراءة " الذرية ". وثمة من رأى اتّحاد الدلالة في كلتا القراءتين هو من باب الترادف فـ " معنى قراءة التوحيد والجمع واحد، لأنّ لفظ الواحد في الجنس مثل الجمع في الدلالة على الكثرة، ولما كانت الذرية قد تقع على الواحد كقوله: " هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً "، وإنّما سأل ولداً، كما قال: " هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا " جاءت القراءة الأخرى بلفظ الجمع مُنْبَهَةً أنّ المراد بقراءة التوحيد الجنس كما قال: " مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ "، وكما قال: " وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ " (٣).

وهكذا كانت الدلالة المعجمية الفيصل في توجيه القراءتين أو الاحتجاج لإحدهما على الأخرى، ثمّ اختيار البنية الصرفية التي تحقّق المعنى المراد، " فمن أفرد قال: إنّها للجمع فلا حاجة لجمعها، ومن جمع قال: إنّها لا تخرج عن كونها للمفرد أو للجمع، فإن كانت مفردة فهذا جمعها، وإن كانت جمعاً فمن الجمع ما يجمع كما قيل: الطرقات، وصواحبات يوسف " (٤).

وأحسب أنّ المسألة يمكن توجيهها من باب تعدّد المعنى لتباين السياقات والاستعمالات؛ لأنّ الوقائع اللغوية لـ "ذرية" و"ذريات" تكشف عن سياقات مقالية وردت فيها هذه اللفظة بصيغتي المفرد والجمع وكان المعنى يسير وفق الغاية من

^١ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٤٢٩.

^٢ ابن خالويه، الحجة، ص ١٦٧.

^٣ السخاوي، فتح الوصيد، ج ٢، ص ٢٤٣ - ٢٤٤. والآيات على الترتيب: سورة آل عمران،

الآية ٣٨. سورة مريم، الآية ٥. سورة مريم، الآية ٥٨. سورة الأعراف، الآية ١٧٣.

^٤ أبوراس، اختلاف البنية الصرفية، ص ٩١. والحديث في: البخاري، صحيح البخاري، ج ١،

ص ٣٤. ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه،

تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ج ١، ص ٣٨٩.

الخطاب، ولعل نظرة متفحّصة في كتب اللّغة والمعاجم ليظهر صحّة ما زعمناه، ومن ذلك ما أورده (الراغب الأصفهاني) في المفردات، حيث يقول: "والذُرِّيَّةُ أصلها: الصَّغار من الأولاد، وإن كان قد يقع على الصَّغار والكبار معاً في التعارف، ويستعمل للواحد والجمع، وأصله الجمع، قال تعالى: "ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ"،^(١) وقال: "ذُرِّيَّةً مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ"،^(٢) وقال: "وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ".^(٣)

(عشירתكم)، (عشيراتكم):^(٤)

انفرد شعبة من بين القراء العشرة بجمع (عشירתكم) في قول الله تعالى: "قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ"،^(٥) فقرأها (عشيراتكم)؛ ليدلّ بهذه الصيغة أنّ لكل واحد من المخاطبين عشيرة تختص به،^(٦) فإذا جمعت قال: عشيراتكم من حيث كان المراد بهم الجمع،^(٧) ومنهم من قال: إنّ (العشيرة) هم أهل البيت الأدنون،^(٨) فاستحسنوا الجمع لتشمل القريب والبعيد.^(٩) وقرأ الباقر (عشירתكم) بصيغة الأفراد؛ إذ الاسم المفرد في هذا السياق ممّا يقع للجمع، فاستغنوا به عن ذكر الجمع،^(١٠) أو هو اسم جمع.^(١١)

^١ سورة آل عمران، الآية ٣٤.

^٢ سورة الإسراء، الآية ٣.

^٣ سورة يس، الآية ٤١.

^٤ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٧. شرح طيبة النشر، ص ٢٤٥. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٥٧. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٧٦.

^٥ سورة التوبة، الآية ٢٤.

^٦ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٦، ص ١٧. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٣، ص ١٨.

^٧ الفارسي، الحجة، ج ٤، ص ١٨٠.

^٨ الزبيدي، القاموس، (عشر)، ص ٤٤٠. الواحدي، التفسير الوسيط، ج ٢، ص ٤٨٦.

^٩ أبوراس، اختلاف البنية الصرفية، ص ٩٥.

^{١٠} الفارسي، الحجة، ج ٤، ص ١٨٠. الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٦، ص ١٧.

^{١١} النيسابوري، غرائب القرآن، ج ٣، ص ٤٤٦.

وقد احتج أصحاب هذا المذهب على صحة توجيههم أن العرب لم تجمع
(عشيرة) على (عشيرات)، وإنما جمعته على (عشائر)، وقد نسب هذا الرأي إلى أبي
الحسن الأخفش.^(١) وأحسب أن رأي الأخفش لا يعني في ما يعنيه أن إحدى
القراءتين أصح أو أفصح من أختها فكلتاها صحيح مجمع على تواتره، ولذلك
وجدنا أبا منصور الأزهرى يصرح بقريب من هذا حين يقول: "ومن قرأ (أو
عشيراتكم) فهو جائز في العربية، ويجمع العشيرة: عشائر أيضاً، والجمع بالتاء قليل
"،^(٢) أو هو ضعيف في اللغة على حد قول السمعاني.^(٣)
(صَلَاتُكَ)، (صَلَوَاتُكَ):^(٤)

اختلف القراء العشرة في (صلواتك) من قوله تعالى: "وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ
صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ"،^(٥) و(أصلَاتك) من قوله تعالى: "قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ
أَنْ نَنْتَرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا".^(٦)

فقرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر (صَلَاتُكَ) بصيغة المفرد، وهي
اختيار أبي عبيدة،^(٧) و(الصَّلَاة) ههنا تعني الدعاء، وقيل المغفرة أو الترحم^(٨) وهي
بهذا المعنى تترشح للمصدرية،^(٩) ولذلك قيل إن (الصَّلَاة) بصيغة المفرد في هذا

^١ النيسابوري، غرائب القرآن، ج ٣، ص ٤٤٦.

^٢ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٤٥٠.

^٣ السمعاني، تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢٩٧.

^٤ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٨. شرح طيبة النشر، ص ٢٤٦. تحبير التيسير،

ص ٣٩٣. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٨١. النويرى، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٢٦.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٨٥.

^٥ سورة التوبة، الآية ١٠٣.

^٦ سورة هود، الآية ٨٧.

^٧ السمرقندي، بحر العلوم، ج ٢، ص ٨٦. سورة الأنعام، الآية ٧٢.

^٨ أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران

العسكري، (ت: نحو ٣٩٥هـ)، (٢٠٠٧م)، الوجوه والنظائر، حقه وعلق عليه: محمد

عثمان، ط ١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص ٢٨٨.

^٩ السخاوي، فتح الوصيد، ج ٢، ص ٢٥٩.

السِّيَاق هي اسم جنس^(١) يراد به القليل والكثير فلا تجمع؛ " لأنّ في التّوحيد من معنى الجمع وكثرة العدد ما ليس في قوله: " إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ "، إذ كانت (الصلوات)، هي جمع لما بين الثلاث إلى العشر من العدد، دون ما هو أكثر من ذلك".^(٢)

ويرى مكي إنّ (الصلاة) هي أعمّ من (الصلوات)؛ فالدّعاء هو أكثر وأعمّ من الدّعاوات؛ " لأنّ المصدر أعمّ من الجمع الذي لما دون العشرة "،^(٣) وفي ذلك يقول أبو عبيدة: " وَالْقِرَاءَةُ الْوَلِيُّ الْوَلِيُّ لَأَنَّ الصَّلَاةَ أَكْثَرُ. أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَالَ: " أَقِيمُوا الصَّلَاةَ " وَالصَّلَوَاتُ جَمْعُ قَلَّةٍ، تَقُولُ ثَلَاثُ صَلَوَاتٍ وَخَمْسُ صَلَوَاتٍ " .^(٤)

وبناءً على هذا التقدير وذاك التأويل يكون معنى الآية وفق هذه القراءة - والله أعلم - " ادع لهم،... أي دعاؤك لهم تثبت لهم وطمأنينة " ^(٥)، وهذا نظير قول الأعرشي:^(٦)

تَقُولُ بِنْتِي وَقَدْ قَرَّبْتُ مُرْتَحِلًا يَا رَبُّ جَنَّبُ أَبِي الْأَوْصَابِ وَالْوَجَعَا

^١ النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، (ت: ٧١٠هـ—)، (١٩٩٨م)، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، ط١، دار الكلم الطيب، بيروت، ج١، ص٧٠٧.

^٢ الطبري، جامع البيان، ج١٤، ص٤٥٨.

^٣ مكي، الهداية، ج٤، ص٣١٤٣-٣١٤٤.

^٤ الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٦، ص١٣٦. السمرقندي، بحر العلوم، ج٢، ص٨٦. ابن عادل، اللباب، ج١٠، ص١٩٥. سورة البقرة، الآية ٤٣.

^٥ ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص٢٥٥. ابن قتيبة، غريب القرآن، ج١، ص١٩٢. السجستاني، محمد بن عزيّر السجستاني، أبو بكر العزيري، (ت: ٣٣٠هـ—)، (١٩٩٥م)، غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، ط١، دار قتيبة، سوريا، ص٢٩٧. الفارسي، الحجة، ج٤، ص٢١٢.

^٦ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ص٢٦٨. الأعرشي، ميمون بن قيس، (١٩٧٤م)، ديوان الأعرشي الكبير، شرح وتعليق: محمد محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت، ص١٠١.

عليك مثل الذي صلي واغتضي يوماً فإن لجنب المرء مضطجعا
 وقرأ الباقون (صلواتك) بصيغة الجمع، وهو اختيار أبي حاتم، قال: "ومن
 زعم أن الصلوات من الصلاة لأن الجمع بالتاء قليل فقد غلط، لأن الله تعالى قال: " ما نَدَتُ كَلِمَاتُ اللَّهِ "، " وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا " لم يرد القليل".^(١) ومما يؤيد مقالة
 (السجستاني) هذه أننا نجد في آيات الذكر الحكيم وكلام فصحاء الضاد وقائع لغوية
 جمعت بـ (الألف والتاء) ومع ذلك ظلت تحمل في مكنوناتها معنى الكثرة على
 التعيين، ومن ذلك قول منتزه التنزيل: " وهم في الغرفات آمنون"،^(٢) وقوله: " إن
 المسلمين والمسلمات"،^(٣) وقوله: " وإن المصدقين والمصدقات"^(٤)، يقول الفارسي:
 "من زعم أن الصلاة أولى لأن الصلاة للكثرة، وصلوات للقلة، فلم يكن قوله متجهاً،
 لأن الجمع بالتاء قد يقع على الكثير كما يقع على القليل".^(٥)

وإذا كانت (صلواتك) في قراءة التوحيد قد حملت على المصدرية لوقوع هذا
 الأخير على المفرد والجمع من ذوات الجنس الواحد، فإن الاستعمال اللغوي يبيح
 للمصدر أن يجمع إذا تعددت ضروره.^(٦) فمثال النوع الأول (صوت) من قوله
 تعالى: " إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ"،^(٧) ومن الضرب الثاني (أصوات) في
 الآية نفسها، وهو قوله عز من قائل: " إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ". ومما يعضد هذا التوجيه
 الأخير أن (الصلوات) في هذه الآية الكريمة قد فسرت بمعنى (العبادة)^(٨)، وهذه مما

^١ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٥، ص ٩٠. الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٦، ص ١٣٦. السمرقندي،

بحر العلوم، ج ٢، ص ٨٦. ابن عادل، اللباب، ج ١٠، ص ١٩٥. سورة لقمان، الآية ٢٧.

سورة التحريم، الآية، ١٢.

^٢ سورة سبأ، الآية ٣٧.

^٣ سورة الأحزاب، الآية ٣٥.

^٤ سورة الحديد، الآية ١٨.

^٥ الفارسي، الحجة، ج ٤، ص ٢١٧، ٢١٨.

^٦ المصدر نفسه، ج ٤، ص ٢١٣.

^٧ سورة لقمان، الآية ١٩.

^٨ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٦، ص ١١٧.

تعددت ضروبها؛ لأنّ المصدر " إذا اختلف جاز أن يجمع لاختلاف ضروبه"؛^(١) ولذلك أيضاً ذهب بعضهم إلى أنّ علة القراءة بالجمع هي " أنّ الدّعاء تختلف أجناسه وأنواعه، فجمع المصدر لذلك ".^(٢)

وعلى صعيد آخر اتفق القراء على قراءة (صلاتك) بصيغة المفرد في قوله تعالى: " وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً "، كما اتفقوا على القراءة بصيغة الجمع في قوله تعالى: " وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ "،^(٣) فالصلاة في الآية الأولى هي مصدر يراد به الجمع اسماً للجنس،^(٤) و(الصلوات) في الآية الثانية هي جمع للدّعاء^(٥).
(آية)، (آيات):^(٦)

وقد انفرد ابن كثير من بين القراء العشر بقراءة (آية) بصيغة المفرد على وزن (فعل)،^(٧) وذلك من قوله تعالى: " لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ

^١ الفارسي، الحجة، ج ٤، ص ٢١٤.

^٢ مكي، الكشف، ج ١، ص ٥٠٦. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٨٥. القراءات، ج ١، ص ٢٩٠.

^٣ سورة الأنفال، الآية ٣٥. سورة التوبة، آية ٩٩. ابن الجزري، شرح طيبة النشر، ص ٢٨٢.

النشر في القراءات العشر، ج ٢، ص ٢٨١. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٦٢.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٨٥.

^٤ الفارسي، الحجة، ج ٤. ص ٢١٤.

^٥ النحاس، معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٤٦. القنوجي، فتح البيان، ج ٥، ص ٣٨٠.

^(٦) ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٠. شرح طيبة النشر، ص ٢٥٣. تحبير التيسير،

ص ٤١١. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٩٣. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٨٩.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٣٢٢.

^٧ هناك خلاف بين النحاة في وزن (آية)، ومرجع الخلاف في هذه المسألة هو عدم اتفاق النحاة حول الأصل الاشتقاقي لهذه اللفظة، فيرى الخليل أنها على وزن (فعل) بآية أن أصلها أَيْبَة فقلبت عينها ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، ويرى سيبويه أنها على وزن (فعل) لأن أصلها آية فقلبت الياء الساكنة ألفاً لتقل التضعيف، ولئلا تلتبس بكلمة (آية) التي يستفهم بها عن المؤنث، وذهب الكسائي إلى أن آية أصلها آيبة مثل ضاربة، فكان القياس أن تقول: آية مثل دابة فحذفت الياء الأخيرة تخفيفاً، ووزنها على هذا (فاعلة)، وذهب بعضهم إلى أن أصلها (أيبية) مثل كلمة بزنة (فعل) فقلبت الياء الأولى فيها ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها. سيبويه،

لِلسَّائِلِينَ"،^(١) وقرأ الباقون (آيات) بصيغة الجمع. وقد تعددت آراء العلماء في توجيه هاتين القراءتين، فهناك من تمسك بالدلالة اللغوية في أصل الاستعمال في توجيه القراءة؛ فـ (الآية) في اللغة هي العلامة،^(٢) قال الشاعر:^(٣)

بِأَيِّ يُقَدِّمُونَ الْخَيْلَ زُورًا، كَأَنَّ عَلَى سَنَابِكِهَا مُدَامًا

ولذلك فسرت (الآية) وهنا بالعلامة أي: "فيه علامة لنبوّة محمد صلى الله

عليه وسلّم".^(٤)

وهناك من اعتمد السياق دالة في تعيين المراد من القراءة، فـ (الآية) في هذا

المقام تعني العبرة والعظة، ودليله على ذلك قوله تعالى: "لَقَدْ كَانَ فِي قِصصِهِمْ

عِبْرَةٌ"،^(٥) وفي ذلك يقول محمد محيسن: "كأنّ الله سبحانه وتعالى جعل شأن

يوسف - عليه السلام - آية على الجملة، وإن كان في التفصيل آيات، ونظير ذلك

قوله تعالى: "وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً" فأفرد (آية) وإن كان شأنهما على

التفصيل آيات".^(٦)

الكتاب، ج ٤، ص ٣٩٨، ٣٩٩. العكبري، (١٩٩٥م)، الباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: عبد الإله النبهان، ط ١، دار الفكر، دمشق، ج ٢، ص ٤٢٢، ٤٢٣. الزامل، مجيد خير الله راهي الزامل، (٢٠٠٢م)، أبو البقاء العكبري صرفياً، إشراف: هاشم طه شلاش، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة القادسية، ص ١٠٣، ١٠٤.

^١ سورة يوسف، الآية ٧.

^٢ ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٦٢.

^٣ نسبت المصادر التي اطلعت عليها هذا البيت للأعشى. ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤،

ص ٦٢. البغدادي، خزنة الأدب، ج ٦، ص ٥١٢. الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرزاق

الحسيني، أبو الفيض، (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة

من المحققين، دار الهداية، ج ٣٢، ص ٤٠٠.

^٤ السمرقندي، بحر العلوم، ج ٢، ص ١٨٠. نسب هذا البيت سيبويه للأعشى: الكتاب، ج ٣،

ص ١١٨. ولم أفد عليه في ديوانه.

^٥ سورة يوسف، الآية ١١١.

^٦ محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٣٢٢. سورة المؤمنون، الآية ٥٠.

وبناءً على ذلك ذهب البعض إلى أنّ (آية) في قراءة الأفراد هي اسم جنس يراد به الكثرة،^(١) وقيل: إنّها في هذا السياق من باب إقامة الواحد مقام الجمع،^(٢) وأمّا قراءة الجمع، فإنّ توجيهها لم يبتعد كثيراً عما قيل في توجيه قراءة الأفراد؛ فـ (الآيات) هي جمع علامة، إنّها - كما يقول صاحب اللباب - تصرّيح لما اختزلته قراءة التوحيد؛ إذ المراد هو أنّ العلامات كانت كثيرة.^(٣) وقيل: إنّ قراءة الجمع جاءت بياناً لكلّ من سأل عن يوسف؛ إذ كانت أحواله وأموره كثيرة، " وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا آيَةٌ بِنَفْسِهِ "^(٤)، وهي اختيار أبي عبيدة، قال: " لَأَنَّهَا خَيْرٌ كَثِيرٌ "،^(٥) واختارها أيضاً أبو عبيد قال: " لأنها عبر كثيرة قد كانت فيهم "،^(٦) وهي " أولى القراءتين في الصّواب " عند الطبري.^(٧)

ويرى الباحث أنّ هاتين القراءتين متقاربتان في المعنى، فقراءة الأفراد هي بيان عام عن شأن يوسف - عليه السّلام - في حياته؛ فكلّ طور عاشه هذا النبيّ الكريم كان مرحلة لها ظروفها وملابساتها الخاصّة التي تختلف عن غيرها، سواء في طفولته الغادرة أم في شبابه المكيد بفتنة النساء، ثمّ بتبرئته من الجرم المفترى وتقريبه من ذوي الحظوة من السلطان، وانتهاءً بمكاشفة إخوانه وتحقّق رؤيا النبيّ الحقّ. وكلّ مرحلة في حياته آية بذاتها، تحكي عبرة خاصّة لكلّ من سأل عن نبينا يوسف - عليه السّلام - إنّها بيان وتفصيل لذلك العامّ المجمل الذي تفسّره قراءة الجمع.

^١ الفارسيّ، الحجة، ج ٤، ص ٣٩٦. ابن عادل، اللباب، ج ١١، ص ٢٠.

^٢ العكبريّ، التبيان، ج ٢، ص ٧٢٣.

^٣ ابن عادل، اللباب، ج ١١، ص ٢٠.

^٤ الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج ١٨، ص ٤٢٢. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٣، ص ٢٢١.

^٥ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ص ١٢٩.

^٦ أبو شامة، إبراز المعاني، ص ٥٣١.

^٧ الطبري، جامع البيان، ج ١٥، ص ٥٦٢.

(صَلَاتِهِمْ)، (صَلَوَاتِهِمْ): (١)

وفي سياق قريب من هذه المباحثة، نجد القراء العشرة قد اختلفوا في (صلواتهم) من قوله تعالى: " وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ "، (٢) فقرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر هذه اللفظة بصيغة المفرد مصدراً قياساً على العمل والأمانة، (٣) وهو في الوقت نفسه اسم للجنس يراد به عموم الصلوات سواء أكانت فرائض أم سنن ونوافل. (٤)

وأما باقي القراء فإنهم قد اتفقوا على القراءة بصيغة الجمع؛ حيث إن (الصلوة) لما دخلت حرم الشريعة الإسلامية تحولت دلالتها اللغوية لتكتسب معناً حادثاً يغيّر ذلك الأصل الموضوع، فصارت تدل على شعيرة مخصوصة ذات أركان معدودة وأوقات مضبوطة، فلذلك جمعت كما جمعت في قوله تعالى: " حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى "، (٥) وفي ذلك يقول الفارسي: " وكان الجمع فيه أقوى لأنه قد صار اسماً شرعياً لانضمام ما لم يكن في أصل اللغة أن ينضم إليها" (٦)

وإذا كانت هاتان القراءتان قد اختلفتا من جهة البنية الصرفية، فإن في استكناه الدلالة التي يرشحها السياق والمقام ليكشف لنا عن مشترك دلالي يجمع بينهما ويدفع ذلك الافتراق الذي نلمسه على مستوى البنية السطحية البرانية، وآية ذلك أن قراءة (صلاتهم) بصيغة التوحيد هي مصدر قد أضيف إلى ضمير الجماعة، فاستحق بهذه النسبة الدلالة على الكثرة، لاسيما إذا ما عرفنا أن الصلاة في هذا السياق تشير إلى

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٧. شرح طيبة النشر، ص ٢٨٢. تحبير التيسير، ص ٤٧٤. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٢٨. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٦٧. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٨٥.

^٢ سورة المؤمنون، الآية ٩.

^٣ الفارسي، الحجّة، ج ٥، ص ٢٨٨.

^٤ السخاوي، فتح الوصيد، ج ٢، ص ٣٧٩. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٧٣. القراءات، ج ١، ص ٢٩٢.

^٥ سورة البقرة، الآية ٢٣٨.

^٦ الفارسي، الحجّة، ج ٥، ص ٢٨٨.

العبادة المفروضة،^(١) وهذه الأخيرة هي متعدّدة الأركان مختلفة الأحوال، فمنها الفرض الواجب، ومنها السنن النوافل.

ولمّا كان السّياق في هذا المقام الكريم يلمح إلى الصّلاة المفروضة، كانت قراءة الجمهور تسيير وفق هذه الغاية؛ فالصّلاة هي ذات مواقيت مضبوطة وأركان معلومة؛ وهذا يعني أنّ المراد في هذه الآية هو المحافظة على الصلّوات الخمس وما يتبعها من سنن ونوافل على التّعيين، يقول الزّمخشريّ معللاً ذكر الصّلاة مرتّين في هذه السّورة بقوله: " هما ذِكران مختلفان، وليس بتكرير، وُصِفوا أولاً بالخشوع في صلاتهم، وآخراً بالمحافظة عليها... وأيضاً فقد وُحِدَتْ أولاً لِيُقَادَ الخُشوعُ في جنسِ الصّلاةِ أيّ صلاةٍ كانت، وجمعت آخراً لتُقَادَ المحافظةُ على أعدادها، وهي الصلّواتُ الخمسُ والوترُ والسننُ الراتبَةُ... ".^(٢)

ومما يعضّد ما ذهبنا إليه أنّ القرّاء العشرة قد اتّفقوا على قراءة (الصّلاة) بصيغة الإفراد في مواضع مخصوصة من التّنزيل، واجتمعوا على القراءة بالجمع في مواضع أخرى،^(٣) فمن القراءة الأولى قوله تعالى: " وَهُمْ عَلَى صَلّاتِهِمْ يُحَافِظُونَ "،^(٤) ومن قوله تعالى: " الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلّاتِهِمْ دَائِمُونَ "،^(٥) ومن القراءة الثّانية قوله تعالى: " حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى ".^(٦)

(١) الطوسيّ، أبو جعفر محمد بن الحسن، (ت: ٤٦٠هـ-)، (١٩٨٩م)، التّبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، ط١، دار إحياء التراث العربي، ج٣، ص١٢١.

(٢) الزّمخشريّ، الكشاف، ج٣، ص١٧٧. السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج٨، ص٣١٩.

(٣) ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص٤٨٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية ٩٢.

(٥) سورة المعارج، الآية ٢٣.

(٦) سورة البقرة، الآية ٢٣٨.

(لَأَمَانَتِهِمْ)، (لَأَمَانَتِهِمْ):^(١)

وقد انفرد ابن كثير من بين القراء العشرة بقراءة (لَأَمَانَتِهِمْ) بصيغة المفرد من قوله تعالى: " وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ "؛^(٢) وذلك أنّ (الأمانة) مصدر استغني به عن الجمع على سبيل النيابة،^(٣) وهي في الوقت نفسه بنية تدلّ على الكثرة؛^(٤) إذ الأمانة ممّا تعدّدت ضروبها وتوّعت وجوهها، فـ "... الأمانة العهد تجمع كل ما تحمله الإنسان من أمر دينه ودينه قولاً وفعلاً، وهذا يعمّ معاشره الناس والمواعيد وغير ذلك، ورعاية ذلك حفظه والقيام به ".^(٥)

ومن جهة ثانية فإنّ الأمانة بصيغتها الإفرادية تلبي مطلب المطابقة والمجانسة الصوتية في السياق؛ حيث سبقت بـ (عهدهم) وهذه الأخيرة مفردة أيضاً،^(٦) " ولم يقل: وعهودهم ".^(٧) وأمّا القراء الباقون فإنهم قد أجمعوا على القراءة بصيغة الجمع (لَأَمَانَتِهِمْ)؛ وذلك على سبيل الحقيقة؛ وكانت حجّتهم في ذلك هو إجماع القراء العشرة على قراءة (الأمانة) بصيغة الجمع في قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا "،^(٨) وقوله عز من قائل: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ".^(٩)

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٧. شرح طيبة النشر، ص ٢٨٢. النشر، ج ٢، ص ٣٢٨. تحبير التيسير، ص ٤٧٤. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٦٧. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٧٣.

^٢ وردت لفظة (لَأَمَانَتِهِمْ) في موضعين من القرآن الكريم. سورة المؤمنون، الآية ٨. سورة المعارج، الآية ٣٢.

^٣ الأزهرّي، معاني القراءات، ج ٢، ص ١٨٧.

^٤ أبو شامة، إبراز المعاني، ص ٦٠٨. ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص ٤٨٣. السخاوي، فتح الوصيد، ج ٢، ص ٣٧٩. الفارسي، الحجّة، ج ٥، ص ٢٨٧.

^٥ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٤، ص ١٣٧. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٢، ص ١٠٧.

^٦ ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص ٤٨٢، ٢٨٣.

^٧ ابن خالويه، الحجّة، ص ٢٥٥.

^٨ سورة النساء، الآية ٥٨.

^٩ سورة الأنفال، الآية ٢٧.

وتأسيساً على ذلك ذهب بعض العلماء إلى أن قراءة الجمع هي أولى بالقراءة؛^(١) إذ "... رد ما اختلفوا فيه إلى ما أجمعوا عليه أولى".^(٢) ورأى فريق آخر أنه ليس ثمة بون بين القراءتين، فكلتاها جائزة،^(٣) "وهما في المعنى واحد؛ إذ المراد العموم والجمع أوفق".^(٤)

(عُرِفَت)، (عُرُفَات):^(٥)

وانفرد حمزة من بين القراء العشرة بقراءة (الغرفة) بصيغة المفرد على وزن (فُعْلَة)، من قوله تعالى: " وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ"^(٦) وهو اسم جنس يدل على الجمع والكثرة،^(٧) ونظيره قوله تعالى: " أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا"،^(٨) وفي ذلك يقول ابن زنجلة: " فَكَمَا أَنَّ الْغُرْفَةَ يُرَادُ بِهَا الْجَمْعُ وَالْكَثْرَةُ كَذَلِكَ " وهم في الغرفة آمنون " يُرَادُ بِهِ الْكَثْرَةُ وَاسْمُ الْجِنْسِ وَالْعَرَبُ تَجْتَزِي بِالْوَاحِدِ عَنِ الْجَمَاعَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: " وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا " يُرِيدُ الْمَلَائِكَةَ ".^(٩)

وقرأها الباقون (العُرُفَات) بصيغة الجمع على وزن (فُعَلَات)، جمع مؤنث سالم، على إرادة الكثرة لا القلة كما يزعم أصحاب الرأي القائل: إن الجمع بالألف والتاء هو لأدنى العدد من الثلاث إلى العشرة، وفي ذلك يقول صاحب الخصائص: " والألف والتاء موضوعتان للقلة، فهما على حد التنثية بمنزلة الزيدون من الواحد إذا

^١ من هؤلاء: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٢، ص ١٠٧. الطبري، جامع البيان، ج ١٩، ص ١١. وابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٨٣.

^٢ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٤٨٣.

^٣ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ١٨٧.

^٤ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٨، ص ٣١٩.

^٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٢. شرح طيبة النشر، ص ٢٩٩. النشر في القراءات،

ج ٢، ص ٣٥١. تحبير التيسير، ص ٥١٧. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥١٧.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١٦٠.

^٦ سورة سبأ، الآية ٣٧.

^٧ الفارسي، الحجة، ج ٦، ص ٢٢. محيسن، القراءات، ج ١، ص ٢٩٤.

^٨ سورة الفرقان، الآية ٧٥.

^٩ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٥٩٠. سورة الحاقة، الآية ١٧.

كان على حدّ الزيدان. هذا موجب اللّغة على أوضاعها، غير أنّه قد جاء لفظ الصّحة والمعنى الكثرة، كقوله تعالى: "إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ" إلى قوله تعالى: "وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ"، والغرض في جميعه الكثرة، لا ما هو لما بين الثلاثة إلى العشرة".^(١)

وقد وردت لفظة (الغرفة) بصيغة الجمع في موضعين من التنزيل، الأوّل في قوله تعالى: "مِنْ فَوْقَهَا غُرْفٌ"^(٢) و"لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا"^(٣) وقد استدلّ أصحاب قراءة الجمع على صحّة مذهبهم أنّ في التنزيل وكلام العرب الفصيح ما يناظر ذلك، فمنه في القرآن المجيد قول الله العزيز: "مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ"^(٤)، وقوله: "وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ"^(٥)، فليست كلمات الله قليلة، ولا الغرفات ذات في الأدنى من العدد.^(٦) وقال حسّان بن ثابت:^(٧)

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُ يُلْمَعْنَ فِي الضُّحَى
وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

ويروى أنّ النابغة لما سمع هذا البيت قال لحسان: "قَلَّتْ جِفَانُكَ وَسَيُوفُكَ"^(٨)،

وقد نقل ابن جنّي عن أبي علي الفارسيّ تضعيفه لهذه الرواية، قال: "هذا خبر مجهول لا أصل له؛ لأنّ الله تعالى يقول: "وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ"، ولا يجوز أن تكون الغرف كلها التي في الجنة من الثلاث إلى العشر"^(٩) ثمّ يعلّق ابن جنّي على ذلك، فيقول: "وعذر ذلك عندي أنّه قد كثر عنهم وقوع الواحد على معنى الجميع جنسًا، كقولنا: أَهْلَكَ النَّاسَ الدُّنْيَا وَالدَّرْهَمَ، وذهب الناسُ بالنشأة والبعير. فلمّا كثر

^١ سورة الأحزاب، الآية ٣٥. ابن جنّي، المحتسب، ج ١، ص ١٨٧.

^٢ سورة الزمر، الآية ٢٠.

^٣ سورة العنكبوت، الآية ٥٨.

^٤ سورة لقمان، الآية ٢٧.

^٥ سورة سبأ، الآية ٣٧.

^٦ ابن جنّي، المحتسب، ج ١، ص ١٨٧.

^٧ حسّان بن ثابت، الديوان، ص ٢١٩.

^٨ أبو هلال العسكري، (١٩٨٤م)، المصون في الأدب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ٢،

مطبعة حكومة الكويت، ص ٤. البغدادي، خزانة الأدب، ج ٨، ص ١٠٨.

^٩ ابن جنّي، المحتسب، ج ١، ص ١٨٧.

ذلك جاءوا في موضعه بلفظ الجمع الذي هو أدنى إلى الواحد أيضاً؛ أعني: الجمع بالواو والنون والألف والتاء" (١) ويزيد أبو البركات الأنباري الأمر وضوحاً فيذكر أن معيب (النابغة) على (حسان) في بيته السالف يجانب الصواب، قال: " وهذا عندي ليس بصحيح؛ لأن هذا الجمع يجيء للكثرة، كما يجيء للقلة؛ قال الله تعالى: " وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمُنُونَ" والمراد به الكثرة لا القلة، والذي يدل على ذلك: أنه جمع صحيح، فصار بمنزلة قولهم: الزيدون والعمران، وكما أن قولهم: الزيدون والعمران يكون للكثرة والقلة، فكذلك هذا الجمع ". (٢)

وقد استدلل أصحاب هذا المذهب على صحة اختيارهم أن القراء العشرة قد اتفقوا على القراءة بصيغة الجمع في قوله تعالى: " وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا"، وفي قوله تعالى: " لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرْفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ". (٣) وإذا كان الصرّفيون قد جعلوا جمع المؤنث السالم للقليل من العدد، فإن نظرة متفحصة في استعمالات العرب يكشف أن هذا الحكم لا يمكن تعميمه؛ حيث إن كثيراً من الشواهد التي وردت بصيغة جمع المؤنث السالم لم تكن بالضرورة تدل على القليل؛ ولذلك لا نعجب إذا ما وجدنا من اللغويين من يجعل هذا الجمع مشتركاً بين القليل والكثير، يقول الفيومي: " وَقِيلَ مُشْتَرَكٌ بَيْنَ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ وَهَذَا أَصَحُّ مِنْ حَيْثُ السَّمَاعُ قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ كُلُّ اسْمٍ مُؤَنَّثٍ يُجْمَعُ بِالْأَلْفِ وَالتَّاءِ فَهُوَ جَمْعُ قَلَّةٍ نَحْوُ الْهِنْدَاتِ وَالزَّيْنَبَاتِ وَرَبِّمَا كَانَ لِلْكَثِيرِ... وَقَالَ ابْنُ خَرُوفٍ جَمَعَا السَّلَامَةَ مُشْتَرِكًا بَيْنَ الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ وَيُؤَيِّدُ هَذَا الْقَوْلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: " وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ " (٤) الْمُرَادُ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ وَهِيَ قَلِيلٌ "، وَقَالَ: " كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ "، (٥) " أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ "، وَهَذِهِ كَثِيرَةٌ ". (٦)

١ ابن جنّي، المحتسب، ج ١، ص ١٨٧.

٢ الأنباري، أسرار العربية، ص ٢٥٠.

٣ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٥٩٠. سورة العنكبوت، الآية ٥٨. سورة الزمر، الآية ٢٠.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٠٣.

(٥) سورة البقرة، الآية ١٨٣.

(٦) الفيومي، المصباح المنير، (الخاتمة)، ج ٢، ص ٦٩٥. سورة البقرة، الآية ١٨٤.

(بَيِّنَات)، (بَيِّنَات): (١)

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة وخلف العاشر وحفص (بينت) من قوله تعالى: " أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ " (٢) بصيغة المفرد اسماً للجنس، (٣) يراد به الكثير (٤).

وقد احتج أصحاب هذه القراءة على صحة اختيارهم بقوله تعالى: " وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ "، (٥) وقوله تعالى: " قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي " (٦).

وقرأها الباقون (بَيِّنَات) جمع مؤنث سالم، وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم؛ لأنها مكتوبة بمصحف عثمان (بينات) بالألف والتاء، (٧) وقيل: إنها قرئت بالجمع ليدل به على " ... كثرة ما جاء به النبي - صلى الله عليه وسلم - من الآيات والبراهين الدالة على صدق نبوته من القرآن وغير ذلك " (٨).

وهناك من فرق بين هاتين القراءتين اعتماداً على المعنى السياقي للكلمة، فـ (البينة) بصيغتها الإفرادية تحيل على الرسول - عليه الصلاة والسلام - بآية قوله

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٢. شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥١٧. تحبير التيسير،

ص ٥٢١. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٥٢.

^٢ سورة فاطر، الآية ٤٠.

^٣ النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥١٧.

^٤ الفارسي، الحجّة، ج ٦، ص ٣٠. الواحدي، التفسير الوسيط، ج ٣، ص ٥٠٧. ابن عطية، المحرر

الوجيز، ج ٤، ص ٤٤٢.

^٥ سورة الأعراف، الآية ٧٣.

^٦ محيسن، الهادي، ج ٣، ص ١٦١. سورة هود، الآية ٢٨.

^٧ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ٣٥٦.

^٨ محيسن، الهادي، ج ٣، ص ١٦١. القراءات، ج ١، ص ٢٩٥.

تعالى: " حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ"^(١). وقراءة الجمع تطلب القرآن بدليل قوله تعالى: " وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ"^(٢).
(بِمَفَازَتِهِمْ)، (بِمَفَازَاتِهِمْ):^(٣)

وقرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر (بِمَفَازَاتِهِمْ) على المصدرية جمع مؤنث سالم، وذلك من قوله تعالى: " وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَاتِهِمْ"^(٤)، و" المصادر قد تجمع إذا اختلفت أجناسها"^(٥)، وفي ذلك يقول أبو العباس المبرد: " المفازة مفعلة من الفوز، وهو السعادة، وإن جمع فحسن، كقولك: السعادة والسعادات"^(٦)، ولما كان المعنى يقتضي أن ما ينجو المؤمن منه يوم القيامة هو متعدّد مختلف جاز الجمع؛ حيث إن " لكلّ واحد مفازة غير مفازة الآخر"^(٧).

وقرأ الباقر (بِمَفَازَاتِهِمْ) بغير ألف بصيغة المفرد اسم جنس جمعي^(٨)، ومصدراً ميميّاً^(٩) يراد به القليل والكثير؛^(١٠) إذ " المفازة والفوز واحد، وإفراد المفازة كإفراد الفوز"^(١١)، وفي ذلك يقول الفراء: " تَقُولُ فِي الْكَلَامِ: قَدْ تَبَيَّنَ أَمْرُ الْقَوْمِ وَأُمُورُ الْقَوْمِ، وَارْتَفَعَ الصَّوْتُ وَالْأَصْوَاتُ وَمَعْنَاهُ وَاحِدٌ قَالَ اللَّهُ " إِنَّ أَنْكَرَ

^١ سورة البيّنة، الآية ١-٢.

^٢ ابن خالويه، الحجّة، ص ٢٩٧.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٤. شرح طيبة النشر، ص ٣٠٥. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٦٣. تحبير التيسير، ص ٥٣٦. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٣٩.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ١٩٤.

^٤ سورة الزمر، الآية ٦١.

^٥ ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص ٦٢٤. الفارسي، الحجّة، ج ٦، ص ٩٧.

^٦ الواحدي، التفسير الوسيط، ج ٣، ص ٥٩٠. البغوي، معالم التنزيل، ج ٤، ص ٩٨. ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٤، ص ٢٤.

^٧ ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص ٦٢٤. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ١٩٤.

^٨ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٤، ص ٥٣٩.

^٩ النحاس، إعراب القرآن، ج ٤، ص ١٥.

^{١٠} السخاوي، فتح الوصيد، ج ٢، ص ٤٤٥.

^{١١} ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص ٦٢٤. الفارسي، الحجّة، ج ٦، ص ٩٧.

الْأَصْوَاتِ لَصَوْتِ الْحَمِيرِ " ولم يقل: أصواتٌ وكلّ صواب"،^(١) وهي اختيار أبي عبيد وأبي حاتم والأخفش؛ "لأنّ المفازة ههنا الفوز".^(٢)
(ثمرت)، (ثمرات):^(٣)

وقريب من ذلك (ثمرت) من قوله عز من قائل: " وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا".^(٤) فقد قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر وحفص (ثمرات) بألف بعد الراء بالجمع المؤنث السالم، وذلك لأنّ المراد في هذا السياق هو مختلف أنواع الثمار لا نوع منها^(٥)، ومما يقوّي هذه الحجّة ورود (ثمرات) بصيغة الجمع في سياق آخر يناظره، وهو قوله تعالى: " فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا".^(٦)
وقرأ الباقر (ثمرت) بلا ألف بصيغة المفرد^(٧) اسماً للجنس،^(٨) يراد به الكثرة والعموم، فاستغنوا به عن الجمع^(٩) " بآية أنّ (أنثى) بعد هذه الآية قد أفردت، وهو قوله تعالى: " وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أَنْثَى " فكما أفرد أنثى كذلك ينبغي أن يكون " مِنْ

^١ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٤٢٤. سورة لقمان، الآية ١٩. الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ٣٤٠. الطبري، جامع البيان، ج ٢١، ص ٣٢٠. الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٧، ص ٤٦٩.

^٢ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٨، ص ٢٤٩.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٤. شرح طيبة النشر، ص ٣٠٧. تحبير التيسير، ص ٥٤٤. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٦٧. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٤٦. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٢٠٤.

^٤ سورة فصلت، الآية ٤٧.

^٥ النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٤٦.

^٦ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٦٣٨. سورة فاطر، الآية ٢٧.

^٧ ابن الجزري، شرح طيبة النشر، ص ٣٠٧. تحبير التيسير، ص ٥٤٤. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٦٧. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٤٦. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٢٠٤.

^٨ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٩، ص ٥٣٤. ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٦٣٨.

النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٤٦. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٥، ص ٢١.

^٩ الواحدي، التفسير الوسيط، ج ٤، ص ٣٩.

ثَمَرَةٌ " مُفْرَدَةٌ"؛^(١) حيث إنَّ المُرَادَ بـكَلِمَتَا الآيَتَيْنِ هُوَ جَمِيعُ أَجْنَاسِ الثَّمَارِ وَالْإِنَاثِ.^(٢) كما استدلَّ أصحابُ قِراءَةِ الإِفْرَادِ عَلَى صِحَّةِ اخْتِيَارِهِمْ أَنَّ (ثَمْرَةً) قَدْ سَبَقَتْ بِقَوْلِهِ " مِنْ أَكْمَامِهَا"، قَالَ أَبُو عَمْرٍو: " وَلَوْ كَانَتْ (مِنْ ثَمَرَاتٍ) لَكَانَتْ مِنْ أَكْمَامِهِ"،^(٣) ثُمَّ إِنَّ "... دَخُولَ (مِنْ) عَلَى (ثَمْرَةٍ) يَدُلُّ عَلَى الكَثْرَةِ، كَمَا تَقُولُ: " هَلْ مِنْ رَجُلٍ " فَرَجُلٌ عَامِلٌ لِرِجَالٍ كُلِّهِمْ، وَلَسْتُ تَسْأَلُ عَنِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَكَذَلِكَ (مِنْ ثَمْرَةٍ) لَسْتُ تَرِيدُ ثَمْرَةً وَاحِدَةً بَلْ هُوَ عَامٌ فِي جَمِيعِ الثَّمَرَاتِ، فَاسْتَغْنَى بِالوَاحِدِ عَنِ الْجَمْعِ".^(٤) (بشهادتهم)، (بشهاداتهم):^(٥)

وَمِمَّا جَرَى مَجْرَى (أَمَانَاتِهِمْ) (شَهَادَاتِهِمْ)^(٦) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: " وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ"،^(٧) فَقَدْ قَرَأَ يَعْقُوبُ وَحَفْصُ (بِشَهَادَاتِهِمْ) بِإِثْبَاتِ أَلْفٍ بَعْدَ الدَّالِّ، عَلَى طَرِيقَةِ جَمْعِ الْمُؤَنَّثِ السَّالِمِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ الشَّهَادَةَ مِمَّا تَعَدَّدُ أَنْوَاعُهُ، " وَلِأَنَّهُ مِضَافٌ إِلَى ضَمِيرِ الْجَمَاعَةِ، فَحَسُنَ أَنْ يَكُونَ الْمِضَافُ جَمْعًا"^(٨) وَقَرَأَ الْبَاقُونَ

^١ الفارسي، الحجّة، ج ٦، ص ١١٩.

^٢ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٥، ص ٣٧١. ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص ٦٣٨.

^٣ ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص ٦٣٨.

^٤ محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٢٠٤. القراءات، ج ١، ص ٢٩٧.

^٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٩. شرح طيبة النشر، ص ٣٢٠. تحبير التيسير، ص ٥٩٢.

النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٩١. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٩٥. محيسن،

الهادي، ج ٣، ص ٣٠١.

^٦ كل ما قيل من توجيه ينسحب على هاتين القراءتين، ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص ٧٢٤.

الفارسي، الحجّة، ج ٦، ص ٣٢٢.

^٧ سورة المعارج، الآية ٣٣.

^٨ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ١٠، ص ٤٦٠. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٣٠١. القراءات،

ج ١، ص ٢٩٧. شهاب الدين الشافعي، أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين

الشافعي ثم الحنفي (ت: ٨٩٣هـ)، (٢٠٠٧ م)، غاية الأمان في تفسير الكلام الرباني،

دراسة وتحقيق: محمد مصطفى كوكصو، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعية، تركيا،

ص ٢٧٧.

(بشهادتهم) بحذف الألف بصيغة المفرد، اسماً للجنس يراد به الكثير والعموم،^(١) " والشهادة تتوب عن الشهادات؛ لأنه مصدر".^(٢)
(جِمَالَت)، (جِمَالَات):^(٣)

وقد اختلف القراء العشرة في (جِمَالَة) من قوله تعالى: " كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ"^(٤). فقرأ حفص وحزمة والكسائي وخلف العاشر (جِمَالَت) بكسر الجيم، وحذف الألف التي بعد اللام، جمع تكسير لـ (جمل) على وزن (فِعَالَة) قياساً على (حَجَر)، فإنه يجمع " في القلَّةِ أَحجارٌ، وفي الكثرة حِجارٌ وحجارةٌ"،^(٥) وإنما ألحقت العرب التاء في " ... جمالاً لتأنيث الجمع، كما لحقت في فحل وفعالة، وذكر وذكارة، ومثل لحاق الهاء في فعالة إلحاقها في فعولة، نحو: بعولة وعمومة وخيوطة، وربما كان في فعالة نحو: جمالة، إلحاق الهاء وترك الإلحاق. ونظير: جمال وجمالة قول الشاعر:

كَأَنَّهَا مِنْ حِجَارِ الْغَيْلِ أَلْبَسَهَا مَضَارِبُ الْمَاءِ لَوْنِ الطُّحْلِبِ اللَّزْبِ
فلم يلحق الهاء كما لحقت في قوله: " فهي كالحجارة أو أشد قسوة".^(٦)

^١ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ١٠، ص ٤٦٠.

^٢ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ٩١.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ١٠٠. شرح طيبة النشر، ص ٣٢٥. النشر في القراءات،

ج ٢، ص ٣٩٧. تحبير التيسير، ص ٦٠٢. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٦٠٨.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٣٢٧.

^٤ سورة المرسلات، الآية ٣٣.

^٥ ابن منظور، لسان العرب، (حجر)، ج ٣، ص ١٦٥. وأدخلوا الهاء في حجارة للمبالغة في

التأنيث كما قالوا البعولة والعمومة غيره حجار وحجارة مثل جن وجنة انظر: ابن سيده،

المخصص، ج ٣، ص ٥٦.

^٦ الفارسي، الحجة، ج ٦، ص ٣٦٥، ٣٦٦. سورة البقرة، الآية ٧٤. والبيت من شواهد سيبويه

وهو بلا نسبة. انظر الكتاب، ج ٣، ص ٥٧٢. والحجار هو الأقيس والأكثر - كما يقول

سيبويه - ولكنه في الاستعمال قليل. ابن سيده، المحكم، ج ٣، ص ٦٥.

وقرأ الباقون (جملات) بكسر الجيم وألف بعد اللام، جمع الجمع لـ (جمالة)، فإن "... وأحدها: جمال، مثل ما قالوا: رجالٌ ورجالاتٌ، وبيوتٌ وبيوتاتٌ"،^(١) وقد يجوز أن يكون جمع لـ (جمل) المفرد، فيكون نظير قولهم: "رجالات قريش كذا قالوه. وفيه نظر؛ لأنهم نصّوا على أن الأسماء الجامدة غير العاقلة لا تُجمع بالألف والتاء، إلا إذا لم تُكسر. فإن كُسرَت لم تُجمع. قالوا: ولذلك لُحّن المتنبيُّ في قوله:
(٢)

إذا كان بعضُ الناسِ سيفاً لدولةٍ ففي الناسِ بوقاتٌ لها وطبولُ

فجمع (بوقاً) على (بوقات) مع قولهم: أبواق، فكذلك جمالات مع قولهم: جمل وجمال. على أن بعضهم لا يُجيز ذلك، ويجعل نحو: حمّامات وسجلات شاذاً، وإن لم يُكسر.^(٣) وانفرد (رويس) بقراءتها (جملات) بضمّ الجيم وألف بعد اللام، جمع (جمالة)، وهي: الحبال الغليظة من حبال السفينة.^(٤)

^١ الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٢٥.

^٢ المتنبي، أبو الطيّب أحمد بن الحسين الجعفي، (ت: ٣٥٤هـ)، (١٩٨٣م)، ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ص ٣٥٩.

^٣ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ١٠، ص ٦٤١. القادوسي، عبد الرزاق بن حمودة القادوسي، (٢٠١٠م)، أثر القراءات القرآنية في الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً، رسالة دكتوراه، إشراف: رجب عبد الجواد إبراهيم، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة حلوان، ص ٢٤٤.

^٤ محيسن، القراءات، ج ١، ص ٦٠٤.

٣.١ في بنية جمع التكسير

(أَسْرَى)، (أَسْرَى): (١)

قرأ حمزة (أسرى) من قوله تعالى: " وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ " (٢) قرأها (أَسْرَى) بفتح الهمزة وإسكان السّين على وزن (فَعَلَى) جمع (أسير)، نحو: جَرِيحٌ وَجَرَحَى، وَمَرِيضٌ وَمَرَضَى، وَصَرِيحٌ وَصَرَعَى، (٣) وهو بذلك يكون من باب (فعليل) بمعنى (مفعول)، (٤) قال أبو جعفر الطبري: " فمن قرأ ذلك: (وإن يأتوكم أسرى)، فإنه أراد جمع " الأسير"، إذ كان على (فعليل) على مثال جمع أسماء ذوي العاهات التي يأتي واحدها على تقدير (فعليل)، إذ كان (الأسر) شبيه المعنى في الأذى والمكروه الداخلة على الأسير ببعض معاني العاهات، وألحق جمع المستلحق به بجمع ما وصفنا، فقل: أسير وأسرى، كما قيل: مَرِيضٌ وَمَرَضَى، وَكَسِيرٌ وَكَسْرَى، وَجَرِيحٌ وَجَرَحَى، (٥) وهذه القراءة من اختيارات أبي عبيدة. (٦)

وقرأ الباقر (أسارى) بضم الهمزة وإقحام ألف بعد السّين على وزن (فُعَالَى)، قال الزجاج: " يقال أسارى كما يقال سكارى"، (٧) وهو ما أنكره أبو حاتم

^١ ابن الجزري، شرح طيبة النشر، ص ١٧٩. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢١٨. متن طيبة النشر، ص ٦٣. تحبير التيسير، ص ٢٩١. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ١٦٩. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٤٢.

^٢ سورة البقرة، الآية ٨٥.

^٣ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ١، ص ٢٣٠. مكّي، الهداية، ج ١، ص ٣٣٦، ٣٣٧. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٤٢.

^٤ الثعلبي، الجواهر الحسان، ج ١، ص ٢٧٥.

^٥ الطبري، جامع البيان، ج ٢، ص ٣١١.

^٦ ابن عادل، اللباب، ج ٢، ص ٢٥١.

^٧ القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القنوجي، (ت: ١٣٠٧هـ-)، (١٩٩٢م)، فتح البيان في مقاصد القرآن، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت، ج ١، ص ٢١٦.

السَّجَّسْتَانِيَّ، قال: " وَلَا يَجُوزُ أُسَارَى"،^(١) وفي ذلك يقول الشوكاني: " فَالْعَجَبُ مِنْ أَبِي حَاتِمٍ حَيْثُ يُنْكَرُ مَا ثَبَتَ فِي التَّنْزِيلِ. وَقَرَأَ بِهِ الْجُمْهُورُ ".^(٢)

وقد كان لعلماء اللغة آراء متعدّدة في توجيه هاتين القراءتين، فسيبويه يقرّر أنّ العرب تجمع ما كان على وزن (فَعِيل) بمعنى (مَفْعُول) على (فَعَلَى)، قال: " وأما فَعِيلٌ إذا كان في معنى مفعولٍ فهو في المؤنّث والمذكر سواءً وهو بمنزلة فَعُولٍ، ولا تجمعه بالواو والنون كما لا تجمع فَعُولٌ لأنّ قَصَّتْه كَقَصَّتْه، وإذا كسرتَه على فَعَلَى، وذلك قَتِيلٌ وَقَتْلَى وَجَرِيحٌ وَجَرَحَى وَعَقِيرٌ وَعَقْرَى وَلَدِيغٌ وَلَدَغَى ".^(٣)

وأما (أُسَارَى) فإنّ العرب - كما يقول سيبويه - قد عاملته معاملة ما كان على (فَعْلَان) فقالوا: " أُسَارَى، شَبَّهوه بقولهم: كَسَالَى وَكَسَالَى. وقالوا: كَسَالَى فَشَبَّهوه بِأُسْرَى ".^(٤)

وقريب من هذا ما ذهب إليه أبو الحسن الأَخْفَش في توجيه هاتين القراءتين، فـ (أُسِير) هو على قياس (مريض)، وهو يشبه هذا الأخير؛ " لأنّ به عيباً كما بالمريض، وهذا (فَعِيل) مثله"^(٥)، وفي ذلك يقول الأَخْفَش: " قالوا في جماعة (المريض): (مَرَضَى) وقالوا (أُسَارَى) فجعلوها مثل (سُكَارَى) و(كُسَالَى)؛ لأنّ جمع (فَعْلَان) الذي به علّة قد يشارك جمع (فَعِيل) وجمع (فَعَل) نحو: (حَبِطٌ) و(حَبِطَى) و(حُبَاطَى) و(حَبِجٌ) و(حَبَجَى) و(حُبَاجَى). وقد قالوا (أُسَارَى) كما قالوا (سُكَارَى) ".^(٦)

ويزيد الاسترأبادي الأمر وضوحاً فيذكر أنّ الأصل في ما كان على زنة (فَعْلَان) من صفات المذكرين أن يجمع على فَعَالَى^(٧)، " وقد يُضَمّ فاء فَعَالَى الذي

^١ الشوكاني، الفتح القدير، ج ١، ص ١٢٧.

^٢ المصدر نفسه.

^٣ سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ٦٤٧.

^٤ المصدر نفسه، ج ٣، ص ٦٥٠.

^٥ الأَخْفَش، معاني القرآن، ج ١، ص ١٤٠.

^٦ المصدر نفسه.

^٧ رضي الدين الاسترأبادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج ٢، ص ١٤٥-١٤٦.

هو جمع فَعْلَانِ فَعَلَى خَاصَّةً كَمَا يَجِيءُ، نَحْوَ سُكَّارَى وَكُسَالَى، دُونَ الْمَحْمُولِ عَلَيْهِ، إِلَّا أُسَارَى، وَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَمَّا حَمَلَ أُسِيرَ عَلَى حَرَّانٍ وَلَهْفَانٍ لِأَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ حَرَارَةِ الْجَوْفِ ضَمُّوا أَوَّلَهُ كَمَا يُضَمُّ أَوَّلُ فَعَالَى جَمْعَ فَعْلَانٍ، وَالتَّرْمُوا الضَّمَّ فِي هَذَا الْمَحْمُولِ " (١).

وَيَبِينُ أَبُو زَكْرِيَا الْفَرَّاءُ أَنَّ مَرْجِعَ الْبُؤْنَ بَيْنَ الْقِرَاعَتَيْنِ هُوَ مِنْ جِهَةِ اسْتِعْمَالَاتِ الْعَرَبِ فِي لَهْجَاتِهَا؛ فَأَهْلُ الْحِجَازِ يَجْمَعُونَ (أُسِيرَ) عَلَى (أُسَارَى)، وَأَهْلُ نَجْدٍ يَجْمَعُونَ فِي أَكْثَرِ كَلَامِهَا عَلَى (أُسْرَى)، وَهَذَا الْأَخِيرُ هُوَ الْأَجُودُ فِي الْعَرَبِيَّةِ عِنْدَ الْفَرَّاءِ؛ " لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِمْ: جَرِيحٌ وَجَرَحَى، وَصَرِيحٌ وَصَرَعَى " (٢).

وَقَرِيبٌ مِنْ ذَلِكَ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ عَيْسَى، فَقَدْ رَأَى أَنَّ الْإِخْتِيَارَ هُوَ قِرَاءَةُ (أُسَارَى)؛ لِأَنَّ " عَلَيْهِ أَكْثَرَ النَّائِمَةِ وَلِأَنَّهُ أَدَلُّ عَلَى مَعْنَى الْجَمْعِ إِذْ كَانَ يُقَالُ بِكَثْرَةٍ فِيهِ، وَهُوَ قَلِيلٌ فِي الْوَاحِدِ نَحْوَ شُكَايَ وَلِأَنَّهَا لُغَةٌ أَهْلِ الْحِجَازِ " (٣).

وَيَرَى الزَّجَّاجُ أَنَّ (فَعَلَى) هِيَ صِيغَةٌ تَقَعُ جَمْعًا لِكُلِّ مَا يَصِيبُ الْإِنْسَانَ مِنْ أَدْوَاءٍ فِي الْعَقْلِ وَالْبَدَنِ، يُقَالُ: " هَالِكٌ وَهَلَكَى، وَمَرِيضٌ وَمَرَضَى، وَأَحْمَقٌ وَحَمَقَى، وَسُكَّرَانٌ وَسُكَّرَى، فَمَنْ قَرَأَ: أُسَارَى، فَهِيَ جَمْعُ الْجَمْعِ. يُقَالُ: أُسِيرَ وَأُسْرَى وَأُسَارَى جَمْعُ أُسْرَى " (٤) " وَفَعَالَى هُوَ الْأَصْلُ، وَفَعَالَى دَاخِلَةٌ عَلَيْهَا " (٥).

وَنَجْدٌ أَبَا مَنْصُورِ الْأَزْهَرِيِّ يَرَى أَنَّ (أُسْرَى) فِي الْقِرَاءَةِ الْأُولَى هِيَ جَمْعُ (أُسِيرَ) عَلَى حَدِّ جَرِيحٍ وَجَرَحَى، وَضَعِيفٌ وَضَعَفَى. وَأَمَّا قِرَاءَةُ (أُسَارَى) فَهِيَ مِنْ بَابِ جَمْعِ الْجَمْعِ، قَالَ: " يُقَالُ: أُسِيرَ وَأُسْرَى ثُمَّ أُسَارَى جَمْعُ الْجَمْعِ " (٦). وَقَدْ نَسَبَ صَاحِبُ (الْبَحْرِ) هَذَا الرَّأْيَ الْأَخِيرَ لِلْمُفَضَّلِ (٧).

^١ رضي الدين الاسترأبادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج ٢، ص ١٤٩.

^٢ ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ٨٥.

^٣ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣، ص ٥٩٢.

^٤ ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ٨٦.

^٥ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٢١.

^٦ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٤٤٥.

^٧ أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص ٤٥٤.

ويرى أبو علي الفارسي أن الأقيس في العربية هو جمع (أسير) على (أسرى)؛ ذلك أن القياس في كل اسم على وزن فعيل بمعنى مفعول، يجمع على (فعلَى)، نحو لَدَيْغٍ وَلَدَغَى. وَقَتِيلٍ وَقَتَلَى، وَجَرِيحٍ وَجَرَحَى، فلما كانت (أسرى) تسلك مسلك هذه الصفات، كانت قراءة (أَسْرَى) أقيس من قراءة (أَسَارَى)، يقول الفارسي: " ... الأقيس: الأسرى وهو أقيس من أسارى، كما كان أقيس من قولهم: أسراء، ألا ترى أنهم قد قالوا: أسراء، فشبّهوه بظرفاء، كما قالوا في جمع قتيل: قتلاء، فكما أن أسراء وقتلا في جمع قتيل، وأسير، ليس بالقياس، كذلك أسارى ليس بالقياس " (١).

وثمة من رأى أن البون بين هاتين القراءتين ينعقد من جهة المعنى والدلالة؛ فـ (الأسارى) هم كل من كان في الوثاق، و(الأسرى) هم كل من كان في الأيدي وإن لم يكونوا في وثاق، (٢) أو هو " ما صار في أيديهم فهو أسارى كأنه آفة دخلت عليهم كسكران، وما أتى مستأسراً فهم الأسرى " (٣) وقيل: " ما أسير فهو أسارى وما لم يؤسر فهو أسرى " (٤) وقد نسب أبو عبيدة هذا الرأي لأبي عمرو بن العلاء، وروى عنه قوله: " الأسرى ما كان في أيديهم عند الأخذ فإذا برد ذلك فهم الأسارى " (٥) وروى الأصمعي عن أبي عمرو أنه قال: " يقال لهم (أسارى) إذا شدوا بالقد، وأما الأسرى فهم الذين أخذوا ولم يشدوا بقد " (٦).

^١ الفارسي، الحجة، ج ٢، ص ١٤٣. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ١، ص ١٧٥.

^٢ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: ٤٥٠هـ)، تفسير الماوردي، النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج ١، ص ١٥٥. العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، (ت: ٦٦٠هـ)، (١٩٩٦م)، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط ١، دار ابن حزم، بيروت، ج ١، ص ١٤٢.

^٣ مكي، الهداية، ج ١، ص ٣٣٦، ٣٣٧.

^٤ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ١، ص ٢٣٠.

^٥ السخاوي، فتح الوصيد، ج ٢، ص ٢٤.

^٦ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٤٤٥. وَالْقَدُّ: سَيْرٌ يُقَدُّ مِنْ جِلْدٍ غَيْرِ مَدْبُوعٍ. ابن فارس، مقاييس اللغة، ج ٥، ص ٦.

وقد كان مذهب أبي العلاء في توجيه هاتين القراءتين محطّ رفض وانتقاد من قبل علماء اللّغة والتّفسير، " ولم يرضوا منه بهذا الفرق" (١) فأبو عبيدة راوي هذا التّوجيه لم يخفِ رفضه له حيث يقول: " في الكلّ أسرى لأنّه جمع أسير"، (٢) وأنكر الطّبري أنّ يكون في العربيّة مثل ذلك، قال: " وذلك ما لا وجه له يفهم في لغة أحد من العرب"، (٣) ويبلغ هذا الإنكار لمذهب أبي العلاء ذروته عند ثعلب، فقد روى عنه عنه النقّاش أنّه لمّا سمع مقالة أبي العلاء قال: " هذا كلامُ المجانين". (٤)

ولذلك لا نعجب إذا ما وجدنا من العلماء من يساوي بين هاتين القراءتين؛ فـ (أسير) - كما يرى أبو عبيدة - تجمع على (أسرى) و(أسارى)، ولا فرق بينهما في المعنى، (٥) و" الصّحيح أنّهما واحد". (٦)

وهناك من وجد في عيار الكثرة والغلبة ضابطاً يوجّه على هديه القراءتين، فجمع ما كان على (فعليل) بصيغة (فعللى) هو أكثر دوراناً في كلام العرب من صيغة (فعلالى)؛ لذا كان من الأولى - كما يرى الطّبري - أن يقرأ (أسرى) على التّعيين، قال: " وأولى بالصّواب في ذلك قراءة من قرأ (وإن يأتوكم أسرى)، لأنّ " فعلى" في جمع " فعليل" غير مستفيض في كلام العرب، فإنّ كان ذلك غير مستفيض في كلامهم، وكان مستفيضاً فاشياً فيهم جمع ما كان من الصّفات التي بمعنى الآلام

^١ السمعانيّ، تفسير القرآن، ج ١، ص ١٠٤.

^٢ السخاويّ، فتح الوصيد، ج ٢، ص ٢٤.

^٣ الطبري، جامع البيان، ج ٢، ص ٣١١، ٣١٢.

^٤ السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج ١، ص ٤٨١. والنقّاش هو: محمد بن الحسن بن محمد بن

زياد بن هارون بن جعفر بن سند أبو بكر المقرئ النقّاش نسبه أبو حفص بن شاهين، وهو

موصلي الأصل، وكان عالماً بحروف القرآن، حافظاً للتّفسير، صنّف فيه كتاباً سمّاه: شفاء

الصدر، وله تصانيف في القراءات وغيرها من العلوم، (ت: ٣٥١هـ). انظر: الخطيب

البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، (ت:

٤٦٣هـ)، (٢٠٠٢م)، تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، ط ١، دار الغرب

الإسلامي، بيروت، ج ٢، ص ٦٠٢.

^٥ السخاويّ، فتح الوصيد، ج ٢، ص ٢٤.

^٦ الماورديّ، النكت والعيون، ج ١، ص ١٥٥.

والزمانة وواحدة على تقدير (فَعِيل)، على (فَعَلَى)، كالذي وصفنا قبل، وكان أحد ذلك (الأسير) كان الواجب أن يلحق بنظائره وأشكاله، فيجمع جمعها دون غيرها ممن خالفها".^(١)

وأحسب أن هذا الرأي ليس بدقيق؛ فمن النافل المعروف أن القراءة إذا ثبتت تواترها كانت سنة تتبّع، فكيف - والحال هذه - أن يصدر أحدهم حكماً كهذا فيقول: إن هذه القراءة أصح من تلك الأخرى أو حتى مجرد أن يفاضل بينها، فالقراءات المتواترة هي كلّها حجة لا مزية لإحداها على الأخرى.

وهذه الآية الكريمة هي فصل من فصول حياة بني إسرائيل، فبعد أن أنعم الله عليهم بالتوبة والمغفرة أخذ عليهم العهود والمواثيق؛ " لِيَقْبَلُوا فَتَحْصُلَ لَهُمُ الْمَنْزِلَةُ الْعُظْمَى عِنْدَ رَبِّهِمْ "،^(٢) جاءت هذه الآية الكريمة لتصور لنا مدى التّهاون الذي كان من هؤلاء القوم في أداء مواثيق الله وانتهاك ما عاهدوا عليه المولى عزّ وجلّ، فهاهم يتقاتلون فيقتل بعضهم بعضاً ظلماً وبهتاناً، ولا يتورعون عن إجلاء بعضهم بعضاً عن أرضهم وديارهم دون أدنى حق.

ويبلغ مسلسل الظلم وانتهاك حرّامات الله ونقض العهد والميثاق ذروته حين تنتهي معركة القاتل والمقتول وتضع شريعة الغاب أوزارها فيجد القوم بعضهم أسيراً عند بعضهم الآخر، وهنا ترسم لنا الآية الكريمة صورة للحال التي وصل إليها بنو إسرائيل في تجرّتهم على المولى الذي فضّلهم على العالمين؛ إنهم لا يتورعون عن مفاداة بعضهم بالمال، بل إنهم ليطرّكوا أهلهم في الأسر لو لم يجد أحدهم ما يفدي به نفسه، حتى لو وصل بهم الأمر أن يبقوا كل أهلهم أسارى.

ومن هنا يخلص الباحث إلى أن بين هاتين القراءتين بوناً من جهة المبنى والمعنى، فعلى صعيد البنية الصرفية يلحظ المرء مدى التفاوت بين صيغة (فَعَلَى) وبين صيغة (فَعَالَى)، ومعلوم أن زيادة المبنى يتبعها - في أحيان كثيرة - زيادة في المعنى، فإذا عرفنا أن (أَسْرَى) هي جمع تكسير، وهذا الأخير هو للكثير من العدد، فإنّ جمع ذلك الجمع يكون لغاية مخصوصة يتقصدها الخطاب القرآني؛ إنها دلالة

(١) الطبري، جامع البيان، ج ٢، ص ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٣١١، ٣١٢ .

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣، ص ٥٩٠.

المبالغة في الكثرة؛^(١) أي: كثرة الأسرى، وكأنّ السّياق ينبئ عن عظم ما كان من بني إسرائيل من القتال وحرب بعضهم بعضاً.

(ريح)، (رياح):^(٢)

وقد اختلف القراء العشرة في هذه اللفظة إفراداً وجمعاً في ستّة عشر موضعاً من التنزيل، وهي:

الأول: في قوله تعالى: " وَتَصْرِيْفِ الرِّيَّاحِ " ^(٣).

الثاني: في قوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ " ^(٤).

الثالث: في قوله تعالى: " أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيْحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ " ^(٥).

الرابع: في قوله تعالى: " وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ " ^(٦).

الخامس: في قوله تعالى: " فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيْحِ " ^(٧).

السادس: في قوله تعالى: " فَاصْبَحَ هَسِيمًا تَذْرُؤُهُ الرِّيَّاحُ " ^(٨).

السابع: في قوله تعالى: " وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيْحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ " ^(٩).

الثامن: في قوله تعالى: " أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيْحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ " ^(١٠).

التاسع: في قوله تعالى: " وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ " ^(١١).

^١ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣، ص ٥٩٢.

^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٤، ٦٥. شرح طيبة النشر، ص ١٨٧. النشر في القراءات،

ج ٢، ص ٢٢٣. تحبير التيسير، ص ٢٩٧. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ١٨٩، ١٩٠.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٦١، ٦٢، ٦٣.

^٣ سورة البقرة، الآية ١٦٤.

^٤ سورة الأعراف، الآية ٥٧.

^٥ سورة إبراهيم، الآية ١٨.

^٦ سورة الحجر، الآية ٢٢.

^٧ سورة الإسراء، الآية ٦٩.

^٨ سورة الكهف، الآية ٤٥.

^٩ سورة الأنبياء، الآية ٨١.

^{١٠} سورة الحج، الآية ٣١.

^{١١} سورة الفرقان، الآية ٤٨.

العاشر: في قوله تعالى: " وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ "(١).

الحادي عشر: في قوله تعالى: " اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا "(٢).

الثاني عشر: وهو قوله تعالى: " وَلَسَلِيمَانَ الرِّيْحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ "(٣).

الثالث عشر: وهو قوله تعالى: " وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا "(٤).

الرابع عشر: في قوله تعالى: " فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيْحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ "(٥).

الخامس عشر: في قوله تعالى: " إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيْحَ "(٦).

السادس عشر: في قوله تعالى: " وَتَصْرِيْفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "(٧).

فقد قرأ أبو جعفر (الرياح) بالجمع في خمسة عشر موضعاً، واختلف عنه في الموضع السادس عشر (في سورة الحج) فقرأه بالجمع والإفراد. وقرأ نافع بالإفراد في خمسة مواضع، في سور: الإسراء والأنبياء والحج وسبأ وص. وقرأ الباقي بالجمع. وقرأ ابن كثير بالجمع في أربعة مواضع، في سور: البقرة والحجر والكهف والجاثية. وقرأ الباقي بالإفراد.

وقرأ أبو عمرو وابن عامر وعاصم ويعقوب بالجمع في تسعة مواضع في سور: البقرة والأعراف والحجر والكهف والفرقان والنمل وثاني الروم، وفاطر والجاثية، وقرأوا الباقي بالإفراد. وقرأ حمزة وخلف العاشر بالإفراد في موضعين: في الحج والفرقان، وقرأ الباقي بالجمع. وقرأ الكسائي بالإفراد في ثلاثة مواضع في سور: الحجر والحج والفرقان، وقرأ الباقي بالجمع.

والتباين في اختيار الإفراد والجمع في هذا الموضع من القراءة هو من المسائل التي كان للغويين سهم فيها، فقد انقسم أرباب اللغة والمعجم في البون بين هاتين

^١ سورة النمل، الآية ٦٣.

^٢ سورة الروم، الآية ٤٨.

^٣ سورة سبأ، الآية ١٢.

^٤ سورة فاطر، الآية ٩.

^٥ سورة ص، الآية ٣٦.

^٦ سورة الشورى، الآية ٣٣.

^٧ سورة الجاثية، الآية ٥.

الصيغتين، ففريق ذهب إلى أن (الريّح) هي من مدلولات العذاب، وأنّ (الريّاح) لا تقترن إلّا بالرحمة، ودليلهم في ذلك ما روي عن خاتم النبيين أنّه - صلى الله عليه وسلم - كان يدعو كلما هبّت ريح: " اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً"،^(١) والعرب تقول: " يَوْمٌ مُصْرِحٌ وَمُصْحٌ إِذَا كَانَ خَالِصاً مِنَ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ".^(٢) ويقول ابن فارس: " من سنن العرب وصفُ الشّيء بما يقع فيه أو يكون منه، كقولهم: " يَوْمٌ عَاصِفٌ" المعنى: عاصفُ الرّيح. قال الله جلّ ثناؤه: " فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ" فقيل: عاصف لأنّ عَصُوفَ ريحه يكون فيه".^(٣) ومما يعزّز هذا الرأى أنّ التنزيل قد قرن (الريّح) بالشرّ و(الريّاح) بالخير في كلّ سياقاته^(٤)، " وقد تختص اللفظة في التنزيل بشيء فيكون أمارة له"^(٥) ولذلك وجدنا أبا عبيدة يختار قراءة الجمع في كل ما كان للخير وقراءة التّوحيد لكل ما كان للعذاب.^(٦)

ويزيد أبو علي الفارسيّ المسألة وضوحاً فيذكر أنّ الاختيار عنده هو قراءة الجمع في آية البقرة؛ فهي - كما يقول - أبين وأقرب للمراد؛ " وذلك أنّ كلّ واحدة

^١ الطّبرانيّ، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللّخميّ الشّاميّ، (ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر، ج ١١، ص ٢١٣. أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي، (ت: ٣٠٧هـ)، (١٩٨٤م)، مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق: حسين سليم أسد، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق، ج ٤، ص ٣٤١.

^٢ الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، (ت: ٤٢٩هـ)، (٢٠٠٢م)، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، ص ٥٤.

^٣ ابن فارس، (١٩٩٧م)، الصّاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، نشره محمد علي بيضون، ط١، ص ١٦٨. سورة إبراهيم، الآية ١٨.

^٤ الثعالبي، فقه اللغة، ص ٢٦٦. الحريري، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري، (ت: ٥١٦هـ)، (١٩٩٨م)، درة الغواص في أوام الخواص، تحقيق: عرفات مطرجي، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ص ٩٤.

^٥ الفارسيّ، الحجة، ج ٢، ص ٢٥٧.

^٦ السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، (ت: ٣٧٣هـ)، بحر العلوم، ج ١، ص ١١٠.

من هذه الرِّياح مثل الأخرى في دلالتها على الوحدانية وتسخيرها لينتفع الناس بها بتصرفها، وإذا كان كذلك فالوجه أن يجمع لمساواة كل واحدة منها الأخرى فيما ذكرنا، وقد يجوز في قول من وحد أن يريد به الجنس...^(١)، وأما آية الأنبياء فالاختيار عند الفارسي يعتمد على المعنى الذي يرشحه السياق؛ " فإن كانت الرِّياح كلها سخّرت له، فالمراد بها الكثرة، وإن سخّرت له ریح بعينها، كان كقولك: الرّجل، وأنت تريد به العهد".^(٢)

ويرى الفارسي أن استقراء سياقات التنزيل تكشف لنا عن تلازم بين أفراد الرِّيح والعذاب، ومما يؤكد ذلك ارتباط الرِّيح في القرآن بنعوت الشرّ والهلاك نحو: الدُّبور، فإنهما ممّا عذب بها القرون الأولى،^(٣) وفي الحديث: " نصرت بالصِّبَا، وأهلكت عادّ بالدُّبور"،^(٤) وكان في هذه الرِّيح أعظم الآيات والدلالات للنبيّ صلى الله عليه وسلّم لأنّ الله جلّ وعزّ أرسل على أعدائه ريحاً. ولذلك أيضاً وجدنا سيّد الخلق - صلى الله عليه وسلّم - كلّما هبّت ریح يتمنى على الله - عزّ وجلّ - أن يجعلها ريحاً لا ريحاً.^(٥)

وأما أصحاب القراءات ومفسرو الذكر الحكيم فإنهم قد ذهبوا في توجيه هاتين القراءتين مذهب أهل اللغة، فقراءة التوحيد تعني في ما تعنيه أن (الرِّيح) اسم جنس يعمّ القليل والكثير^(٦) كما في قولهم: " كثر الدرهم والدينار في أيدي الناس إنّما تريد هذا الجنس قال الكسائي والعرب تقول جاءت الرِّيح من كل مكان فلو كانت ريحاً واحدة جاءت من مكان واحد فقولهم من كل مكان وقد حدوها تدل على أن بالتوحيد

^١ الفارسي، الحجة، ج ٢، ص ٢٥٦.

^٢ المصدر نفسه.

^٣ المصدر نفسه.

^٤ البخاري، صحيح البخاري، ج ٢، ص ٣٣. النحاس، إعراب القرآن، ج ٣، ص ٢٠٨.

^٥ (نصرت بالصبا): هي الریح التي تهب من مشرق الشمس ونصرته بها صلى الله عليه وسلّم كانت يوم الخندق إذا أرسلها الله تعالى على الأحزاب باردة في ليلة شاتية فقلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم وقلبت قدورهم وكان ذلك سبب رجوعهم وانهزامهم. و(الدبور): هي الرِّيح التي تهب من مغرب الشمس وبها كان هلاك قوم عاد كما قص علينا القرآن الكريم.

^٦ الألويسي، روح المعاني، ج ١، ص ٤٣١. محيسن، القراءات، ج ١، ص ٣٠٠.

معنى الجمع".^(١) والريّح كما يقول أبو منصور الأزهرّي: "... يقوم مقام الريّاح...، فمن قرأ الريّاح فهو جمع الريّح، ومَنْ قرأ الريّح أراد بها: الريّاح. ولذلك أنثت، لأنّ معناها الجماعة".^(٢)

ومن جهة ثانية هناك من وجّه القراءتين وجهة دلاليّة فـ (الريّح) من آيات العذاب وسوء المنقلب، و(رياح) من أمارات الخير وبشائر الرّحمة، " وقد يختصّ اللفظ في القرآن بشيء فيكون أمانة له"،^(٣) قال ابن عبّاس: " الريّاح للرّحمة والريّح للعذاب".^(٤)

بيد أنّ هناك من العلماء من رأى خلاف ذلك فـ (الريّاح) بصيغة الجمع تختصّ بالرّحمة، وأمّا الريّح المفردة فهي للمفرد والجمع معاً فـ " إنّ الجمع لم يأت مع العذاب أصلاً؛ وأمّا المفرد فجاءَ فيهما، ولذلك اختصّها عليه السّلام في دعائه بصيغة الجمع".^(٥)

والى جانب ذلك نجد من العلماء من رأى في قراءة الجمع بياناً عن أنواع الريّح، وتفصيلاً في أحوالها، فإنّ منها " المُخْتَلَفَةُ المجاري في تصرّيفها وتغاير مهابها في المشرق والمغرب وتغاير جنسها في الحرّ والبرد".^(٦)

^١ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٢٠.

^٢ الأزهرّي، معاني القراءات، ج ١، ص ١٨٥-١٨٦.

^٣ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٤، ص ١٧٣.

^٤ الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، (ت: ٥٤٢٧هـ)، (٢٠٠٢م)، الكشف

والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير

الساعدي، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج ٢، ص ٣٣. السمرقندي، بحر

العلوم، ج ١، ص ١١٠.

^٥ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٢، ص ٢٠٧.

^٦ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١١٩. البغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ١٩٦. ابن خالويه،

الحجة، ص ٩١. محيسن، القراءات، ج ١، ص ٣٠٠. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن

عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، (ت: ٥٢٠٧هـ)، معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف

النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط ١، دار المصرية للتأليف

والترجمة، مصر، ج ١، ص ٩٧.

وإذا كان القرّاء العشرة قد اختلفوا في ما بينهم في لفظ (الريّح) إفراداً وجمعاً، فإننا نجدهم قد اتّفقوا في قراءة موضعين، فجمعوا (الريّح) في أوّل سورة (الروم) وهو قوله تعالى: " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيَّاحَ مُبَشِّرَاتٍ،^(١) كما اتّفقوا على توحيد (الريّح) في سورة (الذاريات) وهو قوله تعالى: " وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيَّاحَ الْعَقِيمَ ".^(٢) الأمر الذي يؤكّد مقولة إنّ (الريّح) بصيغتها الإفرادية منوطة بالعذاب، وأنّ الريّاح ذات الهيئة الجمعية لا تقترن إلا بالرحمة والبركة.

ومما تقدّم يلحظ المرء مدى الأهميّة التي ظفرت بها لفظتا الريّح والريّاح في مباحث اللّغة والتّنزيل، حتّى ألفينا من العلماء الأجلّاء من أفرد لها فصلاً بل فصولاً وأبواباً؛ يبيّن أحوالها ومذاهب العرب فيها.

ونحن إذا ما سرّحنا البصر في كلام العرب الفصحاء، لوجدنا القوم قد ميّزوا في لغتهم بين الريّح والريّاح، فإنّ العرب قد عرفت في حياتها أنواعاً مختلفة من الريّاح، ووسمت كل واحدة منها باسم هو آية عليها وصفة لازمة تحكي حالها وصفاتها، فإذا أرادوا التّسليّة عن المكروب ذكروا الصّبّا، وإذا طلبوا السّحاب التّقال تمنّوا ريح الجنوب، فإذا استعاثوا رجوا هبوب ريح الشّمال، فإن ذكروا هذه مجتمعة قالوا: رياحاً، فكنّوا بها عن تلك المزيّات مجتمعة؛ " فهي الريّاح كلّ واحدة منها فيها خير ".^(٣)

وإذا قصدوا الخراب والدمار قالوا: ريح الدّبور؛ فهي " تهدم البنيان وتقلع الشّجر وهي المذكورة في القرآن فقال: الرّيح العقيم، وريح عاصف، وريح صرصر. وكلّ موضع جرى فيه ذكر الريّاح في القرآن فإنّه يرجع إلى الثّلاث التي

^١ سورة الروم، الآية ٤٦.

^(٢) سورة الذاريات، الآية ٤١.

^(٣) التيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي، (ت: ٦٥١هـ)، (١٩٨٠م)، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، ط١، هذبة: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ص ٣١٠.

تقدّم ذكرها، فيراد بها الرّحمة، وإذا جرى ذكر الرّيح فالمراد به الدّبور، والمراد بها العقوبة". (١)

وبناءً على ما تقدّم يخلص الباحث إلى أنّ العرب كانت تجنح إلى إفراد الرّيح إذا قصدت بها ضرباً واحداً بعينه، فإن أرادوها مجتمعة قالوا: رياحاً، ولما كانت العرب لم تتعارف في استعمالها إلاّ على ريح واحدة للدّمار والخراب هي ريح الدّبور؛ اقتصرت على ذكرها مفردة، فإن جمعوا كان مرادهم ما سواها من الرّيح، وإن عنوا بواحدة بعينها ذكروها متبوعة بصفة تميّزها عن تلك التي للفناء والهلاك، ومنها ما ورد في قوله تعالى: "هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ" (٢)، فذكر الرّيح بلفظ الإفراد ثم نعتها بصفة الطيّبة لتميّزها عن ريح العذاب على سبيل المقابلة "فإنه ذكر ما يقابلها ريح العذاب وهي لا تكون إلا مفردة وربّ شيء يجوز في المقابلة ولا يجوز استقلالاً نحو "وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ" (٣).

وثمة وجه ثانٍ يرى "أنّ تمام الرّحمة هناك إنّما تحصلُ بوحدة الرّيح لما باختلافها فإنّ السفينة لا تسيّرُ إلاّ بريحٍ واحدةٍ من وجهٍ واحدٍ فإنّ اختلفت عليها الرّياح وتصادمت كان سببُ الهلاك والغرق فالْمَطْلُوبُ هناك رِيحٌ واحدةٌ ولهذا أكّد هذا المعنى فوصفها بالطيّبِ دفعا لتوهم أنّ تكونَ عاصِفةً بل هي رِيحٌ يُفْرَحُ بطيّبها". (٤)

ويعلّل ابن عاشور هذه المسألة فيقول: "... وَجَمَعَ الرِّياحَ لِمَا شَاعَ فِي اسْتِعْمَالِهِمْ مِنْ إِطْلَاقِهَا بِصِيغَةِ الْجَمْعِ عَلَى رِيحِ الْبِشَارَةِ بِالْمَطَرِ لِأَنَّ الرِّياحَ الَّتِي تُثِيرُ السَّحَابَ هِيَ الرِّياحُ الْمُخْتَلِفَةُ جِهَاتٍ هُبُوبِهَا بَيْنَ: جَنُوبٍ وَسَمَالٍ وَصَبَاً وَدَبُورٍ،

(١) التيفاشي، سرور النفس، ص ٣١٠.

٢ سورة يونس، الآية ٢٢.

٣ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٤، ص ١١. سورة آل عمران، الآية ٥٤.

٤ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٤، ص ١١. أبوحيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٨٢. ابن

عطية، المحرر الوجيز، ج ١، ص ٢٣٣.

بِخِلَافِ اسْمِ الرِّيحِ الْمُفْرَدَةِ فَإِنَّهُ غَلَبَ فِي السَّيِّمَاتِ إِطْلَاقُهُ عَلَى رِيحِ الْقُوَّةِ وَالشَّدَّةِ
لِأَنَّهَا تَتَّصِلُ وَارِدَةً مِنْ صَوْبٍ وَاحِدٍ فَلَا تَزَالُ تَشْتَدُّ". (١)
(رُهْنٌ)، (رِهَانٌ): (٢)

وانفرد أبو عمرو وابن كثير من بين القراء العشرة بقراءة (فَرُهْنٌ) من قوله
تعالى: " وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ "، (٣) على (فَرُهْنٌ)،
وهي على وزن (فُعْلٌ) جمع تكسير واحد (رَهْنٌ) نحو: سَقَفٌ وَسُقُوفٌ قاله
الأخفش، (٤) وروى عنه الرازي في (المختار) قوله: " وَقَدْ يَكُونُ رُهْنٌ جَمْعُ رِهَانٍ
مِثْلُ فِرَاشٍ وَفُرُشٍ "، (٥) وقيل: هو جمع (رِهَانٌ) التي واحدها (رَهْنٌ) حكاية الفراء
والكسائي، (٦) فيكون بحسب هذا التأويل الأخير جمع الجمع، (٧) وعلى ذلك تكون
(رُهْنٌ) هي جمع (رِهَانٌ)، وجمع (رِهَانٌ) هو (رَهْنٌ)، (٨) وهو ما أنكره صاحب
(المحكم)، قال: " وَلَيْسَ رُهْنٌ جَمْعُ رِهَانٍ، لِأَنَّ رِهَانًا جَمْعٌ، وَلَيْسَ كُلُّ جَمْعٍ يَجْمَعُ،

^١ ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت: ١٣٩٣هـ)،
(١٩٨٤م)، التحرير والتنوير « تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير
الكتاب المجيد»، الدار التونسية للنشر، تونس، ج ٢١، ص ١٢١.

^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٧. شرح طيبة النشر، ص ٢٠٤. النشر في القراءات،
ج ٢، ص ٢٣٧. تحبير التيسير، ص ٣١٦. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٢٧.
محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١٠٠.

^٣ سورة البقرة، الآية ٢٨٣.

^٤ الأخفش، معاني القرآن، ج ١، ص ٢٠٦. ابن سيده، المحكم، ج ٦، ص ٢٠٠. النحاس، معاني
القرآن، ج ١، ص ٣٢٥.

^٥ الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، (ت:
٦٦٦هـ)، (١٩٩٩م)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط ٥،
الدار النموذجية، بيروت، صيدا، (رهن)، ص ١٣٠.

^٦ الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ٣٢. النحاس، إعراب القرآن، ج ١، ص ١٣٩. الثعلبي، الكشف
والبيان، ج ٢، ص ٢٨٩.

^٧ ابن قتيبة، غريب القرآن، ج ١، ص ١٠٠. الهروي، إسفار الفصيح، ج ١، ص ٣٨٠.

^٨ ابن خالويه، الحجة، ص ١٠٤.

إِلَّا أَنْ يَنْصَ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ لَا يَحْتَمَلُ غَيْرَ ذَلِكَ، كَأَكْلِبٍ وَأَكَالِبٍ، وَأَيْدٍ وَأَيَادٍ،^(١) وَمِمَّا جَاءَ عَلَى رُهْنٍ قَوْلُ الْأَعْشَى: ^(٢)

أَلَيْتُ لَأُعْطِيَهُ مِنْ أَبْنَائِنَا رُهْنًا فَيُفْسِدَهُمْ كَمَنْ قَدْ أَفْسَدَا

وقرأ الباقون (فرهان) على وزن (فعال)، وهي جمع تكسير واحد (رهن)،^(٣)

نحو: كَعَبٌ وَكِعَابٌ، وَكَبْشٌ وَكِبَاشٌ، وَبَغْلٌ وَبِغَالٌ^(٤)، قال الشاعر:^(٥)

أَهْلَكْتُ مَهْرِي فِي الرَّهَانِ لِحَاجَةٍ وَمِنَ اللَّجَاجَةِ مَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

وَمِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ الْمَأْثُورِ " غَلَقْتُ الرَّهَانَ بِمَا فِيهَا ".^(٦)

وهناك من اعتمد الاقتران اللفظي أو الاصطحاب المعجمي وسيلة يوجّه القراءة

على هديه؛ فـ (رهان) - كما يقول أبو عمرو بن العلاء - هو من الألفاظ التي لا

تقترن إلا بالخيل^(٧)، وروى عنه أنه لما سئل عن سرّ اختياره قراءة الضمّ، قال:

"لأفرّق بين الرهن في الدين، وبين الرهان في سباق الخيل"،^(٨) ونقل عنه المبرد

قوله: "لأعرف الرهان إلا في الخيل"،^(٩) واستدلّ على ذلك بقول قَعْنَبٍ:^(١٠)

^١ ابن سيده، المحكم، (رهن)، ج ٤، ص ٣٠٠.

^٢ الأَعْشَى، الديوان، ص ٢٢٩.

^٣ الزبيدي، تاج العروس، ج ٥، ص ٢١٢٨. الجوهرى، الصحاح، ج ٣٥، ص ١٢٢. (رهن)

^٤ الطبري، جامع البيان، ج ٦، ص ٩٦.

^٥ هذا البيت للأَسْعَرُ بن أبي حُمُرَانَ الجَعْفِي. أبو طالب، المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب

(ت: نحو ٢٩٠هـ)، (١٩٦٠م)، الفاخر، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي

النجار، ط ١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، ص ١٨٤. الميداني، أبو الفضل

أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، (ت: ٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد

محيى الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج ٢، ص ٣١٠.

^٦ المبرد، محمد بن يزيد بن عبدالله الأكبر الشمالي الأزدي، أبو العباس (ت: ٢٨٥هـ)، المقتضب،

تحقيق: محمد عبدالخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، ج ٢، ص ٢٠٢.

^٧ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ١، ص ٨٤.

^٨ ابن خالويه، الحجّة، ص ١٠٥.

^٩ المبرد، المقتضب، ج ٢، ص ٢٠٢.

^{١٠} الشاعر هو قَعْنَبُ بن ضمرة بن أم صاحب، كان في أيام الوليد، أبو عبيدة، مجاز القرآن،

ص ٨٤. ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ١٨٩.

بَانَتْ سَعَادٌ وَأَمْسَى دُونَهَا عَدْنٌ وَغَلَقَتْ عِنْدَهَا مِنْ قَلْبِكَ الرَّهْنُ

وقيل: " والرُّهْنُ في الرَّهْنِ أَكْثَرُ، والرُّهَانُ في الْخَيْلِ أَكْثَرُ"،^(١) وعن يونس " الرَّهْنُ والرُّهَانُ واحد، عربيتان، والرُّهْنُ في الرَّهْنِ أَكْثَرُ، والرُّهَانُ في الْخَيْلِ أَكْثَرُ " (٢).

بيد أن هناك من العلماء من ساوى بين القراءتين، فقد روي عن أبي عبيدة ونفر من العلماء قولهم: (رُهْنٌ) جمع (رَهْنٌ) نحو: سَقْفٌ وَسُقْفٌ، وكذلك (رِهَانٌ) هي جمع (رَهْنٌ) كَبَغْلٌ وَبِغَالٌ، وَحَبَلٌ وَحِبَالٌ.^(٣)

وعلى صعيد آخر هناك من العلماء من فاضل بين هاتين القراءتين بناءً على الأشيع في فصيح الاستعمال والأقيس في نواميس الكلام؛ فجمع (رَهْنٌ) على (رِهَانٌ) هو من القليل النادر الذي قد يصل إلى درجة الشذوذ؛ ذلك أن العربية قد سنت لكل ما صيغ على (فُعْلٌ) أن يجمع على (فِعَالٌ) نحو: بَحْرٌ وَبِحَارٌ، وَفَرَخٌ وَفِرَاحٌ، وَنَعْلٌ وَنِعَالٌ، وَكَلْبٌ وَكِلَابٌ،^(٤) وقد سُمِعَ عن العرب أنهم " ... كسروا فعلاً على فعل"،^(٥) وروى عن الأخفش قوله عن (الرُّهْنُ) بالضم: " ... وهي قبيحة... لأنَّ فَعْلًا لا يجمع على فُعْلٍ إلا قليلاً شاذاً، زعم أنهم يقولون: " سَقْفٌ وَسُقْفٌ... وقالوا: قَلْبٌ وَقُلْبٌ وَقَلْبٌ مِنْ قَلْبِ النَّخْلَةِ وَلَحْدٌ وَلُحْدٌ لِحَدِّ الْقَبْرِ وَهَذَا شَاذٌ لا يكاد يعرف"،^(٦) وإلى ذلك ذهب أبو حيان قال: " وَجَمَعَ فُعْلٌ عَلَى فَعْلٍ قَلِيلٌ " (٧).

^١ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٢٣٧.

^٢ لسمين الحلبي، الدر المصون، ج ٢، ص ٦٧٩.

^٣ البغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ٢٣. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ١، ص ٣٨٧. الخطيب

الشربيني، السراج المنير، ج ١، ص ١٨٩.

^٤ ابن السراج، الأصول، ج ٢، ص ٤٣٣. المبرد، المقضب، ج ٢، ص ١٩٥.

^٥ سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ٦٢٧، ٦٢٨.

^٦ الأخفش، معاني القرآن، ج ١، ص ٢٠٦.

^٧ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٧٤٣.

ومن جهة ثانية ذهب فريق من العلماء إلى أنّ (رُهْن) هي من الاستعمالات اللغوية غير المطردة؛ لأنّ الأكثرين قالوا بأنّها جمع الجمع، وهذا الأخير من الأنماط غير المطردة عند سيبويه والجمهور،^(١) في حين نجد (الرّهان) من الجموع التي اطرد استعمالها في العربية، فجمع ما كان على زنة (فَعَلَ) على (فِعَال) هو من الكثير الفاشي في اللغة،^(٢) ولذلك لا نعجب إذا ما وجدنا أبا جعفر الطبري يصرّح علانية أنّ قراءة (فرهان) هي أصحّ القراءتين قال: "والذي هو أولى بالصواب في ذلك قراءة من قرأ: "فرهان مقبوضة"، لأنّ ذلك الجمع المعروف لما كان من اسم على "فَعَلَ"، كما يقال: "حَبْلٌ وحبال" و"كَعْبٌ وكعاب"، ونحو ذلك من الأسماء. فأما جمع "الفَعْل" على "الفُعْل أو الفُعْل" فشاذاً قليل".^(٣)

وكلام الطبري هذا لا يخلو من غلط؛ فهاتين القراءتين لا مزية لإحدهما على الأخرى، فكلاهما صحيح متواتر عن خير البرية متعبّد بتلاوتها، وأمّا القول إنّ (فِعَال) هي أقيس من (فُعْل) في ما جُمع على زنة (فَعَلَ) فمردود من جهة تلكم الشواهد التي جاءتنا من أرباب الفصحى وشذا بها من احتجّ ببديع أشعارهم. ومما يلاحظ على هاتين القراءتين أنّهما تشتركان مع قراءة (سَقْفٌ وسُقْفٌ) في الوزن الصرّفي؛ لذلك يجد الباحث من الحشو والزيادة تكرير ما قلناه عند تعرّضنا لتوجيه تلك القراءتين إلّا بالقدر الذي تفرق به عنهما.

وإذا اتفق لنا أنّ قراءة الجماعة هي جمع تكسير للرّهن فإنّ في توجيه قراءة الجمع تعدّد واختلاف، لعلّ أقربها إلى القياس أنّها جمع تكسير أيضاً؛ حيث إنّ أغلب اللغويين يميلون إلى مذهب أبي عمرو بن العلاء^(٤) وهو أنّ (رُهْن) هي جمع واحدها

^١ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٦، ص ١٠٠. السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٢، ص ٦٨٠.

^٢ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٢، ص ٦٨٠.

^٣ الطبري، جامع البيان، ج ٦، ص ٩٦.

^(٤) البعلبي، أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلبي، (ت: ٧٠٩هـ)،

(٢٠٠٣م)، **المطلع على ألفاظ المقنع**، تحقيق: محمود الأرناؤوط وياسين محمود الخطيب،

ط ١، مكتبة السوادي للتوزيع، ص ٢٩٦.

(رَهْنٌ) ^(١) مع أن " تكسير فَعْلٌ على فُعْلٍ وفُعْلٌ قَلِيلٌ "؛ ^(٢) ولذلك قيل: إنَّ الصَّحِيحَ ^(٣) أو الأكثر هو جمع (رَهْنٌ) على (رِهَانٍ)، كحَبْلٌ وحِبَالٌ. ^(٤)

وإنما دفع اللّغويين إلى القول بأنَّ (رُهْنٌ) هو جمع تكسير؛ هي مقولة لسيبويه ذهب فيها إلى أن جمع الجمع بابه السَّماع، قال سيبويه: " واعلم أنه ليس كلُّ جمع يجمع، كما أنه ليس كلُّ مصدر يجمع، كالأشغال والعقول والحلوم والألبان: ألا ترى أنك لا تجمع الفكر والعلم والنَّظر. كما أنهم لا يجمعون كل اسم يقع على الجميع نحو: التَّمْرُ ". ^(٥)

ومما يجدر ملاحظته أنَّ اللّغويين كلِّما ذكروا جمع (رَهْنٌ) على (رُهْنٌ) قاسوا ذلك على (سُقْفٌ وسُقُفٌ)، فإذا كان الباحث قد تكوّن له اعتقاد أنَّ (سُقُفٌ) هي جمع جمع، كان قياس (الرُهْنٌ) على (سُقُفٌ) ليس بدقيق، إلّا إذا سلّمنا بالرأي القائل: إنَّ (رُهْنٌ) هو جمع جمع.

وثمة توجيه آخر أحسبه أقرب إلى واقع اللّغة، وهو القائل بالبون المعجميّ بين هاتين القراءتين، فـ (الرَهْنٌ) هو: " ما يوضع وثيقة للدين، والرّهانُ مثله، لكن

(١) الفراهيديّ، كتاب العين، (رهن)، ج ٤، ص ٤٤٤. أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ٢، ص ٢٠٣، ٢٧٠. أبو عبيد، الغريب المصنف، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ج ٢، ص ٤٢٥. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ)، (١٩٨٧م)، جمهرة اللّغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط ١، دار العلم للملايين، بيروت، (رهن)، ج ٢، ص ٨٠٧. الأزهرّي، تهذيب اللّغة، (رهن)، ج ٦، ١٤٨. الفارسيّ، الحجّة، ج ٢، ص ٤٤٨.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٤٦٦. الزبيديّ، تاج العروس، (صقر)، ج ١٢، ص ٣٤١. (٣) أبو هلال العسكريّ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكريّ، (ت: نحو ٣٩٥هـ)، (١٩٩٦م)، التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، عني بتحقيقه: عزة حسن، ط ٢، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا، ص ١٤١.

(٤) النّوّي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، (ت: ٦٧٦هـ)، (١٩٨٨م)، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبد الغني الدقر، ط ١، دار القلم، دمشق، سوريا، ص ١٩٤. (٥) سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ٦١٩. الفارسيّ، الحجّة، ج ٢، ص ٤٤٨.

يختصّ بما يوضع في الخطار"،^(١) و(الخطر) هو: "السَّبَقُ الَّذِي يُتْرَامَى عَلَيْهِ فِي التَّرَاهُنِ، ... وَأَخْطَرَ الْمَالَ أَي جَعَلَهُ خَطَرًا بَيْنَ الْمُتَرَاهِنِينَ. وَتَخَاطَرُوا عَلَى الْأَمْرِ: تَرَاهَنُوا؛ وَخَاطَرَهُمْ عَلَيْهِ: رَاهَنَهُمْ. وَالْخَطَرُ؛ الرَّهْنُ بِعَيْبِهِ، فَمَنْ سَبَقَ أَخْذَهُ".^(٢)

وهذا يعني أنّ قراءة الجمهور هي تخصيص لذلك الرهن الذي يعقد عادة بين اثنين، إنّها اسم جنس يجمع تحته ضروب الرهن التي غالباً ما تجري في تداول الحياة، ثم تأتي القراءة الثانية لتدلّ على "تَعَدُّدِ الْمُخَاطَبِينَ بِهَذَا الْحُكْمِ"،^(٣) فهي جمع لذلك الجمع؛ إنّها كناية صريحة عن كثرة أنواع الرهن من جهة وكثرة المتعاملين به؛ فإذا كانت القراءة الأولى تخصّ الرهن بعقد ثنائي الأطراف، فإنّ في القراءة الثانية توسيع لتلك الدلالة؛ إنّها انتقال من الخاص في أصل الاستعمال إلى العام الذي يطلبه نسيج المجتمع المعقد.

وأحترس هنا لأبين أنّ ما سقناه من توجيه دلاليّ ليس بالضرورة حكماً حتمياً يلغي أو يبطل مقولة إنّ هاتين القراءتين هما صيغتا جمع؛ فالرّهان قد تكون جمعاً للرهن؛ بأية كثرة الشواهد التي جاءت على (فعل) وجمعت على (فعل)، والأمر نفسه مع (رهن) مع تفاوت بينهما في الكثرة والشيوخ؛ ولعلّ اختيار أبي عمرو وابن كثير للقراءة بهما لخير شاهد على رسوخهما في العربية.
(كُتِبَهُ)، (كِتَابَهُ):^(٤)

وقد اختلف القراء العشرة في قراءة هذه الكلمة في التنزيل في موضعين، هما:

١- قوله تعالى: "كُلُّ أَمْنٍ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْكَتَهُ وَكُتِبَهُ وَرُسُلِهِ".^(٥)

(١) الرّاغب الأصفهانيّ، المفردات، ص ٣٦٧.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، (خطر)، ج ٤، ص ٢٥١.

(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ١٢٠.

٤ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٨. شرح طيبة النشر، ص ٢٠٤، ٣١٩. النشر في

القراءات، ج ٢، ص ٢٣٧، ٣٨٩. تحبير التيسير، ص ٣١٦. النويري، شرح طيبة النشر،

ج ١، ص ٢٠٤، ٣١٩. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٢٩١، ٢٩٢.

٥ سورة البقرة، الآية ٢٨٥.

٢- قوله تعالى: " وَصَدَقْتُ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ " (١).

فقد قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر (وكتابه) في (البقرة) بكسر الكاف وفتح التاء مع إقحام ألف بعدها على الإفراد، وقرأ الباقر (وكتابه) بضم الكاف والباء، بصيغة الجمع.

وقرأ أبو عمرو ويعقوب وحفص (وكتابه) بالصيغة نفسها في (التحرير)، وقرأها الباقر (وكتابه) بكسر الكاف وفتح التاء مع إقحام ألف بعدها على الإفراد. وقد وجهت قراءة الجمع في الموضعين على معنى الكتب السماوية، فمريم ابنة عمران قد صدقت وأمنت بما نزل على النبيين والرسل من كتب ورسالات، فكان الجمع أولى؛ إذ الكتب مختلف أجناسها، (٢) فيكون " من جمع قرأ على الأصل؛ لأن الله تعالى قد أنزل كتاباً قبل مريم عليها السلام، وقد آمنت بجميعها". (٣)

وثمة من رأى في قراءة الجمع ما يحقق مطلب التجانس والمشاكل اللغوية؛ فلفظة "وكتبه" تتقابل في السياق التركيبي مع كلمات صيغتها الصرفية الجمع؛ ففي آية البقرة تتقابل (وكتبه) مع (ورسله) من ناحية (وملائكته) من ناحية أخرى، وفي آية التحريم تتقابل (وكتبه) مع (كلماته)، فكان لذلك قراءة الجمع أولى وأحسن فإن من قرأ بها يكون قد " شاكل بين اللفظين، وحقق المعنى، لأن الله تعالى قد أنزل كتاباً وأرسل رسلاً". (٤)

ولم تختلف قراءة التوحيد عن قراءة الجمع في الدلالة التي ترشحها صيغة الجمع على التعيين، ف (الكتاب) في هذا السياق يمكن أن يكون اسم جنس يدل على الكثير (٥) " فَيُؤَافِقُ مَعْنَى الْجَمْعِ "، (٦) ويروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما -

^١ سورة التحريم، الآية ١٢.

^٢ ابن النحاس إعراب القرآن، ج ٤، ص ٣٠٦. ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٧١٥.

^٣ الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي الأصبهاني، أبو القاسم، (ت: ٥٣٥هـ)، (١٩٩٥م)، إعراب القرآن للأصبهاني، قدمت له ووثقت نصوصه: فائزة بنت عمر

المؤيد، ط ١، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ص ٤٥٣.

^٤ ابن خالويه، الحجة، ص ١٠٥.

^٥ ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت: ٣٩٢هـ)، اللمع في العربية، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت، ج ١، ص ٤٩.

^٦ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٧، ص ١١١.

أنه كان يقول: " الكتاب أكثر من الكتب "،^(١) وهو بذلك يناظر قوله تعالى: " فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ "،^(٢) فدل ذلك - كما يقول أبو عبيدة - على إرادة معنى " كل كتاب الله " ^(٣) وهو مقصد لا يلبيه إلا اسم الجنس المستغرق في العموم؛^(٤) لأن اسم الجنس يشمل مع - أفراده - جميع أفراد جنسه قليلة كانت أم كثيرة، فهو - كما يرى الزمخشري وإمام الحرمين - " يتناول جميع الآحاد ابتداء فلا يخرج عنه شيء منه قليلاً أو كثيراً بخلاف الجمع فإنه يستغرق الجموع أولاً وبالذات ثم يسري إلى الآحاد".^(٥)

ويزيد الطيبي هذه المسألة وضوحاً فيبين أن " المفرد إذا أريد به الجنس يدخل تحته المجموع والأشخاص بخلاف الجمع فإنه لا يتناول إلا المفردات فقط "؛^(٦) لذلك قيل إن " قراءة الأفراد أولى لأن استغراق المفرد أشمل من استغراق الجمع".^(٧) وكلام الزمخشري في البون بين اسم الجنس المفرد واسم الجمع ليس بصحيح؛ لأن هذا الأخير يكتسب دلالة الشمول بتعريفه إما بالألف واللام الجنسية وإما

^١ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٥٢-١٥٣.

^٢ سورة البقرة، الآية ٢١٣.

^٣ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٥٣.

^٤ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٢٣٨.

^٥ الألوسي، روح المعاني، ج ٢ ص ٦٥. الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٣٣١. الطبري، جامع البيان، ج ٧، ص ١٢٥.

^٦ ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج ٢، ص ٨٠٩. البسيلى، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلى التونسي، (ت: ٥٣٨٠)، التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، ج ١، ص ٤١٩.

^٧ النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، (ت: ٥٨٥٠)، (١٤١٦م)، غرائب القرآن و رغائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ص ٨٨.

بالإضافة على التعيين، يقول أبو حيان: " ودلالة العام دالة على كل فرد فرد، فلو قال: اعتقت عبيدي، يشمل ذلك كل عبد عبد، ودلالة الجمع أظهر في العموم من الواحد، سواء كانت فيه الألف واللام أم بالإضافة، بل لا يذهب إلى العموم في الواحد إلا بقرينة لفظية، كأن يستثنى منه، أو يوصف بالجمع، نحو: إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا و: أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض، أو قرينة معنوية نحو: نية المؤمن أبلغ من عمله، وأقصى حاله أن يكون مثل الجمع العام إذا أريد به العموم" (١).

والحق عندي هو ما ذهب إليه ابن عاشور من أن كلا من المفرد والجمع هما سواء في إرادة الجنس (٢). وبناءً على ذلك يمكن توجيه مقولة ابن عباس إن صححت روايتها بـ (الأكثرية) في قراءة التوحيد، أنه ربما قصد أنه " أكثر لمساواته له معنى، مع كونه أخصر لفظاً، فلعله أراد بالأكثر معنى الأرجح والأقوى" (٣). وهناك من أول قراءة الأفراد على المصدرية، وفي ذلك تفصيل:

١- هناك فريق ذهب إلى أن (كتابه) في هذا السياق هو مصدر أقيم مقام الاسم " فيسمى الذي يكتب كتاباً، كما قيل: نسج اليمن، أو على تقدير ذي، أي: ذي الذي يكتب" (٤).

٢- وهناك بعض العلماء أول قراءة التوحيد على " المصدر الذي يجمع كل مكتوب كان نزوله من عند الله تعالى" (٥).

٣- وهناك فريق آخر وجه القراءة على باب إحلال المصدر محل اسم المفعول، فـ " الكتاب مصدر كتبت، ويسمى المكتوب كتاباً، كما يسمى المخلوق خلقاً، والمفعول يسمى بالمصدر، يقال: هذا درهم ضرب الأمير. أي: مضروبه، وهذا

^١ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٧٥٧-٧٥٨. السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٢،

ص ٦٩٢. ابن عادل، اللباب، ج ٤، ص ٥٢٥.

^٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ١٣٢.

^٣ المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٣٣.

^٤ الفارسي، الحجة، ج ٢، ص ٤٥٩-٦٠.

^٥ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ١، ص ٣٩٢.

الثوب نسج اليمن. أي: منسوجه".^(١) وقد نقل الرازي عن بعض نحاة العربية وهم: الفراء والمبرد والزجاج والأنباري قولهم في هذه المسألة: "وَالْمَفْعُولُ وَالْفَاعِلُ يُسَمَّيَانِ بِالْمَصْدَرِ كَمَا يُقَالُ: مَاءٌ سَكَبْتُ، أَيْ مَسْكُوبٌ وَدِرْهَمٌ ضَرَبْتُ النَّامِيرَ وَثَوْبٌ نَسَجُ الْيَمَنِ، وَالْفَاعِلُ كَقَوْلِهِ: إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا وَرَجُلٌ عَدْلٌ وَصَوْمٌ، وَنِسَاءٌ نَوْحٌ وَلَمَّا سُمِّيَا بِالْمَصْدَرِ سُمِّيَ الْمَصْدَرُ أَيْضًا بِهِمَا فَقَالُوا: لِلْعَقْلِ الْمَعْقُولُ، وَلِلْجِلْدِ الْمَجْلُودُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى بِأَيُّكُمْ الْمَفْتُونُ".^(٢)

٤- وفريق ثالث رأى (الكتاب) مصدرًا منقولاً قد اشتق من الفعل (كتب)، ثم نقل فسمي به، "فصار يجري مجرى الأعيان وما لا معنى فعل فيه، وعلى ذلك كُسِّرَ، فقيل: كتب كما قالوا: إزار وأزر، ولجام ولجم. ولولا أنه صار منقولاً، لكان خليقاً أن لا يكسّر، كما أن عامة المصادر لا تجمع، فأما الجمع فيه فللكثرة".^(٣)

ويرى أبو علي الفارسي أن هذه القراءة شأنها شأن الأسماء التي تحمل مع أفرادها معنى الكثرة، نحو قولهم: "أهلك الناس الشاة والبعير"،^(٤) وهي مع ذلك تبقى تخالف ما شاع عن الأسماء ذوات الكثرة والعموم؛ فهذه الزمرة الاسمية تلازم الأفراد، فلا تضاف بل تتحلى بـ (ال) التعريف على التعيين. وقد علل ذلك بوجود استعمالات قرآنية ورد فيها اسم الجنس مضافاً، ومن ذلك قوله تعالى: "وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا"،^(٥) وقوله تعالى: "أَحْلَلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ

^١ الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي، (ت: ٥٤٦٨هـ)، (١٩٩٤م)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، قدمه: عبد الحي الفرماوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج١، ص٧٧.

^٢ الرازي، مفاتيح الغيب، ج٨، ص٤٣٠. سورة الملك، الآية ٣٠. سورة القلم، الآية ٦.

^٣ الفارسي، الحجة، ج٢، ص٤٥٨.

^٤ المصدر نفسه.

^٥ سورة إبراهيم، الآية ٣٤.

"(١)، فَنِعَمَ الخالق - عزَّ وجلَّ - كثيرة شاملة تعمَّ كلَّ خلقه، وإباحة الرِّقَّة ليلية الصِّيَام ليس منوطاً بليلة بعينها إنما تشمل ليالي الصِّيَام كلها." (٢)
 وقد رُوِيَ عن الرِّسول - صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم - قوله: " منعت العراق درهمها وقفيزها"، (٣) يقول أبو علي الفارسي: " فهذا يراد به الكثرة، كما يراد فيما فيه لام التعريف، ومما يجوز أن يكون على هذا قول عدي بن الرِّقاع:
 يَتْرُكُ الحَيُّ بالعَسِيِّ رَغَاها وَهُمُ عَن رَغِيْفِهِمُ أَغْنِيَاءُ " (٤).

ومن علماء القراءات من اعتقد أن المراد من أفراد القراءة في (وكتابه) هو القرآن (٥)، فأصحاب الديانات السماوية السابقة " قد اعترف بعضهم لبعض بكتبهم، وآمنوا بها إلاً القرآن فإنهم أنكروه فلذلك أفرد. وجمع الرِّسل لأنهم لم يجمعوا على الإيمان بهم " (٦).

وبناءً على هذا التوجيه الأخير قيل إن المراد بـ (وكتابه) في آية التحريم هو الإنجيل " لَأَسِيْمًا إِن فَسَّرَتِ الكَلِمَةُ بعيسى ... قال سهل: وكتبه أَجْمَعُ مِنْ كِتَابِهِ، لِأَنَّ فِيهِ وَضَعَ الْمُضَافِ مَوْضِعَ الجِنْسِ، فَالْكَتُبُ عَامٌّ، وَالْكِتَابُ هُوَ الْإِنْجِيلُ فَقَطَّ " (٧).

^١ سورة البقرة، الآية ١٨٧.

^٢ الفارسي، الحجة، ج ٢، ص ٩٠، ١١٩، ٤٥٩. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ١، ص ٣٩٢. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ٣٥. ابن عادل، اللباب، ج ٤، ص ٥٢٥. الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، (ت: ١٣٩٣هـ)، (١٩٩٥م)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ج ٢، ص ٦٨.

^٣ مسلم، صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٢٢٠.

^٤ الفارسي، الحجة، ج ٢، ص ٤٥٦-٤٥٧. عدي بن زيد بن مالك بن عدي الرِّقاع العاملي، (١٩٨٧م) برواية: أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني، (ت: ٥٢٩١هـ)، ديوان شعر عدي بن الرِّقاع العاملي، تحقيق: نوري حمود القيسي وحاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ص ١٥٨.

^٥ العكبري، التبيان، ج ١، ص ٢٣٤. البيضاوي، أنوار التنزيل، ج ١، ص ١٦٦.

^٦ ابن خالويه، الحجة، ص ١٠٥.

^٧ أبو حيان، البحر المحيط، ج ١٠، ص ٢١٧. الألويسي، روح المعاني، ج ١٤، ص ٣٥٩.

وأحسب أنّ هذه المسألة يمكن توجيهها على أنّها من باب اتفاق المعنى واختلاف
المبنى؛ فقراءة الجمع تعني كثرة الكتب، وقراءة الإفراد تطلب المعنى نفسه على
التعيين، فيكون من " جَمَعَ أَرَادَ جَمَعَ كِتَابٍ، وَمَنْ أَفْرَدَ أَرَادَ الْمَصْدَرَ الَّذِي يَجْمَعُ كُلَّ
مَكْتُوبٍ كَانَ نَزُولُهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. وَيَجُوزُ فِي قِرَاءَةِ مَنْ وَحَدَّ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْجَمْعُ، يَكُونُ
الْكِتَابُ اسْمًا لِلْجِنْسِ فَتَسْتَوِي الْقِرَاءَتَانِ"،^(١) فإن قيل إنّ اسم الجنس فيه زيادة عن
جمع التكسير من جهة الكثرة والعموم، قيل إنّ الجمع متى أضيف أو دخلته الألف
واللام الجنسيّة تحوّل إلى معنى الكثرة والعموم، يقول صاحب (التحرير والتنوير): "
وَالْحَقُّ أَنَّ الْمَفْرَدَ وَالْجَمْعَ سَوَاءٌ فِي إِرَادَةِ الْجِنْسِ، أَلَّا تَرَاهُمْ يَقُولُونَ، إِنَّ الْجَمْعَ فِي
مَدْخُولِ آلِ الْجِنْسِيَّةِ صُورِيٌّ، وَلِذَلِكَ يُقَالُ: إِذَا دَخَلَتْ آلُ الْجِنْسِيَّةِ عَلَى جَمْعٍ أَبْطَلَتْ
مِنْهُ مَعْنَى الْجَمْعِيَّةِ، فَكَذَلِكَ كُلُّ مَا أُرِيدَ بِهِ الْجِنْسُ كَالْمُضَافِ فِي هَاتَيْنِ الْقِرَاءَتَيْنِ،
وَالْإِضَافَةُ تَأْتِي لِمَا تَأْتِي لَهُ اللَّامُ".^(٢)
(طائر، طير)، (الطائر، الطير):^(٣)

ومما كان مضماراً للتعدّد واختلاف القراء قولهُ تعالى: " أَنِّي أَخْلَقْتُ لَكُمْ مِنْ
الطَّيْنِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ"^(٤) وقوله: " وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطَّيْنِ
كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي".^(٥) فقد قرأ أبو جعفر كلتا
الصيغتين بالإفراد، بإبدال يائهما همزة وإقحام ألف بعد الطاء على طريقة بناء اسم
الفاعل الثلاثي.

^١ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٤٢٨.

^٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٣، ص ١٣٢-١٣٣.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٨. شرح طيبة النشر، ص ٢٠٧. النشر في القراءات،

ج ٢، ص ٢٤٠. تحبير التيسير، ص ٣٢٣. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٣٩.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١١٢.

^٤ سورة آل عمران، الآية ٤٩.

^٥ سورة المائدة، الآية ١١.

وقد تبع نافع ويعقوب أبا جعفر في قراءة (طير) النكرة في السورتين؛ فقرأه (طائر) بدلاً من (طير) على التوحيد، وأمّا (الطير) المعرّف فإنّها قد قرأه بصيغة اسم الجمع، وقرأ باقي القراء الموضوعين كليهما بصيغة اسم الجمع. واختلف اللغويون في مسألة جمع (طائر): ففريق منهم ذهب إلى أنّ المفرد هو (طائر) وجمعه (طيور)، وروى أبو عمرو بن العلاء عن أبي عبيدة أنّه أجاز أن يقال: "طيراً للواحد، وجمعه على طيور"،^(١) وذكر أبو منصور الأزهري أنّه سمع من العرب من يقول: "لواحد الطيور: طير وطائر".^(٢) وأمّا النحويون فذهب أكثرهم إلى أنّ (الطير) جمع مفرده (طائر) وذلك قياساً على: شارب وشرب، وسافر وسفر،^(٣) ومنهم من رأى الطير جمعاً واحده (طائر)، ويجوز أن يجمع على (أطيّار وطيور).^(٤)

ويرى صاحب (الصّاح) أنّ لهذه اللفظة جموعاً ثلاثة قال: "الطائر جمعه طير، مثل صاحب وصحب، وجمع الطير طيور وأطيّار، مثل فرخ وفروخ وأفراخ"^(٥)، وإلى ذلك ذهب الرازي في معجمه^(٦)، وابن فارس في (المجمل)^(٧) ويزيد (ابن منظور) المسألة وضوحاً، فيبين أنّه "...يجوز أن يكون الطائر اسماً للجمع كالجامل

^١ الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، (ت: ٣٧٠هـ) (٢٠٠١م)، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، طير. معاني القراءات، ج١، ص٢٥٧.

^٢ الأزهري، معاني القراءات، ج١، ص٢٥٨.

^٣ الأزهري، معاني القراءات، ج١، ص٢٥٨.

^٤ أبو سهل الهروي، محمد بن علي بن محمد، (ت: ٤٣٣هـ)، (٢٠٠٠م)، إسفار الفصح، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ج٢، ص٨٧٧.

^٥ الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، (١٩٨٧م)، الصّاح تاج اللغة وصّاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، طير، ج٢، ص٧٢٧.

^٦ الرازي، مختار الصّاح، (طير)، ص١٩٤.

^٧ ابن فارس، مجمل اللغة، (طير)، ج١، ص٥٩١.

وَالْبَاقِرِ، وَجَمْعُ الطَّائِرِ أَطْيَارٌ، وَهُوَ أَحَدٌ مَا كُسِرَ عَلَى مَا يُكْسَرُ عَلَيْهِ مِثْلُهُ؛ فَأَمَّا الطُّيُورُ فَقَدْ تَكُونُ جَمْعَ طَائِرٍ كَسَاجِدٍ وَسُجُودٍ، وَقَدْ تَكُونُ جَمْعَ طَيْرٍ الَّذِي هُوَ اسْمٌ لِلْجَمْعِ، وَزَعَمَ قُطْرُبٌ أَنَّ الطَّيْرَ يَقَعُ لِلْوَاحِدِ؛ قَالَ ابْنُ سَيِّدَةَ: وَلَا أُدْرِي كَيْفَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ يَعْنِي بِهِ الْمَصْدَرُ، وَقُرِي: فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ".^(١)

وتأسيساً على هذه المباحثة وُجِّهت القراءة بِـ (طير) على الجمع؛ فهذه الصيغة ليست من أبنية الجموع، ولذلك قيل: إنها اسم جمع، " وإِنَّمَا الْبِنَاءُ فِي جَمْعِ طَائِرِ أَطْيَارٍ، وَجَمْعُ الْجَمْعِ طَيُورٌ"،^(٢) وقيل: إِنَّهُ اسْمٌ لِلْجِنْسِ يَرَادُ بِهِ الْقَلِيلُ وَالْكَثِيرُ، بَأَيَّةٍ أَنَّ اللَّهَ - خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ - قَدْ أَدْنَى لِعَيْسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ " أَنْ يَخْلُقَ طَيْرًا كَثِيرَةً وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقُ وَاحِدًا فَقَطْ"،^(٣) وروى عن الكسائي أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: " وَالطَّيْرُ يَكُونُ جَمْعًا وَوَاحِدًا وَحَجَّتَهُ أَنَّ اللَّهَ أَخْبَرَ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَخْلُقُ وَاحِدًا ثُمَّ وَاحِدًا".^(٤)

وأما القراءة بصيغة الإفراد فإنَّ أغلب العلماء لم يختلفوا في توجيهها إذ المراد بها الواحد من الطير على التعيين، فإنَّ عيسى - عليه السلام - لم يخلق سوى طائر واحد هو (الخفاش)^(٥)، قَالَ الْكَسَائِيُّ: " الطَّائِرُ وَاحِدٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ"^(٦)، وروى عن أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: " النَّاسُ كُلُّهُمْ يَقُولُونَ لِلْوَاحِدِ: (طَائِرًا) وَأَبُو عُبَيْدَةَ مَعَهُمْ"^(٧).

^١ ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٥٠٩.

^٢ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ١، ص ٤٣٩.

^٣ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٦٤. محيسن، القراءات، ج ١، ص ٣٠١.

^٤ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٦٤.

^٥ ابن عادل، اللباب، ج ٥، ص ٢٤٦. أبو حيان، البحر المحيط، ج ٣، ص ١٦٤. الثعالبي، أبو زيد

عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، (١٤١٨هـ)، الجواهر الحسان في

تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط ١، دار إحياء

التراث العربي، بيروت، ج ٢، ص ٤٧. أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي

الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، (ت: ١١٢٧هـ)، روح البيان، دار الفكر، بيروت،

ج ٢، ص ٣٧.

^٦ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٦٤.

^٧ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٢٥٧.

وأحسب أنّ هاتين القراءتين هما متقاربتان في المعنى؛ فقراءة أبي جعفر ذات الصيغة الإفرادية تعني أنّ عيسى - عليه السلام - قد سخر له الخالق المصور من معجزة نفخ الروح في ما تشكّل من طين فيحييه الطير بإذن المولى عزّ وجلّ، ولم يرد في التنزيل ولا في السنة الطاهرة ما ينصّ أنّ نبي الله وكلمته عيسى - عليه السلام - قد نفخ الروح بطير بعينه، الأمر الذي يدفعنا إلى الاعتقاد أنّ النفخ والإحياء كان معجزة لكلّ طير، وهذا يعني أنّ (الطائر) في هذه القراءة هو اسم جنس يشمل الواحد والجماعة، يقول الطبرسيّ مفسراً هذه القراءة: " ومن قرأ (طائراً): أراد فيكون ما أنفخ فيه، أو ما أخلقه طائراً فأفرد لذلك فسرّ أو أراد يكون كل واحد من ذلك طائراً، كما قال: " فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً "؛ أي: إجلدوا كل واحد منهم"؛^(١) ولذلك قيل إنّ (طائر) ههنا هو اسم للجمع، نحو: الحامل والباقر.^(٢)

وأما قراءة الجمهور ذات صيغة الجمع فإنّها في ظنيّ اسم جمع، كركب وسفر،^(٣) أو هو اسم جنس " يُراد به الواحدُ فما فوقه "،^(٤) أو هي جمع على أصله نحو: ركب جمع راكب، وصحب جمع صاحب، وتجر جمع تاجر،^(٥) حكاه أبو الحسن الأخفش،^(٦) قال أبو البقاء العكبري: " وأصل الطير مصدر طار يطير طيراً مثل باع يبيع بيعاً ثم سمّي الجنس بالمصدر ويجوز أن يكون أصله طيراً مثل سيد

(١) الطبرسيّ، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسيّ، (ت: ٥٨٤هـ)، (١٩٩٥م)، تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن، حققه وعلق عليه: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، قدم له: محسن الأمين العاملي، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ج ٦، ص ٦١.

(٢) العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، (ت: ٦١٦هـ)، (١٩٧٩م)، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج ١، ص ٢٣٢.

(٣) سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ٦٢٤. السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج ٣، ص ١٩٧.

(٤) السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج ٣، ص ١٩٧.

(٥) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٧٥.

(٦) الأخفش، معاني القرآن، ج ١، ص ٣١٦.

ثم خفف كما خفف سيد ويجوز أن يكون جمعاً مثل تاجر وتجر والطير واقع على الجنس والواحد طائر".^(١)

(إِصْرَهُمْ)، (أَصَارَهُمْ):^(٢)

قرأ ابن عامر (إِصْرَهُمْ) من قوله تعالى: " وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ"^(٣) بصيغة الجمع على وزن (أَفْعَالُ)، فقرأها (أَصَارَهُمْ)، وقرأها الباكون على التوحيد (إِصْرَهُمْ).

و(الإِصْر) هو مصدر يدلّ - مع إفراده - على الكثرة، قال تعالى: " رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا"^(٤)، كما ورد في مواضع أخرى مضافاً إلى ضمير الجمع، ومنه قوله - عزّ من قائل - " وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ"^(٥)، ولذلك رأى الفارسي أن: "...الوجه الإفراد كما أفرد في غير هذا الموضوع... فجعل إصراً وأصاراً، بمنزلة عدل وأعدل، ويقوي ذلك قوله: " وليحملن أنقاليهن وأنقالاً مع أنقاليهن" والثقل مصدر كالشبع والصغر والكبر".^(٦)

وقيل (الإِصْر) مصدر يدلّ على القليل والكثير^(٧)، وقيل: اسم للجنس^(٨) ومما يقوي هذا الوجه أن لفظة (الإِصْر) قد وردت في سياقات متعدّدة بصيغة المفرد،

(١) العكبري، إملاء مامنّ به الرحمن، ج١، ص١١٠. السمين الحلبي، الدر المصون، ج٢، ص٥٧٥.

(٢) ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص٧٦. شرح طيبة النشر، ص٢٣٨. تحبير التيسير، ص٣٧٩. النشر في القراءات، ج٢، ص٢٧٢. النويري، شرح طيبة النشر، ج٢، ص٣٣٩، ٣٤٠. محيسن، الهادي، ج٢، ص٢٥٣.

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٤) سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

(٥) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

(٦) الفارسي، الحجة، ج٤، ص٩٤. الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٥، ص٣٢٨. سورة العنكبوت، الآية ١٣.

(٧) ابن الجزري، شرح طيبة النشر، ص٢٣٨.

(٨) الدميّاطي، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدميّاطي، شهاب الدين، (ت: ١١١٧)، (٢٠٠٦م)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، ط٣، دار الكتب العلمية، لبنان، ص٣٠٢.

ومنه ما جاء في قوله تعالى: "رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا"،^(١) وقوله: " وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي"،^(٢) " فَرَدُّوا مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ إِلَىٰ مَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ".^(٣)

وبناءً على هذه المباحثة فسرت قراءة الجمع، فقيل هي: " مصدر يدل على القليل والكثير من جنسه"،^(٤) ف (الأصار) جمع مفرده (إصر)، وهو في اللغة الثقل،^(٥) وقيل: " العَهْدُ الثَّقِيلُ"^(٦)، " فسمي العهد إصراً لأن حفظ العهد يكون ثقيلاً. ويقال: يعني الأمور التي كانت عليهم؛ أي بني إسرائيل في الشرائع. ويقال: هو ما عهد عليهم من تحريم الطيبات".^(٧) " وَسُمِّيَ الذَّنْبُ إِصْرًا لِثِقَلِهِ".^(٨) ولما كانت دلالات هذه القراءة تتجه نحو العهود والمواثيق في جانب منها،^(٩) والأثقال والشدائد في جانب ثانٍ،^(١٠) وهذه الأخيرة من طبيعتها التعدد والتنوع، فإن في بناء الجمع ما يسد

^١ سورة البقرة، الآية ٢٨٦.

^٢ سورة آل عمران، الآية ٨١.

^٣ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٩٨.

^٤ ابن النحاس، إعراب القرآن، ج ٢، ص ٧٥.

^٥ المصدر نفسه.

^٦ الزبيدي، تاج العروس، (أصر)، ج ١٠، ص ٥٧. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢،

ص ٣٨١.

^٧ السمرقندي، بحر العلوم، ج ١، ص ٥٥٦.

^٨ الزبيدي، تاج العروس، (أصر)، ج ١٠، ص ٥٧.

^٩ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٣٠٠. الطبري، جامع البيان، ج ١٠، ص ٤٩٦. ابن

أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، (ت):

٣٢٧هـ)، (١٩٩٩م)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط ٣،

مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ج ٥، ص ١٥٨٣.

^{١٠} الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٤، ص ٢٩٣. السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد

الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، (ت: ٥٤٨٩هـ)، (١٩٩٧م)،

تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط ١، دار الوطن،

الرياض، السعودية، ج ٢، ص ٢٢٢. ابن النحاس، (١٩٨٩م)، معاني القرآن، تحقيق: محمد

علي الصابوني، ط ١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ج ٣، ص ٩٠.

هذا المطلب على التعيين، " وجمع ابن عامر كأنه أراد ضروباً من المآثم مختلفة، فجمع لاختلافها، والمصادر قد تجمع إذا اختلفت ضروبها كما تجمع سائر الأجناس، وإذا كانوا قد جمعوا ما يكون ضرباً واحداً كقوله: (١)

هَلْ مِنْ حُلُومٍ لِقَوْمٍ فَتُنْزِرَهُمْ مَا جَرَّبَ النَّاسُ مِنْ عَضِيٍّ وَتَضْرِيْسِيٍّ
فأن يجمع ما يختلف من المآثم أجدر. فجعل إصراً وأصاراً، بمنزلة عدل وأعدال، ويقوي ذلك قوله: " وليحملن أنقالهم وأنقالاً مع أنقالهم "، والنقل مصدر كالشبع والصغر والكبر". (٢)

وهناك من وجد في التجانس والانسجام اللفظي ما يسوغ قراءة ابن عامر؛ فـ (الأصل) في هذا السياق تلتقي مع (الأغلال) فكلاهما صيغت على بناء الجمع (٣). وإذا كانت هاتين القراءتين قد تباينتتا من جهة البنية الصرفية، فإن هذا الاختلاف لا يعني بالضرورة أنهما متفاوتتان في المعنى؛ فقراءة الجمهور بصيغة الإفراد تدل على أن (الإصر) الذي كان مفروضاً على بني إسرائيل لم يكن ضرباً واحداً بعينه؛ إنما كان ضرباً كثيرة عبر عنها اسم الجنس ذو الصيغة المفردة.

ومما يؤكد ما زعمناه أن هذا الاسم هو مصدر جاء مضافاً إلى ضمير الجماعة (هم)، فاكتمت بهذه النسبة معنى الكثرة، وهو ما بحثناه قبلاً عند تعرضنا لقراءة (خطيئتهم وخطيئاتهم). (٤)

وتأتي قراءة ابن عامر ذات الصيغة الجمع لتضيف إلى هذا المعنى بعداً آخر؛ لتبين أن ذلك الإصر لم يكن من نوع واحد ولا من صنف متجانس؛ إنها

١ جرير بن عطية الخطفي، (ت: ٥١١٤)، (١٩٨٦م)، ديوان جرير، تحقيق: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ص ٢٥١. الطوم: العقول، الواحد حلم.

٢ الفارسي، الحجة، ج ٤، ص ٩٤. الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٥، ص ٣٨٢. سورة العنكبوت، الآية ١٣.

٣ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٩٨.

(٤) انظر الدراسة، ص ٣١.

آصار متعدّدة ذات أحوال متغايرة متباينة، " والمصادر قد تُجمع إذا اختلفت ضروبها كَمَا يُجمع سَائِرُ الأَجْنَاسِ"،^(١) فدلّ بصيغة الجمع على عظم تلك الآصار، وكثرة متعلقاتها وأنواعها،^(٢) ومنبّهاً في الوقت نفسه على أنّها من الكثرة بمكان يصعب على المرء حصرها أو الإحاطة بها وهو ما تؤنن به قراءة الأفراد.

(مَسْجِدٍ)، (مَسَاجِدٍ):^(٣)

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (مسجد) من قوله تعالى: " ما كان للمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ"^(٤) على وزن (مَفْعَلُ) بصيغة المفرد على إرادة المسجد الحرام؛ بدليل إفراده في قوله تعالى: " فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا"،^(٥) وقوله - عزّ من قائل - : " وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ"^(٦) فدلّ ذلك على صحّة المراد. " قَالَ أَبُو عَمْرٍو وَتَصْدِيقُهَا قَوْلٌ " أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ".^(٧)

وربّما كانت الغاية من القراءة بالأفراد منصبّة نحو الشّمول والعموم؛ فيكون بذلك (المسجد) اسماً للجنس، " فيعم المساجد كلها"^(٨) فإنّه "... جائز في اللّغة، أن

(١) الفارسيّ، الحجّة، ج ٤، ص ٩٤. ابن سيده، (١٩٩٦م)، المخصّص، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٤، ص ٥٢. الطبرسيّ، تفسير مجمع البيان، ج ١٠، ص ١٢١.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، ج ٥، ص ١٩٥. السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج ٥، ص ٤٨١.

(٣) ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص ٧٧. شرح طيبة النشر، ص ٢٣٨. تحبير التيسير، ص ٣٧٩. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٧٨. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٣٩، ٣٤٠. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٥٣.

^٤ سورة التوبة، الآية ١٧.

^٥ سورة التوبة، الآية ٢٨.

^٦ سورة التوبة، الآية ١٩.

^٧ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٣١٥ - ٣١٦. محيسن، القراءات، ج ١، ص ٣٠٣.

^٨ مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسيّ القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، (ت: ٥٤٣٧هـ)، (٢٠٠٨م)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن

يكون المعنى في قوله: (مسجد الله) يعني به الجمع".^(١)

وأما القراء الباقون فإنهم قد اجتمعوا على القراءة في الآية نفسها بصيغة الجمع (مساجد) على وزن (مفاعل)،^(٢) على إرادة مساجد الله قاطبة،^(٣) فيشمل بذلك المسجد الحرام مع الاعتراف له بالسبق والأولوية، فـ " هو المراد وجمع؛ لأنه قبله المساجد".^(٤) وقراءة الجمع هي من اختيارات أبي عبيدة؛ لأن فيها معنى العموم " وَالْخَاصُّ يَدْخُلُ تَحْتَ الْعَامِّ ".^(٥)

وهناك من وجّه قراءة الجمع على إرادة (المسجد الحرام) وحده^(٦)؛ إذ " يجوز أن يحمل على المسجد الحرام، لأنه يذكر المساجد ويريد به مسجداً واحداً، كما قال: " يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ "، يعني به: النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "^(٧)، فيكون بذلك اسم جمع للجنس ظاهره الجمع وباطنه المفرد، وفي ذلك يقول ابن النحاس: "ومن قرأ" مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ " فتحتمل قراءته معنيين أحدهما أن يكون لجميع المساجد والآخر أن يراد به المسجد الحرام خاصة وهذا جائز فيما كان من أسماء الجنس كما يقال قد صار فلان يركب الخيل وإن لم يركب إلا فرساً والقراءة مساجد أصوب لأنه يحتمل المعنيين".^(٨)

وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي، ط ١، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة، ج ٤، ص ٢٩٥٠.

^١ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٤٤٨.

^٢ ابن الجزري، شرح طيبة النشر، ص ٢٤٥. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٥٧. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٧٦.

^٣ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٦، ص ٣١.

^٤ الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص ٣٠٢. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٨٩.

^٥ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٨٩.

^٦ ابن فارس، الصاحبى، ص ١٦٢.

^٧ السمرقندي، بحر العلوم، ج ٢، ص ٤٥. سورة المؤمنون، الآية ٥١.

^٨ ابن النحاس، معاني القرآن، ج ٣، ص ١٩١. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٨٩.

وأحسب أن توجيه هاتين القراءتين يقع من جهة المعنى الذي يتحصّل من اشتغال البنية الصرّفيّة في سياقاتها التركيبية على التّعيين؛ فالقراءة بصيغة التوحيد تحقّق معنى التفرّد والتخصيص، فـ (المسجد) هو المسجد الحرام " قبلة المساجد كلها وإمامها"،^(١) يفضّل بقاع الأرض في قدسيّة المكان وحرمة المحلّ والجوار، لا يقصده إلّا المسلمون المؤمنون، ولا يعمره إلا من صدق عليه قول ذو الجلال والإكرام: " وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنْقَوْنَ"^(٢)، وهذا الحكم يسري على جميع مساجد المعمورة، " في أنّه ينبغي أن يكون عمّاره أهله الذين هم أولى به"^(٣). ويزداد التّعبير القرآنيّ بلاغة والمعنى بياناً بقراءة الجمع، فـ (المساجد) تعمر بقاع الأرض، وهي مع كثرتها وتعدّد سكانها تشترك هي والمسجد الحرام في انفراد العمارة للمسلمين؛ فـ " إنّ المشركين ليسوا بأولياء لمساجد المسلمين، لا المسجد الحرام ولا غيره، فإذا لم يكونوا أولياءها لم تكن لهم عمارتها، وإنّما عمارتها للمسلمين الذين هم أولياءه، فدخل في ذلك المسجد الحرام وغيره"^(٤). ومما يؤكد ذلك أنّ القراء العشرة قد اتّفقوا على القراءة بصيغة الجمع في قوله تعالى: " إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ "؛^(٥) إذ المراد جميع المساجد دون أي تحديد أو تخصيص،^(٦) وفي ذلك اتّساع في الدلالة وتعميم في المعنى؛ فـ " إنّ الخاصّ يدخل في العام، والعام لا يدخل في الخاص".^(٧)

^١ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٨٩.

^٢ سورة الأنفال، الآية ٣٤.

^٣ الفارسي، الحجة، ج ٤، ص ١٧٩.

^٤ الفارسي، الحجة، ج ٤، ص ١٨٠.

^٥ سورة التوبة، الآية ١٨. ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٧٨.

^٦ ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٧٨. الدّمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص ٣٠٢.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٧٦.

^٧ ابن خالويه، الحجة، ص ١٧٤.

(كافِر)، (كُفَّار):^(١)

وقد قرأ بالصيغة الأولى (المفرد): عاصم ويعقوب وابن عامر وحمزة والكسائي وخلف العاشر، وقرأ الباقر بصيغة جمع التكسير، وذلك من قوله تعالى: " وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ " (٢).

فتحتمل قراءة الإفراد معنى جماعة الكفار، وهي بذلك تكون اسماً للجنس يراد به الكثرة والشيوخ،^(٣) كما في (الإنسان) من قوله تعالى: " إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ " (٤). يقول الفارسي: " وقد جاء فاعل يراد به اسم الجنس، أنشد أبو زيد:

إِنْ تَبَخَّلِي، يَاجُمْلُ، أَوْ تَعْتَلِّي أَوْ تُصْبِحِي فِي الظَّاعِنِ الْمُؤَلِّي

فهذا إنما يكون على الكثرة، وليس المعنى على كافر واحد " (٥).

ويروى عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن (الكافر) ههنا هو (أبو جهل)،^(٦) ونسب صاحب (الكشاف) هذا القول للكلمي^(٧)، ونسبه ابن زنجلة لأبي عمرو بن العلاء^(٨).

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨١. شرح طيبة النشر، ص ٢٥٧. تحبير التيسير، ص ٤٢٣. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٩٨. النويري، النشر في القراءات، ج ٢، ص ٤٠٠. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٣٣٨.

^٢ سورة الرعد، الآية ٤٢.

^٣ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ٥٨. ابن خالويه، الحجة، ص ٢٠٢. السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٧، ص ٦١. ابن عادل، اللباب، ج ١١، ص ٣٢٤. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٣، ص ٣١٩. الشوكاني، الفتح القدير، ج ٣، ص ١٠٨.

^٤ سورة العصر، الآية ٢.

^٥ الفارسي، الحجة، ج ٥، ص ٢٢. والبيت نسبه الجوهرى وابن منظور إلى: مَنْظُورٌ بِنِ مَرْتَدِ الْأَسْدِي. الجوهرى، الصحاح، ج ٥، ص ١٧٧٩. ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤٨١. البغدادي، خزائن الأدب، ج ٦، ص ١٣٥.

^٦ ابن خالويه، الحجة، ص ٢٠٢. الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٩، ص ٥٤. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ)، (٢٠٠٢م)، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط ١، دار الكتاب العربي، بيروت، ج ٢، ص ٥٠٢.

^٧ الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٥٨٢.

^٨ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٣٧٥.

وأما من قرأ بصيغة الجمع فإنه " أراد جميع الكفار "،^(١) ولعل في سياق الآية ما يقوي هذه القراءة؛ فإن " الكلام أتى عقيب قوله " وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ " ثم قال: " وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ " بلفظ ما تقدمه ليأثف الكلام على سياق واحد وفي التنزيل ما يقوي هذا وهو قوله: " وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ "،^(٢) وإلى ذلك ذهب الطبري حيث يقول: " والصواب من القراءة في ذلك، القراءة على الجميع: " وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ " لأن الخبر جرى قبل ذلك عن جماعتهم، وأتبع بعده الخبر عنهم، وذلك قوله: " وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ " وبعده قوله: " وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا " . وقد ذكر أنها في قراءة ابن مسعود: " وَسَيَعْلَمُ الْكَافِرُونَ "، وفي قراءة أبي: " وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا "، " وذلك كله دليل على صحة ما اخترنا من القراءة في ذلك " .^(٣)

وهناك من ساوى بين القراءتين؛ فـ " ... معنى الكفار والكافر ههنا واحداً. الكافر اسم للجنس، كما تقول قد كثرت الدراهم في أيدي الناس. وقد كثرت الدرهم في أيدي الناس "،^(٤) يقول ابن عاشور: " وَالْمُفْرَدُ وَالْجَمْعُ سَوَاءٌ فِي الْمَعْرِفِ بِلَامِ الْجِنْسِ " .^(٥)

ومهما يكن من أمر القراءة بالإفراد أم بالجمع، فإن كلتا القراءتين تبقى صحيحة لا يمكن المفاضلة بينهما؛ " لأن القراءة سنة "،^(٦) ويبقى البون في الدلالة هو ما يمكن الوقوف عنده، فالقراءة بصيغة جمع التفسير تعني أن مآل الأمر سيعلمه جميع

^١ الواحدي، التفسير الوسيط، ج ٣، ص ٢١.

^٢ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٣٧٥.

^٣ الطبري، جامع البيان، ج ١٦، ص ٥٠٠.

^٤ الزجاج، معاني القرآن، ج ٣، ص ١٥١.

^٥ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٣، ص ١٧٤.

^٦ الزجاج، معاني القرآن، ج ٣، ص ١٥١.

الكفار، وأما قراءة الأفراد فتدلّ على أنّ العلم بما سيكون من عقبى الدار سيشمل كل من وقعت عليه صفة الكفر من الناس فيعم بذلك جنس الكافرين على الإطلاق.

(عظم، عظام)، (العظم، العظام): (١)

وعلى هدي قراءة (صلواتهم) و(أماناتهم) وجّه اختلاف القرّاء في (عظام، العظام) من قوله تعالى: " فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا " (٢) فقرأ ابن عامر وشعبة هاتين اللَّفْظَتَيْنِ بفتح العين وسكون الظاء بصيغة المفرد (٣) على سبيل إقامة المفرد مقام الجمع، " وقد ينوب العظم عن العظام " (٤)، وهو اسم للجنس يدل على العموم. (٥) وقرأها الباقر بكسر العين وفتح الظاء صيغة للجمع على سبيل الحقيقة؛ إذ العظم ممّا كثر أنواعه واختلف أجناسه، منها: الدقيقّة والغليظة والمستديرة والمستطيلة ومنه قوله تعالى: " وَأَنْظِرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِرُهَا " (٦) (سَقْفًا)، (سُقْفًا): (٧)

قرأ ابن كثير وأبو جعفر وأبو عمرو (سَقْفًا) على وزن (فَعَلٌ) في قوله تعالى: " وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ "

^١ ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص ٨٧. شرح طيبة النشر، ص ٢٨٢. تحبير التيسير، ص ٤٧٤.

النشر في القراءات العشر، ج ٢، ص ٣٢٨. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٦٧.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٧٤.

^٢ سورة المؤمنون، الآية ١٤.

^٣ ابن الجزريّ، شرح طيبة النشر، ص ٣٢٦. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٦١٠.

^٤ الأزهرّيّ، معاني القراءات، ج ٢، ص ١٨٨.

^٥ محيسن، القراءات، ج ١، ص ٣٠٥. الهادي، ج ٣، ص ١٨٨.

^٦ سورة البقرة، الآية ٢٥٩.

^٧ ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص ٩٥. شرح طيبة النشر، ص ٣٠٨. تحبير التيسير،

ص ٥٤٨. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٦٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٥١.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٢١٤.

وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ^(١) بصيغة المفرد اسماً للجنس،^(٢) "والمراد به الجمع"^(٣)، قال الزجاج: "وَالسَّقْفُ واحد يدلُّ على الجمع فالمعنى: جعلنا لبيت كلِّ واحد منهم سقفاً من فضة".^(٤)

وقرأ الباقر (سُقفاً) بضمِّ السَّيْنِ والقاف بزنة (فُعُل) بصيغة الجمع، قال الفراء: "وإن شئت جعلت واحدها سقيفة، وإن شئت جعلت سقوفاً، فتكون جمع الجمع كما قال الشاعر:

حَتَّى إِذَا بُلَّتْ حَلَاقِيمَ الْحُلُقِ أَهْوَى لِأَدْنَى فَقْرَةٍ عَلَى شَفَقِ".^(٥)

وقد جمع (سُقفاً) في هذه القراءة قياساً على (رَهْن) و(رُهْن)،^(٦) وفي ذلك يقول أبو عبيدة: "سُقفاً واحدها سَقْفٌ مجازها مجاز رَهْنٌ ورُهْنٌ"^(٧)، وهذه الأخيرة عند أكثر النحويين هي جمع رِهَانٍ.^(٨)

وليست (سُقْف) في هذه القراءة جمع لـ (سَقْف) إنما هي جمع لـ (سُقوف)؛ إذ ليس في العربية " اسم على تقدير فَعَلْ بفتح الفاء وسكون العين مجموعاً على فُعُل، فيجعل السُقْفُ والرُهْنُ مثله"،^(٩) ولذلك قيل إنَّ (سُقْف) هنا هي جمع الجمع؛^(١٠) فإنهم قد جمعوا سُقفاً على سُقُوف، نحو: "فَلَسْ وَفُلُوسٌ، ثُمَّ جَعَلُوا فُعُولاً كَأَنَّهُ اسْمٌ وَاحِدٌ

^١ سورة الزخرف، الآية ٣٣.

^٢ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٧، ص ٦٣١. السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٩، ص ٥٨٥. ابن عادل، اللباب، ج ١٧، ص ٢٥٦. الشربيني الشافعي، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ-)، (١٢٨٥هـ)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة، ج ٣، ص ٥٦٢.

^٣ النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٥١.

^٤ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٤، ص ٤١٠. السمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ٢٥٧. ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٤، ص ٧٧.

^٥ الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ٣٢. لم أفق على صاحب هذا البيت وهو في التهذيب ج ٨، ص ٣١٥. وفي اللسان، ج ٩، ص ١٥٥. وهو بلا نسبة.

^٦ الفارسي، الحجة، ج ٦، ص ١٤٨. الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٢٤٩.

^٧ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ٢، ص ٢٠٢.

^٨ مكِّي، الهداية، ج ١٠، ص ٦٦٥٨.

^٩ الطبري، جامع البيان، ج ٢١، ص ٥٩٨.

^{١٠} القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ٨٤. الشوكاني، الفتح القدير، ج ٤، ص ٦٣٥.

فَجَمَعُوهُ عَلَى فُعْلٍ، فقالوا: سقوف جمعها سُقُفٌ^(١). وهناك من وجد في المطابقة والمجانسة اللَّفْظِيَّة ما يوجّه به قراءة الجمع؛ فَـ (سُقُف) تتقابل مع (بيوت) فكلاهما جمع^(٢)، وقيل أنّ الجمع في هذه القراءة قد راعى مطابقة اللَّفْظ والمعنى؛ فَـ " لكل بيت سقفاً، فلما كانت البيوت مجموعة في هذا السّياق، كان في جمع السّقوف ما يلبي هذا المطلب"^(٣).

وليس لنا أن نفاضل بين هاتين القراءتين؛ فكلاهما قراءة صحيحة مقطوع بتواترها، فَـ (سُقُف) في القراءة الأولى هي اسم مفرد يطلبه جمع التّكسير (بيوت)، فكلّ بيت له سقف يغطّيه؛ فاستحقّ بهذه الدّلالة أن يتحمّل معنى العموم الذي يدلّ عليه اسم الجنس، قال مجاهد: " كلّ شيء من السّماء فهو سقف، وكلّ شيء من البيوت فهو سقف بضمّتين "^(٤).

وتأتي قراءة الجماعة لتؤكد هذا المعنى؛ فَـ (سُقُف) هي جمع سُقُف، " كَرَهْنٍ وَرُهْنٍ"^(٥)، إلّا أنّ من العلماء من ذهب إلى حمل هذا الجمع على القلّة، بل حمله بعضهم على الشّدوذ، قال الزّبيدي في كتاب (الاستدراك على العين): " قل ما يجمع فَعْلٌ على فُعْلٍ إلّا حروفاً محكيّة، نحو: سُقُفٌ وَسُقُفٌ، وَرُهْنٌ وَرُهْنٌ "^(٦).

ويميل الباحث إلى هذا المذهب الأخير؛ ذلك أنّ مطّرد الاستعمال يجعل صيغة (فُعْل) لما كان وصفاً على زنة (فَعُول) بمعنى (فاعِل)، نحو: غُفُورٌ وَغُفُورٌ، وَصَبُورٌ وَصَبُورٌ، " بخلاف: حُلُوبٌ وَرُكُوبٌ فإنّهما بمعنى: مَفْعُولٌ"^(٧)، كما يطّرد في كل اسم رباعيّ معتلّ الحرف الثّالث، صحيح اللّام، مذكراً أو مؤنثاً، نحو: حِمَارٌ

^١ القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ٨٤.

^٢ مكّي، الهداية الى بلوغ النهاية، ج ١٠، ص ٦٦٥٨.

^(٣) محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٢١٤.

^(٤) الفارسيّ، الحجّة، ج ٦، ص ١٤٨.

^(٥) الرازيّ، مختار الصحاح، (سقف)، ص ١٥٠.

^(٦) السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٥٩١١) (١٩٩٨م)، المزهَر

في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت،

ج ٢، ص ١١٢.

^(٧) الأزهرّي، شرح التصريح، ج ٢، ص ٥٢٩.

وَحُمْرٌ، وَكُرَاعٌ بِالضَّمِّ وَكُرْعٌ، وَقُضَيْبٌ وَقُضْبٌ، وَعَمُودٌ وَعُمْدٌ. (١) وبناءً على ما تقدّم يعتقد الباحث أنّ (سُقْف) في القراءة الثانية هي جمع (سقوف). التي واحدها (سُقْف)، فهي إذن جمع جمع، " كَأَنَّكَ قَلْتَ: سَقْفٌ وَسُقُوفٌ، ثُمَّ سُقُفٌ "، (٢) حكاها الفراء، (٣) وأنشد عليه قول رؤبة: (٤)

حَتَّى إِذَا بُلَّتْ حَلَاقِيمُ الْحُلُقِ أَهْوَى لِأَدْنَى فِقْرَةٍ عَلَى شَفَقِ

ولعلّ في هذا التوجيه الأخير فضل بيان من أنّ هذه البيوت هي كثيرة عديدة، فكُنِيَ باسم الجنس عن هذا المعنى، ثم جاءت قراءة الجمهور لتؤكد تلك الدلالة، ومما يعضد ذلك عطف المعارج على (سقفا)، وهي اسم جمع أو جمع تكسير " وهي المصاعد إلى العلالى ". (٥)

(ثُمْرِهِ، ثُمْرِهِ) (٦)، (ثُمْرٌ، ثُمْرٌ): (٧)

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٢٩، ٥٣٠. الحماوي، شذا العرف، ص ٨٨. ويشترط في مفرده أيضاً ألا يكون مضعفاً مدته ألف. ثم إن كانت عين هذا الجمع واواً وجب تسكينها، كسُورٍ وسُوكٍ جمعِي سوارٍ وسواكٍ، وإلا جاز ضمُّها وتسكينها، نحو: قُذْلٌ بضمّتين، وقُذْلٌ بالسكون، وسُيْلٌ بضمّتين، وسَيْلٌ بكسر فسكون، جمع سَيْالٍ، فإن إن سكنت الياء وجب كسر ما قبلها.

(٢) الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٨، ص ٣١٥. ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ١٥٥، (سقف).

(٣) الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ٣٢.

(٤) لم أجد هذا البيت في ديوان رؤبة. وقد نسبه ابن رشيق إلى رؤبة، ابن رشيق، أبو علي

الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٥٤٥٦هـ)، (١٩٨١م)، العمدة في محاسن الشعر

وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الجيل، ط ٥، بيروت، لبنان، ج ٢،

ص ٢٧٤.

(٥) الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٢٤٩.

(٦) ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٣. تحبير التيسير، ص ٣٦٠، ٣٦١. النشر، ج ٢،

ص ٢٦٠.

(٧) ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٣. تحبير التيسير، ص ٤٤٤. النشر في القراءات، ج ٢،

ص ٣١٠.

وقد تعددت مذاهب القراء في هذه الكلمة، حيث وردت في التنزيل في أكثر من موضع على هيئات متباينة، ومن ذلك ما ورد في قوله عزّ من قائل: " انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ"^(١)، وقوله: " كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ"^(٢)، وقوله تعالى: " لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ "^(٣) فقد قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر (ثْمُرُهُمْ) على وزن (فُعْلُهُمْ)،^(٤) جمع الجمع لـ (ثَمَار)،^(٥) قال الزجاج: " يقال: ثَمَرَةٌ، ثَمْرٌ، وَثَمَارٌ، وَثْمُرٌ فَمِنْ قَرَأَ: (إِلَى ثَمْرِهِ) بِالضَّمِّ أَرَادَ جَمْعَ الْجَمْعِ."^(٦)

وقرأها الباقون (ثَمَرِهِ) على وزن (فَعَلَةٌ) اسم جنس جمعيّ واحده (ثَمَرَةٌ)، نحو: بَقْرَةٌ وَبَقْرٌ، وَشَجَرَةٌ وَشَجَرٌ، وَجَزْرَةٌ وَجَزْرٌ، بآية قوله تعالى: " وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ."^(٧)

واختلف القراء العشر أيضاً في قوله تعالى: " وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ"^(٨) وقوله تعالى: " وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ"^(٩)، فقرأ عاصم وأبو جعفر وروح (ثَمْرٌ، بِثَمْرِهِ) معاً بفتح (الثاء والميم) فيهما، على وزن (فَعَلَ)، وقرأ رويس (ثَمْرٌ) بفتح الثاء والميم، و(بِثَمْرِهِ) بضم الثاء والميم،^(١٠) وانفرد أبو عمرو بن العلاء بقراءة الموضعين بضمّ الثاء

^١ سورة الأنعام، الآية ٩٩.

^٢ سورة الأنعام، الآية ١٤١.

^٣ سورة يس، الآية ٣٥.

^٤ ابن الجزريّ، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٠٩. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣١٠. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٠٥.

^٥ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ١، ص ٢٠٧. السمرقندي، بحر العلوم، ج ١، ص ٤٧١. الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٤، ص ١٧٤.

^٦ ابن الجوزيّ، زاد المسير، ج ٢، ص ٦٠.

^٧ سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ٥٨٣. الفارسيّ، الحجة، ج ٣، ص ٣٦٦. سورة النحل، الآية ٦٧.

^٨ سورة الكهف، الآية ٣٤.

^٩ سورة الكهف، الآية ٤٢.

^{١٠} ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص ٨٣. شرح طيبة النشر، ص ٢٢٦. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣١٠. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٣٠. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ١١.

وإسكان الميم على وزن (فُعْل) على سبيل جمع الجمع، أو هي اسم جنس جمعي؛ فشانها شأن (ثُمْر)، فالأمر لا يعدو أن يكون سوى أن البنية قد خَفَّتْ من (ثُمْر) إلى (ثُمْر)؛ لنقلها نحو قولهم: رُسِّلُ ورُسِّلٌ. (١) وقرأ الباقرن الموضعين كليهما بضم الميم والناء، على وزن (فُعْل).

وعوداً على (سُقْف وسُقْف) و(رُهْن ورُهْن)، فقد وردت هذه القراءات بالصيغة نفسها التي جاءت عليها هذه الكلم إلا في فرق يسير يتعلّق بفتح وإسكان عين (ثُمْر) عند بعض القراء؛ ولذلك لن يسلّط الباحث الضوء عليها إلا بالقدر الذي يكفل معه عدم التكرير والإعادة.

وإذا كان الباحث قد تكوّن له اعتقاد بأن صيغة (فُعْل) في (سُقْف) و(رُهْن) يمكن أن تكون جمع الجمع، فإنّ ذلك ينسحب على (ثُمْر) عند من قرأها بهذه الصيغة، ولكن هذا الجمع غير مطّرد عند "سيبويه وجماهير أتباعه" (٢) فهل تسعفنا اللّغة بتوجيه آخر يقرب هذه القراءة من ناموس المطّرد في الاستعمال؟

إنّ من أمعن النظر في أمّهات كتب اللّغة والتصريف يجد أنّ العرب قد جمعت ما كان واحده على زنة (فَعْلَة) على عدّة أوزان، منها: (فُعْل)، نحو: خَشَبَة وخَشْب، (٣) يقال: "أَكْمَة وأَكَمٌ مِثْلُ ثَمْرَة وثَمْر، وَجَمَعُ أَكْمَة أَكْمٌ كَخَشَبَة وخَشْب"، (٤) قال ابن سيده: "وقد يجوزُ أن يكون الثُمْرُ جمعَ ثَمْرَة كَخَشَبَة وخَشْب وأن لا يكون جمعَ ثَمْرٍ لأنّ بابَ خَشَبَة وخَشْب أكثرُ من بابِ رِهَانٍ ورُهْنٍ أعني أنّ جمعَ الجَمْعِ قَلِيلٌ في كَلَامِهِمْ وحكى سيبويه في الثَمْرِ ثَمْرَة وَجَمَعَهَا ثَمْرٌ كَسَمْرَة وَسَمْرٌ قال ولا يُكْسَرُ لِقَلَّةِ فَعْلَة في كَلَامِهِمْ ولم يحك الثَمْرَة أحدٌ غيرُه". (٥)

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٣، ص ١١.

(٢) السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٢، ص ٦٨٠.

(٣) ابن دريد، جمهرة اللّغة، ج ٣، ص ١٣٣٣.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، (أكم)، ج ١٢، ص ٢٠. والأكمة: "نَلٌّ وَقِيلَ شُرْفَةٌ كَالرَّابِيَةِ وَهُوَ مَا اجْتَمَعَ مِنَ الْحَجَارَةِ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ وَرَبْمَا غُلْظٌ وَرَبْمَا لَمْ يَغْلُظْ"، الفيومي، المصباح المنير، (أكم)، ج ١، ص ١٨.

(٥) ابن سيده، المحكم، (ثمر)، ج ١٠، ص ١٤٦. سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ٥٧١، ٥٨٤.

ويحسب الباحث أنّ هذا التّوجيه هو الأقرب إلى واقع اللّغة؛ ذلك أنّ (ثُمْر) في هذه القراءة هو اسم جنس جمعي واحده (ثَمْرَة) وهذا النّوع من الجمع ممّا شاع استعماله وكثرت شواهد؛ لذلك يمكن الزّعم أنّ حمل (ثُمْر) على اسم الجنس أولى من جعله جمع الجمع؛ وممّا يقوّي هذا الظنّ أنّ اسم الجنس يدلّ بصيغته على الكثرة التي يمكن أن نلمحها في جمع الجمع، مع الاعتراف لهذا الأخير بزيادة الكثرة، فإذا كان اسم الجنس يؤدّي قريب من الدّلالة التي يحملها جمع الجمع، فإنّ الحمل على الكثير المطرّد أولى من الحمل على القليل غير المطرّد.

وإلى جانب هذا الوجه الاستعماليّ ثمة عيار آخر يمكن أن يؤخذ بعين الاعتبار عند توجيه هذه القراءة، إنّ المعنى المعجميّ؛ فإننا نجد أنّ العربيّة قد سمّت أنواع المال (ثَمْر)،^(١) قال الجوهريّ: "والثُمْرُ أيضاً: المال المَثْمُرُ ... وأثمر الرجل، إذا كثرَ ماله. وثَمَرَ اللهُ ماله، أي كثره"،^(٢) قال الفراء: "حدّثني يعلى، عن ابن نجّيح، عن مُجاهد، قال: ما كان في القرآن من (ثُمْر) فهو مال: وما كان من (ثَمْر) فهو الثَّمار".^(٣) وبناءً على ذلك يمكن القول: إنّ قراءة (ثَمْر) بالفتح تعني عامّة الثَّمار ممّا يحمله النبات والشجر، وإنّ قراءة الضمّ هي بيان عن أنواع المال التي منها الثَّمار؛ فهي حركة دلاليّة من الخاص إلى العام، فكان في ذلك إثراء للمعنى وزيادة في بلاغة الخطاب.

وأحترس هنا لأبّين أنّ هذا التّوجيه الدلاليّ هو خاصّ بآية الكهف على التّعيين؛ إذ لا يمكن تعميمه على جميع السياقات التي ورد فيها لفظة (ثَمْر)؛ ولعلّ هذا ما يفسّر لنا رفض يونس وجود فرق بين اللفظتين؛ "كأنَّهُما كانا عنده سَوَاء".^(٤)

(١) الفراهيديّ، كتاب العين، (ثمر)، ج ٨، ص ٢٢٤.

(٢) الجوهريّ، الصحاح، (ثمر)، ج ٢، ص ٦٠٦.

(٣) الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ١٤٤. الأزهرّيّ، تهذيب اللّغة، (ثمر)، ج ١٥، ص ٦٢.

(٤) الأزهرّيّ، تهذيب اللّغة، (ثمر)، ج ١٥، ص ٦٢.

(نِعْمَةٌ)، (نِعْمَةٌ): (١)

وقرأ حفص وأبو عمرو ونافع وأبو جعفر (نِعْمَةٌ) من قوله تعالى: "وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً" (٢) على وزن (فِعْلٌ) جمع تكسير واحده "نِعْمَةٌ كَسِدْرٌ وَسِدْرَةٌ". (٣)

وقرأ الباقر (نِعْمَةٌ) اسم مصدر على وزن (فِعْلَةٌ) من قولهم: "أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ يُنْعَمُ إِنْعَامًا وَنِعْمَةً، أُقِيمَ الْأَسْمُ مَقَامَ الْإِنْعَامِ، كَقَوْلِكَ: أَنْفَقْتَ عَلَيْهِ إِنْفَاقًا وَنَفَقَةً بِمَعْنَى وَاحِدٍ" (٤)، وهو في الوقت نفسه "اسْمٌ جِنْسٌ يُرَادُ بِهِ الْجَمْعُ، وَيَدُلُّ بِهِ عَلَى الْكَثْرَةِ" (٥)؛ حيث إنَّ المفرد قد يدل على الكثرة نحو قوله: "وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا" (٦)، وهو بذلك نظير قول العرب: "كثُرَ الدِّينَارُ وَالدَّرْهَمُ، وَالْأَرْضُ سَيْفٌ وَفَرَسٌ، وَهَذَا أَبْلَغُ فِي التَّكْثِيرِ مِنْ لَفْظِ الْجَمْعِ، قَالَهَا بِنُ شَجْرَةَ". (٧)

ويرى الباحث أنَّ المعنى في كلتا القراءتين واحد أو على حدِّ قول الطَّبْرِيِّ: "مُتَقَارِبَتَا الْمَعْنَى"؛ (٨) ف (النَّعْمَةُ) بصيغتها الإفرادية قد تحمل في طياتها معنى

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩١. شرح طيبة النشر، ص ٢٩٥. تحبير التيسير، ص ٥٠٨. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٤٧. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٠٥. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ١٣٦.

^٢ سورة لقمان، الآية ٢٠.

^٣ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٤، ص ٣٥٢. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ٧٣. الفيومي، المصباح المنير، (نعم)، ج ٢، ص ٦١٣.

^٤ الأزهرى، تهذيب اللغة، (نعم)، ج ٣، ص ٩.

^٥ الشوكاني، الفتح القدير، ج ٤، ص ٢٧٧. ابن عادل، اللباب، ج ١٥، ص ٤٥٤. القنوجي، فتح البيان، ج ١٠، ص ٢٩٠.

^٦ الواحدي، التفسير الوسيط، ج ٣، ص ٤٤٥. سورة النحل، الآية ١٨.

^٧ الماوردي، النكت والعيون، ج ٤، ص ٣٤٢. وابن شجرة هو: أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة بن منصور بن كعب بن يزيد أبو بكر البغدادي (ت: ٣٥٠هـ)، كان عالماً بالأحكام وعلوم القرآن والنحو والشعر والتاريخ وأصحاب الحديث، تقلد قضاء الكوفة. البغدادي، تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٥٨٧. الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت: ٩٤٥هـ)، طبقات المفسرين للداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر، ج ١، ص ٦٥.

^٨ الطبري، جامع البيان، ج ٢٠، ص ١٤٨.

الجمع؛^(١) بآية قوله تعالى: " وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا "،^(٢) يقول الطبري: " فمعلوم أنه لم يعن بذلك نعمة واحدة. وقال: " وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ "، فجمعها، فبأيّ القراءتين قرأ القارئ ذلك فمصيب"^(٣)، وفي ذلك يقول ابن عاشور: " وَلَمَّا كَانَ الْمُرَادُ الْجِنْسَ اسْتَوَى فِيهِ الْوَاحِدُ وَالْجَمْعُ. وَالتَّكْوِينُ فِيهَا لِلتَّعْظِيمِ فَاسْتَوَى الْقِرَاءَتَانِ فِي إِفَادَةِ التَّوْيِهِ بِمَا أُسْبَغَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ " .^(٤)
(كِسْفًا)، (كِسْفًا):^(٥)

وقد كانت هذه الكلمة مضمارةً للتعدد والاختلاف بين القراء العشرة في

أربعة مواضع من التنزيل، وهي:

- ١- قوله تعالى: " أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا " .^(٦)
 - ٢- وقوله عز من قائل: " فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ " .^(٧)
 - ٣- وقوله جلّ جلاله: " وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ " .^(٨)
 - ٤- وقوله: " إِنْ نَشَأْ نُخَسِفُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ " .^(٩)
- فقد قرأ حفص (كِسْفًا) في موضعي الشعراء وسبأ بفتح السين على وزن (فَعَلًا) جمع تكسير لأدنى العدد " ما بين الثلاث إلى العشر "،^(١٠) واحده

^١ البغوي، معالم التنزيل، ج ٣، ص ٥٩٠.

^٢ سورة إبراهيم، الآية ٣٤.

^٣ الطبري، جامع البيان، ج ٢٠، ص ١٤٨. والآية من سورة النحل، الآية ١٢١.

^٤ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢١، ص ١٧٤.

^٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٣. شرح طيبة النشر، ص ٢٦٦. النشر، ج ٢، ص ٣٠٩.

تحرير التيسير، ص ٤٤٠. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٢٦. محيسن، الهادي،

ج ١، ص ٧٩.

^٦ سورة الإسراء، الآية ٩٢.

^٧ سورة الشعراء، الآية ١٨٧.

^٨ سورة الروم، الآية ٤٨.

^٩ سورة سبأ، الآية ٩.

^{١٠} الطبري، جامع البيان، ج ١٧، ص ٥٥٠.

(كِسْفَةً) وهي القطعة،^(١) قال النحاس: " وذكر السماء ليذلّ على الجمع،^(٢) وروي عن أبي عبيد قوله: " كسفا متحرّكة السّين جمع كسفة مثل قِطْعَة وقَطع وكسرة وكسر ".^(٣)

فقد قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم وابن عامر موضع الإسراء وحده بفتح السّين، وقرأ نافع وأبو جعفر وابن عامر وشعبة موضع سبأ والشّعراء بإسكان السّين، وقرأ الباقر في المواضع الثلاث بإسكان السّين. وقرأ أبو جعفر وابن ذكوان موضع الروم بالإسكان، واختلف عن هشام فروي عنه الفتح والإسكان، وقرأه الباقر بالفتح.

وقرأ الباقر (كِسْفًا) في المواضع الأربع بسكون العين على وزن (فَعَلًا) اسماً مفرداً جمعه (كِسْفًا)^(٤) أو هو مصدرًا مشتق - كما يقول الزجاج - من قولهم: " كسفت الشّيء أي غطيته، ويقال: " كسفت الشّمس النّجوم "، إذا غطّت نورها،^(٥) وفي (اللسان): " وكَسَفَ الشّيءَ يَكْسِفُهُ كَسْفًا وَكَسَفَهُ، كِلَاهُمَا: قَطَعَهُ، وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ التَّوْبَ وَالْأَدِيمَ. وَالْكَسْفُ وَالْكَسْفَةُ وَالْكَسِيفَةُ: الْقِطْعَةُ مِمَّا قَطَعْتَ " ^(٦) ويجوز أن يكون اسم جنس جمعيّ واحده (كِسْفَةٌ)، يراد به الكثير،^(٧) نحو: سِدْرَةٌ وَسِدْرٌ،^(٨) " وذكر السماء ليذلّ على الجمع "،^(٩) وحكى (الفراء) أنه سمع أعرابياً يقول لبزاز ونحن

^١ أبو حاتم السجستاني، غريب القرآن، ص ٣٩٧. ابن قتيبة، غريب القرآن، ص ٢٦١. الأزهرى، تهذيب اللّغة، (كسف)، ج ١٠، ص ٤٥.

^٢ النحاس، إعراب القرآن، ج ٢، ص ٢٨٤.

^٣ ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص ٤١٠.

^٤ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ١٠١. ابن سيده، المخصص، ج ١، ص ٣٩٤، ج ٤، ص ٢٤.

^٥ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٣، ص ٢٥٩. النحاس، معاني القرآن، ج ٤، ص ١٩٤.

^٦ ابن منظور، لسان العرب، (كسف)، ج ٩، ص ٢٩٩.

^٧ الطبري، جامع البيان، ج ١٧، ص ٥٥٠.

^٨ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ١، ص ٣٩٠. أبو حاتم السجستاني، غريب القرآن، ص ٣٩٨.

^٩ النحاس، إعراب القرآن، ج ٢، ص ٣٨٤.

بطريق مكة: " أعطني كسفة من هذا الثوب أي قطعة ".^(١) وقد اتفق القراء العشرة على القراءة بالإسكان في قوله تعالى: " وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ"^(٢)؛ " وذلك " لوصفه بالمفرد المذكر فيقوله تعالى: (ساقطاً).^(٣) ويرى الباحث أنّ هاتين القراءتين تحتلان وجوهاً عدّة؛ وذلك بحسب السياق الذي ترد فيه، وتفصيل ذلك أنّ من قرأ موضع (الإسراء) بسكون السين كانت قراءته محتملة للمصدرية؛^(٤) ذلك أنّ (سقط) هو فعل لازم، يقال: "سَقَطَ يَسْقُطُ سُقُوطًا"،^(٥) " وَيَتَعَدَّى بِاللَّامِ فَيُقَالُ اسْقَطْتُهُ"^(٦)، وإذا كان ذلك كذلك انتصب هذا المصدر على الحالية، فيكون المعنى- والله أعلم- هو طلب إسقاط السماء عليهم وهي مقطعة الأجزاء،^(٧) ومما يقوي هذا التوجيه أنّ (الكسف) في أصل اللغة هو: " قطع العروق بالسيف. كسفه يكسفه"^(٨)، ويقال: " كسفت الثوب أكسفه كسفاً: إذا قطعته".^(٩)

وأما قراءة (كسفاً) بفتح السين في الموضع نفسه، فإنّها تحتل معنى طلب إسقاط السماء عليهم قطعاً،^(١٠) أو ذات قطع، قال أبو عبيد: " يقال: أتانا بخبر كسفٍ:

^١ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ١٣١. النحاس، معاني القرآن، ج ٤، ص ١٨٩.

^٢ سورة الطور، الآية ٤٤.

^٣ محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٣٧٩.

^(٤) الفارسي، الحجّة، ج ٥، ص ١١٩.

^(٥) ابن منظور، لسان العرب، (سقط)، ج ٧، ص ٣١٦.

^(٦) الفيومي، المصباح المنير، (سقط)، ج ١، ص ٢٨٠.

^(٧) الفارسي، الحجّة، ج ٥، ص ١١٩.

^(٨) الفراهيدي، العين، (كسف)، ج ٥، ص ٣١٤. ابن فارس، المجمل، (كسف)، ج ١، ص ٧٨٤.

^(٩) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٥٢٧٦هـ)، الجرائيم، تحقيق:

محمد جاسم الحميدي، قدم له: مسعود بوبو، وزارة الثقافة، دمشق، ج ١، ص ٣٠٥.

^(١٠) الطبري، جامع البيان، ج ١٧، ص ٥٥١. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٤، ص ١٨٩.

أي قِطْعٍ"؛^(١) ولعلّ هذا التّأويل الأخير هو الذي يفسّر لنا سبب اختيار بعض القراء قراءة (كسفاً) بفتح الكاف في موضع الروم؛ لأنّ السّحاب يكون قِطْعاً متناثرة تسبح في الجو، " وإنّما يتضامّ عن تفرّق"،^(٢) والمعنى: " يجعل الرّيح السّحاب قطعاً يحمل بعضها على بعض"،^(٣) ولعلّ هذا التّوجيه ينسحب على من قرأ بسكون السّين؛ إذ الكسّف هو أيضاً جمع كسفة، نحو: دِمْنَةٌ وِدْمَنٌ.^(٤)
(أثر)، (آثار):^(٥)

وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر (آثار) من قوله تعالى: " فأنظرُ إلى آثارِ رَحْمَتِ اللَّهِ"،^(٦) على وزن (أفعال) جمع تكسير واحدها (أثر)،^(٧) والمراد " آثار المطر الذي هو رحمة من الله"،^(٨) فكان في جمع (الأثر) ما يلبي تلك الغاية؛ " وذلك لتعدّد أثر المطر ومنافعه"؛^(٩) إذ المراد بالرحمة المطر.^(١٠)

(١) الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت: ٣٨٨هـ)، (١٩٨٢م)، غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر، ج ١، ص ١٨٠.

(٢) الفارسي، الحجّة، ج ٥، ص ١٢٠.

(٣) مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، (ت: ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط ١، دار إحياء التراث، بيروت، ج ٣، ص ٤١٩.

(٤) الأزهرّي، تهذيب اللّغة، (كسف)، ج ١٠، ص ٤٥. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ٤٤.

^٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩١. شرح طيبة النشر، ص ٢٩٤. تحبير التيسير، ص ٥٠٥. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٤٥. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٠٤. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ١٣٣.

^٦ سورة الروم، الآية ٥٠.

^٧ ابن منظور، لسان العرب، (أثر)، ج ٤، ص ٥.

^٨ الزجاج، معاني القرآن، ج ٤، ص ١٤٠.

^٩ محيسن الهادي، ج ٣، ص ١٣٤. القراءات، ج ١، ص ٣٠٧.

^{١٠} أبو هلال العسكري، الوجوه والنظائر، ص ٢٢٧.

وقرأ الباقون (أثر) على وزن (فعل) اسماً مفرداً ناب مناب الجمع، بدليل إفراد (أثر) في قوله تعالى: " هُمْ أَوْلَاءِ عَلَى أَثَرِي "؛^(١) إنه لما أضيف إلى مفرد أفرد ليأثلف الكلام، وأيضاً فإن (أثر) يدل على الجمع لأن المقصود به الجنس. وأحسب أن هاتين القراءتين متقاربتان في المعنى؛ فـ (الأثر) بصيغته الإفرادية هو اسم جنس^(٢) إفرادي يدل بالنيابة على الكثير، و(الأثار) هي صيغة جمعية وافقت قرينتها (الرحمة) في الكثرة والعموم؛ " لأن رحمة الله يجوز أن يراد به الكثرة كما قال سبحانه: " وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا "،^(٣) وهذا يعني أن من قرأ بصيغة المفرد إنما أراد تحقيق مطلب المشاكلة اللفظية بين ركني المركب الإضافي، وأما من قرأ بصيغة الجمع فإنه حمل القراءة على المعنى، قال مقاتل: " أثر رحمة الله هو النبات، وهو أثر المطر، والمطر رحمة الله ونعمته على خلقه " .^(٤) (سُرْجاً)، (سِرَاجاً):^(٥)

وقرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر (سراجاً) من قوله تعالى: " وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجاً وَقَمَراً مُنِيراً " ^(٦) (سُرْجاً) على وزن (فعل)، جمع تكسير واحده (سراج)، وذلك على إرادة الكواكب؛^(٧) " لأن كل كوكب سراج، وهي تطلع مع القمر، وذكرها كما ذكر القمر...، قال تعالى: " وَزَيْنًا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً "، والمصابيح هي السُرُجُ"^(٨)، جاء في (اللسان): " والسراج: المصباح الزاهر الذي يُسْرَجُ بالليل، وَالْجَمْعُ سُرُجٌ"^(٩)؛ لذلك فسّر البعض (السُرُج) بأنه " اسم جميع الأنوار"^(١٠)، وقيل هي

^١ ابن خالويه، الحجة، ص ٢٨. والآية من سورة طه، الآية ٨٤.

^٢ محيسن الهادي، ج ٣، ص ١٣٤. القراءات، ج ١، ص ٣٠٧.

^٣ الفارسي، الحجة، ج ٥، ص ٤٤٩. والآية من سورة النحل، الآية ١٨.

^(٤) مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج ٣، ص ٤١٩. الواحدي، التفسير الوسيط، ج ٣، ص ٤٣٧.

^٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٩. شرح طيبة النشر، ص ٢٨٧. تحبير التيسير،

ص ٤٨٥. النشر، ج ٢، ص ٣٣٤. الهادي، ج ٣، ص ٩٨.

^٦ سورة الفرقان، الآية ٦١.

^٧ السمرقندي، بحر العلوم، ج ٢، ص ٥٤٤.

^٨ محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٩٩. القراءات، ج ١، ص ٣٠٧. سورة فصلت، الآية ١٢.

^٩ ابن منظور، لسان العرب، (سرج)، ج ٢، ص ٢٩٧.

النجوم؛ " إذ كان يهتدي بها"،^(٢) أو هي كما يرى الزجاج: " الشمس والكواكب العظام معها"^(٣) ويكون القمر بحسب هذا التّأويل داخل في (السُّرُج)، " غَيْرَ أَنَّهُ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ لِنَوْعِ فَضِيلَةٍ، كَمَا قَالَ: " فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ"، خَصَّ النَّخْلَ وَالرَّمَّانَ بِالذِّكْرِ مَعَ دُخُولِهِمَا فِي الْفَاكِهَةِ لِنَوْعِ شَرَفٍ".^(٤)

وقرأ الباقر (سراجاً) على وزن (فَعَال) اسماً مفرداً، والمراد به (الشمس)^(٥) بدليل تذكير والقمر بعده،^(٦) وهو نظير قوله " وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً"،^(٧) وفي ذلك يقول صاحب (النكت والعيون): " جعل الشمس سراجاً والقمر منيراً، لأنه لما اقترن بضياء الشمس وهج حرّها جعله لأجل الحرارة سراجاً، ولما كان ذلك في القمر معدوماً جعله نوراً"،^(٨) وقيل المراد بـ (السراج) ههنا الشمس والكواكب معاً بآية قوله عز من قائل: " وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ".^(٩)

وقد حاول الألوسي أن يوافق بين هاتين القراءتين فرأى أن المراد بـ (السراج) في القراءة الأولى هو الشمس، بدليل قوله تعالى: " وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً". وأما (السرج) في القراءة الثانية فهي الشمس أيضاً؛ حيث إنّ البنية في هذا السياق

^١ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٤، ص ٢١٧.

^٢ الطبري، جامع البيان، ج ١٩، ص ٢٨٩.

^٣ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٣، ص ٧٤. ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٣، ص ٣٢٦. الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٢٩٠.

^٤ البغوي، معالم التنزيل، ج ٣، ص ٤٥٤. أبو حيان، البحر المحيط، ج ٨، ص ١٢٤. سورة الرحمن، الآية ٦٨.

^٥ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ٢، ص ٧٩. عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، (ت: ٢١١هـ)، (١٩٩٩م)، تفسير عبد الرزاق، دار الكتب العلمية، دراسة وتحقيق: محمود محمد عبده، ط ١، بيروت، ج ٢، ص ٤٥٧.

^٦ ابن خالويه، الحجة، ص ٢٦٦.

^٧ الثعلبي، الكشاف والبيان، ج ٧، ص ١٤٤. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٤، ص ٧٤. سورة نوح، الآية ١٦.

^٨ الماوردي، النكت والعيون، ج ٤، ص ١٥٣.

^٩ الواحدي، التفسير الوسيط، ج ٣، ص ٣٤٥. سورة الملك، الآية ٥.

هي اسم جمعيّ يقوم مقام الجماعة، وهو في ذلك يجري مجرى (أمة) من قوله تعالى: " إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً "،^(١) وفي ذلك يقول الألويسي: " لَأَنَّ الشَّمْسَ لِعَظْمِهَا وكما لإضاءتها لأنها سرج كثيرة أو الجمع باعتبار الأيام والمطالع، وقد جمعت لهذين الأمرين في قول الشاعر:

لمعان برق أو شعاع شمس

وعلى هذا القول تتحد القراءتان".^(٢)

(كبير)، (كبائر):^(٣)

وقرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر (كبائر) بصيغة المفرد (كبير)، وذلك في موضعين من التنزيل، الأول قوله تعالى: " وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ "،^(٤) والثاني قوله تعالى: " الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ "،^(٥) على وزن (فَعِيل) اسماً مفرداً يراد به (الشرك)،^(٦) أو هو اسم مفرد أقيم مقام الجمع على سبيل النيابة كقوله عزّ من قائل: " وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا "،^(٧) ومما يؤكد

^١ سورة النحل، الآية ١٢٠.

^٢ الألويسي، روح المعاني، ج ١٠، ص ٤١. هذا شطر من بيت لـ (الأشتر النخعي)، ونصه بالكامل:

حَمِيَّ الحَدِيدِ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّهُ لَمَعَانُ بَرَقَ أَوْ شُعَاعُ شُمُوسٍ.

أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هارون بن عيسى بن محمد بن سلمان (ت: ٣٥٦هـ)، (١٩٢٦م)، الأمالي، شذور الأمالي، النوادر، عني بوضعها وترتيبها: محمد

عبد الجواد الأصمعي، ط ٢، دار الكتب المصرية، ج ١، ص ٨٥.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٥. شرح طيبة النشر، ص ٣٠٧. النشر في القراءات،

ج ٢، ص ٣٦٧، ٣٦٨. تحبير التيسير، ص ٥٤٦. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢،

ص ٥٤٨. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٢٠٩.

^٤ سورة الشورى، الآية ٣٧.

^٥ سورة النجم، الآية ٣٢.

^٦ الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٠٩. ابن النحاس، معاني القرآن، ج ٦، ص ٣١٩. ابن

خالويه، الحجّة، ص ٣١٩.

^٧ الواحدي، التفسير الوسيط، ج ٤، ص ٥٧. سورة النحل، الآية ١٨.

ذلك أن " وزن (فعيل) يقع بمعنى الجمع مثل قوله تعالى: " وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا"^(١) أي رفقاء. " وقيل: هو اسم جنس للقليل والكثير،^(٢) والمعنى: " كبير كل إثم ".^(٣) وقرأ الباقون (كَبَائِر) على وزن (فَعَائِل) جمع تكسير واحده (كبيرة)^(٤)؛ وذلك لتحقيق مطلب المجانسة اللَّفْظِيَّة لما بعدها (الفواحش). وهناك من رأى المعنى متقارباً في كلتا القراءتين فـ "... الإثم جنس، فكبيره وكبائره واحدٌ، كقولك: لا تلبس ثياب الحرير، ولا تلبس ثوب الحرير"،^(٥) وفي ذلك يقول الطبري: " والصَّوَاب من القول في ذلك عندنا أنَّهما قراءتان قد قرأ بكل واحد منهما علماء من القراء على تقارب معنيهما، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب ".^(٦)

(نُصِبُ)، (نَصَبُ):^(٧)

وانفرد حفص وابن عامر من بين القراء العشرة بقراءة (نصب) من قوله تعالى: " يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ"^(٨) (نُصْبُ) على وزن (فُعُل) جمع تكسير واحده (نَصَبُ) نحو: رَهْنٌ وَرُهْنٌ، وَسُقْفٌ وَسُقُفٌ،^(٩) أو تكون جمع " نَصَبٍ كَشُقُفٍ جَمْعُ شُقُفٍ"،^(١٠) وعن الفراء والأخفش " النَّصْبُ جَمْعُ النَّصْبِ

^١ محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٢٠٩. القراءات، ج ١، ص ٣١٠. سورة النساء، الآية ٦٩.

^٢ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٥، ص ٣٩. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٢٠٩. القراءات، ج ١، ص ٣١٠.

^٣ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٦٤٣.

^٤ ابن دريد، جمهرة اللّغة، (كبر)، ج ١، ص ٣٢٧.

^٥ السّخاوي، فتح الوصيد، ج ٢، ص ٤٥٣.

^٦ الطبري، جامع البيان، ج ٢١، ص ٥٤٥.

^٧ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٩. شرح طيبة النشر، ص ٣٢١. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٩١. تحبير التيسير، ص ٥٩٢. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٩٦.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٣٠١.

^٨ سورة المعارج، الآية ٤٣.

^٩ ابن خالويه، الحجّة، ص ٣٥٣.

^{١٠} الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣٠، ص ٦٤٨.

مِثْلَ رَهْنٍ وَرَهْنٍ، وَالنَّصَابُ جَمْعُ نَصْبٍ، فَهُوَ جَمْعُ الْجَمْعِ"،^(١) وقيل: هي جمع مفردتها (نصاب)، نحو: حِمَارٌ حُمْرٌ،^(٢) " وَنَصَبٌ وَالنُّصَبُ حِجَارَةٌ كَانَتْ لَهُمْ يَعْبُدُونَهَا وَهِيَ الْاَوْثَانُ فَقَوْلُهُ: " كَانَتْهُمْ اِلَى نَصْبٍ"، اَيَّالَى اَصْنَامَهُمْ"،^(٣) بآية قوله " وَمَا ذَبِحَ عَلَى النَّصْبِ ".^(٤)

وقرأ الباقون (نصب) على وزن (فعل) مصدرًا بمعنى (مفعول) من "نصب" نصبت الشيء نصبًا"، ويقال: " فلانٌ نصبَ عيني"،^(٥) وفي اللغة: " والنَّصْبُ، بِالْفَتْحِ: (العَلْمُ الْمَنْصُوبُ) يُنْصَبُ لِلْقَوْمِ"،^(٦) والمعنى: " كأنهم إلى علم منصوب يمشون... يستبقون"،^(٧) أو " كأنهم إلى صنم منصوب (لهم) يسرعون ذليلين ".^(٨) وعوداً على (سَقَفٌ وَسُقُوفٌ) و(رَهْنٌ وَرُهْنٌ)، فإنَّ المتأمل بهذه القراءات ليلحظ وجود قاسم مشترك بينها وبين (نصبٌ ونُصبٌ)، وهو الوزن الصرْفِيّ؛ لذلك يجد الباحث في توجيه تلك القراءات فضل بيان يغني عن التكرير والإعادة.

وثمة توجيه آخر أحسبه أقرب إلى واقع اللغة، وهو القائل باليون المعجمي بين هاتين القراءتين، فـ (النُّصْبُ) بالضمّ الأضنام "واحدُها نِصابٌ"،^(٩) كقوله عزّ من قائل: " وَمَا ذَبِحَ عَلَى النَّصْبِ"،^(١٠) ويجوز أن تكون " جمعٌ نصيبيةٌ، كسفيينة

^١ الأخفش، معاني القرآن، ج ١، ص ٢٧٣. الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ١٨٦. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٨، ص ٢٩٦.

^٢ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٤، ص ١٤.

^٣ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٧٢٥.

^٤ الزجاج، معاني القرآن، ج ٥، ص ٢٢٤. سورة المائدة، الآية ٣.

^٥ البغوي، معالم التنزيل، ج ٥، ص ١٥٥.

^٦ الزبيدي، تاج العروس، (نصب)، ج ٤، ص ٢٧٢.

^٧ السمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ٤٩٨.

^٨ مكّي، الهداية، ج ١٢، ص ٧٧٢٣.

^(٩) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ١، ص ١٥٢. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢، ص ١٤٦. ابن

منظور، لسان العرب، (نصب)، ج ١، ص ٧٥٩.

^(١٠) سورة المائدة، الآية ٣.

وَسُقُنْ، وَصَحِيفَةً وَصُحُفٍ" (١)، وَأَمَّا (النَّصَبُ) بِالْفَتْحِ فَهُوَ الْعِلْمُ (٢) " وَأَنْصَابُ الْحَرَمِ
أَعْلَامُهُ" (٣) فَجَمَعَ (النَّصَبُ) هُوَ (أَنْصَابٌ) أَيْضاً، جَاءَ فِي اللِّسَانِ: " وَالنَّصَبُ
وَالنُّصَبُ: كُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالْجَمْعُ أَنْصَابٌ " (٤)
(جِدَارٌ)، (جُدْرٌ): (٥)

وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو (جُدْرٌ) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: " لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي
قُرَى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدْرٍ " (٦) (جِدَارٌ) عَلَى وَزْنِ (فِعَالٌ) اسماً مَفْرُداً عَلَى
أَصْلِ الْإِسْتِعْمَالِ، (٧) أَوْ هُوَ اسْمٌ مَفْرُودٌ قَامَ مَقَامَ الْجَمْعِ عَلَى سَبِيلِ النِّيَابَةِ (٨)، وَقِيلَ: هُوَ
اسْمٌ جِنْسٌ يَرَادُ بِهِ الْكَثِيرُ (٩)، وَرَبَّمَا أُرِيدُ بِهِ " السُّورُ الْجَامِعَةُ لِلْجُدْرِ وَالْحَيْطَانِ " (١٠)،
وَالْمَعْنَى: " أَنْ كُلَّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ وَرَاءَ جِدَارٍ، لَا أَنَّهُمْ كُلُّهُمْ وَرَاءَ جِدَارٍ " (١١)

(١) الزبيدي، تاج العروس، (نصب)، ج ٤، ص ٢٧٢.

(٢) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٥، ص ٢٢٤. ابن منظور، لسان العرب، (نصب)، ج ١،
ص ٧٥٩.

(٣) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ١، ص ١٥٢.

(٤) ابن منظور، لسان العرب، (نصب)، ج ١، ص ٧٥٩.

٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٨. شرح طيبة النشر، ص ٣١٨. النشر في القراءات،
ج ٢، ص ٣٨٦. تحبير التيسير، ص ٥٧٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٨٤.
محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٢٨٠.

٦ سورة الحشر، الآية ١٤.

٧ الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ١٨٩. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب
الفيروزآبادي (ت: ٨١٧)، (١٩٩٦م)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،
تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث
الإسلامي، القاهرة، ج ٢، ص ٣٧٢.

٨ النحاس، إعراب القرآن، ج ٤، ص ٢٦٤. العكبري، التبيان، ج ٢، ص ١٢١٦. ابن زنجلة، حجة
القراءات، ص ٧٠٦.

٩ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٥، ص ٢٨٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٨٤.
الأزهري، معاني القراءات، ج ٣، ص ٦٣.

١٠ الألويسي، روح المعاني، ج ١٤، ص ٢٥١.

١١ السمين الحلبي، الدرر المصون، ج ١٠، ص ٢٨٩.

وقرأ الباقون جُدْر على وزن (فُعْل) جمع تكسير واحده (جِدار) نحو: كتاب وكتب، وحمار وحُمُر^(١)، " وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي عُبَيْدَةَ وَأَبِي حَاتِمٍ، لِأَنَّهَا نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: " فِي قُرَى مُحَصَّنَةٍ " وَذَلِكَ جَمْعٌ "^(٢)، ويكون المعنى بحسب هذه القراءة الأخيرة أن لكل طائفة منهم جداراً يحتمون به، وأن هذه (جدر) هي كثيرة عديدة يتخذونها سترًا تقيهم بأس عدوهم.^(٣)

وهكذا كانت هاتان القراءتان متظافرتين تكمل كل واحدة منهما المعنى؛ فالقراءة الأولى تخبر عن حال اليهود وتفرقهم في جماعات وقد احتموا بالجدر " تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى "،^(٤) ثم تأتي قراءة الجماعة لتزيد هذا المعنى عمقاً والصورة بياناً فلكل طائفة منهم جدار يحتمون به، وأن هذه (جدر) كثيرة عديدة يتخذونها سترًا تقيهم بأس عدوهم.^(٥)

^١ الزجاج، معاني القرآن، ج ٥، ص ١٤٨. الفيومي، المصباح المنير، (جدر)، ج ١، ص ٩٣.

السجستاني، غريب القرآن، ص ١٨٢.

^٢ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٨، ص ٣٥.

^٣ النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٨٤. محيسن، القراءات، ج ١، ص ٣١٢.

^(٤) سورة الحشر، الآية ١٤.

^٥ النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٨٤. محيسن، القراءات، ج ١، ص ٣١٢.

الفصل الثاني في بنية المصادر

١.٢ مدخل:

لعلّ من المقررّ المستحکم أنّ المصدر هو من المباحث التي كانت إحدى المسائل الخلافية في الفكر النحويّ العربيّ، فقد تعدّدت آراء النحاة وتباينت مذاهبهم في مقولة أولوية البناء في الكلم، وتساجل العلماء في مسألة أيّهما أحقّ بالأصالة في الاشتقاق أهو الفعل أم المصدر؟^(١)

ويعدّ نحاة البلدين الكوفة والبصرة من طليعة النحاة الذين تصدّوا للبحث في هذه المسألة " وجاء كل طرف بشواهد وأدلّته التي ترجح رأيه وتفند رأي خصمه، وتبع ذلك اجتهاد من غير الطرفين، صب بعضه في الاتجاه نفسه وخرج بعضه الآخر ليأتي بجديد".^(٢) فكان أغلب البصريين يقرّون للمصدر بالأصالة في الاشتقاق،^(٣) ليس للفعل حسب، وإنّما لسائر المشتقات،^(٤) في مقابل الكوفيين الذين

^١ الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، مسألة ٢٨.

^٢ الشّمري، شيماء متعب محمود الشّمري، (٢٠٠٥م)، أبنية الصرف في تفسير روح المعاني لأبي الثناء الألوسي، دراسة صرفية دلالية، رسالة ماجستير، إشراف: خديجة زبار عنيزان الحمداني، قسم اللغة العربيّة، كليّة الآداب، جامعة بغداد، ص ٧١.

^٣ ابن الصائغ، محمد بن حسن بن سيبان بن أبي بكر الجذامي، أبو عبدالله، شمس الدين، (ت: ٧٢٠هـ)، (٢٠٠٤م)، اللّحة في شرح الملحّة، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ج١، ص ١١٥. السيوطي، همع الهوامع، ج٢، ص ٩٥.

^٤ ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجبالي، أبو عبد الله، جمال الدين، (ت: ٦٧٢هـ)، (٢٠٠٢م)، إيجاز التعريف في علم التصريف، تحقيق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ص ١٨٠. شرح الكافية الشافية، ج٥، ص ٢٥٧.

رأوا الفعل هو أصل المشتقات،^(١) وثمة وجهة ثالثة ذهبت إلى أن كلا منهما قائم برأسه ليس لأحدهما فضل على الآخر في الاشتقاق قاله ابن طلحة،^(٢) ورأى فريق رابع أن المصدر هو أصل الفعل، وهذا الأخير هو أصل للوصف المشتق حكاه بعض البصريين.^(٣)

وربما تكون الدلالة اللغوية هي الإرهاصة التي ولدت هذه القضية الخلافية؛ فإنّ المنتبّع لمصطلح المصدر في بواكيره الأولى يلحظ أنّ النّحاة قد اعتمدوا في مقولة الأصالة والفرعية للمصدر وللعمل بناءً على المعنى اللغويّ لهما في أصل الاستعمال. ولعلّ أول من صدر عن مصطلح المصدر في الفكر اللغويّ العربيّ هو الخليل بن أحمد الفراهيدي^(٤) في (كتاب العين) حيث يقول: " الصّدْرُ: أعلى مُقَدِّمِ كُلِّ شَيْءٍ، وَصَدْرُ الْقَنَاةِ أَعْلَاهَا، وَصَدْرُ الْأَمْرِ أَوَّلُهُ... وَالْمَصْدَرُ: أصلُ الْكَلِمَةِ الَّذِي تَصَدَّرُ عَنْهُ الْأَفْعَالُ. وَتَفْسِيرُهُ: إنّ المَصَادِرَ كَانَتْ أَوَّلَ الْكَلَامِ، كَقَوْلِكَ: الذَّهَابُ

^١ ابن عقيل، عبدالله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، (ت: ٧٦٩هـ-)، (١٩٨٠م)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط ٢٠، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ج ٢، ص ١٧١.

^٢ السيوطي، همع الهوامع، ج ٢، ص ٩٥. وابن طلحة هو: محمد بن طلحة بن محمد بن عبد الله بن أحمد بن خلف بن الأسد النحوي، من أهل يابرة، (بلد في غربي الأندلس)، كان إماماً في العربية، لقي السهيلي، وسمع عليه كتابه (الروض الأنف في شرح غريب السير)، اشتهر بتحقيق العربية والقيام عليها، قرأ عليه كثيرون، منهم: ابن عبد النور والسقطي والشلوبين وغيرهم، وكان أستاذاً حاضرة إشبيلية، يميل إلى مذهب ابن الطراوة في العربية، توفي سنة (٥٦١٨). الفيروزآبادي، (٢٠٠٠م)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ط ١، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع، ص ٢٦٧.

^٣ المصدر نفسه.

^٤ الشّمريّ، أبنية الصرف في تفسير روح المعاني، ص ٧١.

والسَّمْعَ والحِفْظَ، وإنَّما صَدَرَتِ الأَفْعَالُ عنها، فيقال: ذَهَبَ ذَهَاباً، وَسَمِعَ سَمْعاً
وَسَمَاعاً وَحَفِظَ حَفِظاً^(١).

وعلى هدي الخليل تواضع نحاة البصرة في حدِّ المصدر، فقالوا إنَّ المصدر
سميَّ بذلك لأنه "هو الموضع الذي يَصْدُرُ عنه، ولهذا قيل للموضع الذي تصدر عنه
الإبل "مَصْدَرٌ" فلما سُمِّيَ مَصْدَرًا دلَّ على أنَّ الفعل قد صَدَرَ عنه"^(٢).

وفي ذلك يقول الزمخشريُّ في (المفصل): " المفعول المطلق هو المصدر
سميَّ بذلك لأنَّ الفعل يصدر عنه. ويسميه سيبويه الحدث والحدثان وربّما سمّاه
الفعل"^(٣)، ويزيد ابن يعيش الأمر وضوحاً فيقول: "وإنَّما سُمِّيَ مصدرًا؛ لأنَّ الفعل
صَدَرَ عنه، وأخذ منه ولهذا قيل للمكان الذي يصدر عنه الإبل بعد الرّي مصدر كما
قيل مورد لمكان الورود"^(٤).

ويعلّق (علي مطر) على ذلك فيقول: " وفي هذه الأقوال بيان للمناسبة بين
المعنى اللّغويّ والمعنى الاصطلاحيّ لكلمة المصدر. ويلاحظ: أنَّ هذه المناسبة إنّما
تتحقّق بناءً على قول سيبويه وجميع البصريين: الفعل مأخوذ من المصدر،
والمصدر سابق له، وأنه إنّما سُمِّيَ مصدرًا لكونه موضع صدور الفعل. وقد خالفهم
الكوفيّون في ذلك، وذهبوا إلى أنَّ المصدر مشتقٌّ من الفعل، وقالوا: لا يجوز أن
يقال: إنَّ المصدر إنّما سُمِّيَ مصدرًا لصدور الفعل عنه، كما قالوا: للموضع الذي
تصدر عنه الإبل: مصدرًا؛ لصدورها عنه؛ لأننا نقول: لا نسلم، بل سُمِّيَ مصدرًا؛

^١ الفراهيديّ، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، (ت: ١٧٠هـ)، كتاب العين، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ج٧، ص٩٤، ٩٥، ٩٦.

^٢ الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج١، ص١٩٢.

^٣ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، (١٩٩٣م)، المفصل في صنعة الإعراب، تحقيق: علي بو ملحم، ط١، مكتبة الهلال، بيروت، ص٥٥.

^٤ ابن يعيش، موفق الدين أبو البقاء بن يعيش (ت: ٦٤٣هـ)، شرح المفصل، دار الطباعة المنيرية، مصر، ج١، ص١١٠.

لأنه مصدر عن الفعل، كما قالوا: مَرَكَبٌ فَارِهِ، ومَشْرَبٌ عَذْبٌ، أي: مركوبٌ فاره، ومشروبٌ عذب، والمراد به: المفعول، لا الموضع".^(١)

ونغادر هذه الإمامة عن الخلاف في الأصالة والفرعية للمصدر والفعل، لنجد الأوائل قد ميّزوا في الدرس الصرْفِيّ بين ضربين من الأسماء، هما: المصدر واسم المصدر. فالمصدر هو الاسم الذي يحمل الدلالة على الحدث، " والأحداث نحو: الضرب والحمد والقتل " حكاها سيبويه،^(٢) والمراد بالأحداث ههنا هو المصدر على حدّ كلام الزجاجي،^(٣) وهو عند ابن السراج " اسم كسائر الأسماء، إلا أنه معنى غير شخص والأفعال مشتقة منه"،^(٤) وحده الرّمانيّ بقوله: " المصدر اسمٌ لحدث يُوجد فيه الفِعْلُ"،^(٥) وقال ابن مالك: " الاسم الموضوع بأصالة الدالة على المعنى الصّادر من المحدث به عنه أو القائم به أو الواقع عليه، والأفعال والصفات مشتقة منه، ويصحب منها ما تصرف، إما شبه ما تصرف منصوباً به لتوكيد أو بيان نوع أو عدد، ويقوم مقامه ما دل على معناه من مصدر غيره".^(٦)

وأما اسم المصدر فهو: " ما ساوى المصدر في الدلالة على معناه وخالفه بخلوه - لفظاً وتقديراً دون عوض - من بعض ما في فعله"،^(٧) وقيل: " اسماً دالاً على الحدث لكنه لا يجرى على الفعل وذلك نحو قولك أعطيت عطاءً فإنّ الذي

^١ مطر، علي حسن مطر، (٢٠٠٦م)، **مصطلحات نحويّة**، مجلة تراثنا، العددان: ٨١-٨٢، ص ٢٥٥، ٢٥٦.

^٢ سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ١٢.

^٣ مطر، **مصطلحات نحويّة**، ص ٢٥٦.

^٤ ابن السراج، ج ١، ص ١٥٩. الشّمري، **أبنية الصرف**، ص ٧٠.

^٥ الرّمانيّ، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرّمانيّ المعتزلي، (ت: ٣٨٤هـ)، **رسالة الحدود**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، ص ٦٩.

^٦ ابن مالك، شرح عمدة الحافظ، ص ٦٨٩. نقلاً عن الشّمري، **أبنية الصرف**، ص ٧١.

^٧ الأشمونيّ، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي، (ت: ٩٠٠هـ)، (١٩٩٨م)، **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج ٢، ص ٢٠٤. ابن عقيل، ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ج ٣، ص ٩٨.

مطر، **مصطلحات نحويّة**، ص ٢٥٦.

يَجْرِي عَلَى أَعْطَيْتَ إِنَّمَا هُوَ إِعْطَاءٌ لِأَنَّهُ مُسْتَوْفٍ لِحُرُوفِهِ وَكَذَا اغْتَسَلَتْ غُسْلًا بِخِلَافِ
اغْتَسَلَ اغْتِسَالًا^(١).

وقد بسط الصرّفيون الأوائل القول في الأجناس التي يشملها اسم المصدر،
فذكر لنا ابن الحاجب أنّ النحاة يطلقون اسم المصدر على اسم المعنى الذي " ...
ليس له فعل يجري عليه، كالقهقري، فإنّه نوع من الرجوع، ولا فعل له يجري
عليه من لفظه"^(٢)، وقد يعنون باسم المصدر اسم الآلة " التي يستعمل بها الفعل،
كالطهور والطهور، والأكل والأكل، فالطهور: المصدر، والطهور: اسم ما يتطهّر
به، والأكل: المصدر، والأكل: ما يؤكل"^(٣).

ويزيد ابن هشام الأمر وضوحاً فيذكر في مصنفه (الشذور) أنّ اسم المصدر
يشتغل في ثلاثة فصائل اسمية، الأولى فصيلة الأسماء التي كانت في أصل
استعمالها " لغير الحدث ثم نقل إلى الحدث كالكلام والعطاء، فإنّهما في الأصل لما
يُنكلم به ولما يُعطى، ثم نقلا إلى الإعطاء والتكلم"^(٤)، والثانية: ما كان صدره ميماً
زائدة " لغير المفاعلة، كمضرب ومقتل"^(٥)، وآخرها " ما كان علماً على معنى كبريّة
علماً على المبرّة، وفجارٍ علماً على الفجرة، وحمّاد علماً على المحمّدة"^(٦).

وقد استقام لدى الصرّفيين الأوائل تقسيم الأسماء في العربية إلى سمتين هما:
الجامد والمشتقّ، وعرّفوا الجامد بأنّه: كلّ اسم " لم يؤخذ من غيره، ودلّ على

^١ ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين،
(ت: ٧٦١هـ)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: عبد الغني الدقر،

الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، ص ٤٩٢. مطر، مصطلحات نحوية، ص ٢٥٦.

^٢ مطر، مصطلحات نحوية، ص ٢٥٦.

^٣ المصدر نفسه.

^٤ الجوّري، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجوّري القاهري الشافعي،
(ت: ٨٨٩هـ)، (٢٠٠٤م)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق: نواف بن

جزاء الحارثي، ط ١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة

السعودية، ج ٢، ص ٧٢٠.

^٥ الجوّري، شرح شذور الذهب، ج ٢، ص ٧٢١.

^٦ المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٢٢.

حَدَّث، أو معنى من غير ملاحظة صفة، كأسماء الأجناس المحسوسة مثل: رَجُلٌ وشَجَرٌ وبَقْرٌ، وأسماء الأجناس المعنوية، كَنَصْرٌ وفَهْمٌ وقيامٌ وقعودٌ وضوءٌ ونورٌ وزَمَانٌ،^(١) وواضح من هذا الحدِّ أنَّ الاسمَ الجَّامدَ يحتملُ إحدى دالَّتَيْهِ: فهو إمَّا أن يدلَّ على الذاتِ كرجلٍ وفرسٍ وحجرٍ، وإمَّا أن يدلَّ على المعنى "المصدر" كفهمٍ وفرحٍ ونصرٍ. وأمَّا الاسمُ المشتقُّ فهو: " ما أخذَ من غيره ودلَّ على ذاتٍ مع ملاحظة صفة، كعالمٍ وظريفٍ. ومن أسماء الأجناس المعنوية المصدرية يكون الاشتقاق، كفهمٍ من الفهم، ونَصْرَ من النَّصر. وندر الاشتقاق من أسماء الأجناس المحسوسة، كأورقتِ الأشجارِ، وأسبعتِ الأرضُ: من الورقِ والسَّبْعِ، وكعقربتُ الصَّدغِ، وفالفتُ الطَّعامَ، ونرجستُ الدَّواءَ: من العُقْرَبِ، والنَّرجِسِ، والفُلُّ، أي: جعل تشعر الصدغ كالعقرب: وجعلت الفلفل في الطَّعامِ، والنرجس في الدَّواءِ".^(٢)

وأمَّا الاشتقاق فهو: " نزع لفظ من آخر بشرط تناسبهما معنًى وتركيباً، وتغايرهما، في الصيغة بحرف أو بحركة، وأن يزيد المشتقُّ على المشتقِّ منه بشيء"،^(٣) وهو: " اقتطاع فرع من أصل يدور في تصاريفه حُرُوفِ ذَلِكَ الْأَصْلِ، وقيل: هُوَ أَخَذَ كَلِمَةً مِنْ أُخْرَى بِتَغْيِيرِ مَا، مَعَ التَّنَاسُبِ فِي الْمَعْنَى، وَقِيلَ: هُوَ رَدَّ كَلِمَةً إِلَى أُخْرَى لِتَنَاسُبِهِمَا فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى".^(٤) وينقسم إلى ثلاثة أقسام: الاشتقاق الصَّغِيرُ والاشتقاق الكَبِيرُ والاشتقاق الأَكْبَرُ،^(٥) والصِّدْرُ من هذه الأقسام هو موضع الاهتمام عند الصرفيين، وعرفه أكثرهم على أنه: "إنشاء فرع من أصل يدل

^١ الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص ٥٦.

^٢ الحملاوي، شذا العرف في فن الصرف، ص ٥٦.

^٣ الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، (ت: ٤٧١هـ)، (١٩٨٧م)، **المفتاح في الصرف**، حققه وقدم له: علي توفيق الحماد، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ٦٢.

^٤ الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: ١٠٩٤هـ)،

الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص ١١٧.

^٥ ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلية، (ت: ٣٩٢هـ)، **الخصائص**، الهيئة

المصرية العامة للكتاب، ط ٤، ج ٢، ص ١٣٥.

عليه"،^(١) وقيل: هو "أخذُ صيغةٍ من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب لها ليبدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلافاً حروفاً أو هيئة كضارب من ضرب وحذرٌ من حذر".^(٢)

(غُرْفَة)، (غُرْفَة):^(٣)

قرأ يعقوب وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر (غُرْفَة) من قوله تعالى: "إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ"^(٤) (غُرْفَة) على وزن (فُعْلَة) اسماً للماء المغترف، نحو الخطوة والأكلة،^(٥) أو هو الماء القليل،^(٦) وروي عن الكسائي وأبي عبيدة أن "الغُرْفَة بالضم الذي يحصل في الكف من الماء إذا غُرِفَ،^(٧) وقال أبو حاتم: "الغُرْفَة بالضم ملء الكف أو ملء المغرفة"^(٨)، أو هي "مقدار ملء اليد من المغروف"^(٩) وهي عند المبرد "اسم ملء الكف أو ما اغترف به".^(١٠) وقرأ الباقون

-
- ^١ ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمِي الإشبيلي، أبو الحسن، (ت: ٦٦٩هـ)، (١٩٨٧م)، الممتع الكبير في التصريف، تحقيق: فخر الدين قباوة، ط ١، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط ١، ص ٤١.
- ^٢ السيوطي، المزهري، ج ١، ص ٢٧٥.
- ^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٦. شرح طيبة النشر، ص ١٩٨. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٣٠. تحبير التيسير، ص ٣٠٧. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢١٢.
- محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٨٦.
- ^٤ سورة البقرة، الآية ٢٤٩.
- ^٥ السمرقندي، مفتاح العلوم، ج ١، ص ١٦٣.
- ^٦ الكرمانلي، غرائب التفسير وعجائب التأويل، ج ١، ص ٢٢٣.
- ^٧ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢١٦.
- ^٨ المصدر نفسه.
- ^٩ السجستاني، غريب القرآن، ص ٣٥٣.
- ^{١٠} الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٦، ص ٥١١.

(غَرْفَة) على وزن (فَعَلَة) مصدراً للمرة؛ أي الاعتراف مرة واحدة باليد،^(١) وقيل: هي " المرة الواحدة من القليل والكثير"،^(٢) وهي - كما يقول أبو العباس المبرد - مصدر يقع لما قلّ أو كثر في اليد.^(٣)

ويمكن أن نجد في العلاقات التركيبية لهذه الجملة القرآنية ما يسعفنا في توجيه هاتين القراءتين؛ فـ (الغَرْفَة) بفتح (الغين) هي من العناصر التي يسمح لها السياق التركيبي بالحلول محل المصدر على سبيل النياحة، فأصل التركيب - والله أعلم - في القراءة الأولى: " إلا من اعترف اغترافاً من الماء، ثم حُذِفَ المصدر (اغتراف) لحلّ اسم المصدر مكانه، فيصبح التركيب " إلا من اعترف ماء غرفة"؛^(٤) ولذلك رأى القرطبي (الغَرْفَ والاعتراف) هما سيّان في المعنى.^(٥) ويعلّق ابن عرفة على هذه المسألة فيقول: " وفائدة التأكيد بالمصدر على هذا تحقيقاً للرخصة في ذلك الفعل وتأكيد (إباحتها) خشية أن يتوهم قصر ذلك على أدنى شيء من الماء المأخوذ باليد فأكدّه تنبيهاً على إباحته الغرفة الواحدة بكمالها ".^(٦)

وأما الغَرْفَة بضمّ الغين في القراءة الثانية فإنّ الفعل في سياقها التركيبي يطلبها على المفعولية؛ إذ "الغَرْفَة هي العين المغترفة"،^(٧) وهذا يعني أنّ الآية يمكن حملها على معنى " إلا من اعترف ماء ".^(٨)

وبناءً على ذلك ذهب بعض النحاة والمفسرين إلى تغليب إحدى القراءتين على الأخرى والمفاضلة بينهما، فنرى الطبري يؤثّر قراءة الضمّ على قراءة الفتح،

^١ ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، (ت: ٣٩٩هـ)، (٢٠٠٢م)، تفسير القرآن العزيز، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى

الكنز، ط١، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة، ج١، ص٢٤٨.

^٢ الثعلبي، الكشف والبيان، ج٢، ص٢١٦.

^٣ الرازي، مفاتيح الغيب، ج٦، ص٥١١.

^٤ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج١، ص٣٣٥. الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٢٩٥.

^٥ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٣، ص٢٥٣.

^٦ ابن عرفة، تفسير ابن عرفة، ج١، ص٧٠٨.

^٧ المصدر نفسه.

^٨ المصدر نفسه.

قال: " وَأَعْجَبُ الْقُرَاءَتَيْنِ فِي ذَلِكَ إِلَيَّ ضَمُّ الْغَيْنِ فِي الْغُرْفَةِ بِمَعْنَى: إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ كَفًّا مِنْ مَاءٍ، لِاخْتِلَافِ غُرْفَةٍ إِذَا فُتِحَتْ غَيْنُهَا" (١) وإلى ذلك ذهب أبو علي الفارسي، قال: قراءة الضم أرجح؛ لأنَّ القراءة بفتح الغين تصير (الغرفة) مصدرًا، " والمصدر لا يوافق الفعل في بنائه، إنما جاء على حذف الزوائد وجعلها بمعنى المفعول لا يُجوز إلى ذلك فكان أرجح ". (٢)

وأحسب أنَّ هذا الرأي وذاك الترجيح ليس بدقيق؛ ذلك أنَّ هاتين القراءتين هما قراءتان متواترتان لا يجوز المفاضلة بينهما أو تفضيل إحداها على الأخرى، فكلتاها سنة متبعة يتعبد بتلاوتها، وفي ذلك يقول أبو حيان معلقًا على ذلك: " وَهَذَا التَّرْجِيحُ الَّذِي يَذْكُرُهُ الْمُفَسِّرُونَ وَالنَّحْوِيُّونَ بَيْنَ الْقُرَاءَتَيْنِ لَا يَنْبَغِي، لِأَنَّ هَذِهِ الْقُرَاءَاتِ كُلَّهَا صَحِيحَةٌ وَمَرْوِيَّةٌ ثَابِتَةٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلِكُلِّ مِنْهَا وَجْهٌ ظَاهِرٌ حَسَنٌ فِي الْعَرَبِيَّةِ، فَلَا يُمَكِّنُ فِيهَا تَرْجِيحُ قِرَاءَةٍ عَلَى قِرَاءَةٍ ". (٣)

(دِفَاع)، (دَفْع): (٤)

وقرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب من قوله تعالى: " وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ " (٥)، وقوله تعالى: " وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْدَمَتِ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدٌ " (٦) (دِفَاع) على وزن (فَعَال) مصدرًا يراد به الكثير، (٧) وهو إما أن يكون مصدرًا لـ (دَفَع) نحو قولنا: دَفَعْتُهُ دَفْعًا وَدِفَاعًا، وَكَتَبْتُهُ كِتَابًا وَكِتَابًا، " وفعال كثيرًا يَجِيءُ مَصْدَرًا لِلثَّلَاثِيِّ مِنْ فَعَلَ وَفَعِلَ، تَقُولُ: جَمَحَ

^١ الطبري، جامع البيان، ج ٥، ص ٣٤٣.

^٢ الفارسي، الحجة، ج ٢، ص ٣٥١-٣٥٢. السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٢، ص ٥٢٨.

^٣ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٥٨٨.

^٤ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٦. شرح طيبة النشر، ص ١٩٨. النشر في القراءات،

ج ٢، ص ٢٣٠. تحبير التيسير، ص ٣٠٨. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢١٣.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٨٧.

^٥ سورة البقرة، الآية ٢٥١.

^٦ سورة الحج، الآية ٤٠.

^٧ البغوي، معالم التنزيل، ج ٥، ص ٣٨٩.

جَمَاحاً، وَطَمَحَ طِمَاحاً، وَتَقُولُ: لَقَيْتُهُ لِقَاءً، وَقَمْتُ قِيَاماً،^(١) ويكون المعنى بناءً على ذلك: وَلَوْلا دِفَاعُ اللَّهِ مَعْنَاهُ وَلَوْلا دَفَعُ اللَّهِ. وإما أن يكون مصدرًا لـ (دافع) بِمَعْنَى دَفَعَ،^(٢) قَالَ أَبُو ذُوَيْبٍ:^(٣)

وَلَقَدْ حَرِصْتُ بِأَنْ أُدَافِعَ عَنْهُمْ
فَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لِمَا تُدْفَعُ
ويكون المعنى بحسب هذا التوجيه الأخير " أَنَّهُ سُبْحَانَهُ إِنَّمَا يَكْفُ الظُّلْمَةَ
وَالْعُصَاةَ عَنِ ظُلْمِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَيْدِي أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَأَنْمَّةِ دِينِهِ وَكَانَ يَقَعُ بَيْنَ أَوْلِيكَ
الْمُحَقِّينَ وَأَوْلِيكَ الْمُبْطِلِينَ مُدَافِعَاتٍ وَمُكَافَحَاتٍ، فَحَسَنَ الْخَبَارُ عَنْهُ بِلَفْظِ الْمُدَافَعَةِ،
كَمَا قَالَ: " يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ"، " شَاقُوا اللَّهَ"، " وَكَمَا قَالَ: " قَاتَلَهُمُ اللَّهُ"،
وَنَظَائِرِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ"،^(٤) وهي اختيار أبي حاتم، قال: " وقد يكون الفاعل من واحد
مثل قول العرب: أحسن الله عنك الدِّفاع، وعافاك الله، وعاقبه الله، وناول شيئاً".^(٥)
وقرأ الباقر (دَفَعَ) على وزن (فَعَلَ) مصدر (دَفَعَ)، نحو: ضرب وفتح^(٦)
على إرادة القليل والكثير،^(٧) وهو اختيار أبي عبيدة الذي أنكرَ أَنْ يُقْرَأَ (دِفَاعٌ)؛ قال:
لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَغَالِبُهُ أَحَدٌ وَهُوَ الدِّافِعُ وَحْدَهُ،^(٨) وكلام أبي عبيدة هذا فيه نظر؛
حيث إنه بنى اختياره للقراءة من اعتقاده، أَنَّ (دِفَاعٌ) هو مصدر للفعل (دافع) الذي
يدل على المفاعلة التي "... هِيَ عِبَارَةٌ عَنِ كَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُدَافِعِينَ دَافِعًا
لِصَاحِبِهِ وَمَانِعًا لَهُ مِنْ فِعْلِهِ، وَذَلِكَ مِنَ الْعَبْدِ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى مُحَالٌ"،^(٩) وهو وهم

^١ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٦، ص ٥١٨.

^٢ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ١، ص ٣٣٨.

^٣ أبو سعيد السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين، (١٩٦٥م)، ديوان الهذليين، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ق ١، ص ٢.

^٤ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٦، ص ٥١٨. والآيات الواردة في النص: سورة المائدة، الآية ٣٣. سورة الأنفال، الآية ١٣. سورة التوبة، الآية ٣٠.

^٥ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٢٤.

^٦ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٩٤.

^٧ البغوي، معالم التنزيل، ج ٥، ص ٣٨٩.

^٨ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٢٥٩. الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٢٤.

^٩ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٦، ص ٥١٨.

لو فطن إليه أبو عبيدة لما وقع في مزلة تخطيء القراءة بل إنكارها، وفي ذلك يقول مكي: "يُوهِمُ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنَّ هَذَا مِنْ بَابِ الْمُفَاعَلَةِ وَلَيْسَ بِهِ"،^(١) ثم إن هذه القراءة مما أُجمع على تواترها وقُطع بصحتها، ومطلب الترجيح والمفاضلة بينها من الأمور التي يمتنع الخوض فيها.

ولقد بحثت في معاجم اللغة وكتب التصريف عن تفريق أو اختلاف لهاتين الصيغتين، فوجدت من القوم من ساوى بينهما، فصاحب الكتاب يقرر بمصدريتهما للفعل (دَفَع)،^(٢) وتبعه في ذلك أبو حاتم حيث يقول: "دَافِعٌ وَدَفْعٌ وَاحِدٌ مِثْلُ: طَرَقْتُ نَعْلِي وَطَارَقْتُهُ؛ أَيِ خَصَفْتُ إِحْدَاهُمَا فَوْقَ الْأُخْرَى، وَالْخَصْفُ: الْخَرْزُ".^(٣)

ومما يعزّر هذا التوجيه أنّ في التنزيل شواهد كثيرة جاء فيها الفعل بصيغة (فَاعَلَ) بمعنى (فَعَلَ) كقوله جل ثناؤه: "قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ"،^(٤) إذ ليس للمفاعلة في هذا السياق وجه من المعنى،^(٥) الأمر الذي يدفع الباحث إلى الاعتقاد أنّ هاتين القراءتين هما سيّان في المعنى، وهو مذهب قال به نفر من العلماء.^(٦)

(كُرْهَا)، (كَرْهَا):^(٧)

وقد تباين القراء العشرة في قراءة هذه الكلمة في ثلاثة مواضع من التنزيل، وهي:

- ١- قوله تعالى: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا".^(٨)
- ٢- وقوله عزّ من قائل: "قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا".^(٩)

^١ الشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ٣٠٥.

^٢ سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ١٥٣.

^٣ الشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ٣٠٥. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٢٥٩.

^(٤) سورة التوبة، الآية ٣٠.

^(٥) الفارسي، الحجة، ج ٢، ص ٣٥٤.

^٦ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٢٢٧. النحاس، إعراب القرآن، ج ١، ص ١٢٤.

^٧ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٠. شرح طيبة النشر، ص ٢١٤. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٤٨.

تحبير التيسير، ص ٥٥٦. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٦٦. محيسن، الهادي شرح طيبة النشر،

ج ٢، ص ١٤٦.

^٨ سورة النساء، الآية ١٩.

^٩ سورة التوبة، الآية ٥٣.

٣- وقوله تعالى: " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا"^(١).

حيث اتَّفَقَ حمزة والكسائي وخلف العاشر على قراءتها في الآيات الثلاث (كُرْهًا) بضم الكاف، على أنها مصدرٌ بزنة (فَعْلٌ)، يقال: " كَرِهْتُ الشَّيْءَ كَرْهًا وَكُرْهًا وَكَرَاهَةً وَكَرَاهِيَةً "^(٢) وتبعهم في موضع (الأحقاف) ابن زكوان وهشام بخلاف عنه وعاصم ويعقوب حيث قرؤوه بالضم (كُرْهًا).

وقرأ الباقون المواضع الثلاث بالفتح (كَرْهًا) وهو الوجه الثاني لهشام، على أنه مصدر على وزن (فَعْلٌ)،^(٣) على معنى (الإكراه).^(٤) والفتح والضم في (الكره) هما لغتان عند الكسائي^(٥) بمعنى واحد هو المشقة قاله الأخفش،^(٦) جاء في اللسان: " وَقَدْ أَجْمَعَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّ الْكَرْهَ وَالْكَرْهَ لُغَتَانِ، فَبِأَيِّ لُغَةٍ وَقَعَ فَجَائِزٌ "^(٧) وقيل: الْكَرْهُ بِالْفَتْحِ الْمَصْدَرُ وَبِالضَّمِّ الْاسْمُ،^(٨) أي: (مكروه)،^(٩) وروي عن المبرد قوله: " الْكَرْهُ أَوْلَى لِأَنَّهَا لِمَصْدَرٍ بَعِينِهِ "^(١٠) وحكي عن الخليل وتلميذه سيبويه أنهما قالوا: " كُلُّ فِعْلٍ ثَلَاثِي فَمَصْدَرُهُ فِعْلٌ، وَاسْتَدَلَّا عَلَى ذَلِكَ أَنَّكَ إِذَا رَدَدْتَهُ إِلَى الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ جَاءَ مَفْتُوحًا نَحْوَ قَوْمَةٍ، وَذَهَبَ ذَهَبَةً، فَإِذَا قَلْتَ: ذَهَبَ ذَهَابًا فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَهُمَا اسْمٌ لِلْمَصْدَرِ لَا مَصْدَرٌ، وَكَذَلِكَ الْكَرْهُ اسْمٌ لِلْمَصْدَرِ وَالْكَرْهُ الْمَصْدَرُ "^(١١).

^١ سورة الأحقاف، الآية ١٥.

^٢ ابن منظور، لسان العرب، (كره)، ج ١٣، ص ٥٣٤.

^٣ النحاس، إعراب القرآن، ج ١، ص ٢٠٦، ج ٢، ص ١٢٢.

^٤ السمرقندي، بحر العلوم، ج ١، ص ٢٩٠.

^٥ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٠، ص ١١.

^٦ الأخفش، معاني القرآن، ج ١، ص ١٨٤.

^٧ ابن منظور، لسان العرب، (كره)، ج ١٣، ص ٥٣٤.

^٨ النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٦٦.

^٩ ابن منظور، لسان العرب، (كره)، ج ١٣، ص ٥٣٤.

^{١٠} النحاس، إعراب القرآن، ج ٤، ص ١٠٩.

^{١١} المصدر نفسه.

وأحسب أنّ هاتين القراءتين هما لغتان بمعنى واحد، وهو مذهب قال به كثير من أهل العربية،^(١) قال الفارسي: " الكَرَه والكُرَه: لغتان، كقولهم: الفقر والفقر، والضعف والضعف، والدَّف والدَّف، والشَّهْد والشَّهْد. فمن قرأ الجميع بالضم فقد أصاب. وكذلك لو قرأ قارئ جميع ذلك بالفتح، وكذلك إن قرأ بعض ذلك بالفتح وبعضه بالضم، كل ذلك مستقيم".^(٢)

(شَنَّان)، (شَنَّان):^(٣)

قرأ ابن عامر وشعبة وابن وردان وابن جَمَّاز بخلاف عنه (شَنَّان) من قوله تعالى: " وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَّانُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا "،^(٤) وقوله تعالى: " وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَّانُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا "،^(٥) حيث قرأوا (شَنَّان) على وزن (فَعْلَان) صفة مشبهة^(٦) لمذكر بمعنى (البغض)،^(٧) فـ " الشَّنَاءَةُ مِثْلُ الشَّنَاعَةِ: البُغْضُ"^(٨) مؤنثه (فَعْلَانَةٌ) نحو: عَطْشَانٌ عَطْشَانَةٌ وسَكْرَانٌ سَكْرَانَةٌ،^(٩) وقيل: رجل شَنَّان وامرأة شَنَّانَةٌ،^(١٠) وروي عن الفراء قوله: (شَنَّان) بالتخفيف وهي اسم بمعنى (البَغِيضُ).^(١١)

^١ ابن منظور، لسان العرب، (كره)، ج ١٣، ص ٥٣٤.

^٢ الفارسي، الحجّة، ج ٣، ص ١٤٤-١٤٥.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧١. شرح طيبة النشر، ص ٢١٨. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٥٣، ٢٥٤. تحبير التيسير، ص ٣٤٥. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٨٣.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١٦٧.

^٤ سورة المائدة، الآية ٢.

^٥ سورة المائدة، الآية ٨.

^٦ الألويسي، روح المعاني، ج ٣، ص ٢٢٩.

^٧ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ١، ص ١٤٧.

^٨ ابن منظور، لسان العرب، (شَنَّان)، ج ١، ص ١٠١.

^٩ ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ج ٣، ص ١٤٧٢.

^{١٠} الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١١، ص ٢٨٢.

^{١١} الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٣٠٠.

ويحتمل أن يكون مصدرًا نحو: لَيَّانٌ^(١) قاله (الواحدي^(٢))، وقال الجوهري: " وَهُوَ شَاذٌ فِي اللَّفْظِ لِأَنَّهُ لَمْ يَجِئْ شَيْءٌ مِنَ الْمَصَادِرِ عَلَيْهِ"^(٣)، ويزيد الزبيدي الأمر وضوحاً فيقول: "... لم يجيء من المصادر على فَعْلَانٍ بِالْفَتْحِ إِلَّا لَيَّانٌ وَشَنَّانٌ، لَأَنَّ تَالِثَ لِهَمَا"^(٤).

وبناءً على تضعيف مصدرية (شَنَّان) بل تشذيبها، ذهب بعض المفسرين إلى تفضيل قراءة (شَنَّان) بالفتح وأنها " أولى القراءتين... بالصواب"^(٥) من قراءة التَّسْكِينِ، وقيل: " وَالْفَتْحُ أَجْوَدُ، لِأَنَّ الْمَصَادِرَ أَكْثَرُهَا عَلَى فَعْلَانٍ، بِفَتْحِ الْعَيْنِ مِثْلَ الضَّرْبَانِ وَالسَّيْلَانِ وَالنَّسْلَانِ وَنَحْوِهَا"^(٦)، قال الجوهري: " وهما شاذان فالتحريك شاذ في المعنى لأنَّ فَعْلَانٍ إِنَّمَا هُوَ مِنْ بِنَاءِ مَا كَانَ مَعْنَاهُ الْحَرَكَةُ وَالِاضْطِرَابُ كَالضَّرْبَانِ وَالخَفْقَانِ وَالتَّسْكِينِ شَاذٌ فِي اللَّفْظِ لِأَنَّهُ لَمْ يَجِئْ شَيْءٌ مِنَ الْمَصَادِرِ عَلَيْهِ"^(٧).

وقد غلط (الفارسي^(٨)) من زعم أن (شَنَّان) بالتَّسْكِينِ ليست بمصدر، قال: " من أسكن النون مصدرًا كاللَّيَّانِ، فيكون المعنى: لا يجرمكم بغض قوم، كما كان التقدير في من فتح كذلك، وقال أبو زيد: رجل شَنَّانٌ وامرأة شَنَّانَةٌ، مصروفان... وقد يقال: رجل شَنَّانٌ بغير صرف، ولأنك تقول: امرأة شَنَّانٌ... فأما الشَنَّانُ عَلَى فَعْلَانٍ، فَإِنَّ فَعْلَانٍ قَدْ جَاءَ مَصْدَرًا وَجَاءَ وَصْفًا، وَهُمَا جَمِيعًا قَلِيلَانِ"^(٨)، وقرأ الباقر ومعه ابن جَمَّاز بخلاف عنه (شَنَّان) على وزن (فَعْلَانٍ)، " وَالشَنَّانُ هُوَ الْبُغْضُ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ

^١ ركن الدين الاسترأبادي، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الاسترأبادي، (ت: ٧١٥هـ)، (٢٠٠٤م)، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: عبد المقصود محمد عبد المقصود، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، ج١، ص١٥٩.

^٢ الواحدي، التفسير الوسيط، ج٢، ص١٥٠. الرازي، مفاتيح الغيب، ج١١، ص٢٨٢.

^٣ الجوهري، الصحاح، (شَنَّان)، ج١، ص٥٧.

^٤ الزبيدي، تاج العروس، (شَنَّان)، ج١، ص٢٨٦.

^٥ الطبري، جامع البيان، ج٩، ص٤٨٦.

^٦ البغوي، معالم التنزيل، ج٢، ص٩.

^٧ الجوهري، الصحاح، (شَنَّان)، ج١، ص٥٧. السيوطي، المزهري، ج١، ص١٨٤.

^٨ الفارسي، الحجّة، ج٣، ص١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠.

وَعَيْرُهُ وَهُوَ مَصْدَرٌ مِنْ شَنَاتُهَا شَنُوهُ شَنَانًا بِالتَّحْرِيكِ، مِثْلُ قَوْلِهِمْ جَمَزَانَ وَدَرَجَانَ وَرَقْلَانَ مِنْ جَمَزَ وَدَرَجَ وَرَقَلَ." (١)

و(شَنَان) - كما يرى الزبيدي وغيره كالجوهري- هو من جملة المصادر الشاذة، قال: "هُوَ شَاذٌ فِي الْمَعْنَى، لِأَنَّ فَعْلَانَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ بِنَاءِ مَا كَانَ مَعْنَاهُ الْحَرَكَةُ وَالْبَاضْطِرَابُ، كَالضَّرْبَانَ وَالخَفْقَانَ، وَقَالَ سيبويه: الْفَعْلَانُ بِالتَّحْرِيكِ مَصْدَرٌ مَا يَدُلُّ عَلَى الْحَرَكَةِ كَجَوْلَانَ، وَلَا يَكُونُ لِفِعْلِ مُتَعَدٍّ فَيَشِدُّ فِيهِ مِنْ وَجْهَيْنِ، لِأَنَّهُ مُتَعَدٌّ، وَلعدم دَلَالَتِهِ عَلَى الْحَرَكَةِ." (٢) فيكون المعنى والله أعلم: لَا يُكْسِبُكُمْ بُغْضٌ أَوْ بَغِيضٌ قَوْمٌ مِنْ أَجْلِ أَنْ صَدُّوكُمْ عِدْوَانًا عَلَيْهِمْ وَظُلْمًا لَهُمْ." (٣)

ويرى الباحث أن هاتين القراءتين تحتلان وجهين؛ فهما إما أن يكونا مصدرين بمعنى واحد هو البغض، وإلى ذلك ذهب نفر من العلماء. (٤) وإما أن يكونا صفتين مشبهتين بمعنى واحد أيضاً، قال الرازي: "وَفَعْلَانٌ قَدْ جَاءَ وَصَفًا وَقَدْ جَاءَ مَصْدَرًا"، (٥) وقال السمين الحلبي في (الدر المصون): "وَجَوَزُوا فِي كُلِّ مِنْهُمَا أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا وَأَنْ يَكُونَ وَصَفًا." (٦)

^١ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٥٧٧٤هـ)، (١٩٩٩م)، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ج٢، ص١٢. الصابوني، محمد علي الصابوني، (١٩٨١م)، مختصر تفسير ابن كثير، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، ط٧، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان، ج١، ص٤٧٨.

^٢ الزبيدي، تاج العروس، (شناً)، ج١، ص٢٨٦. سيبويه، الكتاب، ج٤، ص١٥.

^٣ الثعالبي، الجواهر الحسان، ج٢، ص٣٣٨.

^٤ الزمخشري، الكشاف، ج١، ص٦١٢. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٢، ص١٤٩.

البيضاوي، أنوار التنزيل، ج٢، ص١١٤. أبو حيان، البحر المحيط، ج٤، ص١٦٩.

^٥ الرازي، مفاتيح الغيب، ج١١، ص٢٨٢.

^٦ السمين الحلبي، الدر المصون، ج٤، ص١٨٩-١٩٠.

(دكّاء)، (دكّا): (١)

قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر (دكّا) من قوله تعالى: " فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا "، (٢) وكذلك قرأوا ومعهم حفص (دكّاء) من قوله تعالى: " فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا " (٣) (دكّاء) بالحاق همزة بعد الألف، دون تنوين، على وزن (فعلاء) اسماً مفرداً نحو: حمراء وصفراء، " وَالذَّكَّاءُ النَّاقَةُ الَّتِي لَأَسَنَامَ لَهَا " (٤)، وعن ابن دريد " النَّاقَةُ الذَّكَّاءُ إِذَا كَانَتْ مَفْتَرِشَةَ السَّنَامِ فِي ظَهْرِهَا أَوْ مَجْبُوبَةً "، (٥) أو هو اسم للرابية الناشزة من الأرض، كالدكّة أو أرضاً دكّاء مستوية حكاها الزمخشري. (٦) ويكون تأويل هذه الآية " أَنْ اللَّهَ جَلَّ فِي عِلَاهِ صَيَّرَ الْجَبَلَ أَرْضًا دَكَّاءَ كَالنَّاقَةِ الذَّكَّاءِ، أَي جَعَلَهُ حِينَ التَّجَلَّى مَسْتَوِيًّا لَا ارْتِفَاعَ فِيهِ؛ تَعْظِيمًا لِلَّهِ تَعَالَى وَخُضُوعًا لَهُ " (٧).

وقرأ الباقر في كلا الموضعين (دكّا) بحذف الألف والهمزة مع إلحاق التنوين، على وزن (فعلاً) مصدر دككت الأرض دكّا، إذا " جعلتها مستوية لا ارتفاع فيها ولا انخفاض "، (٨) أو هي مصدر أقيم مقام اسم المفعول أي جعله مدكوكاً قاله (مكي) في (الهداية)، (٩) ومن سنن العرب في كلامها إقامة المصدر مقام اسم

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٦. شرح طيبة النشر، ص ٢٣٦. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٧١. تحبير التيسير، ص ٣٧٨، ٤٥٠. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٣٧.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٤٨.

^٢ سورة الأعراف، الآية ١٤٣.

^٣ سورة الكهف، الآية ٩٨.

^٤ نشوان بن سعيد الحميري، شمس العلوم، (دكك)، ج ٤، ص ٢٠٠٦.

^٥ ابن دريد، الجمهرة، (دكك)، ج ١، ص ١٩٣.

^٦ الزمخشري، الكشف، ج ٢، ص ١٩٥.

^٧ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٥، ص ١٦٧. محيسن، القراءات، ج ١، ص ٥٤٦.

^٨ محيسن، القراءات، ج ١، ص ٥٤٦.

^٩ مكي، الهداية، ج ٤، ص ٢٥٤٠.

المفعول، " فَيَقُولُونَ هَذَا دِرْهَمٌ ضَرَبَ الْأَمِيرُ أَي مَضْرُوبِ الْأَمِيرِ" (١) ونظير هذه القراءة قوله تعالى: " كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا "، (٢) ومنه قول الشاعر: (٣)
 قد كان شَغْبٌ لو أَنَّ اللهَ عَمَّرَهُ عِزًّا تَزَادُ بِهِ فِي عِزِّهَا مُضْرٌ
 لَيْتَ الْجِبَالَ تَدَاعَتْ قَبْلَ مَصْرَعِهِ دَكًّا فَلَمْ يَبْقَ فِي أَحْجَارِهَا حَجْرٌ
 (مُجْرَاهَا)، (مَجْرَاهَا): (٤)

قرأ حمزة والكسائي وحفص وخلف العاشر (مَجْرَاهَا) من قوله تعالى: " وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا"، (٥) بفتح الميم على أنه مصدر ثلاثي من جرى جَرِيًّا وَمَجْرَى، (٦) والمراد بِسْمِ اللَّهِ جريانها، وبِسْمِ اللَّهِ مُرْسَاهَا. (٧)
 وقرأ الباقون (مُجْرَاهَا) بضم الميم، مصدرًا مزيدًا من أَجْرَيْتُ السَّقِينَةَ، (٨) والمعنى: " بِاللَّهِ إِجْرَاؤُهَا وَبِاللَّهِ إِرْسَاؤُهَا"، (٩) أو هو على معنى: " اركبوا الآن متبركين باسم الله في الوقتين اللذين لا ينفك الركابون فيها منهما من الإرساء

^١ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٩٥.

^٢ سورة الفجر، الآية ٢١.

^٣ هذا البيت لعكرشة (أبي شغب) يرثي ابنه شغبًا، المبرد، الكامل في اللغة، ج ١، ص ١٨٠. أبو علي القالي، الأمالي، ج ٢، ص ٨٨.

^٤ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٩. شرح طيبة النشر، ص ٢٥٠. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٨٨. تحبير التيسير، ص ٤٠٥. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٧٨. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٣٠٧.

^٥ سورة هود، الآية ٤١.

^٦ ابن الهائم، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (ت: ٨١٥هـ)، (١٤٢٣هـ)، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق: ضاحي عبد الباقي محمد، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج ١، ص ١٨٩.

^٧ الزجاج، معاني القرآن، ج ٣، ص ٥٢.

^٨ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ١، ص ٢٨٩.

^٩ الزجاج، معاني القرآن، ج ٣، ص ٥٢. الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ٤٦.

والإجراء".^(١) ويكون المعنى بحسب هاتين القراءتين أنّ الله جلّ علاه أمرهم أن يذكروا اسمه في وقت جريان السفينة ووقت استقرارها.
(بِقِيَّة)، (بِقِيَّة):^(٢)

وانفرد ابن جمّاز بقراءة (بقية) من قوله تعالى: " فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ"،^(٣) حيث قرأها (بقية) بكسر الباء، وإسكان القاف وتخفيف الياء، مصدراً للمرة على وزن (فَعْلَةٌ)،^(٤) من قولهم: " بَقِيْتُ الرَّجُلَ أَبْقِيَهُ بَقِيًّا"،^(٥) أي أنظر إليه وأترقبه^(٦)، ويمكن أن يحمل على أنه " مَصْدَرٌ بِمَعْنَى فَعِيلٍ، وَهُوَ بِمَعْنَى فَاعِلٍ"،^(٧) ومنه حديث معاذ بن جبل قال: " بَقِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَلَاةِ الْعَتَمَةِ لَيْلَةً فَتَأَخَّرَ بِهَا حَتَّى ظَنَّ الظَّانُّ أَنْ قَدْ صَلَّى أَوْ لَيْسَ بِخَارِجٍ..."^(٨)، يريد: " انتظرناه وترصدنا له مدة كثيرة"،^(٩) وقال الشاعر:^(١٠)

^١ الفارسي، الحجة، ج ٤، ص ٣٣١.

^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٠. شرح طيبة النشر، ص ٢٥٣. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٩٢. تحبير التيسير، ص ٤٠٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٨٥، ٣٨٦. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٣١٩.

^٣ سورة هود، الآية ١١٦.

^٤ العكبري، التبيان، ج ٢، ص ٧١٨. السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٦، ص ٤٢٣. محيسن، القراءات، ج ١، ص ٥٨٦.

^٥ أبو عبيد، القاسم بن سلام بن عبدالله الهروي البغدادي، (ت: ٥٢٢٤هـ)، (٢٠٠٣م)، غريب الحديث، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج ٢، ص ٢٤٣.

^٦ الجوهرى، الصحاح، (بقي)، ج ٥، ص ١٩٢٣. الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٤٣٧.

^٧ العكبري، التبيان، ج ٢، ص ٧١٨. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٣١٩.

^٨ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، (٢٠٠٣م)، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط ٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، باب من استحَبُّ تأخيرها، حديث رقم: ٢١٢١، ج ١، ص ٦٦٢.

^٩ الرّاغب الأصفهاني، المفردات، ج ١، ص ١٣٨.

^{١٠} الأبيات بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها: الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٩، ص ٢٦١. الجوهرى، الصحاح، ج ٥، ص ١٩٢٣. ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ٢١٦.

فَهَن يَعْكُنَ حَادَائِهَا

جُنْحُ النَّوَاصِي نَحْوَ أَلْوِيَاتِهَا

كـالطير تبقى متداوماتها

يعني: "تتنظر إليها" (١)، وقال كثير عزة: (٢)

فَمَا زِلْتُ أَبْقِي الظُّعْنَ حَتَّى كَانَهَا أَوَاقِي سَدَى تَغْتَالِهِنَّ الْحَوَائِكُ

وقرأ الباقر بن بَقِيَّةَ بفتح الباء وكسر القاف وتشديد الياء، على وزن (فَعِيلَة) مصدراً من قولهم: "بقي من الشيء بقية"، (٣) والمراد به الخير والفضل قاله ابن عباس، وعن ابن قتيبة "يقال: قوم لهم بقية وفيهم بقية. إذا كانت بهم مسكة وفيهم خير"، (٤) وإنما سمّت العرب الفضل والجد ببقية؛ "لأن الرجل يسبقي مما يخرج أجدده وأفضله، فصار هذا اللفظ مثلاً في الجودة يقال فلان من بقية قوم أي من خيارهم، وبه فسر بيت الحماسة:

إِنْ تُذْنِبُوا ثُمَّ يَأْتِينِي بِقِيَّتِكُمْ

وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ:

في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا" (٥).

ويرى الباحث أن بقية قد تكون مصدراً من باب بقي يبقى بقاءً وبقية؛ إذ "... الباقية، توضع موضع المصدر، قال الله تعالى: "فهل ترى لهم من باقية"، (٦) أي:

^١ أبو عبيد، غريب الحديث، ج ٢، ص ٢٤٣.

^٢ كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر (٥١٠هـ)، (١٩٧١م)، ديوان كـثير عزة، شرحه وحققه: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص ٣٤٨.

^٣ الجوهري، الصحاح، (بقي)، ج ٦، ص ٢٢٨٣.

^٤ ابن قتيبة، غريب القرآن، ج ١، ص ٢١٠.

^٥ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٦، ص ٢٢٤. الشطر الأول هو لرؤيشيد بن كثير الطائي وتمتته:

إِنْ تُذْنِبُوا ثُمَّ تَأْتِينِي بِقِيَّتِكُمْ فَمَا عَلِيَّ بِذَنْبٍ مِنْكُمْ فَوْتُ

التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، أبو زكريا (ت: ٥٠٢هـ)، شرح ديوان الحماسة، (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس (ت: ٢٣١هـ)، دار القلم، بيروت، ص ٤٧.

^٦ الرازي، مختار الصحاح، (بقي)، ص ٣٨. سورة الحاقة، الآية ٨.

(بقاء) قاله الفرّاء قال: " وَيُقَالُ: هَلْ تَرَى مِنْهُمْ بَاقِيًا ؟ وَكُلُّ ذَلِكَ فِي الْعَرَبِيَّةِ جَائِزٌ حَسَنٌ"،^(١) وقيل هي: بِمَعْنَى الْبَقْوَى، " كَالْتَّقِيَّةِ بِمَعْنَى التَّقْوَى"، حكاها الزمخشري في الكشاف،^(٢) وروى أبو عبيد عن الكسائي قال: " الْبَقْوَى وَالْبُقْيَا هِيَ الْإِبْقَاءُ، مِثْلَ الرَّعْوَى، وَالرُّعْيَا مِنَ الْإِرْعَاءِ عَلَى الشَّيْءِ، وَهُوَ الْإِبْقَاءُ عَلَيْهِ"،^(٣) وقيل: هي على زنة " فَعِيلَةٌ اسْمٌ فَاعِلٌ لِلْمُبَالَغَةِ ".^(٤)

وبناءً على ذلك يحسب الباحث أنّ المعنى وفق هذا التوجيه يمكن أن يكون - والله أعلم - " فَهَلَّا كَانَ مِنْهُمْ ذُو بَقَاءٍ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَصِيَانَةً لَهَا مِنْ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى وَعِقَابِهِ"،^(٥) ويقول صاحب البحر معقباً على ذلك: " وَإِنَّمَا قِيلَ: بَقِيَّةٌ لِأَنَّ الشَّرَائِعَ وَالذُّوْلَ وَنَحْوَهَا قُوَّتُهَا فِي أَوْلِيَّهَا، ثُمَّ لَمْ تَرَ لُ تَضَعُفُ، فَمَنْ ثَبَتَ فِي وَقْتِ الضَّعْفِ فَهُوَ بَقِيَّةٌ الصِّدْرِ الْأَوَّلِ".^(٦)
(بشَق)، (بشَق):^(٧)

وانفرد أبو جعفر من بين القراء العشرة بقراءة (بشَق) من قوله تعالى: " وَتَحْمَلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ"^(٨) بفتح الشين (بشَق) على وزن (فَعَلَ) مصدر شَقَّتْ،^(٩) من قولهم: " شَقَّ الْأَمْرُ عَلَيْهِ شَقًّا"^(١٠) يريد: " إِلَّا

^١ الفرّاء، معاني القرآن، ج ٣، ص ١٨٠.

^٢ الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٤٣٧.

^٣ الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٩، ص ٢٦٠. ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٨٠. (بقي)

^٤ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٦، ص ٢٢٤.

^٥ الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٤٣٧.

^٦ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٦، ص ٢٢٤.

^٧ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨١. شرح طيبة النشر، ص ٢٦٠. النشر في القراءات،

ج ٢، ص ٣٠٢. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤١١. تحبير التيسير، ص ٤٣٠.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٣٥٣، ٣٥٤.

^٨ سورة النحل، الآية ٧.

^٩ ابن منظور، لسان العرب، (شقق)، ج ١٠، ص ١٨١.

^{١٠} الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٥٩٤. مكّي، الهداية، ج ٦، ص ٣٩٥٣. النحاس، معاني

القرآن، ج ٤، ص ٥٦.

بِمَشَقَّةٍ " قاله مجاهد،^(١) قال ابن قتيبة: " يقال: نحن بشقٍّ من العيش، أي بجهدٍ "^(٢)، وعن أبي عبيد قال: " الشَّقُّ: المشَقَّةُ والجهدُ والعناءُ"،^(٣) وزاد عليه صاحب المفردات: "والانكسارُ الَّذِي يَلْحَقُ النَّفْسَ وَالْبَدَنَ".^(٤)

وقرأ الباقون (بشِق) بكسر الشين على وزن (فَعَلَ) اسماً للمصدر، وهو " نصف الشيء، يقال: أخذت شقَّ الشاةِ"،^(٥) والمعنى: " إلا بنقص من القوة، أي ذهاب شق منها، أي: ذهاب نصفها"،^(٦) قاله الفراء قال: " وقد يجوز في قوله: (بِشِقِّ الْأَنْفُسِ) أن تذهب إلى أن الجهد ينقص من قوة الرجل ونفسه حتى يجعله قد ذهب بالنصف من قوته، فتكون الكسرة على أنه كالنصف والعرب تقول: خذ هذا الشقَّ لشقَّة الشاةِ ويُقال: المال بيني وبينك شقَّ الشعرة وشقَّ الشعرة وهما متقاربان، فإذا قالوا شققت عليك شقاً نصبوا ولم نسمع غيره".^(٧)

ونحن إذا ما بحثنا المسألة عند أصحاب المعاجم وصنّاع التّصريف^(٨) فإننا نجد منهم من رأى الصيغتين مترادفتين بمعنى واحد،^(٩) فكان معاذ الهراء^(١٠) يقول:

^١ مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، (١٩٨٩م)، تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ص ٤٢٠.

^٢ ابن قتيبة، غريب القرآن، ص ٢٤١. ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٢، ص ٥٥١.

^٣ الزبيدي، تاج العروس، (شقق)، ج ٢٥، ص ٥١٢.

^٤ الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٤٥٩. الزبيدي، تاج العروس، (شقق)، ج ٢٥، ص ٥١٢.

^٥ الجوهري، الصحاح، (شقق)، ج ٤، ص ١٥٠٢.

^٦ مكّي، الهداية، ج ٦، ص ٣٩٥٣. الماوردي، النكت والعيون، ج ٣، ص ١٨٠.

^٧ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٩٧. الأزهرى، تهذيب اللغة، (شقق)، ج ٨، ص ٢٠٥.

^(٨) القادوسي، أثر القراءات القرآنية، ص ٢٨٢-٢٨٣.

^(٩) الرازي، مختار الصحاح، (شقق)، ص ١٦٧.

^(١٠) هو أبو مسلم معاذ الهراء، ولد زمن يزيد بن عبد الملك، وعاش إلى أيام البرامكة، وقد سمّي بـ (الهراء) لانه كان يبيع الثياب الهروية، ولم يصلنا مصنف له، أخذ عنه الكسائي، وتوفي سنة سبع وثمانين ومائة، في خلافة الرشيد. الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، (ت: ٥٧٧هـ)، (١٩٨٥م)، نزهة الألباء

" هي لغة، تَقُولُ الْعَرَبُ بِشِقِّ وَبِشَقِّ، وَبَرِقٌ وَبَرَقٌ" (١) وذهب أبو عبيدة إلى أن (شِقٌّ) هو مما تتعاقب على فائه الفتحة والكسرة "ومعناه بِمَشَقَّة" (٢) وأنشد عليه بيتاً لعمر بن مَلَقَطٍ، وهو قوله: (٣)

وَالخَيْلُ قَدْ تُجْشِمُ أَرْبَابَهَا الشَّقَّ وَقَدْ تَعْتَسِفُ الرَّأوِيَةَ

وهذا ابن جني يقرّر أنّ الفتح والكسر في كلتا الصيغتين سيان، قال: " الشَّقُّ، بفتح الشين بمعنى الشِقِّ بكسرها وكلاهما المشقَّة" (٤) وأنشد عليه بيت عمرو بن مَلَقَطٍ سالف الذكر، وقيل: " هما مصدران بمعنى واحد، أي: المَشَقَّة" (٥) أو هما متقاربان حكاة المَهْدَوِيُّ، (٦) وقال الثعلبي: "... هُمَا لُغَتَانِ، مِثْلُ رِقٍ وَرَقٍ وَجِصٍّ وَجِصٌّ وَرَطْلٍ وَرَطْلٌ" (٧).

وإلى جانب هذا المذهب ثمة من رأى الصيغتين مترادفتين في المعنى متباينتين في الفصيحة التصريفية؛ إذ (الشَّقُّ) بالكسر هو اسم من المَشَقَّة، و(الشَّقُّ) بالفتح هو مصدر يحمل الدلالة نفسها، (٨) وقيل: هما مصدران بمعنى واحد، (٩) " أي: المَشَقَّة" (١٠).

في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط ٣، مكتبة المنار، الأردن، ص ٥٠.

التتوخي، تاريخ العلماء النحويين، ص ١٩٣.

(١) الطبري، جامع البيان، ج ١٧، ص ١٧١.

(٢) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ١، ص ٣٥٦.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ١٨٣. الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٥، ص ٥١٢.

(٤) ابن جني، المحتسب، ج ٢، ص ٧.

(٥) السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٧، ص ١٩٤.

(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ٧٢.

(٧) البغوي، معالم التنزيل، ج ٣، ص ٧٢.

(٨) النحاس، معاني القرآن، ج ٤، ص ٥٦. الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص ٣٤٩.

(٩) الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص ٣٤٩.

(١٠) السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٧، ص ١٩٤.

وبناءً على هذه المباحثة يعتقد الباحث أنّ هاتين القراءتين متباينتان في البنية الصّرفيّة والمعنى المعجمي، وهو مذهب أخذ به فريق من العلماء،^(١) فيرى الزّمخشري أنّ هاتين القراءتين "... بينهما فرق: وهو أنّ المفتوح مصدر شَقَّ الأمرُ عليه شَقًّا، وحقيقته راجعة إلى الشَّقِّ الذي هو الصَّدْع، وأمّا الشَّقُّ النُّصْفُ، كأنّه يذهب نصف قوّته لما يناله من الجهد"،^(٢) قال الرّازي: " وَقُرِي: بِشِقِّ الْأَنْفُسِ بِكَسْرِ الشَّيْنِ وَقَتْحَهَا، وَأَكْثَرُ الْقُرَاءِ عَلَى كَسْرِ الشَّيْنِ. وَالشَّقُّ الْمَشَقَّةُ وَالشَّقُّ نِصْفُ الشَّيْءِ، وَحَمَلُ اللَّفْظِ ههنا عَلَى كِلَا الْمَعْنَيَيْنِ جَائِزٌ، فَإِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى الْمَشَقَّةِ كَانَ الْمَعْنَى: لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا بِالْمَشَقَّةِ، وَإِنْ حَمَلْنَاهُ عَلَى نِصْفِ الشَّيْءِ كَانَ الْمَعْنَى: لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ إِلَّا عِنْدَ ذَهَابِ النُّصْفِ مِنْ قُوَّتِكُمْ أَوْ مِنْ بَدَنِكُمْ وَيَرْجِعُ عِنْدَ التَّحْقِيقِ إِلَى الْمَشَقَّةِ. وَمِنَ النَّاسِ مَنْ قَالَ: الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: وَاللَّانِعَامَ خَلَقَهَا الْإِبِلُ فَقَطُّ بِدَلِيلٍ أَنَّهُ وَصَفَهَا فِي آخِرِ الْآيَةِ بِقَوْلِهِ: وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيهِ وَهَذَا الْوَصْفُ لَا يَلِيقُ إِلَّا بِالْإِبِلِ".^(٣)

ومع ذلك يبقى لمن غلب الاستعمال اللّغويّ على البون في الدلالة والبنية ما يسوّغه؛ فقد وردت لفظة (الشَّق) في بعض الشواهد الشعريّة بفتح الشين وكسرها، ومنه قول النمر بن تولب:^(٤)

وذي إبلٍ يسعى ويحسبها له أخي نصّب من شقّها ودؤوب

(١) الحريري، درّة الغواص، ص ٢٦٩.

(٢) الزّمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٥٩٤-٥٩٥.

(٣) الرّازي، مفاتيح الغيب، ج ١٩، ص ١٧٦.

٤ النمر بن تولب بن زهير بن أقيش، (٢٠٠٠م)، ديوان النمر بن تولب العكلي، جمع وشرح تحقيق: محمد نبيل طريقي، ط ١، دار صادر، بيروت، ص ٤٤. والبيت في الديوان برواية أخرى:

وذي إبلٍ يسعى ويحسبها له أخي نصّب في سقيها ودؤوب

وورد البيت بهذه الرواية في المصادر الآتية: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٣، ص ٣٨٠. ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ١٨٤.

(خِطَاءٌ)، (خَطَأً)، (خِطْءٌ):^(١)

وانفرد ابن كثير من بين القراء العشرة في (خِطْءاً) من قوله تعالى: " إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيرًا "،^(٢) حيث قرأها (خِطْءاً) بكسر الخاء وفتح الطاء وألف ممدودة بعدها، على وزن (فِعَال) مصدر خَاطَأَ يُخَاطِئُ خِطْءاً، نحو: صَامَ يَصُومُ صِيَامًا، وَقَاتَلَ يُقَاتِلُ قِتَالًا^(٣)، ويجوز أن تكون من " خَطِئَ يَخْطِئُ خَطْأً وَخِطْءاً ... كَمَا تَقُولُ سَفَدُ الطَّائِرِ يَسْفِدُ سَفَادًا "،^(٤) وقرأ ابن ذكوان وأبو جعفر وهشام بخلاف عنه (خَطْأً) بفتح الخاء والطاء، مع حذف الألف والمد، على وزن (فَعَل) وهو ضدّ الصَّوَابِ، أو - كما قالوا - " العدول عنه بسهواً "،^(٥) مصدر (خَطِئْتُ) بمعنى (أَخْطَأْتُ) قاله (أبو عبيدة)^(٦) وأُشْدَّ عَلَيْهِ قَوْلُ أَوْسُ بْنِ غَلْفَاءَ الْهَجِيمِيِّ:^(٧)

دَعَيْنِي إِنَّمَا خَطِئِي وَصَوَّبِي عَلَيَّ وَإِنَّمَا أَهْلَكْتُ مَالِي

وكلام أبي عبيدة من أَنَّ خَطِئْتُ بِمَعْنَى أَخْطَأْتُ فِيهِ نَظْرٌ؛ ذَلِكَ أَنَّ الْمَتَدَاوِلَ بَيْنَ أَرْبَابِ اللَّغَةِ وَصُنَاعِ الْمَعَاجِمِ هُوَ " أَنَّ خَطِئْتُ بِمَعْنَى أَثِمْتُ وَأَخْطَأْتُ إِذَا لَمْ يَتَعَمَّدْ أَوْ إِذَا لَمْ يُصِيبْ "،^(٨) وإلى ذلك ذهب أبو جعفر النحاس، قال: " وهذا المعروف في اللغة يقال خَطِئْتُ يَخْطِئُ خَطْأً إِذَا أَثِمْتُ وَتَعَمَّدْتُ الذَّنْبَ وَقَدْ حَكَى فِي الْمَصْدَرِ خَطْأً وَأَخْطَأْتُ

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٢. شرح طيبة النشر، ص ٢٦٣. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٠٧. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٢٠. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٣٦٩.

^٢ سورة الإسراء، الآية ٣١.

^٣ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ٩٢.

^٤ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٤٠١.

^٥ الماوردي، النكت والعيون، ج ٣، ص ٢٤٠.

^٦ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ١، ص ٣٧٦.

^٧ ابن دريد، جمهرة اللغة، ج ٣، ص ١٣١١.

^٨ ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (٥٨٥٢هـ)، (١٩٥٩م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز دار المعرفة، بيروت، ج ٨، ص ٣٩٠.

وَتَخَطَّاءُ إِخْطَاءً وَالْأَسْمُ الْخَطَّاءُ إِذَا لَمْ يَتَعَمَّدَ الذَّنْبُ".^(١) ولذلك لا نعجب إذا ما وجدنا أبا إسحق الزجاج ينبه إلى مثل ذلك حين يقول: " وَخَطَّاءٌ كَبِيرًا لَهُ تَأْوِيلَانِ أَحَدُهُمَا مَعْنَاهُ إِنْ قَتَلْتَهُمْ كَانَ غَيْرَ صَوَابٍ يُقَالُ: قَدْ أَخْطَأَ يُخْطِئُ إِخْطَاءً وَخَطَّاءً، وَالْخَطَّاءُ الْأَسْمُ مِنْ هَذَا لَا الْمَصْدَرُ، وَيَكُونُ الْخَطَّاءُ مِنْ خَطِيءٍ يَخْطِئُ خَطَّاءً إِذَا لَمْ يَصِبْ مِثْلَ لَجَجٍ يَلْجَجُ".^(٢)

وقرأ الباقون ومعهم (هشام) (خِطْنًا) بكس الخاء، وإسكان الطاء، على وزن (فَعْل) اسماً من خَطَّاتٍ قاله أبو عبيدة^(٣) قال: " خَطِيءٌ خِطْنًا مِنْ بَابِ عَلِمَ"،^(٤) وقيل: هو مصدر خَطِيءٍ يَخْطِئُ خِطْنًا، يقال: " قَدْ خَطِيءَ الرَّجُلُ يَخْطِئُ خِطْنًا: أَثِمَ يَأْتِمُ إِثْمًا"،^(٥) يعني: إِثْمًا وَذَنْبًا كَبِيرًا،^(٦) " وليس في معنى أَخْطَأَ لِأَنَّ مَا أَخْطَأَتْ فِيهِ مَا صَنَعْتَهُ خَطَّاءً، وَمَا خَطِئَتْ فِيهِ مَا صَنَعْتَهُ عَمْدًا وَهُوَ الذَّنْبُ"،^(٧) ومنه قول امرئ القيس:^(٨)

يَا لَهْفَ نَفْسِي إِذْ خَطِئْتَ كَاهِلًا الْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْحَالِحِلَا

وقال آخر:^(٩)

وَالنَّاسُ يَلْحُونُ الْأَمِيرَ إِذَا هُمْ خَطُّوا الصَّوَابَ وَلَا يُلَامُ الْمُرْشِدُ

^١ النحاس، معاني القرآن، ج ٤، ص ١٤٧.

^٢ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٣، ص ٢٣٦.

^٣ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ١، ص ٣٧٦.

^٤ الفيومي، المصباح المنير، (خطو).

^٥ الزجاج، معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٣٦.

^٦ ابن أبي زَمَيْنين، تفسير القرآن العزيز، ج ٣، ص ٢٠.

^٧ الأخفش، معاني القرآن، ج ٢، ص ٤٢٢.

^٨ امرؤ القيس، امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، من بني آكل المرار (ت: ٥٤٥م)،

(٢٠٠٤م)، ديوان امرئ القيس، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، ط ٢، دار المعرفة،

بيروت، ص ١٤٢.

^٩ البيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الأخفش، معاني القرآن، ج ٢، ص ٤٢٣.

الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٣، ص ٢٣٦. ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٢٧.

أبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٧٦٣.

وقيل: (الخِطء) هو: "العدول عن الصواب بعمد"،^(١) ومنه قول الشاعر:^(٢)

الخِطءُ فاحشةٌ والبرُّ نافلةٌ كعجوةٍ غرست في الأرض تؤتبرُ

وهناك من عزا هذه القراءات إلى التباين اللغوي؛ إذ ليس في إحداها ما تمتاز

به عن أخواتها، فـ "... كلُّها لغات بمعنى واحد" ^(٣) تكلمت بها العرب.

(مَهْلِكِهِمْ)، (مُهْلِكِهِمْ)، (مُهْلِكِهِمْ):^(٤)

وانفرد شعبة بقراءة (لمهلكهم) من قوله تعالى: " وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا "،^(٥)

و(مهلك) من قوله تعالى: " ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ "،^(٦) حيث قرأهما

(لِمَهْلِكِهِمْ) و(مَهْلِكَ) بفتح الميم واللام التي بعد الهاء، على وزن (مَفْعَلٌ) على أنهما

مصدر ميمي للفعل الثلاثي (هَلَكَ يَهْلِكُ).^(٧) وقرأ حفص وحده في الموضعين

(مَهْلِكِهِمْ) بفتح الميم وكسر اللام على وزن (مَفْعَلٌ) على أنه اسم زمان، والمراد وقت

مهلكهم،^(٨) وقيل: هو مصدرٌ ميميٌّ سماعيٌّ للفعل الثلاثي هَلَكَ، نظير: المرجع

والمحيض.^(٩) ويكون تأويل هذه الآية بحسب هذين التوجيهين، أن الله جل ثناؤه قد

^١ الماوردي، النكت والعيون، ج ٣، ص ٢٤٠.

^٢ لم يرد هذا البيت في كتب اللغة والمعاجم التي اطلعت عليها، وقد ذكرت هذا البيت بعض كتب التفسير دون أن تنسبه لأحد من الشعراء. الطبري، جامع البيان، ج ١٧، ص ٤٣٧.

الماوردي، النكت والعيون، ج ٣، ص ٢٤٠. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٣، ص ٤٥١.

^٣ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٦، ص ٩٧.

^٤ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٣. شرح طيبة النشر، ص ٢٦٨. النشر في القراءات،

ج ٢، ص ٣١١. تحبير التيسير، ص ٤٤٦. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٣٢، ٤٣٣.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ١٦، ١٧.

^٥ سورة الكهف، الآية ٥٩.

^٦ سورة النمل، الآية ٤٩.

^٧ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ١٤٨.

^٨ مكّي، أبو محمد مكّي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم

الأندلسي القرطبي المالكي، (ت: ٤٣٧ هـ)، (١٩٨٥ م)، مشكل إعراب القرآن، تحقيق:

حاتم صالح الضامن، ط ٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج ١، ص ٤٤٥.

^٩ المصدر نفسه.

جعل- وهو العالم بقصد خطابه- لمهلكهم أو لهلاكهم موعداً وزمناً مخصوصاً لا
يَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ. (١)

وقرأ الباقون (مُهْلِكِهِمْ) بضم الميم وفتح اللام على وزن (مُفْعَلٌ)، على أنه
مصدر ميمي قياسي من الفعل أهلك المزيد بهمزة، أي لإهلاكهم، ويجوز أن يكون
اسم مفعول من الفعل أهلك أي: " لِمَنْ أَهْلَكَ، أَوْ لِمَا أَهْلَكَ مِنْهَا،" (٢) ويحتمل أن يكون
اسم زمان على تقدير: وقت إهلاكهم. (٣) ويكون المعنى بحسب قراءة الجمهور أن
الله جل في علاه قد خصص لمن أهلكه منهم في الدنيا موعداً يحلّ عليه انتقامه فيه
منه أشدّ انتقام وهو يوم القيامة أو في جهنم وبئس المصير. (٤)
(مَقَامًا)، (مَقَامًا): (٥)

انفرد ابن كثير من بين القراء العشرة بقراءة (مقاما) من قوله تعالى: " أَيُّ
الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا،" (٦) حيث قرأها (مَقَامًا) بضم الميم، على وزن
(مُفْعَلٌ) مصدرًا ميميًا، أو هو اسم مكان من الفعل الرباعي (أقام)، أي خير إقامة أو
مكان إقامة، يُقَالُ: "طَالَ مَقَامِي بِالْبَلَدِ وَأَقَمْتُ بِالْبَلَدِ مَقَامًا وَإِقَامَةً." (٧) وعن ابن
عبّاس- رضي الله عنهما-: " قال: المَقَامُ: المَسْكَنُ، والنَدِيَّةُ، المجلس والنَّعْمَةُ
والبهجة التي كانوا كانوا فيها." (٨)

^١ الألويسي، روح المعاني، ج ٨، ص ٢٨٩.

^٢ العكبري، التبيان، ج ٢، ص ٨٥٣.

^٣ الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص ٣٦٩.

^٤ الألويسي، روح المعاني، ج ٨، ص ٢٨٩.

^٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٥. شرح طيبة النشر، ص ٢٧٢. النشر في القراءات،

ج ٢، ص ٣١٨-٣١٩. تحبير التيسير، ص ٤٥٥. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢،

ص ٤٤٤. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٣٥.

^٦ سورة مريم، الآية ٧٣.

^٧ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٤٤٦.

^٨ الطبري، جامع البيان، ج ١٨، ص ٢٣٩.

وقرأ الباقون (مَقَامًا) بفتح الميم على وزن (مَفْعَل) مصدرًا ميميًّا، أو هو اسم مكان من الفعل الثلاثي (قام)، أي خير قيام، أو مكان قيام.^(١) يقال: "خير مَقَامًا بِالْفَتْحِ أَي مَكَانًا تَقُولُ قَامَ يَقُومُ مَقَامًا وَهَذَا مَقَامَنَا فَالْمَقَامُ يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ مَصْدَرًا وَيَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ اسْمَ الْمَوْضِعِ".^(٢)

وهكذا كانت هاتان القراءتان يكمل كل منهما الأخرى فالقراءة الأولى تخبر عن حسن إقامة أولئك المؤمنين عند ربهم الكريم، وتأتي القراءة الثانية لتؤكد هذا المعنى؛ فإذا كانت الإقامة كريمة وجب أن يكون محلها مقامًا كريمًا أيضًا، وفي ذلك يقول سفيان الثوري: "من قرأها خير مقامًا فإنما يعني مقامه الذي يقيم فيه الدهر والذي يقرأها مقامًا هنا فإنما يعني المُقَامَةَ الَّتِي يُقِيمُ فِيهَا".^(٣)

(لا مُقَام)، (لا مَقَام):^(٤)

قرأ حفص وحده (لا مُقَام) من قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا".^(٥) (لا مُقَام) بضم الميم على وزن (مُفْعَل) اسم مكان من (أقام) الرباعي، أي لا مكان إقامة لكم، أو مصدر من (أقام) الرباعي أيضًا، أي لا إقامة حسنة لكم. وقرأ الباقون (لا مَقَام) بفتح الميم، اسم مكان من قام الثلاثي أي لا مكان قيام لكم، أو هو مصدر من قام الثلاثي، أي: لا قيام لكم.

(مُقَامٍ أَمِينٍ)، (مَقَامٍ أَمِينٍ):^(٦)

^١ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٤٤٦.

^٢ المصدر نفسه.

^٣ سفيان الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت: ١٦١هـ) (١٩٨٣م)، تفسير الثوري، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ١٨٨.

^٤ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩١. شرح طيبة النشر، ص ٢٩٦. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٤٨. تحبير التيسير، ص ٥١١. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٠٩.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ١٤٣.

^٥ سورة الأحزاب، الآية ١٣.

^٦ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩١. شرح طيبة النشر، ص ٢٩٦. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٧١. تحبير التيسير، ص ٥٥٣. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٠٩.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ١٤٣.

وقرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (مَقَامٍ أَمِينٍ) من قوله تعالى: "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ" (١) (مَقَامٍ) بضم الميم، على وزن (مَفْعَل) اسم مكان من (أَقَام) أو هو مصدر ميمي على حذف مضاف، والتقدير: في موضع إقامة أمين. وقرأ الباقون (مَقَامٍ أَمِينٍ) بفتح الميم على وزن (مَفْعَل) اسم مكان من (قَام) الثلاثي. وقد اتفق القراء العشرة على قراءة (مَقَامٍ) من قوله تعالى: " وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ" (٢) بفتح الميم؛ " لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمَكَانُ، وَكَذَا فِي غَيْرِهِ، وَكَذَا مِنْ مَقَامٍ وَمَا أُجْمِعَ عَلَى فَتْحِهِ " (٣).

(مِهَادًا)، (مَهْدًا): (٤)

وقرأ ابن عامر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (مَهْدًا) من قوله تعالى: " الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا "، (٥) ومن قوله تعالى: " الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا "، (٦) حيث قرؤوها (مِهَادًا) بكسر الميم، وفتح الهاء، وإقحام ألف بعدها، على وزن (فَعَال) اسماً مفرداً (٧) قاله أبو عبيدة (٨) وهو الفِرَاش (٩)، والمعنى: جعل الأرض " فِرَاشًا وَبَسَاطًا" (١٠)، نظير قوله تعالى: " الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا " (١١)، وقوله عز من قائل: " وَاللَّهُ جَعَلَ

^١ سورة الدخان، الآية ٥١.

^٢ سورة الدخان، الآية ٢٦.

^٣ ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٧١.

^٤ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٥. شرح طيبة النشر، ص ٢٧٤. النشر في القراءات،

ج ٢، ص ٣٢٠. تحبير التيسير، ص ٤٥٨. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٤٩.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٤١، ٤٢.

^٥ سورة طه، الآية ٥٣.

^٦ سورة الزخرف، الآية ١٠.

^٧ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ١١، ص ٢٠٩.

^٨ أبوحيان، البحر المحيط، ج ٧، ص ٣٤٣.

^٩ الفيومي، المصباح المنير، (مهد)، ج ٢، ص ٥٨٢.

^{١٠} السمرقندي، بحر العلوم، ج ٢، ص ٤٠٢.

^{١١} سورة البقرة، الآية ٢٢.

لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا^(١) وفي ذلك يقول أبو علي الفارسي: " فالميَّاد مثل الفِراش والبساط، وهما اسم ما يُفْرَشُ وَيُبْسَطُ "،^(٢) وقيل: هي اسم للأرض، أي: " جَعَلَهَا لَهُمْ فِرَاشًا "،^(٣) وهي اختيار أبي عبيدة وأبي حاتم لإجماع القراء على قراءة (مهاداً)^(٤) من قوله تعالى: " أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهادًا "،^(٥) ويجوز أن تكون جمع تكسير واحده (مَهْد)^(٦)، وهو (الفَرش)^(٧)، أو هو اسمٌ لِمَا " يُمَهَّدُ لِلصَّبِيِّ، أَيْ يُوضَعُ عَلَيْهِ وَيُحْمَلُ فِيهِ، فَيَكُونُ بوزنِ كِعَابٍ جَمْعًا لِكَعْبٍ. وَمَعْنَى الْجَمْعِ عَلَى اعْتِبَارِ كَثْرَةِ البِقَاعِ "،^(٨) وهناك من ذهب إلى أنه اسمٌ للمفعول بِمَعْنَى المَمْهُودِ،^(٩) كقولهم: " فِرَاشٌ وَغِرَاسٌ ولباس بمعنى: مَفْرُوشٌ وَمَغْرُوسٌ وَمَلْبُوسٌ، ونظيرها: بِساطٌ ومِهادٌ "،^(١٠) وقيل: هو مصدر ثلاثي من مَهَّدَ مِهادًا قاله المفضل^(١١).

وقرأ الباقر (مَهْدًا) بفتح الميم وإسكان الهاء وحذف الألف التي بعدها، على وزن (فَعَل) مصدرًا من مَهَّدَ مَهْدًا^(١٢) وقيل: هو مصدر بمعنى المفعول " كالخلق بِمَعْنَى المَخْلُوقِ، ثُمَّ شَاعَ ذَلِكَ فَصَارَ اسْمًا لِمَا يُمَهَّدُ "،^(١٣) ويحتمل أن يكون اسمًا

^١ سورة نوح، الآية ١٩.

^٢ الفارسي، الحجّة، ج ٥، ص ٢٢٣.

^٣ ابن خالويه، الحجّة، ص ٢٤١.

^٤ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٦، ص ٢٤٧.

^٥ سورة النبأ، الآية ٦.

^٦ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٤، ص ٤٨.

^٧ ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٣، ص ١٦٢.

^٨ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٢٣٦.

^٩ المصدر نفسه.

^{١٠} الهوريني، نصر يونس الوفائي الهوريني (ت: ١٢٩١هـ)، (٢٠٠٥م)، المطابع النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية، تحقيق وتعليق: طه عبد المقصود، ط ١، مكتبة السنة، القاهرة، ص ٤١.

^{١١} أبو حيان، البحر المحيط، ج ٧، ص ٣٤٣.

^{١٢} المصدر نفسه.

^{١٣} ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٢٣٦.

مفرداً جمعه (مهَاد) نحو: سَهْمٌ وَسِهَامٌ،^(١) وَفَرَّخٌ وَفِرَاحٌ. وهناك من ساوى بين القراءتين فـ (مَهْدٌ) و(مِهَادٌ) هما بمعنى واحد وهو الفِرَاشُ كقوله جَلَّ وَعَزَّ: " جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا " .^(٢)

ويرى الباحث أنّ هاتين القراءتين تحتلان وجهين؛ فهما إما أن يكونا مصدرين بمعنى واحد^(٣) وهو الفِرَاشُ كقوله جَلَّ وَعَزَّ: " جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا "،^(٤) قال المفضل: " هُمَا مَصْدَرَانِ لِمَهْدٍ إِذَا وَطَّأَ لَهُ فِرَاشًا يُقَالُ مَهَّدَ مَهْدًا وَمِهَادًا وَفَرَّشَ فَرَشًا وَفِرَاشًا "،^(٥) قال بعض المفسرين: " الْمِهَادُ الْفِرَاشُ لِلنَّوْمِ، فَلَمَّا كَانَ الْمُعَذَّبُ فِي النَّارِ يُلْقَى عَلَى نَارٍ جَهَنَّمَ جَعَلَ ذَلِكَ مِهَادًا لَهُ وَفِرَاشًا "،^(٦) وقد ألح الطبري إلى مثل هذا حيث يقول: " إِنَّهُمَا قِرَاءَتَانِ مُسْتَفِيزَتَانِ فِي قِرَاءَةِ الْأَمْصَارِ مَشْهُورَتَانِ فَبَأَيَّتَهُمَا قَرَأَ الْقَارِئُ فَمَصِيبُ الصَّوَابِ فِيهَا " .^(٧)

ويجوز أن يكون (مهَاد) " اسماً لما يُمهَدُ كالفرَاش "،^(٨) وأن يكون (مَهْدٌ) " مصدراً سُمِّيَ به المفعول "،^(٩) قال أبو عبيد: مهَادٌ اسْمٌ، وَمَهْدٌ الْفِعْلُ يَعْنِي الْمَصْدَرُ "،^(١٠) " وَوَصَفُ الْأَرْضِ بِالْمَهْدِ: إِمَّا مِبَالِغَةٌ، وَإِمَّا عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ أَي: ذَاتِ مَهْدٍ " .^(١١) ويكون معنى الآية وفق هاتين القراءتين أنّ الله عزّ ثناؤه قد صيّر

^١ الفيوميّ، المصباح المنير، (مهَد)، ج ٢، ص ٥٨٢.

^٢ الأزهرّي، معاني القراءات، ج ٢، ص ١٤٦. سورة البقرة، الآية ٢٢.

^(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٥، ص ٤٧.

^(٤) الأزهرّي، معاني القراءات، ج ٢، ص ١٤٦. سورة البقرة، الآية ٢٢.

^(٥) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٢، ص ٦٠.

^(٦) المصدر نفسه، ج ٥، ص ٣٤٩.

^(٧) الطبري، جامع البيان، ج ١٨، ص ٣٢٠.

^(٨) أبو السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، تفسير أبي

السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

ج ٦، ص ٢١.

^(٩) المصدر نفسه.

^(١٠) أبو حيان، البحر المحيط، ج ٧، ص ٣٤٣.

^(١١) السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٨، ص ٥١.

الأرض بما يبسر لعباده العامرين لها سبل عيشتهم فيها فجعلها "ممهودة مسهلة للسير والجلوس والاضطجاع بحيث لا نتوء فيها إلا نادراً يمكن تجنبه، كقوله: " وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا لَتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا " (١).

ومن جهة ثانية اتفق القراء العشرة على قراءة (مهادا) من قوله تعالى: " أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا " (٢) (مهاد) بكسر الميم وفتح الهاء وإقحام ألف بعدها، (٣) على وزن (فعل)؛ وذلك " اتباعاً لرؤوس الأبيعه " (٤) (خلقه)، (خلقه): (٥)

وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر (خلقه) من قوله تعالى: " الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ " (٦) (خلقه) بفتح اللام، على وزن (فعله) فعلاً ماضياً ثلاثياً، (٧) وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم؛ " قالوا: لسهولتها في المعنى وهي قراءة سعيد بن المسيب " (٨) والمعنى: " أَنْقَنَ وَأَحْكَمَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ " (٩) قاله الكلبي ومجاهد. (١٠) وقرأ الباقر (خلقه) بإسكان اللام، على وزن (فعل) مصدرًا ثلاثياً، من

^١ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٦، ص ٢٣٦. سورة نوح، الآيتان ١٩، ٢٠.

^٢ سورة النبأ، الآية ٦.

^٣ ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٧١.

^٤ المصدر نفسه.

^٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩١. شرح طيبة النشر، ج ١، ص ٢٩٥. النشر في

القراءات، ج ٢، ص ٣٤٧. تحبير التيسير، ص ٥٠٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢،

ص ٥٠٧. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ١٣٩.

^٦ سورة السجدة، الآية ٧.

^٧ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٥٦٨.

^٨ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٧، ص ٣٢٧.

^٩ الواحدي، التفسير الوسيط، ج ٣، ص ٤٥٠.

^{١٠} مجاهد، تفسير مجاهد، ص ٥٤٤. الواحدي، التفسير الوسيط، ج ٣، ص ٤٥٠.

الفعل الثلاثي خَلَقَ قاله سيبويه،^(١) والتقدير: الذي أحسن خَلَقَ كلَّ شيء، أي: أَتَقَنَّهُ وَأَحْكَمَهُ.

(التَّائِشُ)، (التَّائِشُ):^(٢)

وقرأ أبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر (التَّائِشُ) من قوله تعالى: " وَأَنَّى لَهُمُ التَّائِشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ"،^(٣) (التَّائِشُ) بهمزة مضمومة بعد الألف، على وزن (تَفَاعُلُ) مصدرًا من " نَأَشَ الشَّيْءَ نَأْشًا أَخَذَهُ وَأَيْضًا طَلَبَهُ"،^(٤) يقال: " انتأشت الشيء إذا طلبته من بعد"،^(٥) ويقال: " نَأَشْتُ أَنْشًا نَأْشًا: أي تأخرت"،^(٦) حكاه أبو عبيدة عن الأصمعي.^(٧) وهناك من رأى (التَّائِشُ) مشتق من (النَّيْشُ) بمعنى البطء في الحركة، يقال: " تَنَاشَيْتُ الشَّيْءَ أَي أَخَذْتَهُ مِنْ بَعِيدٍ،

^١ سيبويه، الكتاب، ج١، ص ٣٨١. النَّحَّاسُ، إعراب القرآن، ج٣، ص ١٩٩. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج٤، ص ٢٠٤.

^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٢. شرح طيبة النشر، ج١، ص ٣٠٠. النشر في القراءات، ج٢، ص ٣٥١. تحبير التيسير، ص ٥١٨. النويري، شرح طيبة النشر، ج٢، ص ٥١٧. محيسن، الهادي، ج٣، ص ١٦١، ١٦٢.

^٣ سورة سبأ، الآية ٥٢.

^٤ ابن القطّاع، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، (ت: ٥١٥هـ) (١٩٨٣م)، كتاب الأفعال، ط٣، عالم الكتب، ج٣، ص ٢٧٢.

^٥ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج٤، ص ٤٢٧.

^٦ الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، (١٩٩٢م)، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٢، ص ٢٤٣.

^٧ الأزهرى، تهذيب اللغة، (نوش)، ج١١، ص ٢٨٦.

والنَّيْشَ الشَّيْءَ البَطِيءَ "،^(١) ويقال: "... جَاءَ نَيْشًا أَيْ بَطِيئًا"^(٢) وأنشد عليه الفراء قول نهشل بن حرّبي:^(٣)

ومولّى عصاني واستبدّ برأيه، كما لم يُطع فيما أشار قصيرُ
فلما رأى ما غبّ أمرِي وأمره، وناءت بأعجازِ الأمورِ صُورُ
تمنى نَيْشًا أن يكونَ أطاعني، ويحدث من بعدِ الأمورِ أمورُ

وقال آخر:^(٤)

قعدتُ زمانًا عن طِلابِكِ للعلّا وجئتُ نَيْشًا بعدَمَا فاتكِ الخبرُ

ويكون المعنى - والله أعلم - " من أين لهم أن يتحركوا فيما لا حيلة لهم فيه".^(٥)

وقرأ الباقرن (التناوش) باستبدال واو مضمومة بالهمزة، على وزن (تفاعل) مصدرًا من تناوش يتناوش تناوشًا فهو متناوش،^(٦) وهو (التناول)،^(٧) من قولهم: يُقالُ

^١ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٨، ص ٩٥.

^٢ ابن منظور، لسان العرب، (نأش)، ج ٦، ص ٣٤٩.

^٣ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٣٦٥. ابن قتيبة، (١٩٩٨م)، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ١، ص ٨٨. الجوهري، الصحاح، ج ٣، ص ١٠٢٠. ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ٣٤٩. الزبيدي، تاج العروس، ج ١٧، ص ٣٩٦.

^٤ البيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٣٦٥. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١١، ص ٢٨٦. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ٣١٧. ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ٣٦١.

^٥ السمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ٩٧.

^٦ عمر، أحمد مختار عمر، (٢٠٠٨م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط ١، ج ٣، ص ٢٣٠٥.

^٧ الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت: ٣٥٠هـ)، (٢٠٠٣م)، معجم ديوان الأدب، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للطباعة والنشر، القاهرة، ج ٣، ص ٤٦٠.

نُشِتْ مِنْ الطَّعَامِ أَنْوَشُ نَوْشًا: إِذَا تَنَاوَلْتُ^(١)، يُقَالُ: نَشْتَهُ نَوْشًا إِذَا تَنَاوَلْتَهُ"،^(٢) وَأَنْشَدَ عَلَيْهِ الْفَرَّاءُ قَوْلَ الرَّاجِزِ:^(٣)

فَهَيَّ تَنْوَشُ الْحَوْضَ نَوْشًا مِنْ عَلَا نَوْشًا بِهِ تَقَطَّعُ أَجْوَارَ الْفَلَا
وقال آخر:^(٤)

كَغَزْلَانَ خَذَلْنَ بِذَاتِ ضَالٍ تَنْوَشُ الدَّائِيَاتِ مِنَ الْغُصُونِ

ومعنى قول العرب: "قد تناوش القوم"، "قد تناول بعضهم بعضاً في القتال"،^(٥) ومنه حديث قيس بن عاصم - رحمه الله - أَنَّهُ قَالَ لِبَنِيهِ: "إِيَّاكُمْ وَالْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهَا آخِرُ كَسْبِ الْمَرْءِ وَإِذَا مِتُّ فَغَيَّبُوا قَبْرِي مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ فَإِنِّي كُنْتُ أَنَاوِشُهُمْ، أَوْ قَالَ: أَهَاوِشُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ".^(٦) يعني - كما يرى الخطابي - "كنت أقاتلهم"،^(٧) ويقال: "تناوش القوم في الحرب" إذا تناول بعضهم بعضاً وتدانوا،^(٨) وقيل هو "الردُّ إلى

^١ الأنباري، الزاهر، ص ٢٤٣. ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٥٩١.

^٢ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٨، ص ٩٦.

^٣ البيت لغيلان بن حريث الربيعي. الجوهرى، الصحاح، ج ٣، ص ١٠٢٣. ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ٣٦٢. الزبيدي، تاج العروس، ج ١٧، ص ٤٣١. السيرافي، شرح أبيات سيبويه، ج ٢، ص ٢٤٧.

^٤ المُتَّقِبُ العبدى، العائذ بن محسن، (١٩٧١م)، ديوان شعر مُتَّقِبِ العبدى، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، ط ١، معهد المخطوطات العربية، ص ١٥٤. الأنباري، الزاهر، ج ٢، ص ٢٤٣.

^٥ الأنباري، الزاهر، ج ١، ص ٢٤٣. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الفائق في غريب الحديث والأثر، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ٢، دار المعرفة، لبنان، ج ٤، ص ٣٢.

^٦ الخطابي، غريب الحديث، ج ٢، ص ٥٦٠.

^٧ المصدر نفسه.

^٨ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٨، ص ٩٦.

الدُّنْيَا" حكاه مجاهد،^(١) وقيل: هو " تناول التَّوبَة "،^(٢) وروى الكلبي عن ابن عباس قوله: التَّائِش هو الرَّجوع، وأنشد:^(٣)

تَمَنَّى أَنْ تَوُوبَ إِلَيَّ مَيُّ وَلَيْسَ إِلَيَّ تَتَاوَشِيهَا سَبِيلُ

والمعنى: - والله أعلم- كيف يكون لهم " التناول للإيمان من مكان بعيد"^(٤) والمكان البعيد هو الآخرة، أي من الآخرة إلى الدنيا،^(٥) وقد كان هذا البعيد " مبدولاً لهم وكان قريباً منهم، كيف يتناولونه حين بَعَدَ عَنْهُمْ " .^(٦)

ونحن إذا ما وجَّهنا الفكر شطر المعجم والتَّصريف فإننا نجد من القوم من فسَّر التعدُّد في هاتين القراءتين بالتباين اللُّهجيِّ، فيقرِّر الفراء أنَّ أهل الحجاز وغيرهم قد تركوا همزها، فـ " جَعَلوها من نَشْتِه نَوْشاً وهو التَّناول: وهما متقاربان، بمنزلة ذِمَّتُ الشَّيءِ وذَامَّتُهُ أي عَيْتُهُ"^(٧)، وقال أبو عبيد: " التَّائِش التَّائِشُ، والنَّوْشُ مثله"^(٨)، وهو " يهزم ولا يهزم"^(٩)؛ إذ الهمزة فيه ليست بأصلية، " وَمَنْ هَمَزَهُ فَلِأَنَّ الْوَاوَ انضَمَّتْ بَعْدَ أَلْفٍ زَائِدَةٍ فَهَمَزَهَا"^(١٠)، وله نظائر كثيرة في كلام العرب، نحو: أَدُورٌ^(١١) وَأَجُوهُ،^(١٢) ومنه اختلاف القراء في (أُقْتَتُ) من قوله

^١ مجاهد، تفسير مجاهد، ص ٥٥٦.

^٢ ابن فورك، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، (ت: ٤٠٦هـ-)، (٢٠٠٩م)، تفسير القرآن العظيم، دراسة وتحقيق: علاء عبد القادر بندويش، ط ١، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ج ٢، ص ١٥٧.

^٣ البيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الأنباري، الزاهر، ج ١، ص ٢٤٤. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ٣١٦. أبو حيان، البحر المحيط، ج ٨، ص ٥٦٦.

^٤ ابن جني، المحتسب، ج ٢، ص ١٩٧.

^٥ مجاهد، تفسير مجاهد، ص ٥٥٦. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٤١.

^٦ الزجاج، معاني القرآن، ج ٤، ص ٢٥٩.

^(٧) الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٣٦٥.

^(٨) الأزهرى، تهذيب اللُّغة، (نوش)، ج ١١، ص ٢٨٦.

^(٩) ابن القطَّاع، كتاب الأفعال، ج ٣، ص ٢٧٢.

^(١٠) مكي، مشكل إعراب القرآن، ج ٢، ص ٥٩٠.

^(١١) سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ٤٦٣. النحاس، إعراب القرآن، ج ٣، ص ٢٤٢-٢٤٣.

^(١٢) الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٥٩٣.

تعالى: " وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ "،^(١) حيث قرأ أبو عمرو (وقنت) باستبدال الواو بالهمزة، وقرأ غيره (أقتت) بالهمزة.^(٢) قال الزجاج: " وكل واو مضمومة ضمتها لازمة، إن شئت أبدلت منها همزة وإن شئت لم تبدل نحو قولك أدور وتقاوم، وإن شئت قلت: أدور وتقاوم فهمرت " .^(٣)

وقال سيبويه: "... الهمزة تبدل من الياء والواو إذا كانتا لامين في قضاءٍ وشقائٍ ونحوهما، وإذا كانت الواو عيناً في أدور وأنور والنور ونحو ذلك "،^(٤) ولكن أبا حيان لم يجوز ذلك على إطلاق، قال: " وَمَا ذَكَرُوهُ مِنْ أَنَّ الْوَاوَ إِذَا كَانَتْ مَضْمُومَةً ضَمَّةً لَازِمَةً يَجُوزُ أَنْ تُبَدَلَ هَمْزَةً، لَيْسَ عَلَى إِطْلَاقِهِ، بَلْ لَا يَجُوزُ ذَلِكَ فِي الْمُتَوَسِّطَةِ إِذَا كَانَ مُدْغَمَةً فِيهَا، وَنَحْوُ يَعُودُ وَيَقُومُ مَصْدَرَيْنِ وَلَا إِذَا صَحَّتْ فِي الْفِعْلِ نَحْوُ: تَرَهُوكَ تَرَهُوكَا، وَتَعَاوَنَ تَعَاوَنًا، وَلَمْ يَسْمَعْ هَمْزَتَيْنِ مِنْ ذَلِكَ، فَلَا يَجُوزُ. وَالتَّوَاوُسُ مِثْلُ التَّعَاوُنِ، فَلَا يَجُوزُ هَمْزُهُ، لِأَنَّ وَاوَهُ قَدْ صَحَّتْ فِي الْفِعْلِ " .^(٥)

ولا ندري كيف توصل أبو حيان إلى أن الصرّيين قد أوجبوا قلب الهمزة واواً على إطلاق، إنما الحق أنهم وجدوا الظاهرة شائعة في كلام العرب فجوزوها دون أن يوجبوا لها قاعدة مطردة، قال ابن جني: " وجملة القول في هذه الواو أنها متى انضمت ضمّاً لازماً غير عارض، فهزها جائز حسن، نحو: أُعِدَّ في وَعِدَّ، وأزن في وزن، وأدور في أدور، وسرت سُوراً في سُور. ومنه قوله تعالى: " وَإِذَا الرُّسُلُ أُقْتَتَتْ "، في وَقنت وهي فَعَلت من الوقت " .^(٦)

(١) سورة المرسلات، الآية ١١.

(٢) ابن الجزري، شرح طيبة النشر، ص ٣٢٥. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٣٢٥.

(٣) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٤، ص ٢٥٩.

(٤) سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٢٣٧.

(٥) أبو حيان، البحر المحيط، ج ٨، ص ٥٦٦. الألويسي، روح المعاني، ج ١١، ص ٣٣١.

(٦) ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، (ت: ٣٩٢هـ)، (١٩٥٤م)، المنصف:

شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني، ط ١، دار إحياء التراث القديم، ص ٢١٢.

وبناءً على ما تقدّم يرى الباحث أنّ هاتين القراءتين تحتلان الوجهين معاً؛ فإنّ قدرنا (التناوش والتناوش) بنيتين متغايرتين كان المعنى أنّ هؤلاء الكفار لمّا رأوا ما كانوا ينكرونه من عبادة الله وحده والبعث والجنّة والنار، طلبوا العودة إلى الدّنيا للتّوبة، فكان الجواب من الواحد القهار: " وَأَنْتَى لَهُمُ التَّنَاوُشُ "، أي كيف يكون لكم ذلك وقد بعدت عنكم الدّنيا وحيل بينها وبينكم، فأصبحتم بمنأى عن طلبها وتناول ما ينجيكم ممّا هو لافيقكم، " وإنّما وصفت ذلك الموضع بالبعيد، لأنّهم قالوا: ذلك في القيامة فقال الله: أنى لهم بالتّوبة المقبولة، والتّوبة المقبولة إنّما كانت في الدّنيا، وقد ذهبت الدّنيا فصارت بعيداً من الآخرة ".^(١)

وأما إذا قدرنا القراءتين لغتين كان تأويل الآية منسجماً والتّوجيه الأوّل، والحقّ ما صرّح به الطّبري حين قال: " والصّواب من القول في ذلك عندي أنّ يقال: إنّهما قراءتان معروفتان في قراء الأمصار، متقاربتا المعنى، ... فبأيّ القراءتين اللّتين ذكرت قرأ القارئ فمصيب الصّواب في ذلك ".^(٢)

(حُسْنًا)، (حَسَنًا):^(٣)

قرأ حمزة والكسائي ويعقوب وخلف العشر (حُسْنًا) من قوله تعالى: " وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا"^(٤) (حَسَنًا) بفتح الحاء والسين على وزن (فَعْلٌ) اسماً مفرداً، وهي صفة " لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ، أَي وَقُولُوا لِلنَّاسِ قَوْلًا حَسَنًا "،^(٥) وهي اختيار أبي عبيد.^(٦)

وقرأ الباقر (حُسْنًا) بضمّ الحاء وإسكان السين، مصدرًا على وزن (فُعْلٌ) من: حَسَنٌ يَحْسُنُ حُسْنًا^(٧)، ويحتمل أن تكون اسماً على تقدير: " قَوْلًا ذَا حُسْنٍ " حكاه

^(١) الطبري، جامع البيان، ج ٢٠، ص ٤٢٧.

^٢ المصدر نفسه.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٣. شرح طيبة النشر، ج ١، ص ١٧٩. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٥١. تحبير التيسير، ص ٥١٨. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ١٦٩. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٤١.

^٤ سورة البقرة، الآية ٨٣.

^٥ أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص ٤٦٠.

^٦ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ١، ص ٢٢٨.

^٧ الأزهرى، تهذيب اللّغة، (حسن)، ج ٤، ص ١٨٢.

الزجاج^(١)، أو هي اسم أقيم مقام المصدر نحو: رَجُلٌ عَدْلٌ،^(٢) ويجوز أن تكون لغة في (الحسن) نحو: البخل والبخل والرشد والرشد، وهذه القراءة هي اختيار أبي حاتم.^(٣)

(إِحْسَانًا)، (حُسْنًا):^(٤)

وقريب من ذلك ما قرأ به عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر (إِحْسَانًا) من قوله تعالى: "وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا"،^(٥) حيث قرؤوها (إِحْسَانًا) بإلحاق همزة مكسورة قبل الحاء، وإسكان الحاء، وفتح السين مع إقحام ألف بعدها، مصدرًا^(٦) بزنة (إفعال) من أَحْسَنَ يُحْسِنُ إِحْسَانًا،^(٧) والمعنى - والله أعلم - ووصينا الإنسان أي: أمرناه أن يحسن لوالديه إِحْسَانًا فـ " لِيَأْتِيَ الْإِحْسَانَ إِلَيْهِمَا دُونَ الْإِسَاءَةِ "،^(٨) ونظيرها قوله تعالى: " وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا " .^(٩) وقرأ الباقون (حُسْنًا) بحذف الهمزة والألف مع ضمّ الحاء وإسكان السين، مصدرًا على وزن (فعل) من: حَسُنَ يَحْسُنُ حُسْنًا^(١٠)، وهي " كالمصادر التي اعتقب

^١ الزجاج، معاني القرآن، ج ١، ص ١٦٤. مكي، الهداية، ج ١، ص ٣٣١.

^٢ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣، ص ٥٨٨.

^٣ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ١، ص ٢٢٨.

^٤ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٦. شرح طيبة النشر، ج ١، ص ٣١٠. النشر في

القراءات، ج ٢، ص ٣٧٣. تحبير التيسير، ص ٥٥٦. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢،

ص ٥٥٩. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٢٢٧.

^٥ سورة الأحقاف، الآية ١٥.

^٦ الزجاج، معاني القرآن، ج ٤، ص ٤٤٢.

^٧ ابن خالويه، الحجّة، ص ٣٢٦.

^٨ ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص ٦٦٣.

^٩ سورة البقرة، الآية ٨٣.

^{١٠} ابن خالويه، الحجّة، ص ٣٢٦.

عليها الفَعْلُ والفُعْلُ، نحو الشَغَلَ والشُّغَلَ، والبَخَلَ والبُخَلَ^(١)، ونظيرها قوله تعالى: " وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا " ^(٢).

ويحتمل أن تكون اسماً أقيم مقام المصدر،^(٣) أو هي اسماً صفة لا مصدرًا على حدِّ كلام أبي الفتح؛^(٤) إذ ربما يكون المراد " أنا أَمَرْنَاهْ بِأَنْ يُوصَلَ إِلَيْهِمَا فِعْلًا حَسَنًا، إِلَّا أَنَّهُ سَمَّى ذَلِكَ الْفِعْلَ الْحَسَنَ بِالْحُسْنِ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ، كَمَا يُقَالُ: هَذَا الرَّجُلُ عِلْمٌ وَكَرَمٌ "،^(٥) والقراءة الأولى هي موافقة لرسم مصحف أهل الكوفة. قال أبو عمرو الداني: وفي الأحقاف في مصاحف أهل الكوفة (بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا) بزيادة ألف قبل الحاء وبعد السين، وفي سائر المصاحف (حسنًا) بغير ألف. (وَفِصَالُهُ)، (وَفِصَالُهُ):^(٦)

انفرد يعقوب من بين القراء العشرة بقراءة (وفصله) من قوله تعالى: " وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا "،^(٧) حيث قرأها (وفصله) بفتح الفاء وإسكان الصاد من غير ألف، مصدرًا على وزن (فَعْلٌ)، من: "... فَصَلَ الْمَوْلُودَ عَنِ الرِّضَاعِ يَفْصِلُهُ فَصْلًا".^(٨) وقرأ الباقون (وفصاله) بكسر الفاء وفتح الصاد وإقحام ألف بعدها، مصدرًا على وزن (فِعَالٌ) من: "... فَصَلَ الْمَوْلُودَ عَنِ الرِّضَاعِ يَفْصِلُهُ فَصْلًا وَفِصَالًا"،^(٩) يقول الزمخشري: " وَالْفَصْلُ وَالْفِصَالُ: كَالْفَطْمِ وَالْفِطَامِ، بِنَاءٍ وَمَعْنَى".^(١٠) ومن جهة ثانية اتفق القراء العشرة على قراءة (وفصاله) من قوله

^١ ابن جنِّي، المحتسب، ج ٢، ص ٢٦٥.

^٢ سورة العنكبوت، الآية ٨.

^٣ الأزهرِّي، معاني القراءات، ج ٢، ص ٣٨٠.

^٤ ابن جنِّي، المحتسب، ج ٢، ص ٢٦٥.

^٥ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٨، ص ١٤.

^٦ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٦. شرح طيبة النشر، ص ٣١٠. النشر في القراءات، ج ٢،

ص ٣٧٣. تحبير التيسير، ص ٥٥٦. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٥٩. محيسن، الهادي،

ج ٣، ص ٢٢٨.

^٧ سورة الأحقاف، الآية ١٥.

^٨ ابن منظور، لسان العرب، (فصل)، ج ١١، ص ٥٢٢.

^٩ المصدر نفسه.

^{١٠} الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٣٠٢.

تعالى: " وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ"،^(١) (وَفِصَالُهُ) " بكسر الفاء وفتح الصاد وإثبات ألف بعدها".^(٢)

(شُرْبٌ)، (شَرَبٌ):^(٣)

قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم وحمزة (شرب) من قوله تعالى: "فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَيْمِ"،^(٤) بضم الشين مصدراً ثلاثياً على وزن (فَعْلٌ)،^(٥) ويجوز أن يكون " اسم لما يشرب"،^(٦) حكاه أبو عبيدة^(٧) وهي اختيار أبي حاتم.^(٨)

وقرأ الباقون (شَرَبٌ) بفتح (الشين)، مصدر شَرَبَ شُرْبٌ^(٩)، قاله أبو عبيدة،^(١٠) ويحتمل أن يكون اسماً للمصدر^(١١) أو هو اسم بمعنى الإناء،^(١٢) وهي اختيار أبي عبيد^(١٣)، قال أبو زيد: "سَمِعْتُ الْعَرَبَ يَقُولُ بِضَمِّ الشَّيْنِ وَفَتْحِهَا وَكَسْرِهَا، وَالْفَتْحُ هُوَ الْمَصْدَرُ الصَّحِيحُ، لِأَنَّ كُلَّ مَصْدَرٍ مِنْ ذَوَاتِ الثَّلَاثَةِ فَاصِلُهُ فَعْلٌ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ تَرُدُّهُ إِلَى الْمَرَّةِ الْوَاحِدَةِ، فَتَقُولُ: فَعَلَّةٌ نَحْوُ شَرَبَةٍ وَبِالضَّمِّ الْإِسْمُ. وَقِيلَ: إِنَّ الْمَفْتُوحَ وَالْإِسْمَ مَصْدَرَانِ، فَالشَّرْبُ كَالْأَكْلِ، وَالشُّرْبُ كَالذُّكْرِ، وَالشَّرْبُ بِالْكَسْرِ الْمَشْرُوبُ كَالطَّحْنِ

^١ سورة لقمان، الآية ١٤.

^٢ محيسن، القراءات، ج ١، ص ٢٠٩.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٧. شرح طيبة النشر، ص ٣١٥. تحبير التيسير، ص ٥٧٣. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٨٣. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٧٧.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٢٦٣، ٢٦٤.

^٤ سورة الواقعة، الآية ٥٥.

^٥ سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ٣٣٦. النحاس، إعراب القرآن، ج ٤، ص ٢٢٥.

^٦ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٥، ص ٢٤٧.

^٧ ابن منظور، لسان العرب، (شرب)، ج ١، ص ٤٨٧.

^٨ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٩، ص ٢١٤.

^٩ النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، ج ٣، ص ٤٢٥.

^{١٠} الجوهري، الصحاح، (شرب)، ج ١، ص ١٥٣.

^{١١} النحاس، إعراب القرآن، ج ٤، ص ٢٢٥.

^{١٢} الأزهرى، معاني القراءات، ج ٣، ص ٥٠.

^{١٣} الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٩، ص ٢١٤.

المَطْحُونِ".^(١) ويجوز أن يكون (الشرب) جمع تكسير واحده (شارب)، نحو: صاحب وصحب وراكب وركب وراجل ورجل، وتاجر وتجر،^(٢) ومنه قول الشاعر:^(٣)

فَقُلْتُ لِلشَّرْبِ فِي دَرْنِي، وَقَدْ تَمَلُّوا شِيمُوا، وَكَيْفَ يَشِيمُ الشَّارِبُ

التَّمَلُّ؟

وهناك من رأى القراءتين لغتين مترادفتين بمعنى واحد،^(٤) نحو: الضعف والضعف^(٥) قال الكسائي: "شربت شرباً وشرباً"،^(٦) وقال الأصمعي وأبو عبيدة: "... ويروى: شربة وشربة، قال أبو عبيدة: ويقرأ: "فشاربون شرب الهيم" و"شرب الهيم" و"شرب الهيم"، قال: والرفع والخفض اسمان من شربت، والفتح مصدر كما تقول: شربت شرباً"،^(٧) ونسب ابن الجوزي الفتح لأهل نجد، قال: "وأكثر أهل نجد يقولون: شرباً بالفتح، أنشدني عامتهم:

تَكْفِيهِ حَزَّةٌ فَلَذِي إِنْ أَلَمَّ بِهَا مِنْ الشَّوَاءِ وَيَكْفِي شَرْبَهُ الغَمْرِ"^(٨)

ويزيد البعلي الأمر وضوحاً فيذكر أن "... الشرب مصدر شرب وفيه ثلاث لغات: ضمّ الشين وهو أشهرها، وفتحها وهو القياس، وكسرهما وهو قليل".^(٩)

^١ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٧، ص ٢١٤.

^٢ الرازي، مختار الصحاح، (شرب)، ص ١٦٣. النحاس، إعراب القرآن، ج ٤، ص ٢٢٥.

^٣ الأعشى، الديوان، ص ٥٧.

^٤ ابن خالويه، الحجة، ص ٣٤١.

^٥ الأخفش، معاني القرآن، ج ٢، ص ٥٣٢.

^٦ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٣، ص ٥٠.

^٧ ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، (ت: ٢٤٤هـ)، (٢٠٠٢م)، إصلاح المنطق،

تحقيق: محمد مرعب، ط ١، دار إحياء التراث العربي، ص ٦٩.

^٨ ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٤، ص ٢٢٥. والبيت (لأعشى باهلة) من قصيدة يرثي بها

المنتشر بن وهب الباهلي، واسم الأعشى هذا عمرو بن الحارث ويكنى أبا قحافة. أبو عبيد

البكري، سمط اللآلي، ج ١، ص ٧٥. والحزة: ما قطع من اللحم طولاً، والفلذ: كبد البعير،

والغمور: قذح صغير، والغمر: الماء الكثير.

^٩ البعلي، المطلع على ألفاظ المقنع، ص ٦٤.

(فَرَوْحٌ)، (فَرَوْحٌ):^(١)

انفرد رويس من بين القراء العشرة في (فروح) من قوله تعالى: " فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ"،^(٢) حيث قرأها مضمومة (الفاء) على وزن (فُعْلٌ) اسماً للمصدر،^(٣) بمعنى الرحمة. وقرأ الباكون (فَرَوْحٌ) بفتح الراء مصدر،^(٤) ومعناها: الراحة؛^(٥) أي من الدنيا والاستراحة من أحوالها. وقيل: هي الخير والرجاء، قاله مجاهد.^(٦)

(نُصُوحًا)، (نُصُوحًا):^(٧)

انفرد شعبة من بين القراء العشرة في قراءة (نُصُوحًا) من قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا"،^(٨) حيث قرأها بضمفائها (نُصُوحًا) مصدرًا^(٩) على وزن فُعول، يقال: " نَصَحْتُ لَهُ نُصْحًا وَنَصَاحَةً وَنُصُوحًا "^(١٠)،

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٧. شرح طيبة النشر، ص ٣١٥. تحبير التيسير، ص ٥٧٤. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٨٣. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٧٧، ٥٧٨. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٢٦٤.

^٢ سورة الواقعة، الآية ٨٩ .

^٣ محيسن، القراءات، ج ١، ص ٥٧٠.

^٤ المصدر نفسه.

^٥ مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج ٤، ص ٢٢٥.

^٦ مجاهد، تفسير مجاهد، ص ٦٤٦.

^٧ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٨. شرح طيبة النشر، ص ٣١٩. تحبير التيسير، ص ٥٨٥. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٨٨، ٣٨٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٩٠. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٢٩٢.

^٨ سورة التحريم، الآية ٨.

^٩ الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٥٧٠.

^{١٠} السجستاني، غريب القرآن، ص ٤٦٩. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٥، ص ١٩٤.

كما قالوا: صَلَّحَ صَلُوحًا،^(١) النَّصَحَ وَالنُّصُوحَ كَالشُّكْرِ وَالشُّكُورَ وَالْكَفْرَ وَالْكَفُورَ، قاله الزمخشري،^(٢) وإنما وصف به التَّوْبَةَ على سبيل المجاز؛^(٣) إذ النَّصَحُ هو وصف للتَّائِبِ لا للتَّوْبَةِ " وَهُوَ أَنْ يَنْصَحَ نَفْسَهُ بِالتَّوْبَةِ، فَيَأْتِي بِهَا عَلَى طَرِيقِهَا، وَهِيَ خُلُوصُهَا مِنْ جَمِيعِ الشَّوَائِبِ الْمُفْسِدَةِ لَهَا، مِنْ قَوْلِهِمْ: عَسَلْ نَاصِحٌ، أَي خَالِصٌ مِنْ الشَّمْعِ، أَوْ مِنْ النَّصَاحَةِ وَهِيَ الْخِيَاطَةُ، أَي قَدْ أَحْكَمَهَا وَأَوْثَقَهَا، كَمَا يُحْكَمُ الْخِيَاطُ التَّوْبَ بِخِيَاطَتِهِ وَتَوَثَّقَهُ ".^(٤)

وقرأ الباقون (نصوحاً) بفتح (الفاء) مصدراً^(٥) على وزن (فَعُول) نحو: " كَفَرَ كُفْرًا وَكُفُورًا، وَشَكَرَ شُكْرًا وَشُكُورًا "،^(٦) والمعنى: " تَوْبَةٌ ذَاتَ نَصَحٍ " حكاها أبو العباس المبرد،^(٧) ويجوز أن تكون اسماً للمفعول بمعنى الفاعل، نحو: الشُّكُورُ وَالصَّبُّورُ، أَي تَوْبَةٌ " نَاصِحَةٌ صَادِقَةٌ لَا يَهْمُ مَعَهَا بِالمَعَاوِدَةِ "،^(٨) وقيل: هي صيغة مبالغة، نحو: ضَرْوَبٍ وَقَتُولٍ،^(٩) أي: " تَوْبَةٌ بَالِغَةٌ فِي النَّصَحِ ".^(١٠)

^١ ابن خالويه، الحجة، ص ٣٤٩.

^٢ الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٥٧٠.

^٣ السمين الحلبي، الدرّ المصون، ج ١٠، ص ٣٧١. الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٥٧٠.

^٤ أبو حيان، البحر المحيط، ج ١٠، ص ٢١٣، ٢١٤.

^٥ الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ١٦٨.

^٦ السمين الحلبي، الدرّ المصون، ج ١٠، ص ٣٧١.

^٧ الشوكاني، الفتح القدير، ج ٥، ص ٣٠٣.

^٨ بيان الحق، أبو القاسم، محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوري الغزنوي، (ت:

بعد ٥٥٣هـ-)، (١٩٩٨م)، باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن، تحقيق: سعاد بنت

صالح بن سعيد باقي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ج ٣، ص ١٥١٧. النيسابوري، إيجاز

البيان عن معاني القرآن، ج ٢، ص ٨٢٤.

^٩ أبو حيان، البحر المحيط، ج ١٠، ص ٢١٣.

^{١٠} ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت:

٥٩٧هـ-)، (٢٠٠٤م)، تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)، تحقيق:

طارق فتحي السيد، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٤٠٧.

وأحسب أنّ الصَّوَابَ في توجيهه قراءة الفتح أنّها اسم فاعل عدل عنه إلى صيغة المفعول لقصد الكثرة والمبالغة، وهذا الاستعمال ممّا شاع تداوله في العربيّة، فهناك من الصّفات ما ليس لتاء التّأنيث فيها دالّة صرفيّة، وهي تلك الزّمرة التي استعارت صيغة اسم المفعول لتسبك فيها دلالتها الحادثة؛ فبعد أن كانت تحمل في استعمالها الأوّل دلالة اسم الفاعل، عدلت إلى صيغة اسم المفعول لتدلّ بها على معنى الكثرة والمبالغة، فيقال: امرأة صبور ورجل صبور بمعنى صابرة وصابر،^(١) يقول الهروي: " فعدل عن صَابِرٍ إلى صَبُورٍ، وعن شَاكِرٍ إلى شَكُورٍ، وأرادوا بذلك كثرة الفعل والمبالغة فيه، لأنّ معنى امرأة صَبُورٍ: كثيرة الصَّبْرِ معتادة له، ومعنى امرأة شَكُورٍ: كثيرة الشُّكْرِ. والصَّبُورُ: هي المحتملة للمكروه من غير جزع منه. والشُّكُورُ: التي تثني على الإحسان وتكافئ عليه".^(٢)

(وَطْنًا)، (وِطَاءً):^(٣)

اتفق أبو عمرو وابن عامر على قراءة (وِطْنًا) من قوله تعالى: " إِنِّ نَاشِئَةٌ لِّلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْنًا وَأَقْوَمُ قِيلاً "^(٤)، حيث قرآها (وِطَاءً) بكسر الواو وفتح الطّاء وألف ممدودة بعدها، مصدرًا على وزن (فَعَالٌ)،^(٥) كَصِرَاعٍ وَقِتَالٍ، أي مُوَاطَاةً وَمُلاعِمَةً وَمُوَافَقَةً^(٦)، " ووَاطَاهُ عَلَى الْأَمْرِ مُوَاطَاةً: وافقه. وتَوَاطَانَا عَلَيْهِ وتَوَاطَانَا: تَوَافَقْنَا "^(٧)، يقال: " وَطَأَ اللِّسَانُ وَالقَلْبُ مُوَاطَاةً وَوِطَاءً أَقْوَمُ قِرَاءَةً لِفِرَاغِهِ مِنْ سَفْلِ الدُّنْيَا "^(٨)، ومنه قوله تعالى: " لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ "^(٩) أي يُؤَافِقُوا^(١٠)، وهي اختيار

^١ ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ج ٤، ص ١٧٣٨.

^٢ الهروي، إسفار الفصح، ج ٢، ص ٧٨٤.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٩. شرح طيبة النشر، ص ٢٢٣. تحبير التيسير، ص ٥٩٦. النشر، ج ٢، ص ٣٨٨، ٣٨٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٩٩، ٦٠٠. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٣١١.

^٤ سورة المزمل، الآية ٦.

^٥ ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٤، ص ٣٥٤.

^٦ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣٠، ص ٦٨٥.

^٧ ابن منظور، لسان العرب، (وطأ)، ج ١، ص ١٩٩.

^٨ ابن فورك، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٧١.

^٩ سورة التوبة، الآية ٣٧.

^{١٠} الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣٠، ص ٦٨٥.

أبي عبيد^(١)، وأبي حاتم^(٢) والمعنى: " أَشَدُّ ثَبَاتَ قَدَمٍ، لِأَنَّ النَّهَارَ يَضْطَرِبُ فِيهِ النَّاسُ وَيَنْقَلِبُونَ فِيهِ لِلْمَعَاشِ"، قاله الفراء^(٣) وقيل: المَواطَاةُ هِيَ المَواتَاةُ أَي "مُواتَاةُ السَّمْعِ والبَصْرِ إِيَّاهُ"^(٤) وذكر المنذري أن "أبا الهيثم اختارَ هَذِهِ القِراءةَ وَقَالَ: مَعْنَاهُ أَنَّ سَمْعَهُ يُوطِئُ قَلْبَهُ وَبَصَرَهُ، وَلِسَانَهُ يُوطِئُ قَلْبَهُ وَطَاءً. يُقَالُ وَاطَّأَنِي فَلَانٌ عَلَى الأَمْرِ إِذَا وَافَقَكَ عَلَيْهِ لَمْ يَشْتَغَلِ القَلْبُ بِغَيْرِ مَا اشْتَغَلَ بِهِ السَّمْعُ، هَذَا وَاطَّأَ ذَاكَ وَذَلِكَ وَاطَّأَ هَذَا؛ يُرِيدُ: قِيَامَ اللَّيْلِ والقِراءةَ فِيهِ".^(٥)

وَفِي حَدِيثِ لَيْلَةِ القَدَرِ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: " أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَطَتْ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ"،^(٦) قال ابن الأثير: " هَكَذَا رُوي بِتَرْكِ الهَمْزِ، وَهُوَ مِنَ المَواطَاةِ: المَوافِقَةُ. وَحَقِيقَتُهُ كَأَنَّ كُلاَّهُمَا وَطِئَا مَا وَطِئَهُ الأَخْر".^(٧) قال ابن حجر في شرحه لهذا الحديث: " قَوْلُهُ تَوَاطَطَتْ بِالهَمْزَةِ أَي تَوَافَقَتْ وَزُنًا وَمَعْنَى وَقَالَ

^١ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ١٠، ص ٦١.

^٢ الأزهرى، تهذيب اللغة، (وطأ)، ج ١٤، ص ٣٧.

^٣ الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ١٩٧. الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣٠، ص ٦٨٥.

^٤ الزبيدي، تاج العروس، (وطأ)، ج ١، ص ٤٩٥.

^٥ الأزهرى، تهذيب اللغة، (وطأ)، ج ١٤، ص ٣٧.

^(٦) هذا الحديث عند البخاري برواية أخرى وهي قول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " أَرَى رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَطَتْ فِي العَشْرِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُنْحَرِيهَا فَلْيَنْحَرَّهَا مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ"، البخاري، صحيح البخاري، باب فضل من تعارَّ من اللَّيْلِ فَصَلَّى، حديث رقم: ١١٥٦، ج ٢، ص ٥٥. وَأَمَّا هَذِهِ الرِّوَايَةُ فَأُورِدَهَا العِينيُّ فِي كِتَابِهِ: العِينيُّ، أَبُو مُحَمَّدٍ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مُوسَى بْنِ أَحْمَدَ بْنِ حَسِينِ الغِيبَانِيِّ الحَنَفِيِّ بَدْرُ الدِّينِ العِينيُّ (ت: ٨٥٥هـ-)، عَمْدَةُ القَارِي شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت. باب فضل من تعارَّ من اللَّيْلِ فَصَلَّى، حديث رقم: ٦٥١١، ج ٧، ص ٢١٥.

^٧ ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، (ت: ٦٠٦هـ-)، (١٩٧٩م)، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ج ٥، ص ٢٠٢.

ابن التين روي بغير همز والصواب بالهمز وأصله أن يطاء الرجل برجله مكان وطاء صاحبه".^(١)

وقرأ الباقر وطاء بفتح الواو، وإسكان الطاء، من غير مد، مصدرًا على وزن (فعل)،^(١) على معنى " أبلغ في القيام وأبين في القول"،^(١) يقال: "وطننا الليل وطاءً فراشاً أي مهاداً لأنه يفترش الليل".^(١) وأصل استعماله كما يرى ابن قتيبة من قولنا: "اشتدّت على القوم وطاءة سلطانهم: إذا ثقل عليهم ما يلزمهم ويأخذهم به"^(١) لذلك ذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بـ (الوطاء) ههنا " أثقل وأغظ على المصلي من صلاة النهار"،^(١) وفي الحديث: " اللهم اشدد وطأتك على مضر".^(٢)

ويكون المعنى - والله أعلم- أن مجاهدة المصلي بالقراءة لآيات الرحمن في جوف الليل يتحقق له فيها من أسباب التدبر والتفكير بفعل تواطئ تلك الجوارح على

(١) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج ٤، ص ٢٥٧. وابن التين هو أبو محمد: العلامة الفقيه المحدث عبد الواحد بن عمر بن عبد الواحد بن ثابت المعروف: بابن التين التونسي الصفاقسي المالكي، المتوفى في حدود سنة ٦١١هـ، قال ابن مخلوف في شجرة النور الزكية: أبو محمد عبد الواحد بن التين الصفاقسي الشيخ الامام العلامة الهمام المحدث الراوية المفسر المتفنن المتبحر، له شرح على البخاري مشهور سماه "المخبر الفصيح في شرح البخاري الصحيح" له فيه اعتناء زائد في الفقه ممزوجاً بكثير من كلام المدونة، وشرائحها مع رشاقة العبارة ولطف الاشارة، اعتمده الحافظ ابن حجر في شرح البخاري، وكذلك ابن رشيد وغيرهما، توفي سنة ٦١١ هـ بصفاقس، وقبره بها معروف. وسماه صاحب هداية العارفين عبد الواحد فقال: عبد الواحد بن التين الصفاقسي المغربي المالكي المحدث المتوفى، له شرح الجامع الصحيح للبخاري في عدة مجلدات. شجرة النور الزكية ص ١٦٨. هدية العارفين ج ١، ص ٦٣٠.

^١ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ١٠، ص ٥١٨.

^١ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٥، ص ٢٤٠.

^١ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ٢، ص ٢٧٣.

^١ ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص ٢١٥.

^١ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣٠، ص ٦٨٥.

^٢ البيهقي، السنن الكبرى، باب من استحب تأخيرها، حديث رقم: ٣٠٨٤، ج ٢، ص ٢٨١.

ذلك، وهو ما يكون بأكثر مما يتواطأ عليه في وضح النهار، إنه "مواطأة السمع
واللسان والقلب على الفهم له، والإحكام لتأويله".^(١)
(وَلَا كِذَابًا)، (وَلَا كِذَابًا):^(٢)

وقرأ الكسائي وحده (وَلَا كِذَابًا) من قوله تعالى: "لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا
كِذَابًا"^(٣) (كِذَابًا) بتخفيف الذال، مصدرًا أي كَذَبًا^(٤) على وزن (فِعَالٌ)، نحو: كَتَبَ
كِتَابًا^(٥)، وصَامَ صِيَامًا^(٦)، يقال: "كَاذَبْتُهُ مُكَاذِبَةً وَكَذَابًا"^(٧)، قال سيبويه: "وقد جاء
المصدر أيضًا على فَعَلٍ، وذلك: خَنَقَهُ يَخْنُقُهُ خَنْقًا، وَكَذَبَ يَكْذِبُ كَذِبًا وَقَالُوا كِذَابًا،
جاءوا به على فَعَالٍ، كما جاء على فَعُولٍ. ومثله وَحَرَمَهُ يَحْرِمُهُ حَرِمًا وَسَرَقَهُ
يَسْرِقُهُ سَرِقًا"^(٨)، وقال في سياق آخر: "وقد جاء بعض مصادر ما ذكرنا على فعال
كما جاء على فَعُولٍ، وذلك نحو: كَذَبْتُهُ كِذَابًا وَكَتَبْتُهُ كِتَابًا وَحَجَبْتُهُ حِجَابًا"^(٩)
وقرأ الباقر (كِذَابًا) بتشديد الذال، على وزن (فِعَالٌ) مصدرًا^(١٠) قياسيًا^(١١) يقال: "
كَذَبَ يَكْذِبُ كَذِبًا وَكَذِبًا وَكَذَابًا"^(١٢)، فهو من كَذَبَ كِذَابًا^(١٣)، نظير قوله تعالى: "
وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا"^(١٤).

^١ ابن قتيبة، غريب القرآن، ص ٤٩٣.

^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ١٠٠. شرح طيبة النشر، ص ٣٢٦. تحبير التيسير، ص ٦٠٣. النشر في
القراءات، ج ٢، ص ٣٩٧. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٦٠٩. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٣٢٩.

^٣ سورة النبأ، الآية ٣٥.

^٤ السجستاني، غريب القرآن، ص ٣٩٩. ابن منظور، لسان العرب، (كذب)، ج ١، ص ٧٠٦.

^٥ الفارسي، الحجة، ج ٦، ص ٣٧٠.

^٦ النحاس، إعراب القرآن، ج ٥، ص ٨٦.

^٧ ابن خالويه، الحجة، ص ٣٦١.

^٨ سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٦.

^٩ المصدر نفسه، ج ٤، ص ٧.

^{١٠} أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ٢، ص ٢٨٣.

^{١١} الفارسي، الحجة، ج ٦، ص ٣٦٩.

^{١٢} ابن جني، المحتسب، ج ٢، ص ٣٤٨.

^{١٣} ابن خالويه، الحجة، ص ٣٦١.

^{١٤} سورة النبأ، الآية ٢٨.

وقد بحثت في مصنفات اللغة والتصريف عن هاتين الصيغتين، فبصرت اللغويين يعدّونهما لغتين قالت بهما العرب، فيقرّر صاحب العين أنّ "... الكذاب بالتشديد لغة... وذلك أن العرب تقول: كذّبه تكذيباً، ثم تجعل بدل التكذيب: كذاباً" (١) وسُمع عن بعضهم قوله: " وَهُوَ يَسْتَفْتِي: الْحَلْقُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ الْقِصَارُ، يُرِيدُ التَّقْصِيرَ، يَعْنِي فِي الْحَجِّ "، (٢) وقال الزّمخشري: " وَفِعَالٌ فِي بَابِ فَعَلَ كُلَّهُ فَاشٌ فِي كَلَامِ فَصَحَاءَ مِنَ الْعَرَبِ لَا يَقُولُونَ غَيْرَهُ، وَسَمَعَنِي بَعْضُهُمْ أفسرُ آيَةً فَقَالَ: لَقَدْ فَسَّرْتَهَا فَسَارًا مَا سَمِعَ مِثْلَهُ " (٣).

وقد نسب الكسائي صيغة التخفيف لأهل اليمن والتشديد لغيرهم من العرب، فقد روى اللحياني عنه قوله: " أَهْلُ الْيَمَنِ يَجْعَلُونَ مَصْدَرَ فَعَلْتُ فِعَالًا، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْعَرَبِ تَفْعِيلًا "، (٤) وحكى الفراء أنّها لغة يمنية فصيحة، " يقولون: كذّبت به كذاباً، وخرقت القميص خرقاً، وكلُّ فَعَلْتُ فَمَصْدَرُهَا فِعَالٌ بَلُغْتَهُمْ مُشَدَّدَةٌ. قَالَ: وَقَالَ لِي أَعْرَابِيٌّ مَرَّةً عَلَى الْمَرْوَةِ يَسْتَفْتِينِي: الْحَلْقُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ الْقِصَارُ؟ " (١) وأنشد عليه قول بعض بني كلاب: (٢)

لَقَدْ طَالَ مَا تَبَطَّطْتِي عَنْ صَحَابَتِي وَعَنْ حَوْجِ قِضَاؤِهَا مِنْ شِفَانِيَا

وأما أهل التصريف فيذهبون إلى أنّ هاتين الصيغتين هما مصدران للفعل (كذب) وفي ذلك يقول سيبويه: " وَأَمَّا فَعَلْتُ فَالْمَصْدَرُ مِنْهُ عَلَى التَّفْعِيلِ، جَعَلُوا التَّاءَ الَّتِي فِي أَوَّلِهِ بَدَلًا مِنَ الْعَيْنِ الزَّائِدَةِ فِي فَعَلْتُ، وَجَعَلَتِ الْيَاءُ بِمَنْزِلَةِ أَلِفِ الْإِفْعَالِ،

(١) الفراهيدي، العين، (كذب)، ج ٥، ص ٣٤٧.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، ج ١٠، ص ٣٨٨.

(٣) الزّمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٦٨٩.

(٤) ابن سيده، المحكم، (كذب)، ج ٦، ص ٧٩٠، ٧٩١.

١ الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٢٩.

٢ البيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الفراهيدي، العين، ج ٣، ص ٢٥٩. الفراء،

معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٢٩. ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٧٠٦. أبو حيان، البحر

المحيط، ج ١٠، ص ٣٨٨.

فغَيَّرُوا أَوْلَهُ كَمَا غَيَّرُوا آخِرَهُ. وَذَلِكَ قَوْلُكَ: كَسَّرْتُهُ تَكْسِيرًا، وَعَدَّبْتُهُ تَعْدِيبًا...، وَأَمَّا الَّذِينَ قَالُوا: كَذَابًا فَإِنَّهُمْ قَالُوا تَحَمَّلْتِ تَحْمَلًا أَرَادُوا أَنْ يُدْخِلُوا الْأَلْفَ كَمَا أَدْخَلُوهَا فِي أَفْعَلْتُ وَاسْتَفْعَلْتُ، وَأَرَادُوا الْكَسْرَ فِي الْحَرْفِ الْأَوَّلِ كَمَا كَسَرُوا أَوَّلَ إِفْعَالٍ وَاسْتَفْعَالٍ، وَوَفَّرُوا الْحُرُوفَ فِيهِ كَمَا وَفَّرُوهُمَا فِيهِمَا ^(١).

ويرى ابن السراج أنّ ما كان مشدّد (العين) فإنّ مصدره يكون على (تفعيل) نحو: قَطَعْتَهُ تَقْطِيعًا وَكَسَّرْتُهُ تَكْسِيرًا وَشَمَّرْتُهُ تَشْمِيرًا، وَأَنَّ الْأَصْلَ فِي هَذِهِ الْمَصَادِرِ أَنَّ تَشْتَقُّ عَلَى (فِعَالٍ) بِتَخْفِيفِ (العين)، قَالَ: " وَكَانَ أَصْلُ هَذَا الْمَصْدَرِ أَنْ يَكُونَ فِعَالًا كَمَا قُلْتَ أَفْعَلْتُ إِفْعَالًا وَلَكِنَّهُ غَيْرَ لَيِّبِينَ أَنَّهُ لَيْسَ مَلْحَقًا وَلَوْ جَاءَ بِهِ جَاءَ عَلَى الْأَصْلِ لَكَانَ مُصِيبًا كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: " وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا "، وَقَالَ قَوْمٌ: حَمَلْتُهُ حِمَالًا وَكَلَّمْتُهُ كِلَامًا ^(٢).

ويزيد الفارسيّ المسألة وضوحاً فيذكر أنّ " الكَذَابُ: مصدر كَذَبَ، كما أنّ الكلام مصدر كَلَّمَ، وكذا القياس فيما زاد على الثلاثة، أي: يأتي بلفظ الفعل وي زيد في آخره الألف، كقولك: أَكْرَمْتُهُ إِكْرَامًا... فَأَمَّا الْكَذَابُ فَمصدر كَذَبَ ^(٣)، والعرب تقول: " وَخَرَقْتُ الْقَمِيصَ خِرَاقًا، وَقَضَيْتُ حَاجَاتِي قِضَاءً " ^(٤)، ومنه قول الأعشى: ^(٥)

فَصَدَّقْتُهَا وَكَذَّبْتُهَا وَالْمَرْءُ يَنْفَعُهُ كِذَابُهُ

وقال الجوهري: كَذَابًا هو " أحد مَصَادِرِ الْمَشْدَدِّ، لِأَنَّ مَصْدَرَهُ قَدْ يَجِيءُ عَلَى تَفْعِيلٍ مِثْلَ النَّكْلِيمِ، وَعَلَى فِعَالٍ مِثْلَ كِذَابٍ، وَعَلَى تَفْعَلَةٍ مِثْلَ تَوْصِيَةٍ، وَعَلَى مُفْعَلٍ مِثْلَ: " وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ " ^(٦).

^١ سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٧٩.

^٢ سورة النبأ، الآية ٢٨. ابن السراج، الأصول، ج ٣، ص ١١٦.

^(٣) الفارسي، الحجّة، ج ٦، ص ٣٦٩.

^٤ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٣، ص ١١٧.

^٥ لم أقف على هذا البيت في ديوان الأعشى. القيسي، إيضاح شواهد الإيضاح، ج ٢، ص ٨٧٨.

ابن منظور، لسان العرب، ج ١٠، ص ١٩٣. أبو حيان، البحر المحيط، ج ١٠، ص ٣٨٨.

^(٦) الجوهري، الصحاح، (كذب)، ج ١، ص ٢١٠. سورة سبأ، الآية ١٩.

ويرى مكي أنّ هاتين القراءتين مصدران، قال: " من شدد جعله مصدر كذب زيدت فيه الألف كما زيدت في إكراماً وقولهم تكذّبوا جعلوا التاء عوضاً من تشديد العين والياء بدلاً من الألف غيروا أوله كما غيروا آخره وأصل مصدر الرباعي أن يأتي على عدد حروف الماضي بزيادة ألف مع تغيير الحركات وقد قالوا تكلمنا فأتى المصدر على عدد حروف الماضي بغير زيادة ألف وذل لكثرة حروفه وضمت اللام ولم تكسر لأنه ليس في الكلام اسم على تفعل ولم يفتحوا لئلا يشبه الماضي وقراه الكسائي كذاباً بالتخفيف جعله مصدر كاذب كذابا وقيل هو مصدر كذب كقولك كتبت كتاباً" (١).

ويحاول الفراء أن يبحث عن توجيه نحوي يوجه به قراءة الكسائي، فيذكر أن (كذاباً) قد خُفّت لأنها ليست بمصدر متعلقاً بالفعل الذي قبلها، قال: "... لأنها ليست مقيدة بفعل يصيرها مصدراً. ويشدد: " حساباً وكذبوا بآياتنا كذاباً "؛ لأن كذبوا يقيد الكذاب" (٢)؛ ولذلك قيل: " إنه مصدر جرى على غير المصدر "، (٣) قال الأزهرى: " وإنما فرّق الكسائي بين الأول والثاني لأن الأول مقيد بـ (كذبوا) فقراه (كذاباً)؛ لأنه مصدر (كذبوا)، وخفف الثاني لأنه غير مقيد بما قبله، فالمعنى: لا يسمعون فيها لغواً، أي: باطلاً، " ولا كذاباً "، أي: كذياً" (٤).

وبناءً على ما تقدّم يفترض الباحث أن هاتين القراءتين تحتلان وجهين؛ فهما إما أن يكونا لغتين بمعنى واحد وهو مذهب له ما يؤيده في السماع. وإما أن تكونا مصدرين متغايرين في المبنى مترادفين في المعنى؛ فقراءة التخفيف تفيد نفي سماع الكذب عن هؤلاء السعداء بنعيم المولى سبحانه؛ حيث إن " الكذاب بالتخفيف والكذب واحد... فإذا كان كذلك كانت القراءة بالتخفيف تفيد المبالغة في النفي" (٥).

(١) مكي، مشكل إعراب القرآن، ج ٢، ص ٧٩٦.

(٢) الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٢٩. الأزهرى، تهذيب اللغة، (كذب)، ج ١٠، ص ٩٩.

سورة النبأ، الآية ٢٨.

(٣) ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ١، ص ٥٣١.

(٤) الأزهرى، معاني القراءات، ج ٣، ص ١١٧.

(٥) الرّازي، مفاتيح الغيب، ج ٣١، ص ٢٢.

وتأتي القراءة الثانية ذات الصيغة المشددة لتؤكد ذلك المعنى؛ فهي تحمل في طياتها إشارة إلى ما كان يقع من أولئك المعاندين من التكذيب بشرائع الله وبأنبيائه المصطفين، وهو ما أخبرت عنه الآية الكريمة المتقدمة وهو قوله عز من قائل: "وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا"،^(١) "وَالْمَعْنَى أَنَّ هَؤُلَاءِ السُّعْدَاءَ لَا يَسْمَعُونَ كَلَامَهُمُ الْمُشَوَّشَ الْبَاطِلَ الْفَاسِدَ، وَالْحَاصِلُ أَنَّ النِّعَمَ الْوَالِصَةَ إِلَيْهِمْ تَكُونُ خَالِيَةً عَنِ زَحْمَةِ أَعْدَائِهِمْ وَعَنْ سَمَاعِ كَلَامِهِمُ الْفَاسِدِ وَأَقْوَالِهِمُ الْكَاذِبَةَ الْبَاطِلَةَ."^(٢)

(خَاتَمَهُ)، (خِتَامَهُ):^(٣)

قرأ الكسائي وحده أيضاً (ختامه) من قوله تعالى: " خِتَامُهُ مِسْكٌ "،^(٤) (خَاتَمَهُ) بفتح الخاء وإقحام ألف بعدها من غير ألف بعد التاء، على وزن (فَاعِلٌ) اسماً لما كان آخر الشيء قال الخليل: " وخَاتِمُ الْعَمَلِ وَكُلِّ شَيْءٍ: آخِرُهُ "؛^(٥) لذلك قيل إنه في هذه القراءة اسم لما يختم به الكأس،^(٦) وقيل: اسم آلة سماعي نحو: الْقَالِبِ وَالطَّابِعِ،^(٧) والمعنى: إِنَّ الْكَأْسَ الَّتِي يَشْرَبُونَهَا آخِرُهَا مِسْكٌ، أي " خَاتِمَتُهُ مِسْكٌ "،^(٨) وهو نظير قوله تعالى: " وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ "،^(٩) يعني آخرهم.^(١٠)

^(١) سورة النبأ، الآية ٢٨.

^(٢) الرّازي، مفاتيح الغيب، ج ٣١، ص ٢٢.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ١٠١. شرح طيبة النشر، ص ٣٢٨. تحبير التيسير،

ص ٦٠٨. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٩٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٦١٤.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٣٤١، ٣٤٢.

^٤ سورة المطففين، الآية ٢٦.

^٥ الفراهيدي، كتاب العين، (ختم)، ج ٤، ص ٢٤٢.

^٦ الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص ٥٧٦.

^٧ الألوسي، روح المعاني، ج ١٥، ص ٢٨٢.

^٨ ابن خالويه، الحجّة، ص ٣٦٦.

^٩ سورة الأحزاب، الآية ٤٠.

^{١٠} الفارسي، الحجّة، ج ٦، ص ٣٨٧. الأزهرّي، تهذيب اللغة، (ختم)، ج ٧، ص ١٣٨.

وقرأ الباؤون (ختامه) بكسر الخاء وحذف الألف التي بعدها، وإقحام ألف بعد التاء، على وزن (فعال) مصدراً،^(١) من قولهم: " خَتَمَهُ يَخْتِمُهُ خَتْمًا وَخِتَامًا"،^(٢) أي: "عَاقِبَتُهُ مِسْكٌ"،^(٣) " وآخر طعمه... إذا شرب"،^(٤) فأخره طعم المسك ورائحته، يعني " طيبُهُ مِسْكٌ" قاله مجاهد،^(٥) ومنه قولهم للعطار إذا اشتروا منه الطيب: " اجعل خاتمه مِسْكًا"،^(٦) والمراد: أن " آخر شرابهم مِسْكٌ، أي: مَخْتُومٌ بِمِسْكٍ"،^(٧) يقول ابن زنجلة: " كَأَنَّهُ إِذَا شَرِبَ أَحَدُهُم الكَأْسَ وَجَدَ آخِرَ شَرَابِهِ مِسْكًا وَخِتَامًا كُلَّ شَيْءٍ آخِرَهُ أَيَّ آخِرٍ مَا يَجِدُونَهُ رَائِحَةَ المِسْكِ"،^(٨) وفي ذلك يقول أبو إسحاق الزجاج: " شربوا هذا الرَّحِيقَ فَنِيَّ مَا فِي الكَأْسِ وَانْقَطَعَ الشَّرْبُ، انختم ذلك بطعم المِسْكِ ورائحته".^(٩) قال الفرزدق:^(١٠)

فَبِتَّنَ بِجَانِبِيٍّ مُصَرَّعَاتٍ وَبِتُّ أَفْضُ أَغْلَاقَ الخِتَامِ

وقال ابن مقبل:^(١١)

صِرْفٌ، تَرَفَّرَقُ فِي النَّاجُودِ، نَاطِلُهَا بِالْفُفْلِ الجَوْنِ وَالرُّمَّانِ مَخْتُومٌ

^١ الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٤٨.

^٢ ابن منظور، لسان العرب، (ختم)، ج ١٢، ص ١٦٣.

^٣ عبد الرزاق، تفسير عبد الرزاق، ج ٣، ص ٤٠٦. أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ٢، ص ٢٩٠.

^٤ ابن قتيبة، غريب القرآن، ص ٥٢٠.

^٥ مجاهد، تفسير مجاهد، ص ٧١٢.

^٦ السجستاني، غريب القرآن، ص ٢١٦.

^٧ ابن خالويه، الحجة، ص ٣٦٦.

^٨ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٧٥٤.

^٩ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٥، ص ٣٠١.

^{١٠} لم أجد هذا البيت في ديوان الفرزدق، ولقد نسبته المصادر التي اطلعت عليها للفرزدق.

الأزهري، تهذيب اللغة، ج ٧، ص ١٣٨. الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٤٨. ابن منظور،

لسان العرب، ج ١٢، ص ١٤٦. الفيومي، المصباح المنير، ج ٢، ص ٤٧٥.

^{١١} ابن مقبل، تميم بن أبي مقبل بن عوف، (١٩٩٥م)، ديوان ابن مقبل، عني بتحقيقه: عزة

حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، ص ١٩٥.

وهكذا أخبرنا العزيز الكريم عن النعيم الذي وعده لعباده المخلصون، فبين لنا في هذه الآية ذات القراءتين واحدة من نعمائه التي سيلقاها كل من يرضى عنه ذو الجلال والإكرام، فهذا شرابهم رحيق مستودع في كؤوس من قوارير فضيَّة يستلذُّ به الشَّارِبُونَ فيجدون آخره مسكاً طيب الرائحة فتطيب به نفوسهم، فإذا كان آخر ذلك الشراب المسك فكيف أوله؟

(مَطَّلَعٌ)، (مَطَّلَعٌ):^(١)

قرأ الكسائي وخلف العاشر (مطلع) من قوله تعالى: " سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطَّلَعِ الْفَجْرِ "،^(٢) (مَطَّلَعٌ) بكسر (اللام) على وزن (مَفْعَلٌ) مصدراً سماعياً؛ إذ الأصل في ما كان على (فَعْلٌ يَفْعُلُ) أن يكون مصدره على (مَفْعَلٌ) (مَطَّلَعٌ)^(٣) بالفتح، ولكن ورد عن العرب قولهم " طَلَعَتِ الشَّمْسُ مَطَّلِعاً فيكسرون. وهم يريدون: المصدر، كما تقول: أَكْرَمْتُكَ كَرَامَةً، فتجتزئ بالاسم من المصدر " حكاة الفراء،^(٤) ويزيد سيبويه الأمر وضوحاً قال: " وقد كسروا المصدر في هذا كما كسروا في يفعل، قالوا: أتيتك عند مَطَّلَعِ الشَّمْسِ، أي عند طُلُوعِ الشَّمْسِ. وهذه لغة بني تميم، وأمَّا أهل الحجاز فيفتحون"،^(٥) وقيل هو اسم للزَّمان، والمراد وقت طُلُوعِ الشَّمْسِ،^(٦) والعرب - كما يقول الأزهري - " تضع الأسماء مَوَاضِعَ المَصادر "،^(٧) وقرأ الباقر (مَطَّلَعٌ) على وزن (مَفْعَلٌ) مصدراً ميمياً،^(٨) على إرادة

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ١٠١. شرح طيبة النشر، ص ٣٣٠. تحبير التيسير،

ص ٦١٦. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٤٠٣. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٦٢٢.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٣٥٩.

^٢ سورة القدر، الآية ٥.

^٣ ابن السراج، الأصول، ج ٣، ص ١٤٢.

^٤ الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٨١.

^٥ سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٩٠.

^٦ الأزهري، معاني القراءات، ج ٢، ص ١٥٥. الواحدي، التفسير الوسيط، ج ٤، ص ٥٣٧.

^٧ الأزهري، تهذيب اللغة، (طلع)، ج ٢، ص ١٠٠.

^٨ الألويسي، روح المعاني، ج ١٥، ص ٤٢٠.

(الطُّلُوع)،^(١) جاء في اللسان: " طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْفَجْرُ وَالنُّجُومُ تَطْلَعُ طُلُوعاً وَمَطْلَعاً وَمَطْلَعاً، فَهِيَ طَالِعَةٌ، وَهُوَ أَحَدٌ مَا جَاءَ مِنْ مَصَادِرِ فَعَلٍ يَفْعُلُ عَلَى مَفْعِلٍ وَمَطْلَعاً، بِالْفَتْحِ، لُغَةً، وَهُوَ الْقِيَاسُ، وَالْكَسْرُ الْأَشْهَرُ "،^(٢) وقول الفراء: " إِذَا كَانَ الْحَرْفُ مِنْ بَابِ فَعَلٍ يَفْعُلُ مِثْلَ دَخَلَ يَدْخُلُ وَخَرَجَ يَخْرُجُ وَمَا أَشْبَهَهَا آثَرَتِ الْعَرَبُ فِي اللَّاسِمِ مِنْهُ وَالْمَصْدَرُ فَتَحُ الْعَيْنِ، إِلَّا أَحْرَفًا مِنَ الْأَسْمَاءِ أَلْزَمُوهَا كَسْرَ الْعَيْنِ فِي مَفْعِلٍ، مِنْ ذَلِكَ: الْمَسْجِدُ وَالْمَطْلَعُ وَالْمَغْرِبُ وَالْمَشْرِقُ وَالْمَسْقُطُ وَالْمَرْفُوقُ وَالْمَفْرُوقُ وَالْمَجْزِرُ وَالْمَسْكِنُ وَالْمَنْسِكُ وَالْمَنْبِتُ، فَجَعَلُوا الْكَسْرَ عَلَامَةً لِلِاسْمِ وَالْفَتْحَ عَلَامَةً لِلْمَصْدَرِ " .^(٣)

ويرى الفارسي أنّ المعنى في هذا السياق يرشح المصدرية في (المطلع)، قال: " المعنى: سلام هي حتى وقت طلوعه، وإلى وقت طلوعه، فهذا نحو: مقدّم الحاج، وخفوق النجم، تجعل المصدر فيه زماناً على تقدير حذف المضاف، فكذلك المطلع، وإذا كان كذلك، فالقياس أن يفتح اللام، كما أن مصادر سائر ما كان من فعل يفعل مفتوح العين نحو: المقتل، والمخرج " .^(٤)

(مُنْزِلًا)، (مُنْزِلًا):^(٥)

انفرد شعبة من بين القراء العشرة في (منزلاً) من قوله تعالى: " وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا "،^(٦) حيث قرأها (منزلاً) بفتح الميم وكسر الزاي، على وزن (مفعِل) اسماً للمكان،^(٧) فـ " المنزل بمعنى النزول كما تقول جلس مجلساً والمجلس

^١ الأخفش، معاني القرآن، ج ٢، ص ٥٨١.

^٢ ابن منظور، لسان العرب، (طلع)، ج ٨، ص ٢٣٥.

^٣ ابن منظور، لسان العرب، (طلع)، ج ٨، ص ٢٣٥.

^٤ الفارسي، الحجة، ج ٦، ص ٤٢٧.

^٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٧. شرح طيبة النشر، ص ٢٨٣. تحبير التيسير،

ص ٤٧٥. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٢٨. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٦٨.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٧٥، ٧٦.

^٦ سورة المؤمنون، الآية ٢٩.

^٧ النحاس، إعراب القرآن، ج ٣، ص ٧٩.

الموضع الذي يُجَلَسُ فيه"،^(١) ويجوز أن يكون مصدراً قاله الفارسي في (الحجّة).^(٢)

وقرأ الباقر (مُنزَلاً) بضمّ الميم، وفتح الزّاي، على وزن (مُفَعَّل) مصدراً بمعنى (الإنزال)^(٣)، من أنزل يَنْزِلُ إنزالاً ومُنزَلاً، ويجوز أن تكون اسم مكان، حكاة الأزهرى،^(٤) ويكون المعنى - والله أعلم - أنزلني إنزالاً مباركاً في مكان مبارك. (شَقَاوَتِنَا)، (شِقْوَتِنَا):^(٥)

قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر (شقوتنا) من قوله تعالى: " قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا"،^(٦) بفتح الشين والقاف، وإقحام ألف بعد القاف، (شَقَاوَتِنَا) على وزن (فَعَالَة) مصدراً نحو: سلم سلامة،^(٧) قال ابن منظور: " الشَّقَاءُ والشَّقَاوَةُ، بِالْفَتْحِ: ضِدُّ السَّعَادَةِ، يُمَدُّ وَيُقَصَّرُ، شَقِيَ يَشْقَى شَقًّا وشَقَاءً وشَقَاوَةً وشَقْوَةً وشِقْوَةً ".^(٨) وقرأ الباقر (شِقْوَتِنَا) بكسر الشين وإسكان القاف، وحذف الألف التي بعدها، مصدراً على وزن (فَعْلَة)، نحو قولهم: فَدَيْتُهُ فِدْيَةٌ،^(٩) ومنه قول الشاعر:^(١٠)

كُلِّفَ مِنْ عَنَائِهِ وشِقْوَتِهِ بنتَ ثَمَانِي عَشْرَةَ مِنْ حَجَّتِهِ

^١ النحاس، معاني القرآن، ج ٤، ص ٤٥٤.

^٢ الفارسي، الحجّة، ج ٥، ص ٢٩٤.

^٣ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٤، ص ١١.

^٤ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ١٩٠.

^٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٨. شرح طيبة النشر، ص ٢٨٤. تحبير التيسير، ص ٤٧٧.

النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٢٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٧٠. محيسن،

الهادي، ج ٣، ص ٧٩، ٨٠.

^٦ سورة المؤمنون، الآية ١٠٦.

^٧ ابن خالويه، الحجّة، ص ٢٥٨.

^٨ ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٤٣٨.

^٩ ابن خالويه، الحجّة، ص ٢٥٨.

^{١٠} ينسب هذا البيت (لأبي ثروان). الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٢٤٢. الأزهرى، تهذيب

اللغة، ج ٩، ص ١٩٨. ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٤٣٨.

(سُخْرِيًّا)، (سُخْرِيًّا): (١)

اختلف القراء العشرة في قراءة هذه اللفظة في موضعين من التنزيل، وهما:

١- قوله تعالى: " فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُمُ ذِكْرِي " (٢)

٢- قوله عزّ من قائل: " أَتَّخَذْنَاَهُمْ سُخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ " (٣)

فقرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائي وخلف العاشر (سُخْرِيًّا) بضم السين، مصدراً على وزن (فُعَل) من تُسَخَّرُونَهُمْ، أي: من السُّخْرَةِ والاستعباد^(٤) والتسخير،^(٥) وقرأ الباقر سِخْرِيَّةً بكسر السين على وزن (فِعَل) مصدراً من سَخَرَ يَسْخَرُ سِخْرِيَّةً،^(٦) أي تَسَخَّرُونَ مِنْهُمْ^(٧) وَتَهْزَأُونَ بِهِمْ^(٨).

وهناك من رأى القراءتين سواء؛ فهما لغتان مسموعتان عن العرب، وفي كلامهم ما يناظرهما كالعَصِيّ والعَصِيّ جمع (العَصَا)،^(٩) قال الكسائي: " هما لغتان بمعنى واحد كما يقال: عَصِيٌّ وَعَصِيٌّ "،^(١٠) وهو مذهب سيبويه وشيخه الخليل قالوا: " هما لغتان مثل قول العرب: بَحْرٌ لُجِّيٌّ وَلِجِيٌّ، وَكَوَكَبٌ دُرِّيٌّ وَدَرِّيٌّ، وَكُرْسِيٌّ وَكُرْسِيٌّ " (١١).

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٨. شرح طيبة النشر، ص ٢٨٤. تحبير التيسير،

ص ٤٧٧. النَّشْرُ فِي الْقِرَاءَاتِ، ج ٢، ص ٣٢٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٧٠.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٨٠.

^٢ سورة المؤمنون، الآية ١١٠.

^٣ سورة ص، الآية ٦٣.

^٤ الطبري، جامع البيان، ج ١٩، ص ٨٠.

^٥ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٤، ص ٢٤.

^٦ ابن منظور، لسان العرب، (سخر)، ج ٤، ص ٣٥٢.

^٧ ابن قتيبة، غريب القرآن، ص ٣٠٠.

^٨ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٤، ص ٢٤.

^٩ الطبري، جامع البيان، ج ١٩، ص ٨٠.

^{١٠} النَّحَّاسُ، إعراب القرآن، ج ٣، ص ٨٦، ٨٧.

^{١١} الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٧، ص ٥٨.

(السَّجْنُ)، (السَّجْنُ): (١)

قرأ العشرة إلا يعقوب (السَّجْنُ) منقوله تعالى: " قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ " (٢) بكسر (السيّن) اسم للمكان وهو (الحبس)، (٣) أي: " نُزُولُ السَّجْنِ "، (٤) يقول ابن منظور: " فَمَنْ كَسَرَ السَّيْنَ فَهُوَ الْمَحْبُسُ وَهُوَ اسْمٌ "، (٥) والمعنى: " قال يوسف: يارب، الحبس في السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ مِنْ مَعْصِيَتِكَ، ويرادونني عليه من الفاحشة " (٦).

وقرأ يعقوب (السَّجْنُ) بفتح (السيّن) مصدرًا ثلاثيًا من: "سَجَنَهُ يَسْجُنُهُ سَجْنًا أَحَبَّسَهُ" (٧) وفي الحديث: " مَا شَيْءٌ أَحَقَّ بِطُولِ سَجْنٍ مِنْ لِسَانٍ "، (٨) والمعنى: " أَنْ أُسَجَّنَ أَحَبُّ إِلَيَّ " (٩).

-
- ١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٠. شرح طيبة النشر، ص ٢٥٥. تحبير التيسير، ص ٤١٤. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٩٥. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٩٣. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٣٢٧.
- ٢ سورة يوسف، الآية ٣٣.
- ٣ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٤٤.
- ٤ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٣، ص ١٠٨. النَّحَّاس، معاني القراءات، ج ٣، ص ٤٢٤.
- ٥ ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ٢٠٣.
- ٦ الطبري، جامع البيان، ج ١٦، ص ٨٦.
- ٧ ابن منظور، لسان العرب، (سجن)، ج ١٣، ص ٢٠٣. النَّحَّاس، إعراب القرآن، ج ٢، ص ٢٠٢. مكي، الهداية، ج ٣، ص ٣٥٦. الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٤٦٧.
- ٨ البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جردى الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨ هـ)، (٢٠٠٣ م)، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، ط ١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية، ببومباي، بالهند، باب في: الجهاد، حديث رقم: ٣٩١٦، ج ٦، ص ٨٨.
- ٩ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٣، ص ١٠٨.

وعلى صعيد آخر اتفق القراء العشرة على كسر السين من السجّن في غير هذا الموضع،^(١) وهو في قوله تعالى: "وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ"،^(٢) وقوله تعالى: " يَا صَاحِبِي السَّجْنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا"،^(٣) وقوله عز من قائل: " فَلَبِثَ فِي السَّجَنِ بِضْعَ سِنِينَ"؛^(٤) وذلك " لِأَنَّ الْمُرَادَ بِهَا الْمَحْبَسُ، وَهُوَ الْمَكَانُ الَّذِي يُسَجَّنُ فِيهِ، وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُرَادَ بِهِ الْمَصْدَرُ بِخِلَافِ الْأَوَّلِ، فَإِنَّ إِرَادَةَ الْمَصْدَرِ فِيهِ ظَاهِرَةٌ، وَلِهَذَا قَالُوا: أَرَادَ يَعْقُوبُ بِفَتْحِهِ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ الْأِسْمِ وَالْمَصْدَرِ ".^(٥)

^١ ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٩٥.

^٢ سورة يوسف، الآية ٣٦.

^٣ سورة يوسف، الآية ٣٩.

^٤ سورة يوسف، الآية ٤١.

^٥ سورة يوسف، الآية ٤٢.

^٦ ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٩٥.

الفصل الثالث

في بنية المشتقات

١.٣ مدخل:

وفي سيرورة البحث عن التوجيهات الصرفية للقراءات العشرة يقف الباحث على بنيات صرفية مخصوصة ابتدعتها العربية للدلالة على معانٍ معلومة يستردفها ابن الكفاية في مواقفه التداولية. وأول ما يميز هذه الصيغ أنها ذات دلالات ثابتة لا تتفكّ، فتجاوزها إلا إذا تطلّب المقام اجتلاب معنى إضافي يلبي مقاصد الرسالة الإبلغية. وتتوزّع هذه البنيات على أبواب سبعة التزمها أغلب الصرفيين في تناولهم لمباحث التصريف، وستقتصر الدراسة على المباحث الصرفية التي وردت بها القراءات العشرة، وهي:

١- اسم الفاعل: وهو الصفة الدالة على " ما اشتق من فعل لمن قام به على معنى الحدوث"،^(١) أو هو: " الوصف الدال على الفاعل الجاري على حركات المضارع وسكناته"،^(٢) وقيل: هو: " ما دلّ على الحدث والحدوث"،^(٣) وهو يعمل عمل فعله سواء أكان مفرداً أم مثني أم جمعاً؛^(٤) فإن كان مشتقاً من فعل لازم اقتصر في العمل على الاسم الذي بعده، فلم يجاوزه؛ " يعني: إن كان فعله لازماً فهو لازم"،^(٥) نحو: زيدٌ شريفٌ أبوه،^(٦) فإن كان مشتقاً من فعل متعدّد؛ " عمل عمل الفعل المضارع؛ لشبهه به في عِدَّة الحروف، وهيئة الحركة والسكون، فـ (ضارب) يُضاهي (يَضْرِب) في كون كلٍّ منهما رباعيّ الحروف، ثانيهما ساكن، وما عداه متحرّك؛ فلما اشتبها من هذا الوجه أُعربَ الفعل المضارع من بين الأفعال، وعمل هذا الاسم عمله في

(١) ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص ٤٩٦.

(٢) ابن هشام، شرح قطر الندى، ص ٢٧٠.

(٣) الأزهرى، شرح التصريح، ج ٢، ص ١١.

(٤) السيوطي، همع الهوامع، ج ٣، ص ٦٨.

(٥) المرادي، توضيح المقاصد، ج ٢، ص ٨٤٩.

(٦) ابن الصائغ، اللحة في شرح الملحّة، ج ١، ص ٣٤٢.

الحال والاستقبال".^(١) ويصاغ اسم الفاعل من الفعل الثلاثي على وزن فاعل غالباً، نحو نَاصِرٍ وضَارِبٍ وقَابِلٍ.^(٢) ويصاغ من غير الثلاثي بلفظ مضارعه، باستبدال الميم المضمومة بحرف المضارعة، وكسر ما قبل الآخر،^(٣) نحو مُدَحَّرَجٍ ومُنْطَلِقٍ ومُسْتَخْرَجٍ.^(٤)

٢- **صيغ المبالغة:** وإذا قصد المتكلم في خطابه التداولي معنى التكثر والمبالغة جنح إلى أبنية مخصوصة ابتدعتها اللغة تلبية لهذا المطلب، وذلك بتحويل بنية اسم الفاعل إلى واحدة من "أوزان خمسة مشهورة، تُسمَّى صيغ المبالغة"،^(٥) قال سيبويه: "وأجروا اسمَ الفاعلِ، إذا أرادوا أن يُبالِغوا في الأمر، مجراه إذا كان على بناء فاعلٍ، لأنه يُريد به ما أراد بفاعلٍ من إيقاع الفعل، إلا أنه يُريد أن يُحدِّثَ عن المبالغة. فما هو الأصلُ الذي عليه أكثر هذا المعنى: فَعُولٌ، وفَعَّالٌ ومَفْعَلٌ وفَعَّلٌ. وقد جاء: فَعِيلٌ كَرَحِيمٍ وَعَلِيمٍ وَقَدِيرٍ وَسَمِيعٍ وَبَصِيرٍ، يجوز فيهنَّ ما جاز في فاعلٍ من التقدِيمِ والتأخِيرِ، والإِضمارِ والإِظهارِ"،^(٦) وقال الجوزي في شرح (الشذور): "... أمثلة المبالغة وهي ما حوّل عن اسم فاعل الثلاثي لقصد المبالغة والتكثر إلى فَعَّالٍ بتثديد العين، كَغَفَّارٍ، أو مَفْعَالٍ بكسر الميم، كَمِنْحَارٍ، أو فَعُولٍ بفتح الفاء، كضَرُوبٍ، أو فَعِيلٍ كَعَلِيمٍ، أو فَعَلٍ كَحَذِرٍ".^(٧)

(١) ابن الصائغ، اللوحة في شرح الملحّة، ج ١، ص ٣٤٢.

(٢) الحملوي، شذا العرف، ص ٦٢.

(٣) ابن هشام، أوضح المسالك، ج ٣، ص ٢١٥.

(٤) وقد سمع عن العرب ألفاظ مخصوصة خالفت هذا القياس المطرد منها: مُسَهَّبٌ ومُفْجَعٌ ومُحْصَنٌ بفتح ما قبل الآخر. وجاء من أفعل على فاعل عاشبٍ ووارسٍ ويافعٍ وباقِلٍ، وجاء منها من أفعل على فعول: عَقُوقٌ، ولا تصاغ على زنة مُفْعَلٍ. والمُفْجَعُ هو المُفْلِسُ. والعَقُوقُ هو من قولهم: أَعَقَّتْ الفرسُ فهي عَقُوقٌ إذا حملت. الجرجاني، المفتاح في الصرف، ص ٥٨.

(٥) الحملوي، شذا العرف، ص ٦٢.

(٦) سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ١١٠.

(٧) الجوزي، شرح شذور الذهب، ج ٢، ص ٦٨٨.

وقد وردت عن العرب أبنية أخرى للمبالغة غير تلك الأبنية الخمسة، منها: " فعِيل: بكسر الفاء وتشديد العين مكسورة كسِكِّير. ومفعيل: بكسر فسكون كمعطير، وفُعلة: بضم ففتح، كهُمزة ولمزة. وفاعول: كفاروق. وفُعال: بضم الفاء وتخفيف العين أو تشديدها، كطوَال وكُبَار، بالتشديد أو التخفيف " (١).

٣- الصِّفَة المشبَّهَة باسم الفاعل: وهي الوصف المشتق الذي يدل بصيغته التصريفية على معنى الثبوت والدوام، (٢) لا على التجدد والحدوث، (٣) فـ " كأنه من السجايا والطبائع اللازمة؛ (٤) وقيل: هي: " الصِّفَة المصوغة لغير تفضيل لإفادة نسبة الحدث إلى موصوفها دون إفادة الحدث "، (٥) وإنما سُميت بـ (الصِّفَة المشبَّهَة باسم الفاعل)، فذلك لأنها تشترك معه في وجوه، وتفترق عنه في وجوه أخرى. (٦) ولا تصاغ الصِّفَة المشبَّهَة إلا من فعل لازم، (٧) " ويغلب بناؤها من لازم باب فرح، ومن باب شرف، ومن غير الغالب نحو سيّد وميّت، ... وأوزانها الغالبة فيها اثنا عشر وزناً " (٨).

٤- اسم المفعول: وهو الصِّفَة الدالة على " ما اشتق من فعل لمن وقع عليه "، (٩) على سبيل التجدد والحدوث، (١٠) وهو يصاغ من الفعل الثلاثي على زنة مفعول، نحو: منصور ومطلوب، ومن غير الثلاثي بلفظ مضارعه باستبدال

(١) الحملوي، شذا العرف، ص ٦٢.

(٢) الزمخشري، المفصل، ص ٢٩٣.

(٣) الغلابيني، جامع الدروس العربية، ج ١، ص ١٧٨.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ابن هشام، شرح قطر الندى، ص ٢٧٧.

(٦) انظر هذه الوجوه عند ابن هشام في مغني اللبيب، ص ٥٩٨-٦٠٠.

(٧) ركن الدين الاسترأبادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج ١، ص ٢٨٧.

(٨) الحملوي، شذا العرف، ص ٦٣-٦٤.

(٩) ابن هشام، شرح شذور الذهب، ص ٥٠٨.

(١٠) ابن هشام، شرح قطر الندى، ص ٢٧٧.

الميم المضمومة بحرف المضارعة، وفتح الحرف قبل الأخير، على وزن (مُفْعَل)، نحو: مُرْرَمٌ وَمُعَظَّمٌ وَمُسْتَعَانٌ بِهِ.^(١)

(مَالِك)، (مَلِك):^(٢)

وأول ما نستفتح به هذا الباب هو (مالك يوم الدين) في أم الكتاب، حيث قرأ عاصم والكسائي ويعقوب وخلف العاشر (ملك) من قوله تعالى: "مالك يوم الدين"^(٣) بإثبات ألف بعد الميم، اسم فاعل^(٤) مشتق من " المَلِك "،^(٥) وهو من: " مَلَكٌ فهو مَالِكٌ، مثل قهر فهو قاهر"،^(٦) معناه: "قاضي يوم الجزاء والحساب لأنه متقررٌ في ذلك اليوم بالحكم"،^(٧) فهو " مَالِكُهُ الَّذِي يَمْلِكُهُ "،^(٨) قاله ابن عباس والسدي^(٩) ومقاتل،^(١٠) وقيل: معناه: " أنه ذو المَلِكَةِ في يوم الدين، وقيل: معناه أنه مالك الملك يوم الدين".^(١١)

(١) الحملاوي، شذا العرف، ص ٦٣.

^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٣٨. شرح طيبة النشر، ص ٤٩. تحبير التيسير، ص ١٨٦.

النشر في القراءات، ج ١، ص ٢٧١. النويري، شرح طيبة النشر، ج ١، ص ٣٠٣، ٣٠٤.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٧، ٨.

^٣ سورة الفاتحة، الآية ٣.

^٤ ابن سيده، إعراب القرآن، ج ١، ص ٥.

^٥ الطبري، جامع البيان، ج ١، ص ١٤٩.

^٦ الأخفش، معاني القرآن، ج ١، ص ١٥.

^٧ الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري،

الشافعي، (ت: ٤٦٨ هـ)، (م: ٩٩٥ م)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان

عدنان داوودي، ط ١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ص ٨٨.

^٨ ابن أبي زَمَنِين، تفسير القرآن العزيز، ج ١، ص ١١٩.

^٩ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ١، ص ١١٥.

^{١٠} مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج ١، ص ٣٦.

^{١١} الأزهرري، معاني القراءات، ج ١، ص ١٠٩.

وقرأ الباقون (مَلِك) بحذف الألف وكسر اللام والكاف، على وزن (فَعِل) صفة مشبَّهة،^(١) " صَارَتْ اسْمًا لِصَاحِبِ الْمَلِكِ بِضَمِّ الْمِيمِ"،^(٢) وهو: " مَنْ عَمَرَ مُلْكُهُ؛ يُقَالُ مَلِكٌ بَيْنَ الْمُلُوكِ بِالضَّمِّ"،^(٣) وقيل: هو: " المتصرف بالأمر والنهي في الجمهور، وذلك يختصّ بسياسة الناطقين، ولهذا يقال: مَلِكُ النَّاسِ، ولا يقال: مَلِكُ الْأَشْيَاءِ"،^(٤) " وإِنَّمَا شَرَطَ الْجُمْهُورَ لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَمْلِكُ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ وَمَا يَخْتَصُّ بِهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: مَلِكٌ، وَهَذَا إِنَّمَا قَالَهُ بِالنَّظَرِ الْعَامِيِّ وَأَمَّا بِالنَّظَرِ الْخَاصِّيِّ، فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ اسْمٌ لِمَنْ يَمْلِكُ السِّيَاسَةَ مِنْ نَفْسِهِ أَوْ مِنْهَا أَوْ مِنْ غَيْرِهَا، وَمَالِكٌ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِهِ أَجَلٌ مَلِكٌ وَأَكْبَرُ سُلْطَانٌ".^(٥)

وقد عني بتوجيه هاتين القراءتين نفر غير قليل من علماء اللغة والتفسير، حتى أننا لا نجد تصنيفاً في بيان معاني التنزيل أو إعراب تراكيبيها وتصريف كلمها لا يخلو من ذكر لهما. فقد اعتمد فريق من العلماء على الاقتران اللفظي دالةً يوجه على هديه ما يختاره من القراءة، فهذا أبو حاتم السجستاني يؤثر قراءة (مالك) على قراءة (ملك) بناءً على قانون الاصطحاب المعجمي؛ الذي يبيح لـ (مالك) أن تقترن بألفاظ من مثل: الناس، فـ " يقال ملك الناس ولا يُقَالُ: مَلِكِ الدَّوَابِّ أَوْ الدَّرَاهِمِ"،^(٦) قال: "وهو أجمع من ملك لأنك تقول إن الله مالك الناس ومالك الطير ومالك الريح ومالك كل شيء من الأشياء ونوع من الأنواع ولا يقال الله ملك الطير ولا ملك الريح ونحو ذلك وإنما يحسن ملك الناس وحدهم".^(٧) وهذه الحجة من لدن أبي حاتم لم يوافقها عليها جلّ علماء اللغة، " منهم أبو عبيد وأبو العباس محمد بن يزيد واحتجوا بقوله تعالى: لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ. وَالْمُلْكُ مَصْدَرُ الْمَلِكِ وَمَصْدَرُ الْمَالِكِ مَلِكٌ بِالْكَسْرِ وَهَذَا

^١ الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص ١٦٣.

^٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ١٧٥.

^٣ العكبري، التبيان، ج ١، ص ٦.

^٤ الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٧٧٤.

^٥ الراغب الأصفهاني، التفسير، ص ٥٥، ٥٦.

^٦ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ١٧٥.

^٧ النحاس، معاني القرآن، ج ١، ص ٦١.

احتجاج حسن وأيضاً فإنّ حجة أبي حاتم لا تلزم لأنه إنّما لم يستعمل ملك الطير والرياح لأنه ليس فيه معنى مدح".^(١)

ومن جهة ثانية كان هناك من العلماء من فاضل بين القراءتين بناءً على فصاحة اللفظ وبلاغة التعبير، فمن قرأ بصيغة اسم الفاعل وجد (مالك) أبلغ في التعبير من (ملك)؛ " لأنه يقال: مالك الدار، ومالك الدابة، ولا يقال ملك: إلا لملك من ملوك"،^(٢) بذلك وجدنا أبا حاتم يقرّ لقراءة (مالك) بعلوّ كعبها في الفصاحة والبلاغة؛ حيث أنّ "مَالِكٌ أبلغ في مدح الخالق من مَلِك، ومَلِكٌ أبلغ من مدح المخلوق من مالك".^(٣)

وأما من اختار القراءة بالقصر فإنّه رأى هذا اللفظ أفصح في الاستعمال وأبين في الإبلاغ بآية أنك "إذا قلت: فلان ملك هذه البلدة، يكون ذلك كناية عن الولاية دون الملك وإذا قلت فلان مالك هذه البلدة، كان ذلك عبارة عن ملك الحقيقة"؛^(٤) ولذلك قيل: إنّ " المَلِكُ أبلغ في المدح من المالك، لأنّ كلَّ مَلِكٍ مَالِكٌ، وليس كلُّ مَالِكٍ مَلِكاً، ولأنّ أمر المَلِكِ نافذ على المالك"،^(٥) وقال: أبو عبيدة والأصمعي وأبو سالم والأخفش وأبو الهيثم: مالك أجمع وأوسع وأمدح، ألا ترى أنه يقال: الله مالك الطير والدواب والوحش وكل شيء، ولا يقال: ملك كل شيء، وإنّما يقال: مَلِكُ النَّاسِ؟ قالوا: ولا يكون مالك الشيء إلا هو يملكه ويكون ملك الشيء وهو لا يملكه، كقولهم: ملك العرب والعجم والروم".^(٦)

وهناك فريق آخر وجد المسألة تشتغل في التباين اللهجيّ، فـ (مالك وملك) هما لغتان بمعنى واحد لا فضل لإحدهما على الأخرى، شأنهما في ذلك شأن فرهين وفرهين، وحذرين وحاذرين وفكّهين وفكّهين،^(١) ومعناهما "الربّ، كما يقال: ربُّ

^١ النحاس، معاني القرآن، ج ١، ص ٦٢. سورة غافر، الآية ١٦.

^٢ السمرقندي، بحر العلوم، ج ١، ص ١٧.

^٣ الماوردي، النكت والعيون، ج ١، ص ٥٦.

^٤ السمرقندي، بحر العلوم، ج ١، ص ١٧.

^٥ الماوردي، النكت والعيون، ج ١، ص ٥٦. السمعاني، تفسير القرآن، ج ١، ص ٣٦.

^٦ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ١، ص ١١٤.

^١ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ١، ص ١١٤.

الدَّارِ وَمَالِكُهَا" (١) والعرب تقول: " ربّ الدّار والعبد والضيعة بمعنى أنه مالِكها، ولا يفرّقون بين قولهم: ربّها ومالكها " (٢).

وولّى فريق رابع فكره شطر المعنى والدّلالة، فرأى القراءة بـ(مالك) هي أعم في المعنى من القراءة بـ(الملك)؛ إذ تشمل القليل والكثير، (٣) فهي تقبل الإضافة لما لا حصر له من الموجودات، (٤) سواء أكانت معاني عامّة أم دلالات خاصّة، (٥) فيقال: " مَالِكُ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ"، (٦) كما يقال: " مَالِكُ الْمُلُوكِ"، (٧) وفي ذلك يقول الراغب في (المفردات): " والمَلِكُ كالجنس للملِكِ، فكلُّ مُلْكٍ مُلْكٌ، وليس كلُّ مُلْكٍ مُلْكاً"، (٨) ومنه قول الشاعر: (٩)

سُبْحَانَ مَنْ عَنَتِ الْوُجُوهُ لَوَجْهِهِ مَلِكِ الْمُلُوكِ وَمَالِكِ الْعَفْوِ

ولذلك جاز أن يقال: " مَالِكُ الْمُلْكِ"، وامتنع أن يقال: " مَلِكُ الْمُلْكِ"، (١٠) ويعلّل ابن الحصار ذلك فيقول: "إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمُرَادَ مِنْ "مَالِكِ" الدَّلَالَةَ عَلَى الْمَلِكِ بِكَسْرِ الْمِيمِ وَهُوَ لَا يَتَضَمَّنُ "الْمُلْكُ" بِضَمِّ الْمِيمِ وَ"مَلِكُ" يَتَضَمَّنُ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعاً فَهُوَ أَوْلَى بِالْمُبَالَغَةِ. وَيَتَضَمَّنُ أَيْضاً الْكَمَالَ، وَلِذَلِكَ اسْتَحَقَّ الْمُلْكُ عَلَى مَنْ دُونَهُ". (١)

^١ البغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ٧٤.

^٢ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ١، ص ١١٥.

^٣ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ١٤١.

^٤ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ١، ص ٤٩.

^٥ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ١٤١.

^٦ الدر المصون، ج ١، ص ٤٩. ابن عادل، اللباب، ج ١، ص ١٨٧.

^٧ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ١٤١.

^٨ الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٧٧٥.

^٩ نسب هذا البيت أبو هلال العسكري للفرزدق، ولم أقف عليه في ديوانه. أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، حقّقه وعلّق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم

والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ص ١٨٢.

^{١٠} القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ١٤١.

^١ المصدر نفسه.

ويحاول الماوردي أن يكون أكثر دقة في التفريق بين (المَلِكِ والمَالِكِ)، فيذكر " أنَّ المَالِكِ من المخلوقين، قد يكون غير مَلِكِ، وإن كان الله تعالى مَالِكاً كان مَلِكاً، فإن وُصف الله تعالى بأنه مَلِكِ، كان ذلك منصفات ذاته، وإن وصف بأنه مَالِكِ، كان منصفات أفعاله ".^(١)

(مَوْلَاهَا)، (مَوْلِيَّهَا):^(٢)

قرأ ابن عامر وحده (مولىها) من قوله تعالى: " وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيَّهَا فَاسْتَبَقُوا الْخَيْرَاتِ " ^(٣) بفتح اللام وألف بعدها، اسماً للمفعول من فوق الثلاثي، أي: " مَصْرُوفاً إِلَيْهَا " ^(٤) ومواجهها، ^(٥) أي: " وكل أهل وجهه هم الذين ولوا وجوههم إلى تلك الجهة " قاله بعض أهل اللغة. ^(٦)

وقرأ الباقر (مولىها) بكسر اللام وإقحام ياء ساكنة بعدها اسم فاعل من غير الثلاثي، أي: " مُسْتَقْبِلُهَا " ^(٧) ومُقْبِلُ إِلَيْهَا، يقال: " ولَّيتَه، وولَّيت إليه. إذا أقبلت إليه وولَّيت عنه إذا أدبرت عنه " ^(٨) وقيل: هي على معنى موجهها، ^(٩) يقال: " ولَّيتك القبلة إذا صيرتكَ تستقبلها بوجهك " ^(١) وقيل: مُتَّبِعُهَا وراضيتها، ^(٢) ويكون المعنى - والله أعلم - أن لكل أمة وجهه، ^(٣) " ولكل أهل ملة قبلة هم مستقبلوها " ^(٤)

^١ الماوردي، النكت والعيون، ج ١، ص ٥٦.

^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٤. شرح طيبة النشر، ص ١٨٧. تحبير التيسير، ص ٢٩٦. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٢٣. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ١٨٧، ١٨٨. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٥٩.

^٣ سورة البقرة، الآية ١٤٨.

^٤ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٢، ص ١٣.

^٥ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١١٧.

^٦ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ١، ص ٢٢٥.

^٧ الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٨٥. ابن قتيبة، غريب القرآن، ص ٦٥. السجستاني، غريب القرآن، ص ٤٨٨.

^٨ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٢، ص ١٣.

^٩ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ١، ص ٦٠.

^١ الفارسي، الحجة، ج ٢، ص ٢٣٠، ٢٣١.

(مُنزِلِينَ، مُنزِلِينَ)، (مُنزِلُونَ، مُنزِلُونَ)، (مُنزَلٌ، مُنزلٌ):^(٤)

انفرد ابن عامر بقراءة (منزِلِينَ) من قوله تعالى: إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُنزِلَ عَلَيْكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلاَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزِلِينَ "،^(٥) و(مُنزِلُونَ) من قوله تعالى: " إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ "،^(٦) حيث قرأهما (مُنزِلِينَ، مُنزِلُونَ) بتشديد الزاي، الأولى على وزن (مُفَعَّلِينَ) اسم مفعول من غير الثلاثي، والثاني اسم فاعل من غير الثلاثي أيضاً على زنة (مُفَعَّلُونَ)، وكلاهما من الفعل الثلاثي مُضَعَّف العين (نزل)،^(٧) على إرادة التّكثير أو التّدرّج.^(٨)

وقرأ الباقر (مُنزِلِينَ، مُنزِلُونَ) بسكون النّون وتخفيف الزاي، على أن (مُنزِلِينَ) اسم مفعول من (أَنْزَلَ) الثلاثي المزيد بالهمزة، و(مُنزِلُونَ) اسم فاعل من (أَنْزَلَ) الثلاثي المزيد بالهمزة أيضاً.^(٩)

ومن جهة ثانية قرأ حفص وابن عامر (منزل) من قوله تعالى: "يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ "،^(١٠) بفتح النّون وتشديد الزاي، على أنه اسم مفعول من (نزل)

^١ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١١٧.

^٢ الأخفش، معاني القرآن، ج ١، ص ١٦٢. التّستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التّستري، (ت: ٢٨٣هـ-)، (٢٠٠٣م)، تفسير التّستري، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط ١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٣٢.

^٣ مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج ١، ص ١٤٨.

^٤ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٨. شرح طيبة النشر، ص ٢٠٩. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٤٢، ٣٤٣. تحبير التيسير، ص ٣٢٦، ٥٠٢. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٤٤، ٢٤٥. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١١٨.

^٥ سورة آل عمران، الآية ١٢٤.

^٦ سورة العنكبوت، الآية ٣٤.

^٧ ابن خالويه، الحجة، ص ١١٣.

^٨ البيضاوي، أنوار التنزيل، ج ٢، ص ٣٧. الألويسي، روح المعاني، ج ٢، ص ٢٦٠.

^٩ ابن خالويه، الحجة، ص ١١٣. محيسن، القراءات، ج ١، ص ٤٧٣.

^{١٠} سورة الأنعام، الآية ١١٤.

الثلاثي مضَعَّف العين. وقرأ الباكون (مُنزَل) بسكون النون، وتخفيف الزاي، على أنه اسم مفعول من أنزل المزيد بالهمزة.

والمتمأمل لهذه القراءات يلحظ أنها تدور في فلك الاختيار بين القراءة بصيغة (فَعَلَّ) والقراءة بصيغة (أَفْعَلَّ) على التعيين، وقد كان الوقوف على دقائق استعمال هاتين الصيغتين من المسائل التي تصدّى لها بالبحث والتحصيص كل من علماء اللغة والنحو والتصريف،^(١) وكان لكل فريق منهم رأي في توجيه هذه الظاهرة وتفسيرها. فيذكر لنا سيبويه أن أبا عمرو بن العلاء كان " يفرق بين نزلت وأنزلت"،^(٢) ولكنه لم يبين لنا ذلك الفرق،^(٣) ويرى الأزهري أن العرب تقول: نزلت القوم منازلهم، وأنزلتهم منازلهم بمعنى واحد. ومنهم من يستعمل التشديد فيما يتكرر ويكثر العمل فيه، ويخفف فيما لا يكثر ولا يتكرر.^(٤)

ويفهم من كلام الزمخشري أنه كان يرى أن (نزل) مضَعَّف العين هو لما كان متدرجاً في النزول، في مقابل (أنزل) التي هي لما ينزل دفعة واحدة، قال في تفسير (نزلنا) من قوله جل ثناؤه " وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا "،^(١) قال: " فَإِنَّ قُلْتَ: لم قيل: (مِمَّا نَزَّلْنَا) على لفظ التنزيل دون الإنزال؟ قلت: لأنَّ المراد النزول على سبيل التدرج والتتجيم "،^(٢) وقوله في تفسير قوله تعالى: " نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ "،^(٣) " فَإِنَّ قُلْتَ: لم قيل (نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ) (وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ) ؟ قلت: لأنَّ القرآن نزل منجماً، ونزل الكتابان جملة".^(٤) يعني أن القرآن نزل متفرقاً على مراحل بلغت عشرين عاماً ونيفاً

^١ النماس، مصطفى أحمد النماس، بحث في صيغة أفعال بين النحويين واللغويين واستعمالاتها في العربية، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد: ٥٣، المدينة المنورة، ص ٢٣٧.

^٢ سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٦٣.

^٣ الزبيدي، تاج العروس، (نزل)، ج ٣٠، ص ٤٧٨.

^٤ الأزهري، معاني القراءات، ج ١، ص ١٦٧.

^١ سورة البقرة، الآية ٢٣.

^٢ الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٩٦.

^٣ سورة آل عمران، الآية ٣.

^٤ الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٣٣٦.

بخلاف الكتب السابقة، وهذا القول من الزمخشري ليس بصحيح كما يقول أبو حيان، "لأنَّ التَّضْعِيفَ فِي نَزْلِ لَيْسَ لِلتَّكْثِيرِ وَالتَّفْرِيقِ، وَإِنَّمَا هُوَ لِلتَّعْدِيَةِ، وَهُوَ مُرَادِفٌ لِلْهَمْزَةِ".^(١)

ويزيد أبو حيان الأمر وضوحاً فيقول: " وَهَذَا الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ الزَّمَخْشَرِيُّ فِي تَضْعِيفِ عَيْنِ الْكَلِمَةِ هُنَا، هُوَ الَّذِي يُعْبَرُ عَنْهُ بِالتَّكْثِيرِ، أَيْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، فَيَدُلُّ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى بِالتَّضْعِيفِ وَيُعْبَرُ عَنْهُ بِالكَثْرَةِ وَذَهَلَ الزَّمَخْشَرِيُّ عَنْ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ غَالِباً فِي الْأَفْعَالِ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ التَّضْعِيفِ مُتَعَدِّيَةً، نَحْوُ: جَرَحْتُ زَيْدًا، وَقَتَحْتُ الْبَابَ، وَقَطَعْتُ، وَذَبَحْتُ، لَا يُقَالُ: جَلَسَ زَيْدٌ، وَلَا قَعَدَ عَمْرُو، وَلَا صَوَّمَ جَعْفَرٌ، وَنَزَلْنَا لَمْ يَكُنْ مُتَعَدِّيًّا قَبْلَ التَّضْعِيفِ إِنَّمَا لَازِمًا، وَتَعَدِّيٌّ إِنَّمَا يُفِيدُهُ التَّضْعِيفُ أَوْ الْهَمْزَةُ، فَإِنْ جَاءَ فِي لَازِمٍ فَهُوَ قَلِيلٌ. قَالُوا: مَاتَ الْمَالُ، وَمَوْتَ الْمَالُ، إِذَا كَثُرَ ذَلِكَ فِيهِ، وَأَيْضًا، فَالتَّضْعِيفُ الَّذِي يُرَادُ بِهِ التَّكْثِيرُ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ وَقُوعِ الْفِعْلِ، أَمَا أَنْ يَجْعَلَ اللَّازِمَ مُتَعَدِّيًّا فَلَا، وَنَزَلْنَا قَبْلَ التَّضْعِيفِ كَانَ لَازِمًا وَلَمْ يَكُنْ مُتَعَدِّيًّا، فَيَكُونُ التَّعَدِّيُّ الْمُسْتَفَادُ مِنَ التَّضْعِيفِ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ لِلنَّقْلِ لَا لِلتَّكْثِيرِ، إِذْ لَوْ كَانَ لِلتَّكْثِيرِ، وَقَدْ دَخَلَ عَلَى اللَّازِمِ، بَقِيَ لَازِمًا نَحْوُ: مَاتَ الْمَالُ، وَمَوْتَ الْمَالِ. وَأَيْضًا فَلَوْ كَانَ التَّضْعِيفُ فِي نَزْلِ مُفِيدًا لِلتَّجْمِيمِ لاحتاج قوله تعالى: لَوْ لَا نَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى تَأْوِيلِ، لِأَنَّ التَّضْعِيفَ دَالٌّ عَلَى التَّجْمِيمِ وَالتَّكْثِيرِ، وَقَوْلُهُ: جُمْلَةً وَاحِدَةً يَنَافِي ذَلِكَ. وَأَيْضًا فَالْقُرْآنُ بِالْوَجْهَيْنِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا جَاءَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَأَيْضًا مَجِيءُ نَزْلِ حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ فِيهِ التَّكْثِيرُ وَالتَّجْمِيمُ إِلَّا عَلَى تَأْوِيلٍ بَعِيدٍ جَدًّا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ. قَالَ تَعَالَى: وَقَالُوا لَوْ لَا نَزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ، وَقَالَ تَعَالَى: قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْسُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا، لَيْسَ الْمَعْنَى عَلَى أَنَّهُمْ اقْتَرَحُوا تَكَرُّرَ نَزُولِ الْآيَةِ، وَلَا أَنَّهُ عَلَّقَ تَكَرُّرَ نَزُولِ مَلَكٍ رَسُولٍ عَلَى تَقْدِيرِ كَوْنِ مَلَائِكَةٍ فِي الْأَرْضِ، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، مُطْلَقُ الْإِنْزَالِ".^(١)

وأحسب أن أبا حيان قد تعجل الحكم في هذه المسألة على صاحب الكشاف؛ ذلك أنني وجدت الزمخشري يصرح في موضع آخر من تفسيره بقريب مما ذهب إليه

^١ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٤، ص ٩٨.

^١ المصدر نفسه.

أبو حيان، قال: " وقرئ تَدْرُسُونَ، من التَّدْرِيسِ، وتُدْرِسُونَ على أنْ أَدْرَسَ بمعنى دَرَسَ كَأَكْرَمَ وَكَرَّمَ وَأَنْزَلَ وَنَزَلَ. وتدرسون، من التدرس. ويجوز أن يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف: تدرسونه على الناس كقوله: (لَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ) فيكون معناهما معنى تَدْرُسُونَ من التَّدْرِيسِ"،^(١) ويفهم من كلام الزمخشري أنه لا يرى أي فرق دلالي بين هاتين الصيغتين، قال: " وقرئ مُنْزَلِينَ بِالتَّشْدِيدِ، وَمُنْزَلِينَ بِكَسْرِ الزَّيِّ، بِمَعْنَى: مُنْزَلِينَ النَّصْرَ"،^(٢) وتبعه في ذلك ابن عطية في (المحرر الوجيز)،^(٣) وهما عند الفخر الرازي لغتان بمعنى واحد.^(٤)

وهناك من اعتمد على الوظيفة التركيبية للبنية الصرفية للفرق بين هاتين القراءتين؛ فيرى أبو حيان أن صيغتي (أفعل وفعل) هما ذواتا وظيفة تركيبية واحدة وهي: التعدية؛ لذلك حكم بأنهما سيان، قال: " وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ مُنْزَلِينَ بِالتَّخْفِيفِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ، وَابْنُ عَامِرٍ بِالتَّشْدِيدِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ أَيْضًا، وَالْهَمْزَةُ وَالتَّضْعِيفُ لِلتَّعْدِيَةِ فَهُمَا سَيَّانٌ. وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عَبْلَةَ: مُنْزَلِينَ بِتَشْدِيدِ الزَّيِّ وَكَسْرِهَا مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ. وَبَعْضُ الْقُرَّاءِ بِتَخْفِيفِهَا وَكَسْرِهَا مَبْنِيًّا لِلْفَاعِلِ أَيْضًا، وَالْمَعْنَى: يُنْزَلُونَ النَّصْرَ".^(١)

(مُسَوِّمِينَ)، (مُسَوِّمِينَ):^(٢)

قرأ عاصم وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (مُسَوِّمِينَ) من قوله تعالى: " بَلَى إِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ"^(٣) (مُسَوِّمِينَ) بكسر الواو، اسم فاعل^(٤) من (سَوَّمَ) مضعف العين، بمعنى: "

^١ الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٣٧٨.

^٢ المصدر نفسه.

^٣ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ١، ص ٥٠٤.

^٤ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٨، ص ٣٥٣. وذكر الرازي وجه ثاني يرى أن التشديد لمعنى التكثر.

^١ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٣، ص ٣٣٤. السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٣، ص ٣٨٦.

^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٨. شرح طيبة النشر، ص ٢٠٩. تحبير التيسير،

ص ٣٢٧. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٤٢. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٤٥.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١١٨-١١٩.

^٣ سورة آل عمران، الآية ١٢٥.

^(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ١٩٦.

" مُعَلِّمِينَ بِالسُّومَةِ"،^(١) وهي "علامة يُعرفون بها في الحرب"،^(٢) و"هو من المسوم الذي له سيماء بعمامة أو بصوفة أو بما كان"،^(٣) ف "السُّومَةُ بِالضَّمِّ الْعَلَامَةُ تُجْعَلُ عَلَى الشَّاةِ وَفِي الْحَرْبِ أَيْضًا"،^(٤) وعن الخليل: " وَسَوْمَ فُلَانٍ فَرَسَهُ تَسْوِيمًا: أَعْلَمَ عَلَيْهِ بِحَرِيرَةٍ، أَوْ شِيءٍ يُعْرَفُ بِهَا "،^(٥) قال ابن الأعرابي: " السِّيمُ: العلامات على صُوفِ الْغَنَمِ "،^(٦) وفي التَّنْزِيلِ: " تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ "،^(٧) وقيل هي من: " التَّسْوِيمِ الذي هو إظهار سيما الشيء "،^(٨) وفي الحديث عن النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: " تَسَوَّمُوا فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ تَسَوَّمَتْ "،^(٩) وروي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه فسّر (المسومين) حين سأله عنها نافع بن الأزرق في هذه الآية بقوله: " الملائكة عليهم عمائم بيض مسومة، فتلك سيما الملائكة "،^(١٠)

وقرأ الباقر (مسومين) بفتح الواو اسم مفعول^(١١) من " (سوم) مضعف العين، بمعنى " مُعَلِّمِينَ قَدْ سَوَّمُوا، فهم مسومون"،^(١٢) وقيل معناها: " سَوَّمَهُمُ اللَّهُ أَوْ وَيَجُوزُ

(١) الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٢٧٢.

(٢) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص ١٠٩. السجستاني، غريب القرآن، ص ٤٣٤.

(٣) أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ١، ص ١٠٣.

(٤) الرّازي، مختار الصحاح، (سمو)، ج ١، ص ١٥٨.

(٥) الفراهيدي، العين، (سمو)، ج ٧، ص ٣٢٠.

(٦) الأزهرى، تهذيب اللغة، (سمو)، ج ١٣، ص ٧٦.

(٧) سورة البقرة، الآية ٢٧٣.

(٨) البيضاوي، أنوار التنزيل، ج ٢، ص ٣٧.

(٩) ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان الكوفيّ العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، (٩٨٩م)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط ١، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، حديث رقم: ٣٦٦٦٨، ج ٦، ص ٤٣٧.

(١٠) ابن عباس، أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، (ت: ٦٨هـ)، غريب القرآن في شعر العرب (مسائل نافع بن الأزرق لعبد الله بن عباس، تحقيق: محمد أحمد الدالي، ط ١، الجفان والجابي، مسألة رقم: ٢٣٧، ص ١٧٦. ولم أجد هذه المسألة عند بنت الشاطيء، عائشة محمد علي عبد الرحمن، التي جمعت مسائل ابن الأزرق في كتابه، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، ط ٣، دار المعارف، ص ٢٨٧-٦٠٠.

(١١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ١٩٦.

أن تكون هاتان القراءتان مشتقتين من " السَّوْمِ وَهُوَ تَرَكَ الْبَهِيمَةَ تَرَعَى "، (٢) يقال: " أَسَمْتُ الْبَيْلَ إِذَا أَرَسَلْتَهَا، وَيُقَالُ فِي التَّكْثِيرِ سَوَّمْتُ كَمَا تَقُولُ أَكْرَمْتُ وَكَرَّمْتُ "، (٣) قال الأصمعي: " السَّوَامُ وَالسَّائِمَةُ: كُلُّ إِبِلٍ تُرْسَلُ تَرَعَى وَلَا تَعْلَفُ فِي الْأَصْلِ "، قال جل ثناؤه: " وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ "، (٤) وحكى أبو زيد: " سَوَّمُ الرَّجُلَ خَيْلَهُ: أَي أَرْسَلَهَا، وَحَكَى بَعْضُهُمْ: سَوَّمْتُ غُلَامِي أَي: أَرْسَلْتُهُ "، (٥)

وقد فطن أبو الحسن الأخفش إلى هذا المعنى في تفسيره لهذه الآية، فقال: " يَكُونُ مُعَلِّمِينَ وَيَكُونُ مُرْسَلِينَ مِنْ قَوْلِكَ سَوَّمْتُ فِيهَا الْخَيْلَ أَي أَرْسَلَهَا؛ وَمِنْهُ السَّائِمَةُ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِالْيَاءِ وَالنُّونِ لِأَنَّ الْخَيْلَ سَوَّمْتُ وَعَلَيْهَا رُكْبَانُهَا "، (١) وفي الحديث: عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: "... إِنَّ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فُرْسَانًا مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ مُسَوِّمِينَ؛" (٢) أي: مُعَلِّمِينَ، (٣) قال الزمخشري شارحاً هذا الحديث: " يُقَالُ: فَارَسَ مَسَوَّمًا وَمَعَلَّمَ (بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ) : وَهُوَ الَّذِي أَعْلَمَ نَفْسَهُ بَعْلَامَةً يَعْلَمُ بِهَا فِي الْحَرْبِ مِنْ رِيثَةِ يَغْرَزُهَا فِي بَيْضَتِهِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. وَالسَّوْمَةُ وَالسَّيْمِيُّ وَالسَّيْمِيَاءُ: الْعَلَامَةُ "، (٤)

وبناءً على ذلك يمكن توجيه القراءتين من جهة أن مَنْ قَرَأَ (مُسَوِّمِينَ) بِالْكَسْرِ يَكُونُ الْمَعْنَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ قَدْ عَلَّمَتْ أَنْفُسَهَا بَعْلَامَاتٍ تَعْرِفُ بِهَا تَسْرِيَةً

(١) الواحدي، التفسير الوسيط، ج ١، ص ٤٨٩.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، ج ٣، ص ٣٣٥.

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٨، ص ٣٥٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية، ١٤.

(٥) السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٣، ص ٣٨٧.

(١) الأخفش، معاني القرآن، ج ١، ص ٢٣٣. الجوهري، الصحاح، (سوم)، ج ١، ص ١٥٨.

(٢) هذا النص هو جزء من حديث ذكره الطبراني في معجمه، انظر: الطبراني، المعجم الكبير، حديث رقم: ٦٦٣، ج ١٨، ص ٢٦٥.

(٣) الخطابي، غريب الحديث، ج ١، ص ٣٩٥. ابن منظور، لسان العرب، (سوم)، ج ١٢، ص ٣١٢.

(٤) الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج ٢، ص ٢٠٦.

للمؤمنين وتثبيناً لهم، ثم " سَوِّمُوا خَيْلَهُمْ أَيُّهَا: أَعْطَوْهَا سَوِّمَهَا مِنَ الْجَرِيِّ وَالْجَوْلَانِ وَتَرَكَوْهَا كَذَلِكَ كَمَا يَفْعَلُ مَنْ يَسِيْمُ مَا شِئْتَهُ فِي الْمَرْعَى ". (١)

وأما من قرأ بالفتح فإنَّ المعنى - والله أعلم - أنَّ الله سبحانه وتعالى قد نصر المؤمنين بجند من ملائكته فوسمهم بعلامات مخصوصة، ثمَّ أرسلهم بخيلهم يغيرون على المشركين، قال أبو زيد: " سَوِّمَ الرَّجُلُ تَسْوِيْمًا فَهُوَ مَسُوِّمٌ إِذَا أَعَارَ عَلَى الْقَوْمِ إِغَارَةً فَعَاثَ فِيهِمْ. وَقَالَ: وَسَوِّمَتِ الْخَيْلُ تَسْوِيْمًا إِذَا أُرْسِلَتْهَا وَخَلَّتْهَا تَخْلِيَةً"، (٢) قال الرازي: "... مَنْ قَرَأَ مُسَوِّمِينَ بِكَسْرِ الْوَاوِ فَالْمَعْنَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ أُرْسِلَتْ خَيْلَهَا عَلَى الْكُفَّارِ لِقَتْلِهِمْ وَأَسْرِهِمْ، وَمَنْ قَرَأَ بِفَتْحِ الْوَاوِ فَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أُرْسَلَهُمْ عَلَى الْمُشْرِكِينَ لِيُهْلِكُوهُمْ كَمَا تَهْلِكُ الْمَاشِيَةُ النَّبَاتَ وَالْحَشِيشَ ". (١)

(قاسية)، (قسيّة): (٢)

قرأ حمزة والكسائي (قاسية) من قوله تعالى: " فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً " (٣) بتقصير الألف التي بعد القاف وتشديد الياء، على وزن (فعليل) صفة مشبّهة، إذ أصلها (قسيوة)، " فلما اجتمعت الياء والواو، والسابق ساكن قلبوا الواو ياء وأدغموها، فالتشديد لذلك " (٤) ومنهم من قال: إنَّ (فعليل) في هذا السياق هي بمعنى (فاعل)، (٥) إلا أنَّ القسيَّ " أبلغ في ذم القوم منقاسية " قاله

(١) السمين الحلبي، الدر المصون، ج٣، ص٣٨٧.

(٢) الفارسي، الحجّة، ج٣، ص٧٧.

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ج٨، ص٣٥٣.

(٤) ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص٧١. شرح طيبة النشر، ص٢١٩. تحبير التيسير، ص٣٤٦. النشر في القراءات، ج٢، ص٢٥٤. النويري، شرح طيبة النشر، ج٢، ص٢٨٤. محيسن، الهادي، ج٢، ص١٦٩، ١٧٠.

(٥) سورة المائدة، الآية ١٣.

(٦) ابن خالويه، الحجّة، ص١٢٩.

(٧) أبو العلاء الحنبلي، محمد بن أبي المحاسن محمود بن أبي الفتح محمد بن أبي شجاع أحمد الكرمانى، أبو العلاء الحنفى (ت: بعد ٥٦٣هـ)، (٢٠٠١م)، مفاتيح الأغاني في القراءات والمعاني، دراسة وتحقيق: عبد الكريم مصطفى مدلج، تقديم: محسن عبد الحميد، ط١، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ص١٥٣.

الطَّبْرِيّ،^(١) وله نظائر في الاستعمال، يقال: شَاهِدْ وَشَهِيد، وَعَالِمٌ وَعَلِيمٌ، وَعَارِفٌ وَعَرِيفٌ.^(٢) وقيل: " إِنَّمَا قَرِئَ عَلَى فَعِيلَةٍ لِأَنَّ قُلُوبَهُمْ إِنَّمَا وَصَفَتْ بِالطَّبَعِ عَلَيْهَا كَالدَّرْهِمِ الْقِسِيِّ وَهُوَ الَّذِي يَخَالِطُ فَضَّتَهُ نَحَاسٌ أَوْ رِصَاصًا وَنَحْوَهُ ".^(٣)

وقرأ الباقر (قَاسِيَةً) بإثبات ألف بعد القاف وتخفيف الياء، اسم فاعل، بقلب (الواو) (ياء) " لكسرة السّين "،^(٤) يقال: " قَسَا قَلْبُهُ يَقْسُو قَسَوًا وَقَسُوَّةً وَقَسَاوَةً وَقَسَاءً ، بِالْمَدِّ: صَلْبٌ وَغُلْظٌ ، فَهُوَ قَاسٍ ؛ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: " ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ " أَيْ: غُلْظَتْ وَيَبِسَتْ وَعَسَتْ"،^(١) قال صاحب التّهذيب: " تَأْوِيلُ قَسَتْ فِي اللُّغَةِ غُلْظَتْ وَيَبِسَتْ وَعَسَتْ، فَتَأْوِيلُ الْقَسْوَةِ فِي الْقَلْبِ ذَهَابُ اللَّيْنِ وَالرَّحْمَةِ وَالْخُشُوعِ مِنْهُ "،^(٢) فهي " جافة غير لينّة لا تدخلها الرّحمة"،^(٣) وهي اختيار أبي عبيدة.^(٤)

وهناك من فرق بين هاتين القراءتين اعتماداً على المعنى المعجمي، ف(القلوب القاسية) هي ما غاب منها اللين والرّحمة والخشوع فغدت كالحجارة في صلابتها،^(٥) لانتزاع الرّحمة والرّأفة منها؛^(٦) ولذلك يقال للرجل الرّحيم: " لَيْنُ الْقَلْبِ، وَلِلرَّجُلِ غَيْرِ الرَّحِيمِ: قَاسِيَةُ الْقَلْبِ وَيَابِسَ الْقَلْبُ"،^(٧) وأمّا (القلوب القسيّة) فهي القلوب التي اختلط فيها الإيمان بالكفر، إنّها الأفتدة الفاسدة التي ليس الإيمان فيها خالص، بل هي كالدرهم القسيّة المغشوشة التي اختلط فضتها بالنّحاس والرّصاص وغيرها، فهي

^١ الطَّبْرِيّ، جامع البيان، ج ١٠، ص ١٢٨. الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج ١١، ص ٣٢٥.

^٢ الفارسيّ، الحجّة، ج ٣، ص ٢١٧. الواحديّ، التفسير الوسيط، ج ٢، ص ١٦٧.

^٣ مكي، الكشف، ج ١، ص ٤٠٧، ٤٠٨.

^٤ ابن خالويه، الحجّة، ص ١٢٩.

^١ الزبيديّ، تاج العروس، (قسو)، ج ٣٩، ص ٢٩٧.

^٢ الأزهرّي، تهذيب اللّغة، ج ٩، ص ١٨٠. ابن منظور، لسان العرب، ج ١٥، ص ١٨١.

^٣ السمعانيّ، تفسير القرآن، ج ٢، ص ٢١.

^٤ الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج ٤، ص ٣٨.

^٥ الرّاغب الأصفهانيّ، المفردات، ص ٦٧١. الزبيديّ، تاج العروس، (قسو)، ج ٣٩، ص ٢٩٧.

^٦ الماورديّ، النكت والعيون، ج ٣، ص ٤٨١.

^٧ الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢، ص ١٦٠.

شديدة صلبة لقلّة فضتها، قال المبرد: " سُمِّيَ الدَّرْهُمُ الزَّرَائِفُ قَسِيًّا لِشِدَّتِهِ بِالْغَشِّ الَّذِي فِيهِ ".^(١)

وهناك من ذهب إلى أنّ (قَاسِيَةً وَقَسِيَّةً) هما لغتان بمعنى واحد،^(٢) فهما بمنزلة: " عَلِيَّةٌ وَعَالِيَّةٌ وَعَلِيٌّ وَعَالٌ"،^(٣) و"عَالِمٌ وَعَلِيمٌ، وَعَارِفٌ وَعَرِيفٌ"،^(٤) و" زَكِيَّةٌ وَزَاكِيَّةٌ"،^(٥) يقال: " قَسَتَ فِيهِ قَاسِيَةً وَقَسِيَّةً"،^(١) وإلى ذلك ذهب أبو منصور الأزهرى قال: " القاسية والقسيّة بمعنى واحد، وهي: القلوب التي قَسَتَ وغلظت واستمرت على المعاصي، وكل شيء يبس وذهب رفته فقد قَسَا، ومنه قيل للدراهم التي قد مَرَنْتُ وطال عليها الدهر: قَسِيَّةٌ"،^(٢) قال أبو زبيد الطائي يصف المساحي:^(٣)

لَهَا صَوَاهِلُ فِي صُمِّ السَّلَامِ كَمَا صَاحَ الْقَسِيَّاتُ فِي أَيْدِي الصَّيَارِيفِ
وقال آخر:^(٤)

فَمَا زَادُونِي غَيْرَ سَحَقِ عِمَامَةٍ وَخَمَسَ مِيءٍ فِيهَا قَسِيٌّ وَزَائِفٌ
(سَاحِرٌ)، (سِحْرٌ):^(٥)

^١ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٤، ص ٢٠٥. السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٤، ص ٢٢٣.

^٢ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٢٤.

^٣ النحاس، معاني القرآن، ج ٢، ص ٢٨١.

^٤ الفارسي، الحجة، ج ٣، ص ١١٧.

^٥ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ١٥٥.

^١ السمرقندي، بحر العلوم، ج ١، ص ٣٧٦.

^٢ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٣٢٨.

^٣ ابن قتيبة، المعاني الكبير في أبيات المعاني، ج ٣، ص ١٢٠٤.

^٤ نسب هذا البيت إلى الشاعر مزرد. ابن السكيت، إصلاح المنطق، ص ٢١٤. ابن سيده،

المحكم، ج ٢، ص ٥٦٠.

^٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٢. شرح طيبة النشر، ص ٢٢١. تحبير التيسير،

ص ٣٥٠، ٣٥١. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٥٦. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢،

ص ٢٩٢، ٤٥١، محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١٨٠.

وقد ورد تباين القراء العشرة في قراءة هاتين المفردتين في أربعة مواضع من الذكر الحكيم، وهي:

- ١- قوله جل ثناؤه: " فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ " (١).
- ٢- قوله تعالى: " قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ " (٢).
- ٣- وقوله عزّ من قائل: " لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ " (٣).
- ٤- قوله تعالى: " فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ " (٤).

فقرأ حمزة والكسائي وخلف العائش في المواضع الأربع (ساحر) بإقحام ألف بعد السين وكسر الحاء، على وزن (فاعل) اسم فاعل^(١) من سَحَرَهُ يَسْحَرُهُ سَحْرًا،^(٢) وتبعهم في ذلك ابن كثير وعاصم في (يونس)، وقرأ المواضع الباقية بلا ألف بعد السين ولا كسرة على الحاء. والمراد به في المواضع كلها عيسى عليه السلام، إلا في سورتي هود ويونس فإنه يحيل على محمد عليه الصلاة والسلام.^(٣) ويجوز أن يكون اسم الفاعل في هذا السياق بمعنى المصدر، كقولهم: " قُمْ قَائِمًا فَالْمَعْنَى: قُمْ قِيَامًا "،^(٤) ومنه قول الفرزدق:^(٥)

أَلَمْ تَرِنِي عَاهَدْتُ رَبِّي، وَإِنِّي
عَلَى قَسَمٍ لَا أَشْتُمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا
لَبِينٌ رِتَاجٍ قَائِمًا وَمَقَامٍ
وَلَا خَارِجًا مِنْ فِيٍّ سَوْءٍ كَلَامٍ

ويعلق المبرد على هذا البيت فيقول: " وقوله: ولا خارجاً إنما وضع اسم الفاعل في موضع المصدر، أراد: لا أشتم الدهر مسلماً، ولا يخرج خروجاً من في زور

^١ سورة المائدة، الآية ١١٠.

^٢ سورة يونس، الآية ٢.

^٣ سورة هود، الآية ٧.

^٤ سورة الصف، الآية ٦.

^١ ابن خالويه، الحجة، ص ١٣٥.

^٢ ابن منظور، لسان العرب، (سحر)، ج ٤، ص ٣٤٨.

^٣ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٤. البغوي، معالم التنزيل، ج ٢، ص ١٠١.

^٤ المبرد، المقتضب، ج ٣، ص ٢٦٩.

^٥ الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة بن دارم، (ت: ٥١١٤)، (١٩٨٧م)، ديوان الفرزدق، شرحه وضبطه وقدم له: علي فاعور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٥٣٩.

كلام، لأنه على ذا أقسم"،^(١) وفي ذلك يقول الفارسي: "وقد جاء فاعل يراد به المصدر في حروف ليست بالكثيرة نحو: عَائِذَاً بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهَا، أي: عياداً، ونحو: العاقبة. ولم تصر هذه الحروف من الكثرة بحيث يسوغ القياس عليها. وحكي أنّ أبا عمرو كان يقول: إذا كان بعده: (مبين) "فهو سحر"، وإذا كان بعده (عليم) "فهو ساحر"، ولا إشكال في الوصف بعليم أنه لا ينصرف إلى الحدث، ولكن (مبين) يقع على الحدث كما يقع على العين، فإذا كان كذلك لم يمتنع: ساحر مبين، كما لم يمتنع: سحر مبين".^(٢) والتقدير: "ما هذا الذي جاء به من الآيات الخوارق إلا سحرٌ، ويُحتمل أن تكون الإشارة إلى عيسى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - جَعَلُوهُ نَفْسَ السَّحْرِ مَبَالِغَةً؛ نحو: رَجُلٌ عَدْلٌ، أو على حذف مضاف، أي: إلا نُورٌ سِحْرٌ".^(٣)

وقرأ الباقرن المواضع كلها (سِحْرٌ) بكسر السين وإسكان الحاء وحذف الألف، التي بعد السين، على وزن (فعل) مصدرًا ثلاثيًا،^(٤) من: سَحَرَ يَسْحَرُ سِحْرًا، كَخَدَعَ يَخْدَعُ خِدْعًا،^(٥) وقيل: "السحر ههنا بمعنى الخداع".^(٦)

(حَرَجًا)، (حَرَجًا):^(٧)

قرأ شعبة ونافع وأبو جعفر (حَرَجًا) من قوله تعالى: "وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا"^(٨) (حَرَج) بكسر الراء على وزن (فعل) وهو: اسم فاعل^(٩)

^١ المبرد، الكامل في اللغة والأدب، ج ١، ص ١٠٢. رضي الدين الاسترلابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج ٢، ص ٧٢.

^٢ الفارسي، الحجة، ج ٣، ص ٢٧٢.

^٣ ابن عادل، اللباب في علوم الكتاب، ج ٧، ص ٦٠٢.

^٤ ابن خالويه، الحجة، ص ١٣٥.

^٥ الأزهرى، معاني القرآن، ج ١، ص ٣٤٢.

^٦ الكرمانى، غرائب التفسير وعجائب التأويل، ج ١، ص ٤٩٩.

^٧ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٤. شرح طيبة النشر، ص ٢٢٨. تحبير التيسير، ص ٣٦٣. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٦٢. النويرى، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣١٤، محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢١٤.

^٨ سورة الأنعام، الآية ١٢٥.

^٩ مكى، الكشف، ج ١، ص ٤٥٠. النحاس، إعراب القرآن، ج ٢، ص ٣٠. الرازى، مفاتيح الغيب، ج ١٣، ص ١٤٢.

من: " حَرَجٌ يَحْرَجُ، فهو حَرَجٌ "،^(١) وقيل: هو اسم،^(٢) ومعناه (الضيق)،^(٣) أو هو: " أضيّق الضيق "، حكاة الزجاج^(٤) لذلك قيل: هو صيغة مبالغة " للمبالغة في الضيق "،^(١) ويجوز أن تكون صفة مشبهة " من قولهم: حَرَجَ الشَّيْءُ حَرَجًا، من بابِ فَرَحَ، بِمَعْنَى ضَاقَ ضَيْقًا شَدِيدًا، فَهُوَ كَقَوْلِهِمْ: دَنَفَ، وَقَمِنَ، وَفَرِقَ، وَحَذَرَ "،^(٢) ويقال: " حَرَجَ صَدْرُهُ يَحْرَجُ حَرَجًا: ضَاقَ فَلَمْ يَنْشَرْحْ لِخَيْرٍ، فَهُوَ حَرَجٌ وَحَرَجٌ "،^(٣) أي: " ضيقًا بكفره، لأنّ الكفر لا يكاد تسكن إليه النفس لكونه اعتقاداً عن ظنّ، وقيل: ضيق بالإسلام "،^(٤)

وقرأ الباقر (حَرَجًا) بفتح (الراء) " وهو مصدر بزنة فَعَلَ، وأصله مجتمع الشجر. وتصور منه ضيق ما بينهما فليل للضيق حَرَج "،^(٥) قال سيبويه: " الحَرَج بالفتح المصدر كالصَلْب والحَلْب "،^(٦) أي: (ذا حَرَج)،^(٧) وقيل: هو " المَوْضِعُ الكَثِيرُ الشَّجَرِ الَّذِي لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ الرَّاعِيَّةُ "،^(٨) حكاة ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: "

^١ مكي، الهداية، ج ٣، ص ٢١٧٧.

^٢ البغوي، معالم التنزيل، ج ٢، ص ١٥٨.

^٣ ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، (ت: ٣١٩هـ—)، (٢٠٠٢م)، كتاب تفسير القرآن، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه: سعد بن محمد السعد، ط ١، دار المآثر، ج ٢، ص ٧٧٨.

^٤ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢، ص ٢٩٠. الدميّطي، إتحاف فضلاء البشر، ص ٢٢٧٣. السمعاني، تفسير القرآن، ج ٢، ص ١٤٢.

^٥ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٥٩. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ١٤٣.

^٦ ابن منظور، لسان العرب، (حرج)، ج ٢، ص ٢٣٣.

^٧ الراغب الأصفهاني، المفردات، ص ٢٢٧.

^٨ الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج ٢، ص ٤٤٧.

^٩ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٤، ص ١٨٨. ابن خالويه، الحجة، ص ١٤٩.

^{١٠} العكبري، التبيان، ج ١، ص ٥٣٧.

^{١١} لفرّاء، معاني القرآن، ج ١، ص ٣٥٣. الأزهرى، تهذيب اللّغة، ج ٤، ص ٨٤.

فكذلك صَدَرَ الكافر لا تصل إِلَيْهِ الحكمة"،^(١) وقيل: "هُوَ جَمْعُ حَرْجَةٍ مِثْلُ قَصَبَةٍ وَقَصَبٍ، وَالْهَاءُ فِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ".^(٢)

وهناك من رأى هاتين القراءتين سيّين، فهما لغتان بمعنى واحد وهو: (الضيق) قاله يونس،^(٣) "إِلَّا أَنْ الْفَتْحَ أَكْثَرَ عَلَى السَّنَةِ الْعَرَبِ مِنَ الْكَسْرِ"،^(٤) نحو: الأنف والأُنْفُ، وَالْفَرْدُ وَالْفَرْدُ، وَالْوَعْدُ وَالْوَعْدُ،^(١) وقد نسب ابن الهائم قراءة الفتح لقريش.^(٢) أمّا قراءة الكسر فيفهم من الرواية التي نقلت عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنها تنسب لكنانة، فقد روي أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما سمع مَنْ عنده من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: "ضَيْقًا حَرْجًا" بكسر الراء، وكان هو يقرأها بالفتح، "فقال عمر: ابغوني رجلاً من كِنَانَةَ وَاجْعَلُوهُ رَاعِيًا، وَليَكُنْ مُدْلَجِيًا، قَالَ: فَاتَوَّهُ بِهِ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا فُتَى، مَا الْحَرْجَةُ؟ قُلْ: الْحَرْجَةُ فِينَا: الشَّجْرَةُ تَكُونُ بَيْنَ الْأَشْجَارِ الَّتِي لَا تَصِلُ إِلَيْهَا رَاعِيَةٌ وَلَا وَحْشِيَّةٌ وَلَا شَيْءٌ. قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: كَذَلِكَ قَلْبُ الْمُنَافِقِ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ".^(٣)

(مُرْدِفِينِ)، (مُرْدِفِينِ):^(٤)

قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب (مردفين) من قوله تعالى: "فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ"،^(٥) (مُرْدِفِينِ) بفتح الدال، على وزن (مُفْعَلٌ) اسماً

^١ الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٣٥٣.

^٢ العكبري، التبيان، ج ١، ص ٥٣٧.

^٣ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٣٨٤.

^٤ ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٢، ص ٦٦.

^١ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٤، ص ١٨٨.

^٢ ابن الهائم، التبيان في تفسير غريب القرآن، ص ١٦٤.

^٣ الطبري، جامع البيان، ج ١٢، ص ١٠٤. السيوطي، الدر المنثور، ج ٣، ص ٣٥٦. الألوسي،

روح المعاني، ج ٤، ص ٣٦٧.

^٤ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٧. شرح طيبة النشر، ص ٢٤١. تحبير التيسير،

ص ٣٨٤. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٧٥، ٢٧٦. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢،

ص ٣٤٩. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٦٣.

^٥ سورة الأنفال، الآية ٩.

للمفعول من فوق الثلاثي بمعنى مُتَّبَعِينَ،^(١) وقيل: معناه: "مُؤَدِّينَ"، حكاه مجاهد،^(٢) وتكون (مُرْدَفِينَ) بحسب هذا التأويل حال، أي: "أردف بهم المؤمنين"،^(٣) قال الزجاج: "يُقَالُ: رَدَفْتُ الرَّجُلَ إِذَا رَكِبْتَ خَلْفَهُ، وَأَرْدَفْتُهُ أَرَكِبْتَهُ خَلْفِي؛ وَيُقَالُ: هَذِهِ دَابَّةٌ لَأَ تَرَادِفُ، وَلَا يُقَالُ: لَأَ تَرْدِفُ، وَيُقَالُ: أَرْدَفْتُ الرَّجُلَ إِذَا جِئْتَ بَعْدَهُ".^(٤)

وقرأ الباقون (مُرْدَفِينَ) بكسر الدال على وزن (مُفْعِل) اسم فاعل من فوق الثلاثي "وَفَعَلُهُ أَرْدَفَ"^(٥) بمعنى متبوعين، قاله ابن عباس،^(٦) قال أبو منصور الأزهرى: "هو على معنى رادفين"،^(٧) وروى ثعلب عن ابن الأعرابي قوله: "رَدَفْتُهُ وَأَرْدَفْتُهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ"،^(٨) ونقل لنا أبو عبيد عن أبي زيد قوله: "يُقَالُ: رَدَفْتُ الرَّجُلَ وَأَرْدَفْتُهُ إِذَا رَكِبْتَ خَلْفَهُ"،^(٩) ومنه قول خزيمه بن مالك بن نهدي:^(١٠)

إِذَا الْجَوَزَاءُ أَرْدَفَتِ الثُّرَيَّا ظَنَنْتُ بِأَلِ فَاطِمَةَ الظُّنُونَا

ويقال: "رَدَفْتُهُ وَأَرْدَفْتُهُ: إِذَا جِئْتَ بَعْدَهُ"،^(١١) والعرب تقول: "أَرْدَفْتُ الرَّجُلَ: أَرَكِبْتُهُ عَلَى قِطَاةِ دَابَّتِي خَلْفِي. وَرَدَفْتُهُ: إِذَا رَكِبْتَ خَلْفَهُ".^(١٢)

^١ الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٤٠٤.

^٢ مجاهد، تفسير مجاهد، ص ٣٥٢.

^٣ النحاس، إعراب القرآن، ج ٢، ص ٩١.

^٤ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢، ص ٤٠٢.

^٥ العكبري، التبيان، ج ٢، ص ٦١٧.

^٦ النحاس، معاني القرآن، ج ٣، ص ١٣٤. الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٤٠٤.

^٧ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٤٣٦.

^٨ الأزهرى، تهذيب اللغة، (ردف)، ج ١٤، ص ٦٨.

^٩ الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٤، ص ٦٩. الواحدي، التفسير الوسيط، ج ٣، ص ٣٨٤.

^{١٠} أبو عبيد، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ)،

(١٩٨٠م)، الأمثال، تحقيق: عبد المجيد قطامش، ط ١، دار المأمون للتراث، ص ٣٤٥. أبو

عبيد البكري، سمط اللآلي، ج ١، ص ١٠٠.

^{١١} ابن قتيبة، غريب القرآن، ج ١، ص ١٧٧. السجستاني، غريب القرآن، ص ٤٣٩.

^{١٢} ابن خالويه، الحجة، ص ١٦٩. القطة: العجز، وما بين الوركين، أو مقعد الرديف من الدابة،

الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (قطا).

وبناءً على ما تقدّم يمكن استشراف الدلالات التي تحتملها (مُرْدِفِين) في هذا السياق من الخطاب القرآني، فالقراءة بصيغة اسم الفاعل ترشح معنى التتابع المستمر من قبل الملائكة، فهم منزلون لغوث المسلمين يتوافدون وقد "أردف بعضهم بعضاً"،^(١) "بعضهم على إثر بعض"،^(٢) "وراء كل ملك ملك"،^(٣) مُرْدِفِين يضربون عدوهم من ورائهم والمؤمنون من قدامهم.^(٤)

وأما القراءة بصيغة اسم المفعول فإنها تسير وفقاً لمقاصد الفعل المبني للمجهول الذي يجعل حركة الإسناد تتجه نحو المفعول به، فهذا المدد الربانيّ جاء ليقود جيش المسلمين إلى النصر، فهم "مُتَّبِعِينَ أَوْ مُتَّبَعِينَ".^(٥)
(المُعْذِرُونَ)، (المُعْذِرُونَ):^(٦)

قرأ العشرة إلا يعقوب من قوله تعالى: "وَجَاءَ الْمُعْذِرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ"^(٧) (المُعْذِرُونَ) بفتح العين، وتشديد الذال مع كسرهما، اسماً للفاعل من غير

^١ النحاس، إعراب القرآن، ج ٢، ص ٩١.

^٢ الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الإيجي الشافعي، (ت: ٩٠٥هـ)، (٢٠٠٤م)، تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ص ٧.

^٣ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت، ج ٤، ص ٣٠. الألويسي، روح المعاني، ج ٥، ص ١٦٢.

^٤ النخجواني، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، (ت: ٩٢٠هـ)، (١٩٩٩م)، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، ط ١، دار ركابي للنشر الغورية، مصر، ج ١، ص ٢٨٢.

^٥ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٤، ص ٨.

^٦ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٨. شرح طيبة النشر، ص ٢٤٦. تحبير التيسير، ص ٣٩٢. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٨٠. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٦١، محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٨٢.

^٧ سورة التوبة، الآية ٩٠.

الثلاثي، وهو من " الأصل المعتذرون ثم أدغمت فألقيت حركة التاء على العين "، وهو مذهب الأخفش^(١) والفرّاء^(٢) وأبي عبيد وأبي حاتم^(٣) خلافاً لأبي العباس المبرّد الذي رأى امتناع هذا التقدير لوقوع اللبس،^(١) والمعنى: أن هؤلاء الأعراب قد جاءوا يعتذرون دون أن يكون لهم حق في ذلك، أو على حدّ كلام الكسائي: " يَعْتَذِرُ بِغَيْرِ عُدْرٍ "؛^(٢) إذ " لا عُدْرَ لَهُمْ فَتَكَلَّفُوا عُدْرًا "، قاله الخليل،^(٣) أو كما قال الزّجاج: سواء أكان لهم عذر أم لم يكن لهم،^(٤) قال أبو عبيدة: (المعتذرون) " من مُعَدِّرٍ وليس بجادٍ إنّما يظهر غير ما في نفسه ويعرض ما لا يفعله "،^(٥) ويقول الرازي: " وَالْاعْتِذَارُ قَدْ يَكُونُ بِالْكَذِبِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ. فَبَيَّنَ كَوْنَ هَذَا الْاعْتِذَارِ فَاسِدًا بِقَوْلِهِ: قُلْ لَّا تَعْتَذِرُوا وَقَدْ يَكُونُ بِالصِّدْقِ كَمَا فِي قَوْلِ لَبِيدٍ: وَمَنْ يَبْكِ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَذَرَ

يُرِيدُ فَقَدْ جَاءَ بِعُدْرٍ صَحِيحٍ " .^(٦)

ويجوز أن يكون من عذر مضعّف العين، وهو: من " تَكَلَّفَ الْعُدْرَ وَلَا عُدْرَ لَهُ "،^(٧) " وَعُدْرَ فِي الْأَمْرِ: قَصَرَ بَعْدَ جُهْدٍ. وَالتَّعْذِيرُ فِي الْأَمْرِ: التَّقْصِيرُ فِيهِ، ...

^١ الأخفش، معاني القرآن، ج ١، ص ٣٦٣.

^٢ الفرّاء، معاني القرآن، ج ١، ص ٤٤٧.

^٣ النّحاس، إعراب القرآن، ج ٢، ص ١٣٠.

^١ مكي، الهداية، ج ٤، ص ٣٠٩٦.

^٢ الحربي، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، (٢٨٥هـ)، (١٩٨٥م)، غريب الحديث، تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى، ط ١، مكة المكرمة، ج ١، ص ٢٧٣.

^٣ الفراهيدي، كتاب العين، (عذر).

^٤ الزّجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢، ص ٤٦٤.

^٥ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ١، ص ٢٦٧. ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٢، ص ٢٨٧.

^٦ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٦، ص ١٢٠. سورة التوبة، الآية ٩٤. هذا الشطر من البيت للبيد بن ربيعة، الديوان، ص ٥١. وتتمّة البيت:

إلى الحول، ثم اسمُ السّلامِ عليكمَا،
ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

^٧ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٥، ص ٤٨١.

وَعَذَرَ الرَّجُلُ، فَهُوَ مُعَذَّرٌ إِذَا اعْتَذَرَ وَلَمْ يَأْتِ بِعُذْرٍ. وَعَذَّرَ: لَمْ يَثْبُتْ لَهُ عُذْرٌ" (١)،
وتقول العرب: "عَذَّرْتُ الأَمْرَ إِذْ قَصَّرْتُ، وَأَعَذَّرْتُ إِذَا جَدَّدْتُ" (٢)، والمراد بـ
المُعَذَّرُونَ المقصِّرين، أي: هم "الَّذِينَ يُوْهَمُونَ أَنَّ لَهُمْ عَذْرًا وَلَآ عَذْرَ لَهُمْ" (١)،
فالمُعَذَّرُ هو "الَّذِي يَعْتَذِرُ وَلَآ عُذْرَ لَهُ" (٢)، وفي ذلك يقول الجوهري: "وأما الذي
ليس بمحقِّ فهو المُعَذَّرُ، على جهة المُفْعَلِ، لأنَّه الممرِّضُ والمقصِّرُ يَعْتَذِرُ بِغَيْرِ
عُذْرٍ" (٣) قال ابن قتيبة: (المُعَذَّرُونَ) "هم الذين لا يجدُّون إنما يَعْرِضُونَ مَا لَا
يريدون أن يفعلوه. يقال: عَذَّرْتُ فِي الأَمْرِ إِذَا قَصَّرْتُ وَأَعَذَّرْتُ حَذَّرْتُ" (٤).

ويحاول أبو بكر بن الأنباري أن يفرِّق بين هاتين القرائتين بناءً على الأصل
الاشتقائي لكل منهما، (٥) فإذا كانت بنيتها الصَّرْفِيَّةُ مشتقَّةً من الأصل (عذَّر) تعيَّنت
لمعنى انتفاء العذر؛ إذ (المُعَذَّرُ) هو: "من يظنُّ أنَّ له عُذْرًا وَلَا عُذْرَ لَهُ" (٦) فهم لا
عذر لهم. (٧) وإذا احتملت البنية الصَّرْفِيَّةُ الأصل الاشتقائي (افتعل) أي: (مُعْتَذِرُونَ)
صار المعنى إلى ثبوت العذر لهم.

وأما يعقوب فإنه انفرد بقراءة (المُعَذَّرُونَ) مخففة الذال مع إسكان العين اسم
فاعل من: أَعَذَرَ يُعَذِّرُ فَهُوَ مُعَذِّرٌ، وهو ما كان له عذراً، (٨) "ومنهم المجتهدون

^١ ابن منظور، لسان العرب، (عذر)، ج ٤، ص ٥٤٦.

^٢ ابن أبي زَمِين، تفسير القرآن العزيز، ج ٢، ص ٢٢٦.

^١ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٣٢١.

^٢ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٨، ص ٢٢٥.

^٣ الجوهري، الصحاح، (عذر)، ج ١، ص ٢٠٣.

^٤ ابن قتيبة، غريب القرآن، ص ١٩١. ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٢، ص ٢٨٧.

^٥ الأنباري، الزاهر، ج ١، ص ٤٣٨.

^٦ الفيروزآبادي، بصائر ذوي التمييز، ج ٤، ص ٣٦. الراغب الأصفهاني، المفردات، (عذر)،
ص ٥٥٥.

^٧ الأنباري، الزاهر، ج ١، ص ٤٣٨. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٢، ص ١٨٤.

^٨ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢، ص ٤٦٤. ابن فارس، مقاييس اللغة، (عذر)، ج ٤،
ص ٢٥٤.

المبالغون في العذرة"،^(١) وقيل: "المخلصون، أصحاب العذر"، حكاة ابن عباس - رضي الله عنهما-،^(٢) ووافقه مجاهد عليه،^(٣) وروي عن ابن عباس أنه: "كان يقول لعن الله المعذرين كأن الأمر عنده أن المعذر بالتشديد هو المظهر للعذر اعتلالاً من غير حقيقة والمعذر الذي له عذر"،^(٤) وقال الكلبي: "المُعذرون هم الذين لهم عذر وبهم علة"،^(٥) والعرب تقول: "أعذر فلان أي كان منه ما يُعذر به".^(٦)

(المُخْلِصِينَ)، (المُخْلِصِينَ):^(٧)

اختلف القراء العشرة في لفظة (المُخْلِصِينَ) حيثما وردت بالتنزيل بصيغة جمع المذكر السالم ومعرفة بال، ومنه قوله تعالى: " إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلِصِينَ "،^(٨) حيث قرأ ابن عامر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (المُخْلِصِينَ) بفتح اللام، اسم مفعول،^(٩) من أخلص يُخلص فهو مُخلص، أي: الذين أخلصوا، أخلصهم الله من الأسواء والفواحش، مثل المصطفين،^(١٠) ونظير ذلك قوله تعالى: " إِنَّا أَخْلَصْنَاَهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدار "،^(١١) "فصاروا مُخْلِصِينَ بإِخْلَاصِ اللَّهِ إِيَّاهُمْ"،^(١٢) وقيل هم: "

^١ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٥، ص ٨٠.

^٢ ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج ٦، ص ١٨٦٠. السمرقندي، بحر العلوم، ج ٢، ص ٨١.

^٣ الطبري، جامع البيان، ج ١٤، ص ٤١٦. ولم أجد في تفسير مجاهد ما عزاه التفسير له.

^٤ ابن القطاع، كتاب الأفعال، ج ٢، ص ٣٢٧.

^٥ الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، (٢٠٠٥م)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، تحقيق: مجدي باسلوم، ط ١، دارالكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج ٥، ص ٤٤٤.

^٦ الأزهرى، تهذيب اللغة، (عذر)، ج ٢، ص ١٨٤.

^٧ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٠. شرح طيبة النشر، ص ٢٥٤. تحبير التيسير، ص ٤١٣. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٩٥. النويري، شرح طيبة النشر، ج ١، ص ٢٢٢. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٣٢٦.

^٨ سورة يوسف، الآية ٢٤.

^٩ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ٤٦. ابن خالويه، الحجة، ص ١٩٤.

^{١٠} الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢، ص ١٠٢.

^{١١} سورة ص، الآية ٤٦.

^{١٢} الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٨٩. سورة النساء، الآية ١٤٦.

المَعصُومون من الذنوب والفواحش"،^(١) لذلك كان هناك من فسّر المُخلصون " المختارين للنبوة، دليلها قوله إِنَّا أَخْلَصْنَاكُمْ بِخَالِصَةٍ".^(٢)

وقرأ الباقون (المُخلصين) بكسر اللام، اسم فاعل من فوق الثلاثي، والمعنى: أن هؤلاء هم "الذين أخلصوا دينهم لله عزّ وجلّ"،^(١) أي: "أخلصوا دينهم وأعمالهم من الرياء، وحبّتهم قوله: { وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ }"^(٢) وقوله: { مُخْلِصًا لَهُ دِينِي }"^(٣) فإذا أخلصوا فهم مُخلصون، تقول: رجُلٌ مُخلصٌ مؤمِنٌ، فترى الفعل في اللفظ له".^(٤)

وهكذا كانت هاتان القراءتان بصيغتي اسم الفاعل واسم المفعول يعضد كل منهما الأخرى؛ فمن قرأ بصيغة اسم الفاعل جعل منها دليلاً دامغاً على أن يوسف - عليه السلام - كان من هؤلاء الذين اتصفوا بدوام العبادة واصطناع الطاعات بين يدي مولاه جلّ ثناؤه مع اصطبغ ذلك بالإخلاص، وأمّا القراءة بصيغة اسم المفعول فهي بيان من العزيز المجيد باستخلافه لنفسه سبحانه وتعالى، "وَأَصْطَفَاهُ لِحَضْرَتِهِ"،^(٥) وفي ذلك يقول القرطبي: "وَقَدْ كَانَ يُوسُفُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ، لِأَنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، مُسْتَخْلَصًا لِرِسَالَةِ اللَّهِ تَعَالَى".^(٦)

ولعلّ في هاتين القراءتين ما ينزّه يوسف - عليه السلام - ممّا نسب إليه زوراً وبهتاناً، يقول الرازي: "وَعَلَى كِلَا الْوَجْهَيْنِ فَإِنَّهُ مِنْ أَدَلِّ الْأَلْفَافِ عَلَى كَوْنِهِ مُنْزَهًا عَمَّا أَضَافُوهُ إِلَيْهِ".^(٧)

^١ السمرقندي، بحر العلوم، ج ٢، ص ١٨٨.

^٢ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٥، ص ٢١٤.

^١ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٣، ص ١٠٢.

^٢ سورة النساء، الآية ١٤٦.

^٣ سورة الزمر، الآية ١٤.

^٤ الأزهرّي، معاني القراءات، ج ٢، ص ٤٦. ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٣٥٩.

^٥ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٨، ص ٤٤١.

^٦ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٩، ص ١٧٠.

^٧ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٨، ص ٤٤١.

(مُخْلِصًا)، (مُخْلِصًا):^(١)

وقريب من ذلك (مُخْلِصًا) من قوله تعالى: " إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا "؛^(٢) حيث قرأها ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب ونافع وابن عامر وأبو جعفر (مُخْلِصًا) بلام مكسورة، اسم فاعل، وهو " الذي وَحَدَّ اللَّهُ - عزَّ وجلَّ وَجَعَلَ نَفْسَهُ خَالِصَةً فِي طَاعَةِ اللَّهِ غَيْرِ دَنِيسَةٍ " .^(٣)

وقرأ الباقر (مُخْلِصًا) بفتح اللام اسم مفعول، وهو " الذي أخلصه الله جلَّ وعزَّ "،^(٤) أي: " أخلصناه فجعلناه مختاراً خالِصاً مِنَ الدَّنَسِ " .^(٥)

(حَافِظًا)، (حَافِظًا):^(٦)

قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر (حَافِظًا) من قوله تعالى: " فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ "،^(٧) (حَافِظًا) بإقحام ألف بعد الحاء وكسر الفاء على صيغة اسم الفاعل،^(٨) والمعنى: " فإله خيركم حَافِظًا "،^(٩) يعني " حَفِظُ اللَّهُ لِبَنِيَامِينَ

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٠. شرح طيبة النشر، ص ٢٥٤. تحبير التيسير، ص ٤١٣. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٩٥. النويري، شرح طيبة النشر، ج ١، ص ٢٢٢. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٣٢٦.

^٢ سورة مريم، الآية ٥١.

^٣ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٣، ص ٣٣٣. النحاس، معاني القرآن، ج ٤، ص ٣٣٧.

^٤ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٣، ص ٣٣٣.

^٥ النحاس، معاني القرآن، ج ٤، ص ٣٣٧.

^٦ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٠. شرح طيبة النشر، ص ٢٥٥. تحبير التيسير، ص ٤١٥. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٩٥، ٢٩٦. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٩٥. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٣٣٠.

^٧ سورة يوسف، الآية ٦٤.

^٨ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ٤٨.

^٩ الطبري، جامع البيان، ج ١٦، ص ١٦٠.

خَيْرٌ مِنْ حَفِظِكُمْ" (١) وقرأ الباقون (حَفِظًا) بحذف الألف وكسر الحاء وإسكان الفاء، على وزن (فَعْلًا) مصدرًا ثلاثيًا، (٢) والمعنى: " وَاللَّهُ خَيْرُكُمْ حَفِظًا " (١).
(خَالِقُ)، (خَلَقَ): (٢)

قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر (خَلَقَ) من قوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ "، (٣) وقوله جل ثناؤه: " وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ " (٤) (خَالِقُ) بألف بعد الخاء وكسر اللّام، على طريقة اسم الفاعل، (٥) قال أبو علي الفارسي في توجيهها: " ووجه من قال: (خالق) أنه جعله مثل: فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، ألا ترى أن فاطراً بمعنى خالق، وكذلك قوله: فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً، هو على فاعل دون فعل، وهما ممّا قد فعل فيما مضى " (٦).
وقرأ الباقون (خَلَقَ) بفتح الخاء والّلام، وحذف الألف، فعلاً ماضياً صحيحاً، (٧) قال أبو علي الفارسي في توجيه هذه القراءة: " وجه قول من قرأ: (خَلَقَ) أن ذلك أمرٌ ماضٍ فأخبروا عنه بلفظ المضيّ على فعل " (٨).

^١ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٨، ص ٤٧٩.

^٢ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ٤٨.

^١ الطبري، جامع البيان، ج ١٦، ص ١٦٠. الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٨، ص ٤٧٩.

^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨١. شرح طيبة النشر، ص ٢٥٨. تحبير التيسير، ص ٤٢٤. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٩٨، ٣٣٢. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢،

ص ٤٠٢، ٤٠٣. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٣٤٢.

^٣ سورة إبراهيم، الآية ١٩.

^٤ سورة النور، الآية ٤٥.

^٥ الطبري، جامع البيان، ج ١٦، ص ٥٥٧.

^٦ الفارسي، الحجّة، ج ٥، ص ٢٨. سورة إبراهيم، الآية ١٠. سورة يوسف، الآية ١٠١. سورة

فاطر، الآية ١. سورة الأنعام، الآية ٩٦.

^٧ الطبري، جامع البيان، ج ١٦، ص ٥٥٧.

^٨ الفارسي، الحجّة، ج ٥، ص ٢٨.

(مُفْرَطُونَ)، (مُفْرَطُونَ)، (مُفْرَطُونَ):^(١)

انفرد نافع من بين القراء العشرة بقراءة (مُفْرَطُونَ) من قوله تعالى: " لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ"،^(١) حيث قرأها مُفْرَطُونَ براء مكسورة مخففة اسماً للفاعل من الإفراط، "أفْرَطَ إفْرَاطًا أَسْرَفَ وَجَاوَزَ الْحَدَّ"،^(٢) أيهم متجاوزون الحدَّ في المعاصي"^(٣) ومنه قولهم: "أفْرَطَ فلان في كَذَا إذا تجاوز الحد وأسر"،^(٤) ويكون المعنى: "أنهم كانوا مفرطين على أنفسهم في الذنوب"،^(٥) يعني: "مُسْرِفُونَ على أَنفُسِهِم في الذُّنُوبِ"،^(٦) وعن النَّحَّاس: هم من كانوا "مبالغون متجاوزون في الشرِّ، ومنه يقال: قد أفْرَطَ فلان على فلان"،^(٧) وقيل: (مُفْرَطُونَ) مشتقة من "أفْرَطَ" إذا أعجل، فمعناه: و أنهم مُعْجَلُونَ إلى النار، أي: سَابِقُونَ إليها. وقيل معناه: وأنهم ذوو إفراط الى النار أي: ذوو عجل إليها".^(٨)

وقرأ أبو جعفر (مُفْرَطُونَ) براء مكسورة مشددة اسم فاعل من: "فَرَطَ فِيهِ الْأَمْرَ تَفْرِيطًا قَصَرَ فِيهِ وَضِيعَةً"،^(٩) و"فَرَطَ فِي الْأَمْرِ يَقْرُطُ فَرَطًا، أَي قَصَرَ فِيهِ

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٢. شرح طيبة النشر، ص ٢٦١. تحبير التيسير، ص ٤٣٢. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٠٤. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤١٤. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٣٥٩.

^١ سورة النحل، الآية ٦٢.

^٢ الفيومي، المصباح المنير، (فرط)، ج ٢، ص ٤٦٩.

^٣ السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، (١٩٨٨م)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، لبنان، ج ٢، ص ٤٩٤.

^٤ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٣٩١.

^٥ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٠، ص ٢٢٩.

^٦ السجستاني، غريب القرآن، ص ٤٤٣.

^٧ النَّحَّاس، إعراب القرآن، ج ٢، ص ٢٥٣.

^٨ مكي، الكشف، ج ٢، ص ٣٨.

^٩ الفيومي، المصباح المنير، (فرط)، ج ٢، ص ٤٦٩.

وضيِّعَه حَتَّى فَاتٍ"،^(١) ومنه (التفريط)،^(٢) على "معنى المبالغة والتكثير"،^(١) ومنه قول العرب: "أَفْرَطَ فُلَانٌ فِي الْأَمْرِ: إِذَا قَصَّرَ وَإِذَا جَاوَزَ الْحَدَّ"،^(٢) وقولهم: "قَدِ فَرَطَ فُلَانٌ فِي حَاجَتِي"،^(٣) يعني: "قَدِ قَدَّمَ فِيهَا التَّقْصِيرَ وَالْعَجْزَ"،^(٤) وقال أبو عبيدة: "فَرَطْتُ فِي الشَّيْءِ: ضَيَّعْتَهُ"،^(٥) ويكون المعنى: أَنَّهُمْ "مُضَيِّعُونَ مُقْصِرُونَ"،^(٦) وهو نظير قوله تَعَالَى: "حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَآ يُفْرِطُونَ"،^(٧) وقوله عزّ من قائل: "أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ".^(٨)

وقرأ الباقر (مُفْرَطُونَ) براء مفتوحة مخففة اسم مفعول من "أَفْرَطْتُ الشَّيْءَ أَي نَسَيْتَهُ"،^(٩) ويقال: "أَفْرَطْتُ الشَّيْءَ إِذَا تَرَكْتَهُ وَنَسَيْتَهُ. قَالَ الْكِسَائِيُّ: يُقَالُ مَا أَفْرَطْتُ مِنَ الْقَوْمِ أَحَدًا، أَي مَا تَرَكْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا"؛^(١٠) ولذلك فسّر (المُفْرَطُونَ) بحسب هذه القراءة بأنهم: "مَنْسِيُونَ فِي النَّارِ"، قاله مجاهد،^(١١) أو "متروكون

^١ الجوهري، الصحاح، (فرط)، ج ٣، ص ١١٤٨.

^٢ السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج ٢، ص ٤٩٤.

^١ النحاس، إعراب القرآن، ج ٢، ص ٢٥٣.

^٢ ابن خالويه، الحجة، ص ٢١٢.

^٣ الأنباري، الزاهر، ج ١، ص ٣٠٩.

^٤ المصدر نفسه.

^٥ الأزهرى، تهذيب اللغة، (فرط)، ج ١٣، ص ٢٢٦.

^٦ الأنباري، الزاهر، ج ١، ص ٣١٠. ابن القطّاع، كتاب الأفعال، ج ٢، ص ٤٥٨.

^٧ سورة الأنعام، الآية ٦١.

^٨ سورة الزمر، الآية ٥٦.

^٩ أبو عبيد، غريب الحديث، ج ١، ص ٤٦.

^{١٠} السرقسطي، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، أبو محمد (ت: ٣٠٢هـ-)، (٢٠٠١م)

الدلائل في غريب الحديث، تحقيق: محمد بن عبد الله القناص، ط ١، مكتبة العبيكان، الرياض،

ج ٢، ص ٦٦٨.

^{١١} مجاهد، تفسير مجاهد، ص ٤٢٢.

منسيون في النار"، (١) حكاة سعيد بن جبير، (٢) وقيل ابن عباس، (١) وتبعهم فعلى ذلك كل من: أبو عبيدة (٢) والكسائي (٣) والفراء، (٤) والعرب تقول: "أفرطت منهم ناساً أي خلفتهم ونسيتهم". (٥)

ويجوز أن تكون (مُفْرَطُونَ) مشتقاً من (الْفَرَطُ) (٦) وهو: "السَّيْقُ والتَّاقِدُ"، (٧) يقال: "فَرَطَ مَنِي ما لم أحسبه. أي سيق. والفَارِطُ: المتقدِّم إلى الماء لإصلاح الأَرْضِيَّةِ والدَّلاءِ حتى يردَّ القوم. وأَفْرَطْتُهُ: أي قدَّمته"، (٨) ومنه دعاؤهم في الصَّلَاةِ على الطِّفْلِ الميِّتِ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ لَنَا فَرَطاً" أي أجراً مُتَقَدِّماً، (٩) وَمِنْهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ"؛ (١٠) وقوله: " (وَأَنَا فَرَطُهُمْ) أَي: "

^١ الباوردي (غلام ثعلب)، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرز الباوردي، (ت: ٣٤٥هـ)، (٢٠٠٢م)، ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، تحقيق: حقه و قدم له محمد بن يعقوب التركستاني، ط١، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، المدينة المنورة، ص ٢٩٥.

^٢ النحاس، معاني القرآن، ج٤، ص ٧٩.

^١ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٣٩١. الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت: ٨١٧هـ)، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، لبنان، ص ٢٢٦.

^٢ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج١، ص ٣٦١.

^٣ النحاس، معاني القرآن، ج٤، ص ٨٠.

^٤ الفراء، معاني القرآن، ج٢، ص ١٠٨.

^٥ المصدر نفسه.

^٦ السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج٢، ص ٤٩٤.

^٧ الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج٦، ص ٥٢٣.

^٨ ابن قتيبة، غريب القرآن، ص ٢٤٥.

^٩ ابن دريد، جمهرة اللّغة، (رطف)، ج٢، ص ٧٤٥.

^{١٠} أحمد بن حنبل، أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: ٢٤١هـ) (١٩٩٥م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، حديث رقم: ٤٠٤٢، ج٤، ص ١٢٥.

أَتَقَدَّمَهُمْ، وَالْفَرَطُ وَالْفَارِطُ: الْمُتَقَدِّمُ فِي طَلَبِ الْمَاءِ، يُقَالُ: فَرَطْتَ الْقَوْمَ: إِذَا تَقَدَّمْتَهُمْ لَتَرْتَادَ لَهُمُ الْمَاءَ"،^(١) وَقَالَ الْقُطَامِيُّ: وَقَالَ الشَّاعِرُ: (١)

فَأَثَارَ فَارِطِهِمْ غَطَاطًا جُثْمًا أصواته كثرَاطنِ الفُرسِ

وقال القطامي: (٢)

فاستعجلونا وكنوا من صحابتنا كما تعجل فراط لوراد

وربما تكون هذه القراءة مأخوذة من (الفرط) - كما يروي ابن الأعرابي - (العجلة)، (٣) أي: "هم معجلون إلى النار"،^(٤) وروي عن قتادة قوله: "مُفَرِّطُونَ أَي: مُعَجَّلُونَ إِلَى النَّارِ، مِنْ الْفَرَطِ وَهُوَ السَّابِقُ إِلَى الْوَرْدِ وَلَا مُنَافَاةَ لَأَنَّهُمْ يُعَجَّلُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى النَّارِ، وَيُنْسَوْنَ فِيهَا، أَي: يَخْلُدُونَ"،^(٥) وهو قول الحسن أيضا،^(٦) وكان أبو عمرو بن العلاء يفسر هذه الكلمة في هذا السياق القرآني بقوله: "معناه: وأنهم مُقَدَّمُونَ إِلَى النَّارِ مُعَجَّلُونَ إِلَيْهَا"،^(٧) وقيل: (مُسَلَّمُونَ).^(٨)

^١ البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، (ت: ٥١٠هـ)، (١٩٨٣م)، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط٢، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ج١، ص٣٢٤.

^٢ نسبت المصادر التي اطلعت عليها هذا البيت لطرفة بن العبد، ولم أقف عليه في ديوانه، انظر ابن منظور، لسان العرب، ج١٣، ص١٨١. الزبيدي، تاج العروس، ج٣٥، ص٩٨. الغطاط: القطا.

^٣ القطامي، عمير بن شبيب بن عباد (ت: ٥١١هـ) (١٩٦٠م)، ديوان القطامي، تحقيق: إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، ط١، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص٩٠. والفراط جمع الفارط. الأزهرى، تهذيب اللغة، (فرط)، ج١٣، ص٢٢٧.

^٤ مكي، الكشف، ج٢، ص٣٨.

^٥ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٥٨٠. عبد الرزاق، تفسير عبد الرزاق، ج٢، ص٢٦٩.

^٦ النحاس، معاني القرآن، ج٤، ص٧٩.

^٧ الأنباري، الزاهر، ج١، ص٣٠٩.

^٨ يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، (ت: ٢٠٠هـ)، (١٩٧٩م)، التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه، قدمت له وحققته: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع، ص٣١٨.

(زَكِيَّةٌ)، (زَاكِيَّةٌ):^(١)

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ونافع وأبو جعفر ورويس (زَكِيَّةٌ) من قوله تعالى: " قَالَ أَقَاتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ " ^(١) (زَاكِيَّة) اسم فاعل، ^(٢) وهي التي لا ذنب لها، فهي النفس " الطاهرة من الذنوب إما لأنها طاهرة عنده؛ لأنه لم يرها قد أذنبت أو لأنها صغيرة لم تبلغ الحنث {بِغَيْرِ نَفْسٍ} أي لم تقتل نفساً فيقتص منها " ^(٣).

وقرأ الباقون (زَكِيَّة) بحذف الألف وتشديد الياء، صيغة صفة مشبهة على وزن فعيلة، ^(٤) أي: " بَرِيَّةٌ "، ^(٥) " لا ذنب لها "، ^(٦) فهي نفس " طاهرة مخلصه من الذنوب، ومنه عبد زكي أي طاهر "، ^(٧) وقيل: هي " صَغِيرَةٌ، وقيل معنى ذَلِكَ الْمُطَهَّرَةَ وَهِيَ الَّتِي لَا ذَنْبَ لَهَا، وَلَمْ تَذَنْبْ لَصَغَرِهَا "، ^(٨) قال الأنباري: المراد بالنفس الزَكِيَّة في هذا السياق " زائدة الخير، لم تذنّب، ولم تكن منها خطيئة " ^(٩).

وهناك من ذهب إلى أن هاتين القراءتين هما لغتان بمعنى واحد، كقاسية وقسيّة، ^(١٠)

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٤. شرح طيبة النشر، ص ٢٦٩. تحبير التيسير، ص ٤٤٧. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣١٣. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٣٣. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ١٨.

^١ سورة الكهف، الآية ٧٤.

^٢ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٧، ص ٥٢٨.

^٣ الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٧٣٦.

^٤ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٧، ص ٢٠٨. السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٧، ص ٥٢٨.

^٥ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٣، ص ٣٠٣.

^٦ مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج ٢، ص ٥٩٦.

^٧ النحاس، إعراب القرآن، ج ٥، ص ١٤٦.

^٨ السجستاني، غريب القرآن، ص ٢٥٢.

^٩ الأنباري، الزاهر، ج ٢، ص ١٧٧.

^{١٠} الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ١٥٥. ابن خالويه، الحجة، ص ٢٢٧. الأزهرى، معاني

القراءات، ج ٢، ص ٥١١.

ومعناها: النفس " الَّتِي لَمْ تَجْنِ شَيْئًا"،^(١) قاله الكسائيّ والفراء،^(٢) وقيل معناهما (مؤمنَة)،^(٣) قال ثعلب: " الزَّكِيَّةُ أَبْلَغُ"،^(٤) وقال أبو حيان: "... زَكِيَّةٌ بَغَيْرِ أَلْفٍ وَبِتَشْدِيدِ الْيَاءِ وَهِيَ أَبْلَغُ مِنْ زَاكِيَّةٍ لِأَنَّ فَعِيلًا الْمُحَوَّلَ مِنْ فَاعِلٍ يَدُلُّ عَلَى الْمُبَالَغَةِ".^(٥) ويليخص لنا صاحب تفسير (النكت والعيون) آراء العلماء في هذه المسألة فيذكر أنهم على مذهبين، فريق لا يرى أي بون دلاليّ بين القراءتين، وفريق يرى القراءتين متميزتين من جهة المعنى، قال: " واختلف في زاكية - وزكياة على قولين: أحدهما: وهو قول الأكثرين أنّ معناهما واحد، فعلى هذا اختلف في تأويل ذلك على ستة أوجه: أحدها: أنّ الزاكية التائبية، قاله قتادة. والثاني: أنّها الطاهرة، حكاه ابن عيسى. والثالث: أنّها النامية الزائدة، قاله كثير من المفسرين، قال نابغة بني ذبيان:

وما أخرجت من دُنْيَاكَ نَقْصَ وإن قَدِّمْتَ عَادَ لَكَ الزَّكَاءُ

يعني الزيادة. والرابع: الزاكية المسلمة، قاله ابن عباس لأنّ عنده أن الغلام المقتول رجل. الخامس: أنّ الزاكية التي لم يحل دمها، قاله أبو عمرو بن العلاء. السادس: أنّها التي لم تعمل الخطايا، قاله سعيد بن جبيرة. والقول الثاني: أنّ بين الزاكية والزكوية فرقاً، وفيه ثلاثة أوجه: أحدها: أنّ الزاكية في البدن، والزكوية في الدين، وهذا قول أبي عبيدة. الثاني: أنّ الزكوية أشدّ مبالغة من الزاكية، قاله ثعلب. الثالث: أنّ الزاكية التي لم تذنّب، والزكوية التي أذنبت ثم تابت فغفر لها، قاله أبو عمرو بن العلاء. {لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا} فيه أربعة أوجه: أحدها: شيئاً منكراً، قاله الكاظمي.

^١ الطبري، جامع البيان، ج ١٨، ص ٧٥.

^٢ مكّي، الهداية، ج ٦، ص ٤٤٣١. البغوي، معالم التنزيل، ج ٣، ص ٢٠٨. الرازي، مفاتيح

الغيب، ج ٢١، ص ٤٨٧.

^٣ الباوردي، ياقوتة الصراط، ص ٣٢٨.

^٤ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١١، ص ٢١.

^٥ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٧، ص ٢٠٨.

الثَّانِي: أمراً فظيماً قبيحاً، وهذا معنى قول مقاتل. الثالث: أنه الذي يجب أن ينكر ولا يفعل. الرابع: أنه أشد من الإِمر، قاله قتادة".^(١)
(حَمِيَّة)، (حَامِيَّة):^(١)

قرأ نافع وحفص وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (حَمِيَّة) من قوله تعالى: " حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ "^(٢) على وزن (فَعِلُّ) صفة مشبهة أي: " كثيرة الحمأة"،^(٣) وهي " طِينَةٌ سَوْدَاءٌ تَأْطُ؛ حكاها مجاهد،^(٤) أو " حارة سوداء"، قاله مقاتل،^(٥) ويقال: " حَمَاتُ الْبُئْرِ إِذَا أُخْرِجَتْ حَمَاتُهَا، وَأَحْمَاتُهَا إِذَا أَلْقِيَتْ فِيهَا الْحَمَاءُ".^(٦)

وقد احتج أصحاب هذه القراءة على صحة مذهبهم بالخبر الذي روي عن ابن عباس، قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : " كنت عند معاوية فقرأ " تغرب في عين حامية " فقلت ما نقرأها إلا {حَمِيَّة}، فقال لعبد الله بن عمرو بن العاص كيف تقرأها فقال كما قرأتها يا أمير المؤمنين قال ابن عباس فقلت في بيتي نزل القرآن فأرسل معاوية إلى كعب أين تجد الشمس تغرب في التوراة فقال أما العربية فأنتم أعلم بها وأما أنا فأجد الشمس في التوراة تغرب في ماء وطين أراد أنها تغرب في عين ذات حمئة".^(٧) ويعلق ابن زنجلة على هذه الرواية فيقول: " وهذا القول ليس ينفي قول من قرأها حامية إذا كان جائزاً أن تكون العين التي تغرب الشمس فيها

^١ الماوردي، النكت والعيون، ج ٣، ص ٣٢٩، ٣٣٠. ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٣، ص ٩٩، ١٠٠.

^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٤. شرح طيبة النشر، ص ٢٦٩. تحبير التيسير، ص ٤٤٨. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣١٤. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٣٣. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٢٣، ٢٤.

^٣ سورة الكهف، الآية ٨٦.

^٤ الباوردي، ياقوتة الصراط، ص ٣٢٨، ٣٢٩.

^٥ مجاهد، تفسير مجاهد، ص ٤٥٠.

^٦ مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج ٢، ص ٦٠٠.

^٧ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٣، ص ٣٠٨.

^٨ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٤٣٠.

حارة، وقد تكون حارة وذات حمأة وطينة سوداء فتكون موصوفة بالحرارة وهي ذات حمأة".^(١)

وقرأ الباقون (حامية) بألف بعد الحاء وإبدال الهمزة ياء مفتوحة، على أنها اسم فاعل من: " من حميت تحمي فهي حامية "؛^(١) أي: حارة،^(٢) وهي نظير قوله تعالى: " تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ".^(٣) وقد استدلل أصحاب هذه القراءة على صحة اختيارهم بما روي عن أبي زر - رضي الله عنه - قال: " كنت رديف رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو على حمار، والشمس عند غروبها، فقال: " هل تدري أين تغرب هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: " فإنها تغرب في عين حامية ".^(٤)

ويجوز أن تكون (حامية) أصلها (حامئة) فخفت الهمزة فقلبت ياء محضة، " وإن خفف الهمزة من فاعل على قول الخليل كانت بين بين"،^(٥) قال سيبويه: " وإذا كانت الهمزة منكسرة وقبلها فتحة صارت بين الهمزة والياء الساكنة كما كانت المفتوحة بين الهمزة والألف الساكنة. ألا ترى أنك لا تتم الصوت ههنا وتضعفه لأنك تقربها من الساكن، ولولا ذلك لم يدخل الحرف وهن، وذلك قولك: يئس وسئم، وهو قول العرب والخليل"،^(٦) وفي ذلك يقول أبو حاتم: " وقد تمكن أن تكون حامية مهموزة بمعنى ذات حمأة فتكون القراءتان بمعنى واحد يعني أنه سهلت الهمزة بإبدالها ياء لكسرة ما قبلها"،^(٧) ولذلك ذهب بعض العلماء إلى عد هاتين القراءتين

^١ المصدر نفسه، ص ٤٣٠، ٤٣١.

^١ المصدر نفسه، ص ٤٢٨.

^٢ السجستاني، غريب القرآن، ص ١٩٣.

^٣ سورة الغاشية، الآية ٤.

^٤ أبو داود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية،

بيروت، لبنان، حديث رقم: ٤٠٠٢، ج ٤، ص ٣٧.

^٥ الفارسي، الحجة، ج ٥، ص ١٦٩.

^٦ سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ٥٤٢.

^٧ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٧، ص ٢٢١.

متساويتين من جهة المعنى، يقول الفخر الرازي: " وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا تَنَافِيَّ بَيْنَ الْحَمِيَّةِ وَالْحَامِيَّةِ، فَجَائِزٌ أَنْ تَكُونَ الْعَيْنُ جَامِعَةً لِلْوَصْفَيْنِ جَمِيعاً " (١).
(حاذِرُونَ)، (حَذِرُونَ): (١)

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر وابن ذكوان وهشام بخلف عنه (حاذِرُونَ) من قوله تعالى: " وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ " (٢) بإثبات ألف بعد الحاء (حاذِرُونَ) اسم فاعل معناه: " وَادُّونَ مُسْتَعِدُّونَ "، قاله مجاهد، (٣) وقيل: " مؤدِّون مقوون أي ذوؤ أداة وذوو سلاح وقوّة "، (٤) أي: هم " متأهبون "، (٥) وقيل: " المؤدِّي في السلاح، وإنما يفعل ذلك حذراً واحتياطاً لنفسه، والحادر: السمين القوي " (٦). قال الشاعر: (٧)

أُحِبُّ الصَّبِيَّ السُّوءَ مِنْ أَجْلِ أُمِّهِ وَأُبْغِضُهُ مِنْ بُغْضِهَا وَهُوَ حَادِرٌ
" أي أقوىاء وأشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك حذارة في أجسامهم " (٨)
"والحاذر الذي يحذر ما حدث أو المستعد كأنه أخذ حذره "، (٩) قال الفارسي: "... فأما حاذِر فإنه يراد به أنه يفعل الحذر فيما يستقبل كقولك: بعيرك صائد غداً، وكذلك

^١ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢١، ص ٤٩٦.

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٩. شرح طيبة النشر، ص ٢٨٨. تحبير التيسير، ص ٤٨٧. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٣٥. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٨٣.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ١٠٢.

^٢ سورة الشعراء، الآية ٥٦.

^٣ مجاهد، تفسير مجاهد، ص ٥١٠.

^٤ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٥١٧.

^٥ ابن دريد، جمهرة اللغة، (حذر)، ج ١، ص ٥٠٧.

^٦ الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٣١٥.

^٧ البيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٤، ص ٢٣٦.

الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٣١٥. ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٧٣.

^٨ أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٦، ص ٢٤٤.

^٩ أبو شامة، إبراز المعاني، ص ٦٢١.

قوله: وإني حاذر أنمي سلاحي كأنه يريد متحذّر عند اللقاء"،^(١) ويقال: " الحاذِر الذي يَحْذِرُ في الفور"،^(٢) ويكون المعنى: أنهم قوم ليس من عاداتهم الحذر فهو أمر حادث فيهم. وكان ابن عباس - رضي الله عنهما - يقول: " الحذِرُون: الممثلُون من السّلاح"،^(٣) واحتج بقول الشاعر:^(٤)

لعمري أبي أثالٍ حيثُ أمسى لقد فخرتُ به أبناءُ بكرِ
حنيفةٌ في كتائبِ حاذراتٍ يقودهم أبو شبلٍ هزبرِ

وقرأ الباقر (حذرون) بحذف (الألف)، وهو الوجه الثاني لـ (هشام) على أنه صفة مشبهة من حذر^(٥) وهو: " المتيقظ"،^(٦) وقيل: " الحذر من طُبع على الحذر"،^(٧) قال الأزهري: " العرب تقول للرجل الذي جُبِلَ حَذراً: فلان حَذِرٌ، وحذُرٌ"،^(٨) ويكون المعنى بحسب هذا التوجيه أنهم قوم من عاداتهم الحذر " وأسْتِعْمَلُ الحَزْمَ".^(٩) وهناك من ساوى بين هاتين القراءتين، فذهب إلى أنهما لغتان^(١٠) بمعنى واحد، قال أبو عبيدة: " رَجُلٌ حَذِرٌ وَحَذُرٌ وَحَاذِرٌ بِمَعْنَى وَاحِدٍ"،^(١١) وهو مذهب سيبويه،^(١٢) فقد كان سيبويه يذهب إلى أن (حذر) هي صيغة مبالغة، وأنها تجري مجرى اسم

^١ الفارسي، الحجة، ج ٥، ص ٣٥٩.

^٢ السمرقندي، بحر العلوم، ج ٢، ص ٥.

^٣ الأنباري، الزاهر، ج ١، ص ٣٠٣.

^٤ لم أقف على هذه الأبيات في المصادر التي أطلعت عليها. إلا عند الأنباري وهي بلا نسبة.

الأنباري، الزاهر، ج ١، ص ٣٠٣.

^٥ الألويسي، روح المعاني، ج ١٠، ص ٨١.

^٦ السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج ٢، ص ١٥٢.

^٧ أبو شامة، إبراز المعاني، ص ٦٢١.

^٨ الأزهري، معاني القراءات، ج ٢، ص ٢٢٥.

^٩ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٤، ص ٥٠٦.

^{١٠} الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٧، ص ١٦٤.

^{١١} أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ٢، ص ٨٦. مكي، الهداية، ج ٨، ص ٥٣٠٥.

^{١٢} النحاس، إعراب القرآن، ج ٣، ص ١٢٤. مكي، الهداية، ج ٨، ص ٥٣٠٥.

الفاعل في الإعمال، فينصب المفعول به،^(١) فيجوز أن يقال: "هُوَ حَذِرٌ زَيْدًا، كَمَا يُقَالُ: حَاذِرٌ زَيْدًا"،^(٢) وأنشد عليه قول الشاعر:^(١)

حَذِرٌ أُمُورًا لَا تُضِيرُ وَأَمِنٌ مَا لَيْسَ يُنْجِيهِ مِنَ الْأَقْدَارِ

قال السيرافي: "الشاهد فيه إنه أَعْمَلُ حَذِرٌ وهو على فعل عمل الفعل".^(٢)

وأحسب أن من قال إن سيبويه قد ساوى بين (حَذِرٌ وَحَاذِرٌ) قد وقع في غلط؛ وذلك لأن سيبويه لم يتكلم في هذا المبحث عن البون الدلالي بين هاتين الصيغتين، وإنما كان نظره منصباً نحو مسألة إعمال الصيغة على التعيين، ولعل أبا البقاء العكبري قد ألمح إلى ذلك، حيث ذكر أن سيبويه إنما أَعْمَلُ فَعِلٌ^(٣)؛ "لأن ما فيها من المبالغة وزيادة الحرف جبراً لما دخلها من النقص عن اسم الفاعل في جريانه على الفعل".^(٤)

(فَارِهِينِ)، (فَرِهِينِ):^(٥)

قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر (فَرِهِينِ) من قوله تعالى: "وَتَنَحُّونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينًا"^(٦) بإثبات ألف بعد الفاء على أنه اسم فاعل

^١ أبو حيان، البحر، المحيط، ج ٨، ص ١٥٧. السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٨، ص ٥٢٢.

^٢ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ١٠١.

^١ البيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ١١٣. الجوهري، الصحاح، ج ٢، ص ٦٢٦. ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٧٦.

^٢ سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ١١٣. السيرافي، شرح أبيات سيبويه، ج ١، ص ٢٧٠.

^٣ العكبري، اللباب، ج ١، ص ٤٤٢.

^٤ المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٤١.

^٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٩. شرح طيبة النشر، ص ٢٨٨. تحبير التيسير، ص ٤٨٨. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٣٦. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٨٣،

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ١٠٤.

^٦ سورة الشعراء، الآية ١٤٩.

بمعنى: "حَازِقِينَ"،^(١) حكاة مقاتل بن سليمان،^(١) "وعنه عن الحسن: آمنين"،^(٢) وقيل: "مَرَحِين".^(٣)

وقرأ الباقر (فرهين) بحذف الألف على أنه صفة مشبّهة، قال أبو عبيدة: "أَشْرِينِ بَطْرِينِ"،^(٤) وهو قول مجاهد أيضاً،^(٥) والعرب تقول: "لكل من حَدَقَ صناعته: فارة، ويجمع فُرْهَةً، مثل صاجا وصُحْبَةً، وغلّام رائق وجمعه رُوْقَةٌ، وسمعت غير واحد من العرب يقول: جارية فَارٍ بغير هاء، إذا كانت صبيحة الوجه ذات مَلَاَحَةٍ، وهو كقولهم: امرأة عاشق، ولحية ناصِل".^(٦)

ويجوز أن تكون الهاء في (فرهين) مبدلة من الحاء، "وَالْعَرَبُ تُعَاقِبُ بَيْنَ الْهَاءِ وَالْحَاءِ مِثْلَ مَدَحْتُهُ وَمَدَّهْتُهُ"؛^(٧) ولذلك لا نعجب إذ ما وجدنا الأَخْفَشَ يفسر (الفرهين) بـ (الفرحين)،^(٨) وفي ذلك يقول الواحدي: "والهاء من فرهين بدل من الحاء، والفرح في كلام العرب بالحاء الأَشْرِ البَطْرِ، ومنه قوله: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ}."^(٩)

^١ الفراهيدي، كتاب العين، (فره)، ج ٤، ص ٤٦. الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٢٨٢.

^٢ مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج ٣، ص ٢٧٥. وقد نسب ابن أبي حاتم هذا القول لابن مجاهد، ابن

أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم، ج ٨، ص ٢٨٠٢. ولم أجد ذلك في تفسير مجاهد.

^٣ مكي، الهداية، ج ٨، ص ٥٣٣٨.

^٤ نسب ابن حجر هذا القول لأبي عبيدة، وهذا غلط منه لأنّ أبا عبيدة صرّح في المجاز بقوله: "وقال

آخرون "مما يدلّ على أنّ هذا الرأي ليس لأبي عبيدة كما ظنّ ابن حجر وغيره من المفسرين،

وأما أبو عبيدة فقال: فاكهين معناها حازقين. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج ٨، ص ٤٩٨.

مكي، الهداية، ج ٨، ص ٥٣٣٩. أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ٢، ص ٨٨.

^٥ الواحدي، التفسير الوسيط، ج ٣، ص ٣٦٠. الطبري، جامع البيان، ج ١٩، ص ٣٨٢. الفراهيدي، كتاب

العين، (فره)، ج ٤، ص ٤٦.

^٥ النحاس، إعراب القرآن، ج ٣، ص ١٢٨. ولم أجدّه في تفسير مجاهد.

^٦ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

^٧ البغوي، معالم التنزيل، ج ٣، ص ٤٧٦.

^٨ البغوي، معالم التنزيل، ج ٣، ص ٤٧٦.

^٩ الواحدي، التفسير الوسيط، ج ٣، ص ٣٦٠. سورة القصص، الآية ٧٦.

ويرى الفراء أن (فَرِهَيْنِ وَفَارِهَيْنِ) كليهما لغتان بمعنى واحد، نحو: " طَمَعَ وَطَامَعَ"،^(١) و"مَلِكٌ وَمَالِكٌ، وَحَاذِرِينَ وَحَذَرِينَ، وَفَكَهَيْنَ وَفَاكُهَيْنَ"،^(١) وإلى ذلك ذهب قطرب،^(٢) يقال: " فَرِهَ يَفْرَهُ فهو: فاره، وَفَرِهَ يَفْرُهُ فهو فَرِهٌ وَفَارِهٌ: إذا كان نَشِيطاً " .^(٣)

ويبسّط لنا الماوردي في (النكت والعيون) آراء العلماء في هذه المسألة فيقول: " فمن قرأ {فَرِهَيْنِ} ففي تأويله ستة أوجه: أحدها: شَرِهَيْنِ، قاله مُجَاهِد. الثاني: مُعْجَبَيْنِ، قاله خُصَيْفٌ. الثالث: آمِنِينَ، قاله قتادة. الرابع: فَرِحِينَ، حكاه ابن شجرة. الخامس: أَشْرِينَ بَطْرِينَ، قاله ابن عباس. السادس: مُتَخَيِّرِينَ، قاله الكلبي. ومنه قول الشاعر:^(٤)

إِلَى فَرِهٍ يُمَاجِدُ كُلَّ أَمْرٍ قَصَدْتُ لَهُ لِأَخْتَبِرَ الطَّبَاعَا

وأما قراءة (فَارِهَيْنِ) فتحتمل كما يذكر صاحب (النكت والعيون) أربعة أوجه: " أحدها: معناه كَيْسِينَ قاله الضحّاك. الثاني: حَاذِقِينَ: قاله أبو صالح، مأخوذ من فراهة الصنعة، وهو قول ابن عباس. الثالث: قَادِرِينَ، قاله ابن بحر. الرابع: أنه جَمَعَ فَارِهَ، وَالفَارِهَ المَرِحَ، قاله أبو عبيدة "، وأنشد لعدي بن الرقاع الغنوي:
لَا أَسْتَكِينُ إِذَا مَا أَزْمَةٌ أَزْمَتْ وَلَنْ تَرَانِي بِخَيْرٍ فَارِهَ الطَّلَبِ
أي من اللبب".^(٥)

^١ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٥١٩.

^١ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ١، ص ١١٤. البغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ٧٤، ج ٣، ص ٤٧٦.

^٢ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ١٢٩.

^٣ مكّي، الهداية، ج ٨، ص ٥٣٣٩، ٥٣٤٠.

^٤ الماوردي، النكت والعيون، ج ٤، ص ١٨٣، ١٨٤. والبيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ١٢٩.

^٥ الماوردي، النكت والعيون، ج ٤، ص ١٨٣، ١٨٤. ونسب ابن منظور هذا البيت إلى (ابن وادع العوفي) برواية (الطلب) بدلاً من (اللبب)، ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ٣٦٦.

(فَاكِهُونُ، فَكِهُونُ)، (فَاكِهِينُ، فَكِهِينُ):^(١)

انفرد أبو جعفر من بين القراء العشرة في قراءة (فَاكِهُونُ، فَاكِهِينُ) في أربعة مواضع من التنزيل، وهي:

١- قوله تعالى: إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونٌ.^(١)

٢- وقوله جل ثناؤه: " وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينٌ".^(٢)

٣- ومن قوله تعالى: " فَاكِهِينٌ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ".^(٣)

٤- وقوله عز من قائل: " وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينٌ".^(٤)

حيث قرأها (فَاكِهُونُ، فَكِهِينُ) حيثما وردت في المواضع المذكورة قبلاً من غير ألف، على وزن (فَعَلٌ) صفة مشبّهة،^(٥) معناها: "مُعْجِبِينَ"، حكاة مُجَاهِدٍ،^(٦) ومقاتل،^(٧) أو هي "الأشْرُ"^(٨) قاله الفراء^(٩) وقيل: " كثير الفَوَاكِهِ صَاحِبِ فَكِهَةٍ"،^(١٠) قال الحطيئة:^(١١)

^١ ابن الجزي، متن طيبة النشر، ص ٩٣. شرح طيبة النشر، ص ٣٠١. تحبير التيسير، ص ٥٢٤. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٥٤، ٣٥٥. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٢٤. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ١٧١، ١٧٢.

^١ سورة يس، الآية ٥٥.

^٢ سورة الدخان، الآية ٢٧.

^٣ سورة الطور، الآية ١٨.

^٤ سورة المطففين، الآية ٣١.

^٥ الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص ٤٦٨.

^٦ الطبري، جامع البيان، ج ٢٠، ص ٥٣٦.

^٧ مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج ٣، ص ٥٨٢.

^٨ الرازي، مختار الصحاح، (فكه)، ص ٢٤٢.

^٩ الأزهرى، معاني القرآن، ج ٣، ص ١٣٢.

^{١٠} أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ٢، ص ١٦٤.

^{١١} الحطيئة، جردل بن أوس بن مالك، (ت: ٤٤٥)، (١٩٩٣م)، ديوان الحطيئة، برواية وشرح

ابن السكيت، دراسة وتبويب: مفيد محمد قميحة، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،

ص ٩١.

وَعَرَّرْتَنِي وَزَعَمْتَ أَنَّكَ لَابِنٌ بِالصَّيْفِ تَامِرٌ

قال أبو عبيدة: " أي ذو لبن وتمر أي عنده لبن كثير وتمر كثير، وكذلك عَاسِلٌ ولَاحِمٌ وَشَاحِمٌ"، (١) وقال الشاعر: (١)

فَكَيْةٌ عَلَى حِينِ الْعَشِيِّ إِذَا خَوَتِ النُّجُومُ وَضُنَّ بِالْقَطْرِ

قال الأنباري: " وهو بمنزلة قولهم: رجل تامر: إذا كثر التمر عنده"، (٢) وعن ابن قتيبة " فَكَيْهِينِ أَي يَتَفَكَّهُونَ"، (٣) قال أبو عبيد: " تقول العرب للرجل إذا كان يَتَفَكَّهُ بِالطَّعَامِ أَوْ بِالْفَاكِهِةِ أَوْ بِأَعْرَاضِ النَّاسِ: إِنَّ فُلَانًا لَفَكِيَةٌ بِكَذَا، وَمِنْهُ يُقَالُ لِلْمِزَاحِ: فَكَاهَةٌ"، (٤) قال الشاعر: (٥)

فَكَيْةٌ إِلَى جَنْبِ الْخَوَانِ إِذَا غَدَتُ نَكْبَاءُ تَقْطَعُ ثَابِتَ الْأَطْنَابِ

وقال أبو زيد: " يقال: رجل فكه، إذا كان طيب النفس"، (٦) " ضَاحِكًا"، (٧) " ولم يسمع له فعل من الثلاثي، وقال أبو مسلم: إنه مأخوذ من الفكاهة بالضم وهي التحدث بما يسر، وقيل التمتع والتلذذ"، (٨) وَقَالَ الْقُتَيْبِيُّ: "فَاكِيهُونَ: يَتَفَكَّهُونَ وَيُقَالُ لِلْمِزَاحِ: فَكَاهَةٌ"، (٩) وقال أبو عوسجة: (فَاكِيهُونَ): من المفاهمة، والمفاهمة: المُمَازِحَةُ"، (١٠) وَقِيلَ: " إِنَّ الْفَاكِيَةَ هُوَ الْمُسْتَمْتِعُ بِأَنْوَاعِ اللَّذَّةِ كَمَا يَتَمَتَّعُ الْكُلُّ بِأَنْوَاعِ الْفَاكِيَةِ. وَالْفَاكِيَةُ:

^١ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ٢، ص ١٦٤. ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج ٨، ص ٥٤١.

^٢ البيت بلا نسبة. الأنباري، الزاهر، ج ١، ص ١٥٩.

^٣ الأنباري، الزاهر، ج ١، ص ١٥٩.

^٤ ابن قتيبة، غريب القرآن، ص ٣٦٦.

^٥ المصدر نفسه.

^٦ لم أقف على قائل هذا البيت. التبريزي، ديوان الحماسة، ص ٤٥٨.

^٧ النحاس، معاني القرآن، ج ٥، ص ٥٠٧.

^٨ السجستاني غريب القرآن، ص ٣٦٤.

^٩ الألوسي، روح المعاني، ج ١٢، ص ٣٤.

^{١٠} الماتريدي، تأويلات أهل السنة، ج ٨، ص ٥٣٠.

^{١١} المصدر نفسه.

فَصَلُّ عَنِ الْقُوتِ الَّذِي لَأَ بُدُّ مِنْهُ" (١) وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: " فَكَهِينٍ مُعْجَبِينَ " (٢) وقد تبعه حفص وابن عامر بخلف عنه، في (فَكَهِينِ) التي وردت في سورة المطففين، أمّا بقيّة المواضع فإنّهما قد قرأوا (فَكَهُونِ) التي في سورة يس، و (فَكَهِينِ) التي في سورتي الدخان والطور، بـ (ألف) مقحمة بعد (الفاء) على أنه اسم فاعل.

وقرأ الباقر ومعهم ابن عامر في وجهه الثاني في سورة المطففين في المواضع الأربعة (فَاكُهُونِ، فَاكُهِينِ) على أنّها اسم فاعل، (١) ومعناه: " ذَوِي فَاكِهَةٍ؛ كما يقال: فلان لابن تامر " (٢) و " شاحم لاحم، أي: ذو شحم ولحم " (٣) قال الكسائي: " الْفَاكِهَ وَالْفَاكِهَةَ مِثْلَ شَا حِمٍ وَلا حِمٍ وَلا بِنٍ وَتَا مِرٍ " (٤) وقال أبو عبيدة: " يُقَالُ رَجُلٌ فَكِهٌ: إِذَا كَانَ يَأْكُلُ الْفَاكِهَةَ، وَرَجُلٌ فَكِهٌ: إِذَا كَانَتْ عِنْدَهُ فَكِهَةٌ كَثِيرَةٌ " (٥) وأنشد عليه قول الشاعر: (٦)

فَكِهَةُ الْعَشِيِّ إِذَا تَأَوَّبَ رِحْلَهُ ضَيْفُ الشِّتَاءِ مُسَامِحٌ بِالْمَيْسِرِ

قال الأنباري: " معناه: يأكل الفاكهة في هذا الوقت " (٧) قال الخليل: فاكهين معناه: "ناعمين مُعْجَبِينَ بما هم فيه" (٨) وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال: " فَكَهِينِ، فَرِحِينَ " (٩)

^١ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٦، ص ١٣٩.

^٢ النحاس، إعراب القرآن، ج ٣، ص ٢٧٠.

^٣ الدميّاطي، إتحاف فضلاء البشر، ص ٤٦٨.

^٤ ابن قتيبة، غريب القرآن، ص ٣٦٦. مكي، الهداية، ج ٩، ص ٦٠٥٥.

^٥ ابن فورك، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ١٩٧.

^٦ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٨، ص ١٣٢.

^٧ الأنباري، الزاهر، ج ١، ص ١٥٩.

^٨ نسب الزمخشري هذا البيت إلى صخر بن عمرو بن الشريد. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، (١٩٩٨م)، أساس البلاغة، تحقيق:

محمد باسل عيون السود، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج ٢، ص ٣٣.

^٩ الأنباري، الزاهر، ج ١، ص ١٥٩.

^{١٠} الفراهيدي، كتاب العين، (فكه).

^{١١} النحاس، إعراب القرآن، ج ٣، ص ٢٧٠.

وهناك من رأى هاتين القراءتين لغتين بمعنى واحد،^(١) فكان الفراء يذهب إلى أنّهما مترادفتان لا فرق بين إحداهما في المعنى شأنهما في ذلك شأن (حذر وحاذر)،^(١) قال: " فَكَهَيْهِمْ وَفَكَهَيْهِمْ لُغَتَانِ مِثْلُ طَمَعِينَ وَطَامَعِينَ وَبَخَلِينَ وَبَاخَلِينَ".^(٢) ويبسط لنا ابن الجوزي في تصنيفه (زاد المسير في علم التفسير) آراء العلماء في هاتين القراءتين، فيذكر أنّ في اختلاف القراءتين قولين: " أحدهما: أن بينهما فرقا. فأما (فأكهون) ففيه أربعة أقوال: أحدها: فرحون، قاله ابن عباس. والثاني: معجبون، قاله الحسن، وقَتادة. والثالث: ناعمون، قاله أبو مالك ومقاتل. والرابع: ذوو فأكهة، كما يقال: فلان لاين تامر، قاله أبو عبيدة، وابن قتيبة. وأما (فكّهون) ففيه قولان: أحدهما: أن الفكّه الذي يتفكّه، تقول العرب للرجل إذا كان يتفكّه بالطعام أو بالفأكهة أو بأعراض الناس: إن فلانا لفكّه بكذا، ومنه يقال للمزاح: فأكهة، قاله أبو عبيدة. و الثاني: أن فكّهين بمعنى فرحين، قاله أبو سليمان الدمشقي. والقول الثاني: أن فأكهين وفكّهين بمعنى واحد، كما يقال: حاذرٌ وحذرٌ، قاله الفراء. وقال الزجاج: فأكهون وفكّهون بمعنى فرحين. وقال أبو زيد: الفكّه: الطيب النفس الضحوك، يقال: رجل فأكّه وفكّه".^(٣)

(الابثين)، (البثين):^(٤)

قرأ روح وحمزة (لابثين) من قوله تعالى: " لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا"^(٥) من غير ألف، على وزن (فعلين) صفة مشبهة، يقال: " هو لبثٌ بمكان كذا وكذا، إذا صار اللبثُ شأنه"،^(٦) ومعناها " البطيء".^(٧) وقرأ الباقون (لبثين) بألف بعد اللام، على وزن

^١ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٨، ص ١٣٢.

^١ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٣٨٠. الأزهرى، معاني القراءات، ج ٣، ص ١٣٢.

^٢ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٧٥٥.

^٣ ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٣، ص ٥٢٨. الماوردي، النكت والعيون، ج ٥، ص ٢٥.

^٤ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ١٠٠. شرح طيبة النشر، ص ٣٢٥. تحبير التيسير،

ص ٦٠٣. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٩٧. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٦٠٩.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٣٢٩.

^٥ سورة النبأ، الآية ٢٣.

^٦ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٣، ص ١١٧.

(فاعلين) اسم فاعل من (لبث) الثلاثي يقال: " لَبِثَ الرَّجُلُ يَلْبِثُ لُبْثًا وَلَبِثًا فَهُوَ لَابِثٌ"،^(١) معناه: " طول الإقامة ".^(٢)

وهناك من ساوى بين هاتين القراءتين فذهب الفراء إلى أنهما لغتين^(٣) بمعنى واحد،^(٤) نحو: " طَمَعَ وَطَامَعَ، وَفَرِهَ وَفَارِهَ"،^(٥) ويقال: " هو لَابِثٌ بِالْمَكَانِ، وَلَبِثٌ"،^(٦) ومع ذلك يؤكد غير واحد من اللغويين والمفسرين على أن هناك فرقا في المعنى بين القراءتين،^(٧) فيبين الألوسي أن قراءة (لَبِثِينَ) بصيغة الصفة المشبهة هو أبلغ في المعنى من قراءة (لَابِثِينَ) بصيغة اسم الفاعل.^(٨)

وعلى سعيد آخر برز من العلماء من فاضل بين هاتين القراءتين، فهذا صاحب (الكشاف) يذهب، إلى أن قراءة (لبث) أقوى في الاستعمال، قال: " واللَّبِثُ أَقْوَى، لِأَنَّ اللَّابِثَ مَنْ وَجَدَ مِنْهُ اللَّبِثَ، وَلَا يُقَالُ (لَبِثَ) إِلَّا لِمَنْ شَأْنُهُ اللَّبِثُ، كَالَّذِي يَجْتَمِعُ بِالْمَكَانِ لَا يَكَادُ يَنْفَكُ ".^(٩)

وفي مقابل ذلك نجد أبا جعفر الطبري يؤثر قراءة (لَابِثِينَ) على نظيرتها (لَبِثِينَ)، وحجته في ذلك قوانين العمل النحوي^(١٠) التي لا تجيز للصفة المشبهة المصوغة على زنة (فَعَلَ) أن تشتغل في الجملة فتتصب مفعولاً به، قال: " واختلفت القراء في قراءة قوله: (لَابِثِينَ) فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة (لَابِثِينَ) بالألف. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة " لَبِثِينَ " بغير ألف، وأصح

^١ ابن منظور، لسان العرب، (لبث)، ج ٢، ص ١٨٢.

^١ الأزهرى معاني القراءات، ج ٣، ص ١١٧.

^٢ ابن خالويه، الحجة، ص ٣٦١.

^٣ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ١٠، ص ١٥. البغوي، معالم التنزيل، ج ٥، ص ٢٠١.

^٤ السمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ٥٣٨.

^٥ الواحدى، التفسير الوسيط، ج ٤، ص ٤١٤.

^٦ ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٤، ص ٣٨٩.

^٧ القادوسى، أثر القراءات القرآنية، ص ٢٠٧.

^٨ الألوسى روح المعاني، ج ١٥، ص ٢١٤.

^٩ الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٦٨٨. الرازى، مفاتيح الغيب، ج ٣١، ص ١٥.

^{١٠} القادوسى، أثر القراءات القرآنية، ص ٢٠٧.

القراءتين وأصحهما مخرجاً في العربية قراءة من قرأ ذلك بالألف، وذلك أن العرب لا تكاد توقع الصفة إذا جاءت على فعل فتعملها في شيء وتتصبه بها، لا يكادون أن يقولوا: هذا رجل بخل بماله، ولا عسر علينا، ولا هو خصم لنا؛ لأنّ فعل لا يأتي صفة إلا مدحاً أو ذمّاً، فلا يعمل المدح والذمّ فيغيره، وإذا أرادوا إعمال ذلك في الاسم أو غيره جعلوه فاعلاً فقالوا: هو باخل بماله، وهو طامع في ما عندنا، فلذلك قلت: إنّ (لابثين) أصحّ مخرجاً في العربية وأفصح، ولم أحلّ قراءة من قرأ لبثين وإن كان غيرها أفصح، لأنّ العرب ربما أعملت المدح في الأسماء". (١)

وبناءً على نظرية العمل النحوي رأى الفراء أنّ القراءة بصيغة اسم الفاعل هي أجود من قرينتها ذات الصيغة المشبهة، إلا أنه لم يضعف هذه الأخيرة فيحكم عليها بالشذوذ أو اللحن، قال: "والناس بعد يقرؤون: (لابثين)، وهو أجود الوجهين لأنّ (لابثين) إذا كانت في موضع تقع فتتصب كانت بالألف، مثل: الطامع، والباخل عن قليل. واللبث: البطيء، وهو جائز، كما يقال: رجل طمع وطامع. ولو قلت: هذا طمع فيما قبلك كان جائزاً، وقال لبيد:

أَوْ مِسْحَلٍ عَمَلٍ عِضَادَةٍ سَمَحَجٍ بِسَرَاتِهَا نَدَبٌ لَهْوَ كُلُّومٍ

فأوقع عمل على العضادة، ولو كانت عاملاً كان أبين في العربية". (٢)

وهناك من اعتمد الاستعمال اللغوي فضلاً عن قانون العمل النحوي أساساً في المفاضل بين هاتين القراءتين، فرأى البعض قراءة (لبثين) ضعيفة، بل تجرأ آخرون فنعتوا هذه القراءة المتواترة باللحن، قال النحاس: "وقد اعترض في هذه القراءة فليل: هي لحن لا يجوز: هُوَ حَذْرٌ زَيْدًا، وإن كان سيبويه قد أجازها وأنشد: (٣)

حَذْرٌ أُمُورًا لَا تُضِيرُ وَأَمِنْ مَّا لَيْسَ يُنْجِيهِ مِنَ الْأَقْدَارِ

^١ الطبري، جامع البيان، ج ٢٤، ص ١٥٩، ١٦٠.

^٢ الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٢٨. لبيد بن ربيعة، الديوان، ص ١٠١. والبيت برواية (سَنَقٌ) بدلاً من (عَمَلٌ).

^٣ النحاس، إعراب القرآن، ج ٥، ص ٨٢. والبيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ١١٣. الجوهري، الصحاح، ج ٢، ص ٦٢٦. ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ١٧٦.

وأُتشدُّ الفراء (بيت لبيد السَّابق) إلا أن سيبويه أنشده (أو مِسْحَلٌ شَنْجٌ)، "... وقال قوم: هو لحن لأنه إنما يقال: حذر، وكذا باب فعل لمن كان في خلقته الحذر، فأما اللَّابث فليس من ذلك في شيء".^(١)

وقد غلط النَّحاس من اتهم هذه القراءة باللحن، فبيّن أن قياسهم الذي أقاموا عليه حجتهم هو فاسد، قال: "أما القول الأوّل فغلط ولا يشبه هذا قولك: حذر زيدا لأنّ أحقاباً ظرف وما لا يتعدّى، يتعدّى إلى الظرف، وأما الثّاني فهو يلزم إلا أنه يجوز على بعد. والقراءة بلابئين بيّنة حسنة".^(٢)

ويضاف إلى كلام النَّحاس سالف الذكر أن سيبويه كان يجيز إعمال الصّفة المشبّهة التي على وزن (فعل) نحو: لبث، وأنشد على ذلك قول عمرو بن أحمَر: ^(٣)
أو مِسْحَلٌ شَنْجٌ عِضَادَةٌ سَمَحَجٍ بِسْرَاتِهِ نَدَبٌ لَهَا وَكُلُومٍ
ويعلّق السّيرافيّ على ذلك فيقول: "لا والشّاهد إنّه نصب (عضادة) بـ (شَنْج) نصب المفعول به".^(٤) وذهب القيسيّ إلى تضعيف قراءة (لبئين)؛ لأنّ ما كان صفة على وزن (فعل) فحقّه أن يشتغل في حقل الطّبائع والسّجاياء، قال: "ومن قرأه لبئين شبّه بما هو خلقه في الإنسان نحو حذر وفرق وهو بعيد لأنّ اللبث ليس ممّا يكون خلقه في الإنسان وباب فعل إنّما هو لما يكون خلقه في الشّيء وليس اللبث بخلق".^(٥) وهذا القول من القيسيّ لا يخلو من مبالغة، يقول السّمين الحلبي: "وأما قول مكّي: اللبث ليس خلقه فمسلّم؛ لكنّه بولغ في ذلك فجعل بمنزلة الأشياء الخلقية".^(٦)

^١ النَّحاس، إعراب القرآن، ج ٥، ص ٨٢. سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ١١٣.

^٢ النَّحاس، إعراب القرآن، ج ٥، ص ٨٢.

^٣ سيبويه، الكتاب، ج ١، ص ١١٢. السّيرافيّ، شرح أبيات سيبويه، ج ١، ص ١٩. البغدادي،

خزائن الأدب، ج ٨، ص ١٦٩.

^٤ السّيرافيّ، شرح أبيات سيبويه، ج ١، ص ٢٠.

^٥ مكّي، مشكل إعراب القرآن، ج ٢، ص ٧٩٥.

^٦ السّمين الحلبيّ، الدر المصون، ج ١٠، ص ٦٥٥.

(سَالِمًا)، (سَلَمًا):^(١)

قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (سَلَمًا) من قوله تعالى: " وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ " ^(٢) (سَالِمًا) بإقحام ألف بعد السين وكسر اللام على وزن (فاعل) اسم فاعل،^(٣) أي: " خَالِصًا " فسره ابن عباس،^(٤) فـ " سَالَمًا لِرَجُلٍ: خَالِصًا لِرَجُلٍ لَيْشْرَكُهُ فِيهِ غَيْرُهُ "،^(٥) قاله مقاتل،^(٦) يقال: " سلم الشيء لفلان إذا خلص له "،^(٧) فهو: " المؤمن يَعْمَلُ لُلهِ وَحْدَهُ "،^(٨) " خَالِصًا لَا شَرِكَةَ فِيهِ " .^(٩)

وقرأ الباقر (سَلَمًا) بحذف الألف وفتح اللام على وزن (فَعَل) مصدرًا ثلاثيًا،^(١٠) من: " سَلِمَ لَهُ سَلَمًا "،^(١١) و " سَلِمَ فُلَانٌ لُلهِ سَلَمًا بِمَعْنَى: خَلَصَ لَهُ خُلُوصًا "،^(١٢) والعرب تقول: " قد سلم الشيء لفلان: إذا خلص له "،^(١٣) وتقول أيضًا: " رِيحٌ رِيحًا وَرِيحًا "،^(١٤) وأنشد الزجاج على ذلك قول الشاعر:^(١)

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٤. شرح طيبة النشر، ص ٣٠٤. تحبير التيسير، ص ٥٣٥. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٦٢. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٣٧، ٥٣٨. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ١٩١، ١٩٢.

^٢ سورة الزمر، الآية ٢٩.

^٣ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٤١٩.

^٤ النحاس، إعراب القرآن، ج ٤، ص ٩.

^٥ السجستاني، غريب القرآن، ص ٢٦٨.

^٦ مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج ٣، ص ٦٧٧.

^٧ السجستاني، غريب القرآن، ص ٢٦٨.

^٨ ابن قتيبة، غريب القرآن، ص ٣٨٣.

^٩ ابن خالويه، الحجة، ص ٣٠٩.

^{١٠} الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٤١٩.

^{١١} المصدر نفسه.

^{١٢} الطبري، جامع البيان، ج ٢١، ص ٢٨٤. ابن فورك، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٣١٨.

^{١٣} الأنباري، الزاهر، ج ١، ص ١٠٦.

^{١٤} الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٤١٩.

^١ نسب ابن منظور هذه الأبيات لخفاف بن نُدْبَةَ السُّلَمِيِّ. ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ٤٠٦.

إِذَا الْحَسَنَاءُ لَمْ تَرْحَضْ يَدَيْهَا وَلَمْ يُقْصَرَ لَهَا بَصَرٌ بِسِتْرِ
قَرَوْا أَضْيَافَهُمْ رَبْحًا بِيْحٍ يَعِيشُ بِفَضْلِهِنَّ الْحَيُّ سُمْرٍ

وقيل: هو "الذي لا يُنَازَعُ فِيهِ مِنْ قَوْلِهِمْ: هُوَ لَكَ سَلَمٌ، أَيُّ مُسَلِّمٌ، لَا مُنَازِعَ لَكَ فِيهِ"،^(١) وهو صفة وصف بها على سبيل المبالغة،^(٢) ف " وصف به مبالغة في الخلوص من الشَّرْكَة "،^(٣) وهو نظير قول العرب: " رَجُلٌ صَوْمٌ، وَرَجُلٌ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ "،^(٤) ويجوز أن يكون من باب حذف المضاف أي: " وَرَجُلًا ذَا سَلَمٍ،^(٥) أو هو مصدر أقيم مقام اسم الفاعل،^(٦) نحو: " رَجُلٌ صَوْمٌ وَزَوْرٌ وَفَطْرٌ " أي: صَائِمٌ وَزَائِرٌ وَمَفْطِرٌ "،^(٧)

ويزيد الفارسيّ المسألة وضوحاً فيقول: " ومن قرأ سَلَمًا لِرَجُلٍ احتمل أمرين: أحدهما: أن يكون فعل بمنزلة فاعل مثل: بَطَلٌ وَحَسَنٌ، ونظير ذلك: يَابِسٌ وَيَبِيسٌ، وَوَاسِطٌ وَوَسِيطٌ. ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر؛ لأنَّ السَّلْمَ مصدر، ألا ترى أنَّ أبا عبيدة قال: السَّلْمُ والسَّلْمُ والسَّلْمُ واحد، فيكون ذلك كقولهم: الخَلْقُ، إذا أردت به المَخْلُوقَ، والصَّيْدُ، إذا أردت به المَصِيدُ "،^(٨) وقد كانت القراءة بصيغة المصدر من اختيار أبي حاتم، قال: " هو الذي لا تتنازع فيه "،^(٩) وأمَّا القراءة بصيغة اسم الفاعل فكانت من اختيار أبي عبيدة، قال معلل ذلك: " إنَّما اخترنا سَالِمًا لصحَّة التفسير فيه،

^١ البغوي، معالم التنزيل، ج ٤، ص ٨٧.

^٢ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٩، ص ٤٢٥.

^٣ الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص ٤٨١.

^٤ محيسن، القراءات، ج ١، ص ٥٦٦.

^٥ الزجاج، معاني القرآن، ج ٤، ص ٣٥٢. الواحدي، التفسير الوسيط، ج ٣، ص ٥٨٠.

^٦ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٩، ص ٤٢٥.

^٧ السهيلي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت: ٥٨١هـ)، (١٩٩٢م)، نتائج

الفكر، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ص ٥٨.

^٨ الفارسي، الحجّة، ج ٢، ص ٢٩٧.

^٩ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٨، ص ٢٣٤.

وذلك أنّ السّالم الخالص وهو ضدّ المشترك، وأمّا السّلم فهو ضد المحارب، ولا موضع للحرب ههنا".^(١)

ولذلك لا نعجب إذا ما وجدنا أبا عبيدة يفسّر (سَلِمَ) بـ " الصلّح "، قال: " سَلِمًا خَالِصًا، وَسَلَمًا لِرَجُلٍ أَي: صَلُحًا".^(٢) وقد فنّد التّفسير هذا القول من أبي عبيدة، قال: " وأمّا الذي توهمه من رغب من قراءة ذلك سَلَمًا من أنّ معناه صلحًا، فلا وجه للصلّح في هذا الموضع، لأنّ الذي تقدم من صفة الآخر، إنّما تقدم بالخبر عن اشتراك جماعة فيه دون الخبر عن حربته بشيء من الأشياء، فالواجب أن يكون الخبر عن مخالفته بخلوصه لواحد لا شريك له، ولا موضع للخبر عن الحرب والصلّح في هذا الموضع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التّأويل".^(٣)

(أَسِنٌ)، (أَسِينٌ):^(٤)

قرأ ابن كثير وحده (أَسِينٌ) من قوله تعالى: " فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ"،^(٥) حيث قرأها (أَسِينٌ) على وزن (فَعِلٌ) صفة مشبّهة،^(٦) من: " أَسِنَ الْمَاءُ يَأْسِنُ أَسْنًا فَهُوَ آسِنٌ"،^(٧) وهو: " متغيّر الرّيح والطّعم"،^(٨) قال أبو زيد: " يقال: أَسِنَ الْمَاءُ يَأْسِنُ أَسْنًا، إِذَا تَغَيَّرَ. وَأَسِنَ الرَّجُلُ يَأْسِنُ أَسْنًا، إِذَا غَشِيَ عَلَيْهِ مِنْ رِيحٍ خَبِيثَةٍ، وَرُبَّمَا مَاتَ مِنْهَا"،^(٩) وقال أبو منصور الأزهرّي: " الذي ينزل في البئر التي طال عهد المستقين

^١ المصدر نفسه، ج ٨، ص ٢٣٣.

^٢ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ٢، ص ١٨٩.

^٣ الطبري، جامع البيان، ج ٢١، ص ٢٨٤.

^٤ ابن الجزريّ، متن طبية النّشر، ص ٩٦. شرح طبية النّشر، ص ٣١١. تحبير التيسير،

ص ٥٥٨. النّشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٧٤. النويريّ، شرح طبية النّشر، ج ٢، ص ٥٦١.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٢٣١.

^٥ سورة محمد، الآية ١٥.

^٦ الدميّاطي، إتحاف فضلاء البشر، ص ٥٠٦.

^٧ ابن خالويه، الحجّة، ص ٣٢٨.

^٨ السجستانيّ، غريب القرآن، ص ٧٩. الباوردي، ياقوتة الصراط، ص ٤٦٩.

^٩ الفارسيّ، الحجّة، ج ٦، ص ١٩١.

بها فديراً برأسه. فلا يقال فيه إلا: أسن يأسن فهو أسن. لا غير، بقصر الألف"،^(١)
قال زهير:^(٢)

يُغَادِرُ الْقُرْنَ، مُصْفَرًّا أَنَامِلُهُ يَمِيلُ، فِي الرُّمْحِ، مِيلَ الْمَائِحِ الْأَسْنِ
وقرأ الباقر (أسن) اسم فاعل^(٣) من "أسن الماء يأسن فهو أسن"،^(٤) أي: "لا يتغير"، قاله مقاتل،^(٥) وحكى أبو عبيدة: "الأسن المتغير الريح يقال: قد أسن ماء ركيبتك..."^(٦) وهو قول الزجاج أيضاً،^(٧) وعن ابن قتيبة: هو "المتغير الريح والطعم، والآجن نحوه".^(٨) وقال الفراء: غير أسن معناها: "غير متغير، غير آجن".^(٩)

ومنه حديث العباس - رضي الله عنه - في وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم قال لعمر رضي الله عنه: "خل بيننا وبين صاحبنا فإنه يأسن كما يأسن الناس أي يتغير". وذلك أن عمر كان قد قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمُت، ولكنهُ صَعِقَ كَمَا صَعِقَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنَعَهُمْ عَن دَفْنِهِ".^(١٠)

^١ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ٣٨٦.

^٢ زهير بن أبي سلمى، زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رباح المزني، (١٩٨٨م)، ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له، علي حسن فاعور، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ١٣٠.

^٣ الدمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص ٥٠٦.

^٤ ابن خالويه، الحجّة، ص ٣٢٨.

^٥ مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج ٤، ص ٤٦.

^٦ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ٢، ص ٢١٥.

^٧ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٥، ص ٩. ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٤، ص ١١٨.

^٨ ابن قتيبة، غريب القرآن، ص ٤١٠. ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٤، ص ١١٨.

^٩ الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ٦٠. الزبيدي، تاج العروس، (أسن)، ج ٣٤، ص ١٧٦.

^{١٠} ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج ١، ص ٤٩، ٥٠.

(مُعْجَزِينَ)، (مُعْجَزِينَ):^(١)

اختلف القراء العشرة في قراءة (مُعْجَزِينَ) حيثما وردت في الذكر الحكيم، وهي في المواضع الآتية:

- ١- قوله تعالى: " وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجَزِينَ " (٢).
- ٢- وقوله جل ثناؤه: " وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجَزِينَ " (٣).
- ٣- وقوله جل في علاه: " وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجَزِينَ " (٤).

فقرأ ابن كثير وأبو عمرو (مُعْجَزِينَ) بتشديد الجيم من غير ألف على وزن (مُفْعَلِينَ) اسم فاعل مضَعَّف العين، يراد به التكثير،^(٥) وهو من قولهم: معناه " مُبْطِئِينَ يُبْطِئُونَ النَّاسَ عَنِ اتِّبَاعِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "، فسره مجاهد،^(٦) وهو قول ابن الزبير أيضاً،^(٧) وقيل: " مُبْطِئِينَ "،^(٨) " يَبْطِئُونَ النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ " (٩).

وقرأ الباقر (مُعْجَزِينَ) بإثبات الألف وتخفيف الجيم على وزن (مُفَاعِلِينَ) اسم فاعل من عَاجَزَ يُعَاجِزُ فهو مُعَاجِزٌ، يقال: " عَاجَزَ فُلَانٌ: حِينَ ذَهَبَ فَلَمْ يُقَدِّرْ "

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٧. شرح طيبة النشر، ص ٢٨٢. تحبير التيسير، ص ٤٧٢. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٢٧. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٦٥. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٧٠.

^٢ سورة الحج، الآية ٥١.

^٣ سورة سبأ، الآية ٥.

^٤ سورة سبأ، الآية ٣٨.

^٥ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٨، ص ٢٩١.

^٦ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٥، ص ٤٤١. الطبري، جامع البيان، ج ١٨، ص ٦٦٢. مجاهد، تفسير مجاهد، ص ٤٨٣.

^٧ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٥، ص ٤٤١.

^٨ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٢٢٩.

^٩ السمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ٧٩.

عليه"، (١) معناه: "معاندين"، (٢) "مغالبيين مشاققين"، (٣) "متأنفين"، (٤) "يظنون أنهم يُعجزوننا فيسبقوننا حتى لا نقدر عليهم فنعدبهم"، فسرّه الحسن؛ (٥) لأنهم "ظنوا أنهم لا يُبعثون، وأنه لا جنة ولا نار"، قاله قتادة، (٦) وأبو إسحاق الزجاج، (٧) وقال أبو عبيدة: "معجزين أي مسابقين"، (٨) "جادين في الصّرف عن آياتنا"، حكاه أبو هلال العسكري، (٩) "ليسبق كل واحد منهم بالتكذيب". (١٠)

والأصل الاشتقائي لـ (مُعْجِزِينَ وَمُعَاجِزِينَ) هو (عَجَزَ)، المادة من (عاجزه) إذا سبقه فسبقه، وأصله يستعمل في سابق الخيل، لأن كل واحد من المتسابقين يحاول سبق غيره، وإظهار عجزه عن اللحاق به، ثم استعمل في المتخاصمين لأن كل واحد يحاول إعجاز الآخر وإبطال حجته. (١١) وربما كان المقام يتجه نحو معنى الفَوْتُ والسَّبْقُ، يقال: "الإعجاز الفَوْتُ والسَّبْقُ، يُقَالُ: أَعْجَزَنِي فُلَانٌ أَي فَاتَنِي؛ وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَعَشَى: (١٢)

فَذَاكَ وَلَمْ يُعْجِزْ مِنْ الْمَوْتِ رَبَّهُ وَلَكِنْ أَتَاهُ الْمَوْتُ لَمْ يَتَأَبَّقْ
وَقَالَ اللَّيْثُ: أَعْجَزَنِي فُلَانٌ إِذَا عَجَزْتَ عَنْ طَلْبِهِ وَإِدْرَاكِهِ". (١) وفي ذلك يقول
الواحدي: "مَعْنَى الْإِعْجَازِ الْمَنْعُ مِنْ تَحْصِيلِ الْمُرَادِ. يُقَالُ أَعْجَزَنِي فُلَانٌ أَي مَنَعَنِي

^١ الفراهيدي، كتاب العين، (عجز)، ج ١، ص ٢١٥.

^٢ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٢٢٩.

^٣ هذا قول ابن عباس، الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٧، ص ٢٩.

^٤ هذا قول الأخفش، الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٧، ص ٢٩.

^٥ ابن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز، ج ٣، ص ١٨٥.

^٦ الواحدي، التفسير الوسيط، ج ٣، ص ٢٧٦.

^٧ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٣، ص ٤٣٣.

^٨ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ٢، ص ١٤٢.

^٩ أبو هلال العسكري، الوجوه والنظائر، ص ٢٤٩.

^{١٠} السمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ٧٩.

^{١١} البيضاوي، أنوار التنزيل، ج ٤، ص ٧٥. الديمياطي، إتحاف فضلاء البشر، ص ٤٠٠.

^{١٢} الأعشى، الديوان، ص ٢١٧.

^١ الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١، ص ٢١٩. ابن منظور، لسان العرب، (عجز)، ج ٥، ص ٣٧٠.

عَنْ مُرَادِي، وَمَعْنَى مُعْجَزِينَ فِي الْأَرْضِ أَي لَّا يُمَكِّنُهُمْ أَنْ يَهْرُبُوا مِنْ عَذَابِنَا فَإِنَّ هَرَبَ الْعَبْدِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مُحَالٌ، لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَادِرٌ عَلَى جَمِيعِ الْمُمْكِنَاتِ، وَلَا تَتَفَاوَتْ قُدْرَتُهُ بِالْبُعْدِ وَالْقُرْبِ وَالْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ". (١)

ويبسّط لنا الماوردي آراء العلماء في تفسير هاتين القراءتين، فيذكر أنّ القراءة بالتخفيف " (معجزين) فيها أربعة أوجه: " أحدها: مثبطين لمن أراد اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قول السدي. والثاني: مثبطين في اتباع النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قول مجاهد. والثالث: مكذابين، حكاه ابن شجرة. والرابع: معجزين لمن آمن بإظهار تعجيزة في إيمانه. ومن قرأ {مُعْجَزِينَ} ففي تأويله أربعة أوجه: أحدها: مشاققين، قاله ابن عباس. والثاني: متسارعين، حكاه ابن شجرة. والثالث: معاندين، قاله قطرب. والرابع: مُعْجَزِينَ يظنون أنهم يُعْجِزُونَ الله هرباً، قاله السدي". (٢)

(مُؤْمِنًا)، (مُؤْمِنًا): (٣)

قرأ أبو جعفر بخلف عنه (مؤمنًا) من قوله تعالى: " وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا"، (٤) (مُؤْمِنًا) بفتح الميم الثانية، اسم مفعول، (٥) "من آمنه، أي: لا نؤمّنك"، (١) " في نفسك"، (٢) وقيل: هي من " أَمَنْتُهُ إِذَا أَجْرْتَهُ فَهُوَ مُؤْمِنٌ". (٣)

^١ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٧، ص ٣٣٣.

^٢ الماوردي، النكت والعيون، ج ٤، ص ٣٣، ٣٤.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧١. شرح طيبة النشر، ص ٢١٦. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٥١. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٧٥. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١٥٧.

^٤ سورة النساء، الآية ٩٤.

^٥ العكبري، إملاء ما من به الرحمن، ج ١، ص ١٩١. الدميّطي، إتخاف فضلاء البشر، ص ٢٤٥.

^١ الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٥٥٢.

^٢ السمين الحلبي، الدرّ المصون، ج ٤، ص ٧٥.

^٣ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ٣٣٨.

وقرأ الباقر (مؤمنًا) بكسر الميم الثانية (وهو الوجه الثاني لأبي جعفر) على أنها اسم فاعل،^(١) من الإيمان، والمعنى: " لَيْسَ لِإِيْمَانِكَ حَقِيْقَةً أَنَّكَ أَسْلَمْتَ خَوْفًا مِنْ الْقَتْلِ ".^(٢)

(مُبَيَّنَةٌ، مُبَيَّنَاتٍ)، (مُبَيَّنَةٌ، مُبَيَّنَاتٍ):^(٣)

وقد كانت هاتان القراءتان مضماراً للتعدّد والاختلاف بين القراء العشرة، فقد اتفق شعبة وابن كثير أن يقرأ (مبينة) حينما وقعت في القرآن الكريم بفتح الياء المشدّدة، اسم مفعول^(٤) معناه "المُظْهِرَةُ"،^(٥) " يبيّن فحشها، فهي مبيّنة، ومبيّنة: فاحشة: بيّنت فحشها فهي مبيّنة ".^(٦) وقد وقعت في ثلاثة مواضع وهي:

١- في قوله تعالى: " إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ".^(٧)

٢- في قوله عز من قائل: " مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ".^(٨)

٣- وفي قوله جلّ ثنائه: " وَلَا يَخْرُجَنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ ".^(٩)

وقرأ الباقر (مبيّنة) حينما وقعت بكسر الياء المشدّدة، اسم فاعل^(٢) من " أبانت بمعنى تبينت أو بينت"،^(٣) أي: هي الظاهرة،^(٤) "مُتَبَيَّنَةٌ"،^(٥) "بينة في نفسها ظاهرة"،^(٦) فهي " مكشوفة مُظْهِرَةٌ"،^(٧) "تُبَيِّنُ حَالَ مُرْتَكِبِيهَا"،^(٨) قال ذو الرّمّة:^(٩)

^١ الدميّاطي، إتحاف فضلاء البشر، ص ٢٤٥.

^٢ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٤، ص ٣٢.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٠. شرح طيبة النشر، ص ٢١٤. تحبير التيسير،

ص ٣٣٧. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٤٨. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٦٦،

٢٦٧. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١٤٧.

^٤ الدميّاطي، إتحاف فضلاء البشر، ص ٢٣٩.

^٥ النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، (ت: ٧١٠هـ)،

(١٣١١هـ)، طلبية الطلبة، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد، ص ٥٥.

^٦ الفارسي، الحجّة، ج ٣، ص ١٤٦.

^٧ سورة النساء، الآية ١٩.

^٨ سورة الأحزاب، الآية ٣٠.

^٩ سورة الطلاق، الآية ١.

تُبَيِّنُ نِسْبَةَ الْمَرْيِّ لَوْمًا كَمَا بَيَّنَّتْ فِي الْأَدَمِ الْعَوَارًا

ومن جهة ثانية اتفق نافع وأبو جعفر وابن كثير وشعبة وأبو عمرو ويعقوب على قراءة (مُبَيِّنَاتٍ) بفتح (الياء) حيثما وقعت في القرآن الكريم، على أنها اسم مفعول وقد وقعت في ثلاثة مواضع وهي:

١- في قوله تعالى: " وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ " (٩)

٢- وفي قوله جلّ في علاه: " لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ " (١٠)

٣- وقوله تعالى: " رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ " (١١)

وهي على معنى: " أن الله قد بيّنها، والعرب تقول: " بَيَّنْتُ الشَّيْءَ فَبَيَّنَ، أي:

تَبَيَّنَ. لازم ومتعدّد، ومثله: قدمته فقدم، أي: تقدم. ونورته فنور " (١)

وقرأ الباقر (مبيّنات) حيثما وردت في التنزيل بكسر الياء المشدّدة اسم فاعل

معناه: " مُفَصَّلَاتٍ "، (٢) " مُتَبَيِّنَاتٍ "؛ (٣) فـ " يبينها من يدعيها ويوضحها "، (٤) قال

^١ الدميّاطي، إتحاف فضلاء البشر، ص ٢٣٩.

^٢ الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٤٩٣.

^٣ النسفي، طلبه الطلبة، ص ٥٥.

^٤ ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ٦٧. الزبيدي، تاج العروس، (بين)، ج ٣٤، ص ٢٩٨.

^٥ ابن سيده، إعراب القرآن، ج ٣، ص ٢٤٢.

^٦ الأزهرّي، معاني القراءات، ج ١، ص ٢٩٨.

^٧ العكبري، التبيان، ج ١، ص ٣٤١.

^٨ ذو الرّمة، غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدويّ، أبو الحارث، ذو الرّمة، ت: (٥١١٧)،

(٢٠٠٦م)، ديوان ذي الرّمة، اعتنى به وشرح غريبه: عبد الرحمن المصطاوي، ط ١، دار

المعرفة، بيروت، ص ٩٩.

^٩ سورة النور، الآية ٣٤.

^{١٠} سورة النور، الآية ٤٦.

^{١١} سورة الطلاق، الآية ١١.

^١ الأزهرّي، معاني القراءات، ج ١، ص ٢٩٨.

^٢ ابن خالويه، الحجّة، ص ١٢١.

^٣ الأزهرّي، معاني القراءات، ج ١، ص ٢٩٨.

^٤ ابن سيده، إعراب القرآن، ج ٣، ص ٢٤٢.

سيبويه: " أبان الشيء نفسه وأبنته، واستبان واستبنته، والمعنى واحدٌ، وذا ههنا بمنزلة حزن وحزنته في فعلت، وكذلك بين وبينته"،^(١) قال الفراء: " فمن قالَ (مُبَيِّنَاتٍ) جعل الفعل واقعاً عليهنَّ، وقد بيَّنهن الله وأوضحهنَّ (ومبيِّنَاتٍ): هاديات واضحات"،^(٢) يقال: " آية مُبَيِّنَةٌ اعتباراً بمن بيَّنهما، وآية مُبَيِّنَةٌ اعتباراً بنفسها".^(٣)

^١ سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٦٣. الفارسيّ، الحجّة، ج ٣، ص ١٤٥.

^٢ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٢٥١.

^٣ الرّاعب الأصفهانيّ، المفردات، ص ١٥٧.

الفصل الرابع

في البنية الدلالية للأفعال (معاني الزيادة)

١.٤ مدخل

ميّزت العربية في نظامها الصّرفيّ بين زمرتين من الأفعال: فهناك فصيلة الأفعال المجرّدة، وفصيلة الأفعال المزيّدة،^(١) وكان سبيلها للفصل بين هاتين المجموعتين هو ناموس الأصالة والزيادة، فالفعل المجرّد: هو ما كانت حروفه أصليّةً تدور في تصاريفه كلّها أو جلّها بثبات، والمزيد: هو ما زيد فيه حرف أو أكثر على حروف الأصل.^(٢)

الفعل المجرّد:

والفعل المجرّد في العربية إمّا ثلاثيّ أو رباعيّ. ويأتي الثلاثيّ باعتبار ماضيه على ثلاثة أبنية:^(٣) هي: (فَعَلَ) و(فَعِلَ) و(فَعُلَ)، ويأتي باعتبار مضارعه على ستة أوزان، " تسمى الأبواب، وكلّها سماعي"،^(٤) وأمّا الفعل الرباعيّ المجرّد فله بناءً واحد هو: (فَعَّلَ)،^(٥) و" لا تدرك مصادر الفَعْل الثلاثي إلّا بالسَّماع".^(٦)

ولم تزد العربية على الرباعيّ أفعالاً؛ وذلك " أنّ الأفعال لم تكن على خمسة أحرف كلّها أصول؛ لأنّ الزوائد تلزمها للمعاني، نحو حروف المضارعة، وتاء المطاوعة في تَدَحْرَجَ، وألف الوصل والنون في: نحو اِحْرَنْجَمَ، فكرهوا أن يلزمها

(١) المراديّ، توضيح المقاصد والمسالك، ج ٣، ص ١٥١٦.

(٢) الحملويّ، شذا العرف، ص ٢١.

(٣) ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائيّ الجباليّ، أبو عبد الله، جمال الدين،

(ت: ٦٧٢ هـ)، (٢٠٠٢م)، إيجاز التعريف في علم التصريف، تحقيق: محمد المهدي عبد

الحي عمار سالم، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية

السعودية، ط ١، ص ٦٧.

(٤) الشمريّ، أبنية الصرف، ص ١١.

(٥) المراديّ، توضيح المقاصد والمسالك، ج ٣، ص ١٥١٨.

(٦) السيوطيّ، همع الهوامع، ج ٣، ص ٣٢٣.

ذلك على طولها"،^(١) وقد لاحظ الصرّفيون أنّ الفعل الثلاثي المجردّ ذو دلالات متعدّدة؛ لذلك لم يشغلوا أنفسهم بجمعها واستقصائها، بل نظروا إليها نظرة عامّة تشمل معانيها المختلفة،^(٢) قال صاحب شرح الشافية: " اعلم أنّ باب فعلٍ لخفته لم يختص بمعنى من المعاني، بل استعمل في جميعها، لأنّ اللفظ إذا خف كثر استعماله واتّسع التّصرف فيه ".^(٣)

ومما يلاحظ على هذه المعاني أنّها تتعلّق بدلالات الألفاظ المعجميّة، وليس بالمعنى الصرّفِيّ للبنية أو الصّيغة، ومن ذلك قولهم: إنّ (فعل) تحمل معنى الجمع نحو جَمَعَ وحَشَرَ وحَشَدَ، أو معنى التّفريق، نحو: بَدَرَ وقَسَمَ، أو معنى الإعطاء، نحو مَنَحَ ونَحَلَ، ويأتي بناء (فعل) للدلالة على الصّفات الملازمة، نحو: " ذَرَبَ لسانه ويَلِجَ جبينه، أو للدلالة على عرض، نحو جَرِبَ وعَرِجَ أو على غير ذلك ممّا يصعب حصره".^(٤)

الفعل المزيد:

ويتخذ الفعل المزيد في العربيّة أبنية مخصوصة تتشكّل بزيادات معلومة تزداد على بنيته المجردّة، وتتوّع أبنية الفعل بهذه الزيادة، وينجم عن هذا التّوّع تنوّع في الدلالة المستفاد بها. ومعروف أنّ هذه الأفعال: عَرَفَ، عَرَّفَ، تَعَارَفَ، وإن كانت تلتقي على مادّة أصليّة واحدة، فإنّها سرعان ما تفرّق في دلالتها على أنحاء مخصوصة، كثيراً ما يلاحظها أبناء الكفاية في استحضارهم لهذه الأفعال في مواقفهم التّداوليّة بما يتأتّى لهم من الكفاية اللّغويّة.

وقد استخلص الصرّفيون المعاني المستفادة من هذه الزيادات باستقصاء أبنية الأفعال المزيدة، وملاحظة اختلاف المعاني المستفادة بين الأصل المجردّ وكلّ صيغة مزيدة، واصطفوا ذلك في معانٍ وجدوها تستفاد بكلّ صيغة.

(١) ابن جنّي، المنصف، ص ٢٩. الشّمريّ، أبنية الصرف، ص ١٠، ١١.

(٢) الشّمريّ، أبنية الصرف، ص ١١.

(٣) رضي الدين الاسترأبادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج ١، ص ٧٠.

(٤) ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج ٤، ص ٢٦٢.

وسيكون موضوع هذا الفصل من الدراسة المعاني الصرفية التي يترشحها الفعل الثلاثي في العربية جرّاء إلحاقه بإحدى حروف الزيادة، وسيركز الدرس على الزيادات التي وردت بها القراءات العشرة على التعيين.

أولاً: في زيادة الهمزة (أفعل):

والهمزة هي أكثر حروف الزيادة استعمالاً في العربية وأوسعها دوراناً على صدر الكلم،^(١) وقد زيدت الهمزة على الفعل الثلاثي ليدلّ بها على معانٍ خاصة يستزفها ابن الكفاية في توصله التداولي، وهي لاحقة تصريفية تلتصق بالفعل الثلاثي الصحيح فتسكن فاءه، ليصاغ على وزن (أفعل)، وهذا الوزن الأخير يطلبه غير باب صرفي؛^(٢) فهو أحد صيغ جمع التّكسير، وبه يصاغ الفعل المضارع المسند لضمير المتكلم؛ ولذلك بنته العربية على الفتح لتفرقه عن الفعل المضارع^(٣) من جهة، وجعلت همزته همزة قطع ليمّاز عن فعل الأمر (أفعل) من جهة أخرى؛^(٤) ولعلّ هذا الوجه الأخير هو السرّ - كما يزعم الرّماني - وراء تسميتها بهمزة القطع، قال: " وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ قَطْعًا لِأَنَّهَا تَقْطَعُ فِي الأَمْرِ وَفِي اللّاسْتِنَافِ وَفِي الوَصْلِ وَلَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الأَلْفَاتِ تَقْطَعُ غَيْرَهَا لِأَنَّكَ تَثَبَّتْهَا فِي دَرَجِ الكَلَامِ نَحْوَ يَا زَيْدَ أَكْرَمِ عَمْرًا، وَأَمَّا غَيْرَهَا فَتَسْقُطُ فِي دَرَجِ الكَلَامِ إِذَا أَمَرْتَ ".^(٥)

وقد لجأت العربية إلى زيادة الهمزة على الفعل الماضي المجرد طلباً لدلالات صرفية مخصوصة يؤدّيها بناؤه الثلاثي عند إطالة بنيته. وستتكلّف السطور الآتية بذكر الدلالات الصرفية التي وردت بها القراءات العشرة بزيادة الهمزة على التعيين.

(١) ابن جني، المنصف، ص ١٠٠.

(٢) الشمري، أبنية الصرف، ص ٢١.

(٣) ابن الوراق، محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الوراق، (ت: ٣٨١هـ)، (١٩٩٩م)، علل النحو، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، ط ١، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية، ص ١٤٨.

(٤) ابن الوراق، علل النحو، ص ٥٥٩، ٥٦٠.

(٥) الرماني، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي، (ت: ٣٨٤هـ) رسالة منازل الحروف، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، ص ٢٤.

١- التَّعْدِيَّة: ولعلَّ من النَّافل المعروف أنَّ الأفعال في العربيَّة تنقسم من حيث التَّعدي واللَّزوم إلى ضربين: الأوَّل فعل متعَدِّ بنفسه: وهو الذي يطلب المفعول به فينصبه دون واسطة، نحو: ضَرَبْتُ زَيْدًا وَكَلَّمْتُ عَمْرًا.^(١) وأمَّا الضَّرْبُ الثَّانِي من الأفعال فهو الفعل اللَّازِمُ^(٢) أو القاصر،^(٣) وهو ما لزم فاعله فلم يتعدَّى تأثيره فيعمل في المفعول به، " بل يبقى في نفسِ فاعله "؛^(٤) وهذا هو سرُّ تسميته قاصراً؛ "لقصوره على الفاعل"؛^(٥) ولذلك ابتدعت اللُّغة عناصر مخصوصة هيأت للفعل اللَّازِم أن يتعدَّى إلى المفعول به، وهي سبعة أشياء أجملها ابن مالك في ألفيته،^(٦) وبسطها ابن هشام في (مغني اللبيب).^(٧) وتعدُّ الزيادة بالهمزة لمعنى التَّعديَّة هي من أكثر معاني هذا الباب اتِّساعاً،^(٨) ويقصد الصَّرْفِيُّون بالتَّعديَّة: أن تتحوَّل جهة تسلُّط الحدث إلى المفعول به بعد أن كانت تختص بالفاعل؛ فـ " يصير ما كان فاعلاً للفعل الثلاثي مفعولاً لأفعل، موصوفاً بأصل الفعل "؛^(٩) ولذلك سميت بهمزة النُّقل؛^(١٠) لأنها تنقل معنى الفعل إلى

(١) ابن جنِّي، اللَّمع في العربيَّة، ص ٥١.

(٢) ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج ٢، ص ١٥٠.

(٣) ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، (ت: ٧٦١هـ)، (١٩٨٥)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط ٦، دار الفكر، دمشق، ص ٦٦.

(٤) الغلابيني، جامع الدروس العربيَّة، ج ١، ص ٤٦.

(٥) الصبان، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، (ت: ١٢٠٦هـ)، (١٩٩٧م)، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك، ط ١، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ج ٢، ص ١٢٧.

(٦) ابن مالك، ألفية ابن مالك، ص ٢٧.

(٧) ابن هشام، مغني اللبيب، ص ٦٧٨ - ٦٩٢.

(٨) ابن جنِّي، المنصف، ص ١٠٠.

(٩) ركن الدين الإسترابادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج ١، ص ٢٤٩.

(١٠) ابن جنِّي، الخصائص، ج ١، ص ٣٤٢.

المفعول به،^(١) " فصار الفاعل مفعولاً بعد إسناد الفعل إلى غيره "،^(٢) فما كان فاعلاً للفعل اللازم يغدو مفعولاً به في معنى الجعل وهو في الوقت نفسه فاعل لأصل الحدث على ما كان عليه فهو وإن كان مفعولاً للجعل فاعل من ناحية المعنى،^(٣) قال سيبويه: " باب افتراق فَعَلْتَ وَأَفْعَلْتَ في الفعل للمعنى: تقول: دَخَلَ وَخَرَجَ وَجَلَسَ. فإذا أُخبرت أن غيره صيره إلى شيء من هذا قلت: أَخْرَجَهُ وَأَدْخَلَهُ وَأَجْلَسَهُ. وتقول: فَزِعَ وَأَفْرَعْتَهُ، وَخَافَ وَأَخْفَتَهُ، وَجَالَ وَأَجَلَّتَهُ، وَجَاءَ وَأَجَأْتَهُ؛ فأكثر ما يكون على فعل إذا أردت أن غيره أدخله في ذلك يبني الفعل منه على أَفْعَلْتَ "،^(٤)

وبناءً على ذلك يمكن القول إن إلحاق الهمزة بالفعل الثلاثي يتمخض عنه دالتين: صرفية وتركيبية؛ فهو من جهة المبنى قد أصبح رباعياً، وصار ببنيته الحادثة يطلب مفعولاً به، وهذه الأخيرة أكسبت التركيب الجملي معنى نحويًا، فغيرت في بنية التركيب الإسنادية الجوانية (العميقة) دون أن تمسّ البنية السطحية البرانية للجملة؛ أي على مستوى المعنى، " فمعنى (أذهبت زيدا) جعل زيدا ذاهباً، فزيد مفعول لمعنى الجعل الذي استفيد من الهمزة فاعل للذهاب كما كان في ذَهَبَ زيد، فإن كان الفعل الثلاثي غير متعدّ صار بالهمزة متعدياً إلى واحد هو مفعول لمعنى الهمزة - أي: الجعل والتصيير - كأذهبته، ومنه أعظمت: أي جعلته عظيماً باعتقادي، بمعنى استعظمته، وإن كان متعدياً إلى واحد صار بالهمزة متعدياً إلى اثنين أولهما مفعول الجعل والثاني لأصل الفعل، نحو: أحفرت زيدا النهر: أي جعلته حافراً له، فالأول مجعول، والثاني محفور، ومرتبة المجعول مقدّمة على مرتبة مفعول أصل الفعل، لأنّ فيه معنى الفاعلية".^(٥)

وإذا كان جمهور الصّرفيين قد ساووا بين مصطلحي النّقل والتّعدية، فإنّ من العلماء من فرّق بينهما؛ فرأى النّقل يختصّ بالجانب الشّكليّ لبنية الكلمة في حين

(١) ابن مالك، شرح الكافية الشافية، ج ٢، ص ٥٧٤.

(٢) ابن الصائغ، اللّحة في شرح الملحّة، ج ١، ص ٥١١.

(٣) النّماس، بحث في صيغة أفعل، ص ٢٢٦.

(٤) سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٥٥. النّماس، بحث في صيغة أفعل، ص ٢٢٧.

(٥) رضي الدين الاسترآبادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج ١، ص ٨٦.

تتعلّق التّعديّة بالدّلالة الصّرفيّة لها؛ فالحاقّ الهمزة بالكلمة يغيّر من شكلها البنائي؛ فبعد أن كانت ثلاثيّة الصّيغة صارت بإلصاق الهمزة رباعيّة المبنى.

وهذا التحوّل الحادث في البنية التصريفية للكلمة لا يتبعه بالضرورة تغيير في الدّلالة الصّرفيّة لها، قال المالقيّ في تعريفه للنقل: " ومعنى ذلك أنّها تنقل الفعل من الثلاثي إلى الرباعي فإن كان متعدّياً في أصله بقي كذلك بعد النقل، فالهمزة لا تفيد فيه شيئاً سوى النّقل خاصّة، وقد ينطق بثلاثيه وقد لا ينطق، نحو: أشكل الأمر، فهذا لا ينطق بثلاثيه، وإن كان الأصل من حيث إنّ حروفه أصول ووزن أشكلَ (أفعل) فالهمزة زائدة لمجرّد النقل، وتقول: لاح البرق والأح، فهذا ينطق بثلاثيه قبل الهمزة وهو غير متعد، وتدخل الهمزة عليه فيبقى كذلك فيعلم أنّ الهمزة لا معنى لها فيه إلا مجرد النقل خاصة". (١)

٢- الصّيرورة: ويقصد بها أن " يصير الفاعل منسوباً إلى ما اشتق منه ذلك الفعل" (٢) نحو: " أَطْفَلَتِ الْمَرْأَةُ إِذَا صَارَ لَهَا طِفْلٌ "، (٣) و" أَغَدَّ الْبَعِيرُ؛ أَي: صار ذا غُدَّة "، (٤) و" أَحْصَدَ الزَّرْعُ؛ أَي: صار ذا حِصَادٍ "، (٥)

ويجوز أن تكون الصّيرورة لمعنى تصيير الفاعل منسوباً إلى شيء ليس بمشتق منه ، نحو: " أَجْرَبَ الرَّجُلُ: أَي صار ذا إيل ذات جرب، وأقطف: أي صار صاحب خيل تقطف"، (٦) و" أَخْبِثَ: أَي صار ذا أصحاب خبثاء، وألام: أي صار صاحب قوم يلومونه". (١)

(١) المالقي، أحمد بن عبد النور المالقي (٥٧٠٢هـ)، رصف المباني في شرح حروف المعاني، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ص ٤٩.

(٢) ركن الدين الاسترأبادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج ١، ص ٢٥٠.

(٣) أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص ١٧٨. النّماس، بحث في صيغة أفعل، ص ٢٣١.

(٤) الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، ص ٣٧٣. الأشموني، شرح الأشموني، ج ٢، ص ٢٦٤.

(٥) الأزهرّي، شرح التصريح على التوضيح، ج ٢، ص ٦٠.

(٦) رضي الدين الاسترأبادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج ١، ص ٨٨.

٣- الجَعَلَ: ومثاله قول بعض العرب: " أَفْتَنْتُ الرَّجُلَ وَأَحْزَنْتُهُ وَأَرْجَعْتُهُ وَأَعَوَّرْتُ عَيْنَهُ، أَرَادُوا جَعَلْتُهُ حَزِينًا وَفَاتِنًا"،^(١) قال رضي الدين الاسترأبادي موضحاً ذلك: " فأصل معنى أحزنته جعلته حزينا، كأذهبته وأخرجته، وأصل معنى حَزَنْتُهُ: جعلت فيه الحزن وأدخلته فيه، ككحلتُهُ وَدَهَنْتُهُ: أي جعلت فيه كحلاً ودهناً، والمغزى من أحزنته وَحَزَنْتُهُ شيء واحد، لأن مَنْ أَدَخَلْتِ فِيهِ الْحَزْنَ فَقَدْ جَعَلْتَهُ حَزِينًا، إِلَّا أَنْ الْأَوَّلَ يَفِيدُ هَذَا الْمَعْنَى عَلَى سَبِيلِ النُّقْلِ وَالتَّصْيِيرِ لِمَعْنَى فَعَلَ آخِر - وَهُوَ حَزَنَ - دُونَ الثَّانِي ".^(٢)

٤- فَعَلَ وَأَفْعَلَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ: وَتَمَثَّلَ هَاتَانِ الصِّيغَتَانِ ظَاهِرَةً لِعَوِيَّةٍ كَثِيرَةٍ الدَّوْرَانِ فِي الْعَرَبِيَّةِ حَتَّى إِنَّا نَجِدُ مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ وَالتَّصْرِيفِ قَدْ أَفْرَدُوا لَهَا أَبْوَابًا خَاصَّةً فِي تَصَانِيفِهِمْ،^(٣) بَلْ إِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ جَعَلُوهَا عُنْوَانًا لِمَوْلَفَاتِهِمْ مُؤَنِّدِينَ بِعَظْمِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ وَاتِّسَاعِهَا فِي الْعَرَبِيَّةِ، وَقَدْ تَعَدَّدَتْ آرَاءُ الْعُلَمَاءِ فِي تَوْجِيهِ هَذِهِ الظَّاهِرَةِ بَيْنَ مَنْ يَثْبُتُ تَرَادُفَ (أَفْعَلَ وَفَعَلَ) وَيَبِينُ مِنْ يَذْهَبُ إِلَى أَنَّهُمَا صِيغَتَانِ مُتَغَايِرَتَانِ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَعْنَى بِرَأْسِهِ.^(٤)

٢.٤ في زيادة الهمزة:

(مَا نُنْسَخُ)، (مَا نُنْسَخُ):^(٥)

قرأ ابن عامر (مَا نُنْسَخُ) من قوله تعالى: " مَا نُنْسَخُ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلُهَا "^(١) بضمّ النون الأولى وكسر السين، من أنسخ، قال مكي: " جعله رباعياً من "أنسخت الكتاب" على معنى: وجدته منسوخاً، مثل: أحمدت الرجل،

(١) سيبويه، الكتاب، ج٤، ص٥٧.

(٢) رضي الدين الاسترأبادي، شرح شافية ابن الحاجب، ج١، ص٨٧.

(٣) من هؤلاء ابن قتيبة في أدب الكاتب، وابن السكيت في إصلاح المنطق، وابن سيده في المخصص، وابن القطاع في الأفعال. والنماس، بحث في صيغة أفعل، ص٢٣٧، ٢٦٥.

(٤) راجع في تفصيل هذه المسألة بحث في صيغة أفعل لمصطفى أحمد النماس.

^٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص٦٤. شرح طيبة النشر، ص١٨٢. النشر في القراءات، ج٢، ص٢١٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج٢، ص١٧٦. محيسن، الهادي، ج٢، ص٤٤.

^١ سورة البقرة، الآية ١٠٦.

وجدته محموداً، وأبخلت الرجل، وجدته بخيلاً، ولا يجوز أن يكون (أنسخت) بمعنى نسخت إذ لم يسمع ذلك، ولا يحسن أن تكون الهمزة للتعدّي، لأنّ المعنى يتغيّر ويصير المعنى: ما نسختك يا محمد من آية، وإنساخه إياها إنزالها عليه، فيصير المعنى: ما نزل عليك من آية أو ننسخها نأت بخير منها، يؤوّل المعنى إلى أن كل آية أنزلت أتي بخير منها، فيصير القرآن كلّهُ منسوخاً، وهذا لا يمكن، لأنّه لم ينسخ إلاّ اليسير من القرآن،... وامتنع أن تكون الهمزة للتعدّي، لفساد المعنى، لم يبق إلاّ أن يكون من باب "أحمدته وأبخلته" وجدته محموداً وبخيلاً" (١).

وقرأ الباقون ومعهم هشام من طريق الدّاجونيّ (مَا نَنسَخُ) بفتح النون والسين، على أنه مضارع نَسَخَ الثلاثي، " على معنى: ما نرفع من حكم آية ونبقي تلاوتها نأت بخير منها لكم أو مثلها. ويحتمل أن يكون المعنى: ما نرفع من حكم آية وتلاوتها، أو ننسكها يا محمد فلا تحفظ تلاوتها نأت بخير منها أو مثلها." (٢)

(يَذْهَبُ)، (يَذْهَبُ): (٣)

قرأ أبو جعفر وحده (يَذْهَبُ) من قوله تعالى: " يَكَاذُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ " (٤) بضمّ الياء وكسر الهاء على وزن (يُفْعَلُ)، من أَذْهَبَ يَذْهَبُ، أي: أزال، (١) والهمزة هنا للتعدية؛ إذ الفعل في الأصل لازم، (٢) وقرأ الباقون (يَذْهَبُ) بفتح الياء والهاء، على وزن (يُفْعَلُ)، من ذَهَبَ يَذْهَبُ، والباء للتعدية. (٣)

وقد كانت قراءة أبي جعفر هذه من المسائل الخلافية التي تعددت آراء العلماء في توجيهها، وهي تدور في مجملها حول القول في تفسير اجتماع الهمزة والباء في

^١ مكي، الكشف، ج ١، ص ٢٥٧.

^٢ المصدر السابق.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٨. شرح طيبة النشر، ص ٢٨٦. تحبير التيسير، ص ٤٨٢. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٣٢. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٧٧.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٨٩.

^٤ سورة النور، الآية ٤٣.

^١ ابن منظور، لسان العرب، (ذهب)، ج ١، ص ٣٩٣.

^٢ الفارسي، الحجّة، ج ١، ص ٢٣٨. الفيومي، المصباح المنير، (ذهب)، ج ١، ص ٢١٠.

^٣ الفيومي، المصباح المنير، (ذهب)، ج ١، ص ٢١٠.

سياق واحد، قال الفراء: "ومن شأن العرب أن تقول: أذهبت بصره بالألف إذا أسقطوا الباء. فإذا أظهروا الباء أسقطوا الألف من أذهبت"،^(١) وذكر أبو إسحاق الزجاج أن هذه القراءة ضعيفة؛ لأنها تخالف ما أَلَّف في لسان العرب، ولكنه لم يرفضها، قال: " وقرأ أبو جعفر المدني: يُذْهِبُ بِالْأَبْصَارِ، ولم يقرأ بها غيره، ووجهها في العربية ضعيف، لأن كلام العرب: ذَهَبْتُ بِهِ وَأَذْهَبْتُهُ. وتلك جائزة أيضاً - أعني الضم - في الياء في يُذْهِبُ ".^(٢)

ولم يقف الأمر عند حدّ تضعيف القراءة أو تجويزها على قلة، إنما وصل الحال ببعض العلماء أن تجرّؤوا على هذه القراءة المتواترة ونعوتها بالخطأ واللحن، وعلى رأس هؤلاء أبو الحسن الأخفش وتلميذه أبو حاتم السجستاني فقد روى عنه النحاس أنه يجوز " دخل بالمدخل ولا يجيز ههنا أدخل، ويزعم أن الباء تعاقب الألف ".^(٣) وفي مقابل هؤلاء نجد فريقاً من النحاة قد أجازوا مثل هذا الاستعمال؛ فيذهب أبو العباس المبرد إلى أن الباء في نحو هذا السياق هي " مُتَعَلِّقَةٌ بِالْمَصْدَرِ لِأَنَّ الْفِعْلَ يَدُلُّ عَلَى إِذْ مِنْهُ أَخَذَ تَقْدِيرَهُ يَذْهَبُ ذَهَابَهُ بِالْأَبْصَارِ، وَعَلَى هَذَا أَجَازُوا أَدْخَلَ بَزِيدَ السَّجْنِ كَأَنَّهُ قَالَ أَدْخَلَ السَّجْنَ دُخُولًا بَزِيدَ ".^(٤)

(تَهْجُرُونَ)، (تَهْجُرُونَ):^(١)

قرأ نافع وحده (تَهْجُرُونَ) من قوله تعالى: " مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ " ^(٢) بضمّ التاء وكسر الجيم على وزن (تَفْعُلُونَ) من أَهَجَرَ يُهْجِرُ إِهْجَارًا، والاسم (الهُجْرُ)،^(٣) يقال: " هَجَرَ الرَّجُلُ: إِذَا قَالَ هُجْرًا "،^(٤) وهو: " الإِفْحَاشُ فِي الْمَنْطِقِ،

^١ الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ١٩.

^٢ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٤، ص ٥٠.

^٣ النحاس، إعراب القرآن، ج ٣، ص ٩٩.

^٤ مكي، مشكل إعراب القرآن، ج ٢، ص ٥١٤.

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٨. شرح طيبة النشر، ص ٢٨٣. تحبير التيسير،

ص ٤٧٦. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٢٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٦٨.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٧٧.

^٢ سورة المؤمنون، الآية ٦٧.

^٣ الفراهيدي، العين، (هجر)، ج ٣، ص ٣٨٧.

والخنا"، (٢) حكاه أبو عبيد عن الكسائي والأصمعي، (٣) وبه فسّر قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - " نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَرُورُوهَا، وَلَا تَقُولُوا: هُجْرًا "، (٤) ولذلك يقال: " أهجر في منطّقه إذا جاء بالخنا والقبيح من القول"، (٥) قال الأزهري: " الهُجْرُ في كلام العرب ما يستفحش من الكلام"، (٦) قال الشّمّاخ: (٧)
 مَجْدَةَ الْأَعْرَاقِ قَالَ ابْنُ ضَرَّةٍ عَلَيهَا كَلَامًا جَارَ فِيهِ وَأَهْجَرَا
 وقال الكميت: (١)

وَلَا أَشْهَدُ الْهُجْرَ وَالْقَاتِلِيهِ إِذَا هُمْ بِهَيْئَمَةٍ هَتَمَلُوا
 وقرأ الباقر (تَهْجُرُونَ) بفتح التاء وضمّ الجيم على وزن (تَفْعَلُونَ)، من هَجَرَ يَهْجُرُ هَجْرًا، أي: صرّم (٢) وقطع، (٣) والهَجْرُ: ضدّ الوصل، (٤) يقال: " هَجَرَ الشّيءَ يَهْجُرُهُ هَجْرًا: تَرَكَهُ وَأَغْفَلَهُ وَأَعْرَضَ عَنْهُ"، (٥) قال الشّاعر: (٦)

-
- ١ أبو عبيد، الغريب المصنّف، ج ١، ص ٣٤٦.
 ٢ الجوهرى، الصحاح، (هجر)، ج ٢، ص ٨٥١.
 ٣ الأزهري، تهذيب اللّغة، (هجر)، ج ٦، ص ٢٩.
 ٤ أبو عبيد، غريب الحديث، ج ٢، ص ٦٣. والحديث في مسند أبي حنيفة برواية أبي نعيم، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني، (ت: ٤٣٠هـ)، (١٩٩٥م)، مسند الإمام أبي حنيفة رواية أبي نعيم، تحقيق: نظر محمد الفاريابي، ط ١، مكتبة الكوثر، الرياض، ص ١٤٥. ولهذا الحديث عدة طرق وروايات.
 ٥ ابن قتيبة، غريب الحديث، ج ٢، ص ٢٧٣.
 ٦ الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، (ت: ٣٧٠هـ)، الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع، ص ٩٤.
 ٧ الشماخ، الشماخ بن ضرار بن حرملة بن ذبيان الغطفاني، ديوان الشماخ بن ضرار الذبياني، حققه وشرحه: صلاح الدين الهادي، دار المعرف، مصر، ص ١٣٥.
 ١ الكميت، الديوان، ص ٣٢٠. أبو عبيد البكري، سمط اللّالي، ج ١، ص ٢٦٣.
 ٢ ابن سيده، المحكم، (هجر)، ج ٤، ص ١٥٥.
 ٣ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (هجر)، ص ٤٩٥.
 ٤ ابن دريد، جمهرة اللّغة، ج ١، ص ٤٦٨. ابن فارس، مجمل اللّغة، ج ١، ص ٨٩٩، (هجر).
 ٥ الزبيدي، تاج العروس، (هجر)، ج ١٤، ص ٣٩٦. السجستاني، غريب القرآن، ص ١٥٠.
 ٦ لم أف على قائل هذا البيت وهو بلا نسبة في العين، ج ٣، ص ٣٨٧.

وَأَكْثَرُ هَجْرَ الْبَيْتِ حَتَّى كَأَنِّي
 مَلَّتُ وَمَا بِي مِنْ مَلَالٍ وَلَا هَجْرٍ
 ومنه حديث أبي الدرداء - رضي الله عنه - : " وَلَا يَسْمَعُونَ الْقُرْآنَ إِلَّا هَجْرًا "،^(١) يريد أن هؤلاء المنكرين للقرآن قد تركوه وأعرضوا عنه،^(٢) ف " وضعوا
 وضعوا الهجر موضع السماع فسمعهم له تركه "،^(٣) والاسم: " الهَجِيرَى، تقول:
 رأيتَه يَهْجُرُ هَجْرًا وَهَجِيرَى وَهَجِيرَى لُغَةً وَهَجِيرَى لُغَةً فِيهِ "،^(٤) وهو: اللُّغُو،^(٥)
 والهديان،^(٦) حكاة الفراء،^(١) والكسائي،^(٢) يقال: " هَجَرَ الْمَرِيضُ فِي كَلَامِهِ هَجْرًا...
 خَطَّ وَهَذَى "،^(٣) ويقال أيضًا: " قد هَجَرَ الرَّجُلُ فِي مَنَامِهِ إِذَا هَذَى "،^(٤) ومنه ما
 روي عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - أنه كان يقول لبيته: " إِذَا طَفْتُمْ
 بِالْبَيْتِ فَلَا تَلْغُوا وَلَا تَهْجَرُوا وَلَا تَقَاصُّوا أَحَدًا وَلَا تُكَلِّمُوهُ "،^(٥) يريد نهيبهم عن "

^١ البيهقي، شعب الإيمان، باب في: التَّوَكُّلِ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالتَّسْلِيمِ لِأَمْرِ تَعَالَى فِي كُلِّ شَيْءٍ،
 حديث رقم: ١١٥١، ج ٢، ص ٤١٤.

^٢ الخطابي، غريب الحديث، ج ٢، ص ٣٤٢. وقد أنكر الخطابي على ابن قتيبة تفسيره (هجرا)
 في هذا الحديث بمعنى " الْخَنَا فِي الْقَوْلِ وَالْفُحْشُ "، ابن قتيبة، غريب الحديث، ج ٢،
 ص ٢٧٣. ابن الأثير، النهاية، ج ٥، ص ٢٤٥. الزبيدي تاج العروس، (هجر)، ج ١٤،
 ص ٣٩٦.

^٣ الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج ١، ص ٤٠٩.

^٤ الفراهيدي، العين، (هجر)، ج ٣، ص ٣٨٧.

^٥ ابن قتيبة، غريب القرآن، ص ٢٩٩.

^٦ السجستاني، غريب القرآن، ص ١٥٠. ابن فارس مجمل اللُّغَةِ، (هجر)، ج ١، ص ٨٩٩.
 الرازي، مختار الصحاح، ص ٣٢٤.

^١ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٢٣٩. الأزهرى، تهذيب اللُّغَةِ، (هجر)، ج ٦، ص ٢٨.

^٢ النَّحَّاس، إعراب القرآن، ج ٣، ص ٨٣.

^٣ الفيومي، المصباح المنير، (هجر)، ج ٢، ص ٦٣٤. الجهضمي، القاضي أبو إسحاق إسماعيل
 بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي المالكي الجهضمي
 (ت: ٢٨٢هـ)، (٢٠٠٥م)، أحكام القرآن، تحقيق: عامر حسن صبري، ط ١، دار ابن
 حزم، بيروت، ص ١٤٤.

^٤ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٢٣٩. ابن منظور، لسان العرب، (هجر)، ج ٥، ص ٢٥٣.

^٥ ألو عبدي، غريب الحديث، ج ٢، ص ٦٤.

الَهْدِيَانِ مِثْلَ كَلَامِ الْمَحْمُومِ وَالْمَبْرَسَمِ"،^(١) قَالَ سَيَبُويَه: " الْهَجْرِي كَثْرَةُ الْكَلَامِ وَالْقَوْلِ السَّيِّءِ ".^(٢)

إِنَّ هَذِهِ الْآيَةَ الْكَرِيمَةَ قَدْ صَوَّرَتْ لَنَا مَشْهَدًا فَرِيدًا مِنْ مَشَاهِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ مَوْقِفٌ أَوْلَاكَ الْمَشْرُكِينَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِالرَّسَالَةِ، فَخَصَّهِمْ مِنْ دُونِ الْأُمَّمِ بِخَاتَمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِيُخَلِّصَهُمْ مِنْ عِبُودِيَّةِ الْأَوْثَانِ وَيَحْرُرَهُمْ مِنْ سَيَادَةِ الْعَصَبِيَّةِ وَالْعَدَاءِ، فَمَا كَانَ مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ قَابَلُوا هِدَايَةَ السَّمَاءِ بِضَلَالَةِ الْعَادَةِ وَالْمِيرَاثِ.

فَإِذَا كَانَ الْيَوْمَ الْمَوْعُودِ وَوَفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ حِسَابَهَا، وَرَدُّوا بِظُلْمِهِمْ وَعِنَادِهِمْ نَارَ الْجَحِيمِ، وَنَزَلَ بِهِمْ مَا لَمْ يَقَعْ فِي وَعْيِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ الشَّدِيدِ، فَهَاهُمْ مِنْ عَظِيمٍ مَا حَلَّ بِهِمْ يَتَصَايْحُونَ مُسْتَجِدِينَ الْغُوثَ مِنْ هَذَا الْكَرْبِ الْوَحِيمِ، " وَيُقَالُ لَهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّبَكُّيْتِ لَا تَجَارُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تُنصَرُونَ فَلَا يُدْفَعُ عَنْكُمْ مَا يُرِيدُ أَنْزَالَهُ بِكُمْ ".^(٣)

وَتَأْتِي ذُرُوءُ هَذَا الْمَشْهَدِ الْمَهِيْبِ حِينَ يَعُودُ بِنَا سِيَاقِ الْآيَةِ إِلَى حَالِ هَؤُلَاءِ الْمَبْتَلِينَ وَقَدْ كَانَتْ نَفُوسُهُمْ بِمَا جَبَلَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْغُرُورِ وَالْكَبْرِيَاءِ تَغْفَلُ عَمَّا كَانَ يَتَلَى عَلَيْهِمْ مِنْ كَلَامِ الْحَيِّ الْقَيُّومِ عَلَى لِسَانِ الصَّادِقِ الْأَمِينِ، فَيَنْفِرُونَ مِنْهُ لِيَرْجِعُوا الْقَهْقَرَى^(١) كَمَنْ يَنْكُصُ عَلَى عَقْبِيهِ،^(٢) وَلَا عَجَبُ فِي ذَلِكَ فَهَمْ سَادَةُ الْعَرَبِ يَكْبُرُونَ النَّاسَ بِالْحَسَبِ وَالنَّسَبِ وَعِمَارَةُ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ، وَلَا يَقِفُ الْأَمْرُ بِهِمْ عِنْدَ حَدِّ الْهَجْرِ وَالْهَجْرَانِ^(٣) لَمَا يَسْمَعُوا مِنَ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ مِنَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، بَلْ تَرَاهُمْ يَقْعُدُونَ مِنْ

^١ أبو عبيد، غريب القرآن، ج ٢، ص ٦٤.

^٢ سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٤١. ابن منظور، لسان العرب، (هجر)، ج ٥، ص ٢٥٣.

^٣ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٣، ص ٢٥٨.

^١ السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، (٢٠٠٠م)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط ١، مؤسسة الرسالة، ص ٥٥٤.

^٢ الطبري، جامع البيان، ج ١٩، ص ٥٢.

^٣ الهجرال بكسر الهاء هو القطيعة، ضد الوصل، قطع. انظر الصحاح للجوهري، (هجر)، ج ٢، ص ٨٥١. وأمّا الهجر بفتح الهاء فمعناها الترك والإعراض فضلاً عما بسطناه من معانيها في هذه المباحثة.

البيت المعمور مقاعد السمّار،^(١) فيَهْجرون بهما إهجاراً، ويرمونهما بالمُهْجرات والهاجرات،^(٢) فيقولون فيهما من (الهَجْر) ما لا يضرهما ولا يعيبهما،^(٣) فهو كالهذيان^(٤) لا ينفع صاحبه شيء ولا يصيبه نفع. (نُسْقِيكُمْ)، (نَسْقِيكُمْ):^(٥)

قرأ نافع وابن عامر وشعبة ويعقوب (نَسْقِيكُمْ) من قوله تعالى: " وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ " ^(٦) ومن قوله تعالى: " وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا " ^(١) بفتح النون، من سَقَى يَسْقِي سَقِيًّا الثَّلَاثِي،^(٢) وقرأ الباقون (نُسْقِيكُمْ) بضمّ النون، من أَسْقَى يُسْقِي المزيّد بالهمزة.

وقد كان للعرب في هاتين الصيغتين استعمالان: الأول: سَقَى وَأَسْقَى لغتان بمعنى واحد وهو الدّعاء بالسُّقْيَا، قال سيبويه: " وقالوا: أَسْقَيْتُهُ فِي مَعْنَى سَقَيْتُهُ، فَدَخَلَتْ عَلَى فَعَلَتْ كَمَا تَدْخُلُ فَعَلَتْ عَلَيْهَا، يَعْنِي فِي فَرَحَتْ وَنَحْوِهَا " ^(٣) قال

^١ السمّار جمع سامر وهم المتحدثون ليلاً، مشتق من السّمْر وهو الحديث بالليل، ابن منظور، لسان العرب، (سمر)، ج ٤، ص ٣٧٧.

^٢ جاء في (أساس البلاغة): "... ورماه بالهاجرات والمهجرات: بالفواحش، والهاجرات: الكلمات التي فيها فحش فهي من باب لابن وتامر"، الزمخشري، أساس البلاغة، (هجر)، ج ٢، ص ٣٦٣.

^٣ الأنباري، الزاهر، ص ٣٦٣.

^٤ ابن منظور، لسان العرب، (هجر)، ج ٥، ص ٢٥٣.

^٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٢. شرح طيبة النشر، ص ٢٦١. تحبير التيسير، ص ٤٣٢. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٠٤. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤١٤.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٣٦٠.

^٦ سورة النحل، الآية ٦٦.

^١ سورة المؤمنون، الآية ٢١.

^٢ ابن دريد، جمهرة اللّغة، (سقي)، ج ٢، ص ٨٥٣.

^٣ سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٥٨.

السِّيرافيّ شارحاً ذلك: " يريد أنه استعمل (أَفَعَلْتَ) في موضع (فَعَلْتَ) إذا أردت أن تقول للإنسان: سفاك الله ورعاك. قال ذو الرِّمّة: (١)

وَقَفْتُ عَلَى رِبْعٍ لِمِيَّةٍ نَاقَتِي فَمَا زِلْتُ أَبْكِي حَوْلَهُ وَأُخَاطِبُهُ
وَأُسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبْتُهُ تَكَلَّمَنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ

وأما الاستعمال الثاني لهاتين الصيغتين فكان مضماراً للبحث والنظر بين علماء اللغة والتّصريف، فنرى صاحب الكتاب وشيخه الخليل يقرّان بالفرق المعجميّ بينهما بناءً على تباينهما في البنية الصّرفيّة، قال سيبويه: " وتقول: سَقَيْتُهُ فُشِرْب، وَأَسْقَيْتُهُ: جعلت له ماءً وسُقِيًّا. ألا ترى أنك تقول: أسقيته نهراً. وقال الخليل: سَقَيْتُهُ وَأَسْقَيْتُهُ، أي جعلت له ماءً وسُقِيًّا. فَسَقَيْتُهُ مثل كَسَوْتُهُ، وَأَسْقَيْتُهُ مثل أَلْبَسْتُهُ. ومثله: شَفَيْتُهُ وَأَشْفَيْتُهُ، فَشَفَيْتُهُ: أَبْرَأْتُهُ، وَأَشْفَيْتُهُ: وهبت له شِفَاءً " (٢).

وقد تبع الخليل وتلميذه سيبويه جماعة من الصّرفيين وأصحاب المعاجم، فيذهب أبو جعفر النّحاس إلى أن قولنا: " سَقَيْتُهُ يكون بمعنى عرّضته لأن يشرب، وأسقيته دعوت له بالسقيا، وأسقيته جعلت له سقياً " (٣) فالفعل (سَقَى) هو كما يقول أبو هلال العسكريّ هو لإشراب الماء أو ما سواه باليد، فقولنا: " سَقَيْتُ الرَّجُلَ يُفِيدُ أَنَّكَ أَعْطَيْتَهُ مَا يَشْرِبُهُ أَوْ صَبَبْتَ ذَلِكَ فِي حَلْقِهِ " (١) وقيل: هو لمن يُسْقَى " بالشفة " (٢) أو كما قال الكسائيّ: على معنى شربة واحدة، (٣) " في مرة واحدة " (٤) والفعل (أَسْقَى) هو أن يوضع له الماء أو ما سواه أو " دلّه على مَوْضِعِ الْمَاءِ " (٥) " حتى يتناوله كيف شاء، فالإسقاء أبلغ من السقي، لأنّ الإسقاء هو أن تجعل له ما يسقى منه

^١ ذو الرِّمّة، الدّيون، ص ٢٦.

^٢ سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٥٩.

^٣ النّحاس، إعراب القرآن، ج ٢، ص ٢٥٤.

^١ العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص ٢٤.

^٢ ابن سيده، المحكم، (سقي)، ج ٦، ص ٤٨٨.

^٣ الطبري، جامع البيان، ج ١٧، ص ٢٣٧.

^٤ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٣، ص ٤٠٤.

^٥ ابن سيده، المحكم، (سقي)، ج ٦، ص ٤٨٨.

ويشرب"،^(١) قال الكسائي: "العرب تقول: أسقيناهم نهراً وأسقيناهم لبناً: إذا جعلته شرباً دائماً".^(٢)

وهناك من اعتمد الاقتران المعجمي عياراً فرّق به بين هاتين الصيغتين؛ فالفعل (سقى) هو للشرب من الفم فهو مقترن بالآدميين، في حين يكون الفعل (أسقى) للأرض والماشية،^(٣) قال الفراء: "العرب تقول لكل ما كان من بطون الأنعام ومن السماء أو نهر يجري لقوم: أسقيت. فإذا سقاك الرجل ماء لشفتك قالوا: سقاه. ولم يقولوا: أسقاه... وربما قالوا لما في بطون الأنعام ولماء السماء سقى وأسقى".^(٤)

وفي مقابل هؤلاء العلماء ذهب جماعة من اللغويين إلى أنّ هاتين الصيغتين مترادفتان،^(٥) فأبو عبيدة يجعلهما لغتين بمعنى واحد،^(٦) وإلى ذلك ذهب ابن خالويه في توجيه هاتين القراءتين،^(١) قال الأزهرى: "هما لغتان: سقيته، وأسقيته بمعنى واحد، وقد جمع لبيد بين اللغتين،^(٢) في قوله:^(٣)

سقى قومي بني مجدٍ وأسقى
نميراً والقبائل من هلال

وقد احتج الطبري ببيت لبيد هذا لاختياره قراءة الجمهور، قال: "العرب قد تدخل اللّاف فيما كان من السقي غير دائمٍ وتنزِعُها فيما كان دائماً، يدلُّ على ما قلنا من ذلك، قولُ لبيدٍ في صفةٍ سحابٍ... غيرَ أنّ أعجبَ القراءتين إليّ قراءةَ ضمّ النونِ لما ذكرتُ من أنّ أكثرَ الكلامينِ عندَ العربِ فيما كان دائماً من السقي أسقى

^١ الرّاغب الأصفهاني، المفردات، ج ١، ص ٤١٥.

^٢ الطبري، جامع البيان، ج ١٧، ص ٢٣٧.

^٣ الجوهري، الصحاح، (سقي)، ج ٦، ص ٢٣٧٩.

^٤ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ١٠٨.

^٥ الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن، أبو منصور ابن الجواليقي (ت: ٥٤٠هـ)، ما جاء على فعلتُ وأفعلتُ بمعنى واحد، تحقيق: ماجد الذهبي، دار الفكر،

دمشق، ص ٤٦.

^٦ النحاس، إعراب القرآن، ج ٢، ص ٢٥٤.

^١ ابن خالويه، الحجّة، ص ٢١٢.

^٢ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ٨١.

^٣ لبيد بن ربيعة، الديوان، ص ٧١.

بِالْأَلْفِ فَهُوَ يَسْقِي، وَمَا أَسْقَى اللَّهُ عِبَادَهُ مِنْ بَطُونِ الْأَنْعَامِ فَدَائِمٌ لَهُمْ غَيْرُ مُنْقَطِعٍ عَنْهُمْ
" (١).

ويرى الباحث أنّ هذا القول ليس بدقيق؛ ذلك أنّ هاتين القراءتين هما قراءتان متواترتان لا يجوز المفاضلة بينهما؛ فليس إحداهما تفضل على الأخرى بشيء، وأمّا بيت لبّيد فإنّه يحتمل المعنيين معاً، قال الزّجاج: " وهذا البيت وضعه النّحويون على أنّه سَقَى وأسْقَى بمعنى واحد، وهو يحتمل التّفسير الثّاني " (٢) قال المرزوقي معلقاً على هذا البيت: "... وقد فصل بعضهم بين سَقَيْتُ وأسْقَيْتُ... وبعضهم يجعلهما سواءً، ويحتجّ ببيت لبّيد... وإذا فصل بينهما في البيت لم يخل به لفظاً ولا معنى، كما أنّه إذا سوي بينهما لم يخل معنىً ولا لفظاً، فكأنّه لا حجة فيه لواحدٍ من القولين " (٣).

وبناءً على ما تقدّم يذهب الباحث إلى أنّ هاتين القراءتين تحتلان وجهين؛ فهما إمّا أن تكونا لغتين بمعنى واحد، وهو قول له ما يؤيّده في كلام العرب. وإمّا أن تكونا بمعنيين مختلفين؛ فالقراءة بالفعل الثّلاثي (سَقَى) تخبر أنّ الله قد جعل ما استودعه في بطون الأنعام سقياً لكلّ وارد يطلب الشّرب، والقراءة الثّانية تصوّر مدى النّعم التي سخرها لبني آدم، فإنّه سبحانه وتعالى قد هبّياً بطون الأنعام أن تكون معيناً دائماً يسقي الماء واللّبن، فهي تَسْقِي الظمأى والعطشى، وهي في الوقت نفسه مورد لا ينضب يلبيّ مطلب من يقصد الشّراب والسقيا؛ ولعلّ أبا العبّاس المبرّد قد ألمح إلى قريب من هذا المعنى، حين قال: " نَسْقِيكُمْ بِالْفَتْحِ ههنا أشبه بالمعنى " (١).

^١ الطبري، جامع البيان، ج ١٧، ص ٢٣٧.

^٢ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٣، ص ٢٠٩.

^٣ المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت: ٤٢١هـ)، (٢٠٠٣م)، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، ط ١، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ص ٧٦.

^١ النّحاس، إعراب القرآن، ج ٢، ص ٢٥٤.

(لِيُضِلُّونَ، لِيُضِلُّوا، لِيُضِلَّ)، (لِيُضِلُّونَ، لِيُضِلُّوا، لِيُضِلَّ): (١)

ورد الفعل (ضَلَّ) بصيغة الفعل المضارع في مواضع مخصوصة من التنزيل، واختلف القراء فيها فضم بعضهم ياء المضارعة وفتحها البعض الآخر، وهذه المواضع هي:

١- في قوله تعالى: "وَإِنَّ كَثِيرًا لِّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بغيرِ عِلْمٍ". (٢)

٢- ومن قوله عز من قائل: "رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِكَ". (٣)

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر (لِيُضِلُّونَ) و(لِيُضِلُّوا) في هذين الموضعين بضم ياء المضارعة فيهما، على وزن (يُفَعِّلُ)، من أَضَلَّ يُضِلُّ الرَّبَّاعِي، (٤) أي: "جَعَلَهُ ضَالًّا"، (٥) والمعنى: "أَنَّهُمْ يُضِلُّونَ غَيْرَهُمْ". (١) وقرأ الباقر الفعلين بفتح الياء على وزن (يُفَعِّلُ)، من: ضَلَّ يَضِلُّ الثَّلَاثِي، (٦) بمعنى: "أَنَّهُمْ هُمُ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنِ الْحَقِّ فَيَجُورُونَ عَنْهُ". (٣)

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (لِيُضِلُّوا) و(لِيُضِلَّ) في المواضع الآتية بفتح الياء على وزن (يُفَعِّلُ)، من: ضَلَّ يَضِلُّ الثَّلَاثِي، وهي:

١- في قوله تعالى: "وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ". (٤)

^١ ابن الجزي، شرح طيبة النشر، ص ٧٤، ٨١. شرح طيبة النشر، ص ٨٢٢، ٢٥٨. تحبير التيسير، ص ٣٦٣، ٤٦٩، ٥٠٧، ٥٣٤. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٦٢، ٢٩٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣١٤، ٤٠٤. محسن، الهادي، ج ٢، ص ٢١٣، ٣٤٣-٣٤٤.

^٢ سورة الأنعام، الآية ١١٩.

^٣ سورة يونس، الآية ٨٨.

^٤ ابن خالويه، الحجّة، ص ١٤٨.

^٥ ابن منظور، لسان العرب، (ضلل)، ص ١١، ص ٣٩١.

^١ الطبري، جامع البيان، ج ١٢، ص ٧١.

^٢ ابن خالويه، الحجّة، ص ١٤٨.

^٣ الطبري، جامع البيان، ج ١٢، ص ٧١.

^٤ سورة إبراهيم، الآية ٣٠.

٢- وفي قوله جلّ جلاله: "ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ". (١)
 ٣- ومن قوله تعالى: "وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ". (٢)

٤- وقوله سبحانه: "وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ". (٣)
 وقرأ رويس بخلاف عنه (لِيُضِلُّوا) و(لِيُضِلَّ) بفتح الياء في سور (إبراهيم والحجّ والزمر). وأمّا موضع (لقمان) فإنه قرأه بوجهين: بالفتح تارة وبالضمّ تارة أخرى. وروي عنه وجه ثانٍ قرأ فيه مواضع (إبراهيم والحجّ والزمر) بضمّ الياء.
 وقرأ الباقر (لِيُضِلُّوا) و(لِيُضِلَّ) في المواضع كلّها بضمّ ياء المضارعة على وزن (يُفْعِلُ) من أَضَلَّ يُضِلُّ الرّباعي.

إنّ المتأمل لهذه القراءات ليلحظ أنّها تختلف في جهة تعلق الفعل؛ فإنّ من قرأ بفتح الياء جعل الحدث يطلب الفاعل حسب، فصفة الضلالة كائنة في نفسه، ومن اختار القراءة بضمّ الياء صيرّ الفعل متعدّياً؛ ليتعلّق الحدث بالمفعول به، فألمح إلى أنّه مُضِلًّا لغيره، (١) وهذا البون في تقدير جهة تعلق الحدث لا يعني بالضرورة أنّ هاتين القراءتين مختلفتان أو متضادتان في المعنى؛ لأنّ الإنسان الضالّ قد يكون " مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُضِلَّ غَيْرَهُ، وَلِأَنَّ الْمُضِلَّ لَا يَكُونُ فِي الْغَالِبِ إِلَّا ضَالًّا، إِلَّا إِذَا قَصَدَ التَّغْيِيرَ بغيره. وَالْمَقْصُودُ التَّحْذِيرُ مِنْهُمْ وَذَلِكَ حَاصِلٌ عَلَى الْقِرَاءَتَيْنِ. (٢) قال أبو زيد: "أَبْرَمْتُ الرَّجُلَ إِيرَامًا، وَأَضَلَّلْتُهُ إِضْلَالًا حَتَّى بَرِمَ بِرَمًا وَضَلَّ ضَلَالَةً. قال: وتقول: ضَلَلْتُ الطَّرِيقَ، وَالذَّارَ أَضِلُّهَا ضَلَالًا، وَأَضَلَّلْتُ الْفَرَسَ وَالنَّاقَةَ وَالصَّبْيَ إِضْلَالًا، وَكَذَلِكَ كُلُّ مَا ضَلَّ عَنْكَ فَذَهَبَ"، (٣) ويقال: " ضَلَلْتُ الطَّرِيقَ أَضِلُّهُ،

١ سورة الحج، الآية ٩.

٢ سورة لقمان، الآية ٦.

٣ سورة الزمر، الآية ٨.

١ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٥، ص ١٣٠.

٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٨، ص ٣٦.

٣ الفارسي، الحجّة، ج ٣، ص ٣٩٢.

وَضَلَّتْهُ أَضْلَهُ، وَضَلَّ فُلَانٌ الشَّيْءَ يَضِلُّهُ إِذَا جَعَلَهُ فِي مَكَانٍ ثُمَّ لَمْ يَهْتَدِ لَهُ، وَأَضَلَّ الشَّيْءَ إِذَا ضَيَّعَهُ، ضَلَّ فُلَانٌ، وَأَضَلَّ غَيْرَهُ " (١).

٣.٤ في زيادة الألف:

(وَمَا يَخْدَعُونَ)، (وَمَا يُخَادِعُونَ) (٢):

قرأ ابن عامر وعاصم وحزمة والكسائي وأبو جعفر ويعقوب وخلف العاشر (وَمَا يَخْدَعُونَ) من قوله الله تعالى: " وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ " (٣) بفتح الياء وإسكان الخاء وحذف الألف وفتح الدال، من خَدَعَ يَخْدَعُ خَدْعًا، " بِالْفَتْحِ، وَيُكْسَرُ " (٤) " يقال: "خَدَعْتُ الرَّجُلَ أَخْدَعُهُ خَدْعًا إِذَا أَظْهَرْتُ لَهُ خِلَافَ مَا تَخْفِي. وَكُلُّ شَيْءٍ كَتَمْتَهُ فَقَدْ خَدَعْتَهُ وَالاسْمُ الْخَدِيعَةُ وَالْخَدَعُ" (١) ويقال: " خَدَعَهُ يَخْدَعُهُ خَدْعًا وَخِدَاعًا أَي: خَتَلَهُ وَأَرَادَ بِهِ الْمَكْرُوهَ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ " (٢) والاسم: الخديعة " (٣).
وفي الحديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - إنه قال: " الْحَرْبُ خُدَعَةٌ " (٤)
حيث رُوِيَ (الخدعة) بثلاثة أوجه: " بفتح الخاء وَضَمَّهَا مَعَ سُكُونِ الدَّالِ، وَبِضْمِّهَا

^١ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٣٨٣.

^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦١. شرح طيبة النشر، ص ١٦٨. تحبير التيسير، ص ٢٨٢. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٠٧. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ١٤٢،

١٤٣. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١٩، ٢٠.

^٣ سورة البقرة، الآية ٩.

^٤ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص ٧١٢. الزبيدي، تاج العروس، ج ٢٠، ص ٤٨٢، (خدع).

^١ ابن دريد، جمهرة اللغات، (خدع)، ج ١، ص ٥٧٩.

^٢ الجوهرى، الصحاح، (خدع)، ج ٣، ص ١٢٠١.

^٣ المصدر نفسه.

^٤ أبو داود، سنن أبي داود، (باب المكر في الحرب، حديث رقم: ٢٦٣٦)، ج ٣، ص ٤٣. الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري

مَعَ فَتْحِ الدَّالِ"،^(١) والأولى هي لغة الرسول - صلى الله عليه وسلم - (٢) حكاها ثعلب،^(٣) وقيل هي: " اللغةُ العاليةُ "،^(٤) قال أبو الفضل السبكي: بِفَتْحِ الخَاءِ وَسُكُونِ الدَّالِ كَذَا الْهَرَوِيُّ وَأَكْثَرُ الرِّوَاةِ لِلصَّحِيحَيْنِ وَضَبَطَهَا الْأَصِيلِيُّ بِضَمِّ الخَاءِ وَهُمَا صَحِيحَانِ قَالَ أَبُو ذَرِّ الْهَرَوِيُّ وَبِفَتْحِهَا لُغَةُ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) وبالفَتْحِ وَحْدَهُ قَالَهَا الْأَصْمَعِيُّ وَغَيْرُهُ وَحَكَى يُونُسُ فِيهَا الْوَجْهَيْنِ وَوَجْهًا ثَالِثًا خُدْعَةً بِالضَّمِّ وَفَتْحِ الدَّالِ وَرَابِعًا خُدْعَةً بِفَتْحِهَا " .^(٥)

ويبين ابن الأثير معنى كل واحد من هذه الوجوه: " فَالْأَوَّلُ مَعْنَاهُ أَنَّ الْحَرْبَ يَنْقُضِي أَمْرًا بِخُدْعَةٍ وَاحِدَةٍ، مِنْ الْخُدَاعِ: أَيُّ أَنَّ الْمُقَاتِلَ إِذَا خُدِعَ مَرَّةً وَاحِدَةً لَمْ تَكُنْ لَهَا إِقَالَةٌ، وَهِيَ أَفْصَحُ الرِّوَايَاتِ وَأَصَحُّهَا. وَمَعْنَى الثَّانِي: هُوَ الْإِسْمُ مِنَ الْخُدَاعِ. وَمَعْنَى الثَّالِثِ أَنَّ الْحَرْبَ تَخْدَعُ الرِّجَالَ وَتُمْنِيهِمْ وَلَا تَقِي لَهُمْ، كَمَا يُقَالُ: فَلَانٌ رَجُلٌ لُجْبَةٌ وَضُحْكَةٌ: أَيُّ كَثِيرُ اللَّعِبِ وَالضَّحْكَ " .^(١)

وروى الأزهري عن أبي عبيد قوله: " سمعتُ الكسائي يَقُولُ الْحَرْبُ خُدْعَةٌ. قَالَ: وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ مِثْلَهُ خُدْعَةٌ. قَالَ: وَرَجُلٌ خُدْعَةٌ، إِذَا كَانَ يُخْدَعُ... وَقِيلَ (الْحَرْبُ خُدْعَةٌ)، ثَلَاثَ لُغَاتٍ، وَأَجُودُهَا مَا قَالَ الْكَسَائِيُّ وَأَبُو زَيْدٍ (خُدْعَةٌ) "،^(٢) وقال ثعلب: "

الألباني (ت: ١٤٢٠هـ-)، (٢٠٠٢م)، صحيح أبي داود - الأم، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، ط ١، الكويت، باب: المكر في الحرب، حديث رقم: ٢٣٦٩، ج ٧، ص ٣٨٧.

^١ ابن الأثير، النهاية، ج ٢، ص ١٤.

^٢ ابن دريد، جمهرة اللغة، (خدع)، ج ١، ص ٥٧٩.

^٣ ابن منظور، لسان العرب، (خدع)، ج ٨، ص ٦٤. الزبيدي، تاج العروس، (خدع)، ج ٢٠، ص ٤٨٣.

^٤ الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (ت: ٣٨٨هـ)، (١٩٨٥م)، إصلاح غلط المحدثين، تحقيق: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة، ط ٣، ص ٦٨.

^٥ السبكي، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل، (ت: ٥٤٤هـ)، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث، ج ١، ص ٢٣١.

^١ ابن الأثير، النهاية، ج ٢، ص ١٤.

^٢ الأزهري، تهذيب اللغة، (خدع)، ج ١، ص ١١١.

فِيهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ خُدَعَةٌ بِضَمِّ الْخَاءِ وَتَسْكِينِ الدَّالِ وَخُدَعَةٌ بِفَتْحِ الْخَاءِ وَتَسْكِينِ الدَّالِ وَخُدَعَةٌ بِضَمِّ الْخَاءِ وَفَتْحِ الدَّالِ " (١).

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو (وَمَا يُخَادِعُونَ) بياء مضمومة وحاء مفتوحة، وإقحام (ألف) بعدها مع كسر (الدال)، من: خَادَعَ يُخَادِعُ خِدَاعًا وَمُخَادَعَةً، فهو مخادع،^(٢) وهو من باب (فاعل يُفَاعَل) الذي يحمل بصيغته معنى المشاركة والمفاعلة، إلا أنه في هذا السياق قد غاير هذه الدلالة، ليشير إلى طرف واحد يؤدي ذلك الحدث، " ومثله قولهم: (عَاقَبْتُ اللَّصَّ) و(عَافَاهُ اللَّهُ) و(طَارَقَتُ النُّعْلَ) و(قَاتَلَهُ اللَّهُ)، في حروف كثيرة جاءت للواحد "،^(٣) وفي ذلك يقول الأخفش: " وقد تكون المفاعلة من واحد في أشياء كثيرة تقول: "بَاعَدْتُهُ مُبَاعَدَةً" و "جَاوَزْتُهُ مُجَاوِزَةً" في أشياء كثيرة. وقد قال {وَهُوَ خَادِعُهُمْ} فذا على الجواب. يقول الرجل لمن كان يخدعه إذا ظفر به "أَنَا الَّذِي خَدَعْتُكَ" ولم تكن منه خديعة ولكن قال ذلك إذ صار الأمر إليه".^(٤)

وهناك من ذهب إلى أنّ (يخادع) في هذا السياق هي بمعنى (يخدع)، أي: " يكون فاعلٌ بمعنى فعلٍ"،^(١) قاله أبو عبيدة،^(٢) إذ (المفاعلة) هي في الأصل للمغالبة، " والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ وأحكم منه إذا زاوله وحده من غير مُغَالِبَةٍ ولا مباراة لزيادة قوة الداعي إليه"،^(٣) يقول أبو حيان: " الْمَعْنَى فِي الْخِدَاعِ إِنَّمَا هُوَ الْوُصُولُ إِلَى الْمَقْصُودِ مِنَ الْمَخْدُوعِ، بَأَنَّ يَنْفَعِلَ لَهُ فِيمَا يُخْتَارُ، وَيُنَالُ مِنْهُ مَا يُطْلَبُ عَلَى غِرَّةٍ مِنَ الْمَخْدُوعِ وَتَمَكُّنٌ مِنْهُ وَتَفَعُّلٌ لَهُ، وَوَبَالَ ذَلِكَ لَيْسَ رَاجِعًا لِلْمَخْدُوعِ، إِنَّمَا وَبَالُهُ رَاجِعٌ إِلَى الْمُخَادِعِ، فَكَأَنَّهُ مَا خَادَعَ وَلَا كَادَ إِلَّا نَفْسَهُ بِإِيرَادِهَا مَوَارِدَ الْهَلَكَةِ،

^١ النسفي، طلبه الطلبة، ص ٨٧.

^٢ ابن منظور، لسان العرب، (خدع)، ج ٨، ص ٦٣.

^٣ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ١٣٣.

^٤ الأخفش، معاني القرآن، ج ١، ص ٤٠. سورة النساء، الآية ١٤٢.

^١ السمين الحلبي، الدرّ المصون، ج ١، ص ١٢٧.

^٢ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ١، ص ٣٣.

^٣ الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ٥٨. ابن عادل، اللباب، ج ١، ص ٣٣٨.

وَهُوَ لَا يَشْعُرُ بِذَلِكَ جَهْلًا مِنْهُ بِقَبِيحِ انْتِحَالِهِ وَسُوءِ مَالِهِ. وَعَبَّرَ عَنْ هَذَا الْمَعْنَى بِالْمُخَادَعَةِ عَلَى وَجْهِ الْمُقَابَلَةِ، وَتَسْمِيَةِ الْفِعْلِ الثَّانِي بِاسْمِ الْفِعْلِ الْأَوَّلِ الْمُسَبَّبِ لَهُ^(١). ويجوز أن يكون الفعل قد صيغ على هذه الهيئة طلباً للمشاكللة اللَّفْظِيَّةَ لِلْفِعْلِ الْوَاقِعِ فِي صَدْرِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ، "وَأَنْ يَسْمَى الْفِعْلُ الثَّانِي بِاسْمِ الْفِعْلِ الْأَوَّلِ الْمُسَبَّبِ لَهُ"^(٢)، وهو قوله سبحانه وتعالى: "يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا"^(٣)، ومنه قوله تعالى: "فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ"^(٤).

ويحتمل أن تكون المفاعلة في هذا السياق الكريم على بابها، فيشترك في صنع الحدث اثنان يتصارعان لنيل الغلبة، ولكن هذه المناقسة هي من نوع آخر، إنها مغالبة النفس للنفس! فهؤلاء القوم قد ظنوا أن لهم الظفر والنصر، فراحوا يمتنون أنفسهم ويُغرّرون بها، فيزينون لها من الأباطيل ما يخدعونها بها، وهي في المقابل تخذعهم به أيضاً، "فَكَانَهَا مُجَاوِرَةً بَيْنَ اثْنَيْنِ"^(١). وفي كلام العرب شعره ونثره ما يعضدُّ هذا التوجيه الأخير، ومنه قول الكميت:^(٢)

تَذَكَّرَ مِنْ أَنِّي وَمِنْ أَيْنَ شُرْبُهُ، يُؤَامِرُ نَفْسِيهِ كَذِي الْهَجْمَةِ الْأَيْلِ
وَأَنْشُدَ الطُّوسِيَّ:^(٣)

^١ أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص ٩٣.

^٢ ابن عطية، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٩٠.

^٣ سورة البقرة، الآية ٩.

^٤ سورة البقرة، الآية ١٩٤.

^١ أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص ٩٣.

^٢ الكميت بن زيد بن الأحنس (٥٢٢٦هـ)، (٢٠٠٠م)، ديوان الكميت بن زيد الأسدي، جمع وشرح وتحقيق: محمد نبيل طريفي، ط ١، دار صادر، بيروت، ص ٢٥٦. الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، أبو علي (ت: ٣٧٧هـ)، (١٩٨٨م)، كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشكّلة الإعراب، تحقيق وشرح: محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، ط ١، القاهرة، مصر، ص ٣٢٠. ابن منظور، لسان العرب، (أبل)، ج ١١، ص ٤. أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص ٩٣.

^٣ البيت بلا نسبة. ابن منظور، لسان العرب، (نفس)، ج ٦، ص ٢٣٤. أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص ٩٣.

لَمْ تَدْرِ مَا لَأَ؛ وَلَسْتَ قَائِلَهَا،
عُمْرَكَ مَا عِشْتَ آخِرَ الْأَبَدِ،
وَلَمْ تُؤْمِرْ نَفْسِيكَ مُمْتَرِيًّا
فِيهَا وَفِي أُخْتِهَا، وَلَمْ تَكْـ

وقال آخر: (١)

يَوْمَ أَمَرُ نَفْسِيهِ، وَفِي الْعَيْشِ فُسْحَةً،
أَيَسْتَرْجِعُ الذُّؤْبَانَ أَمْ لَا يَطُورُهَا؟

وأشدد ثعلب عن ابن الأعرابي: (٢)

وَكُنْتُ كَذَاتِ الضِّيِّ لَمْ تَدْرِ إِذْ بَغَتْ
تُؤْمِرُ نَفْسِيهَا أَتَسْرِقُ أَمْ تَزْنِي
ويعلق أبو حيان على هذه الشواهد بقوله: " فَفِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ قَدْ جُعِلَ لِلشَّخْصِ
نَفْسَيْنِ عَلَى مَعْنَى الْخَاطِرَيْنِ ". (٣)

وهكذا كانت هاتان القراءتان تعضد كل واحدة منهما الأخرى، فهؤلاء المنافقون قد وهموا أن الغلبة لهم بالمكر والخداع، فإذا الدائرة تدور عليهم، " فهم يخدعون أنفسهم ويغشونها. يخدعونها حين يظنون أنهم أربحوها وأكسبوها بهذا النفاق، ووقوها مغبة المصارحة بالكفر بين المؤمنين. وهم في الوقت ذاته يوردونها موارد التهلكة بالكفر الذي يضمرونه، والنفاق الذي يظهرهونه. وينتهون بها إلى شر مصير! (١)"

وعلى صعيد آخر اتفق القراء العشرة على قراءة (يُخَادِعُونَ) من قوله تعالى: " يُخَادِعُونَ اللَّهَ " (٢)، ومن قوله تعالى: " إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ " (٣) بضم الياء

^١ البيت بلا نسبة. ابن منظور، لسان العرب، (نفس). أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص ٩٣.

^٢ البيت بلا نسبة. الفارسي، الحجة، ج ١، ص ٣١٩. أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص ٩٤.

^٣ أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص ٩٤.

^١ قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، (١٩٩٢م)، في ظلال القرآن، دار الشروق، ط ١٧، بيروت، القاهرة، ج ١، ص ٤٣.

^٢ سورة البقرة، الآية ٩.

^٣ سورة النساء، الآية ١٤٢.

وفتح الخاء وإقحام ألف بعدها وكسر الدال (١) كما اتفقوا على قراءة (يَخْدَعُوكَ) من قوله تعالى: " وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ " (٢) بفتح الياء وإسكان الخاء وحذف الألف وفتح الدال.

(وَوَاعَدْنَا)، (وَعَدْنَا): (٣)

وقرأ أبو عمرو ويعقوب وأبو جعفر (وَعَدْنَا) من قوله تعالى: " وَإِذْ وَاوَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً " (٤) وقوله تعالى: " وَوَاوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً " (٥) وقوله تعالى: " وَوَاوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ " (٦) وذلك بحذف الألف التي بعد الواو، على وزن (فَعَلٌ) من وَعَدَ يَعِدُ (١) وَعَدَاءٌ (٢) وهي اختيار أبي عبيد " وأنكر واعدنا قال: لأنّ المواعدة إنّما تكون من البشر، فأما الله جلّ وعزّ فإنّما هو المنفرد بالوعد والوعيد" (٣) وقد وافقه على هذا المعنى أبو حاتم ومكي (٤) يقول أبو حاتم: " أَكْثَرُ مَا تَكُونُ الْمُوَاوَعِدَةُ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ الْمُتَكَافِئِينَ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَعِدُ صَاحِبَهُ " (٥).

وقد غلط أبو جعفر النحاس أبا عبيد في قوله هذا، قال: " هذا غلط بيّن لأنه أدخل بابا في باب وأنكر ما هو أحسن وأجود و(واعدنا) أحسن وهي قراءة مجاهد والأعرج وابن كثير ونافع والأعمش وحمزة والكسائي، وليس قوله سبحانه: " وَعَدَّ

^١ ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٠٧.

^٢ سورة الأنفال، الآية ٦٢.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٢. شرح طيبة النشر، ص ١٧٣. تحبير التيسير،

ص ٢٨٦. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢١٢. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ١٥٥.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٧.

^٤ سورة البقرة، الآية ٥١.

^٥ سورة الأعراف، الآية ١٤٢.

^٦ سورة طه، الآية ٨٠.

^١ سيوييه، الكتاب، ج ٤، ص ٣٣٠.

^٢ ابن دريد، جمهرة اللّغة، ج ٢، ص ٦٦٨. ابن عقيل، شرح ابن عقيل، ج ٢، ص ٣٠.

^٣ النّحاس، إعراب القرآن، ج ١، ص ٥٢.

^٤ أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص ٣٢١.

^٥ المصدر نفسه.

اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا " من هذا في شيء، لأنّ واعدنا موسى إنّما هو من باب الموافاة وليس هو من الوعد والوعيد في شيء وإنّما هو من قول: موعدك يوم الجمعة، وموعدك موضع كذا، والفصيح في هذا أن يقال: واعدته ".^(١)

وقرأ الباقون (وَوَاعَدْنَا) بألف بعد الواو على وزن (فَاعِلٌ) من: وَاعَدَ يُوَاعِدُ مُوَاعِدَةً، وهذه الصيغة تعني وجود اثنين يحصل بينهما أمر المواعدة وهو ما كان؛ إذ " المواعدة كَانَتْ من الله وَمَنْ مُوسَى فَكَانَتْ من الله عزّ وجلّ أنّه وعد موسى - عليه السلام - باللقاء على الطّور ليكلّمه إعلاءً لشأنه وتكريماً وتثبيتاً له فكان من موسى إلّا أن ينصاع للأمر الإلهي " وواعد موسى ربّه المصير إلى الطّور لما أمره به^(٢) وقيل: وهي إنّما وردت بصيغة المفاعلة؛ " لأنّ الطّاعة في القبول بمنزلة المواعدة، فهو من الله وعدّ، ومن موسى قبول واتباع، فجرى مجرى المواعدة "، حكاه أبو إسحاق الزجاج،^(١) وهو بهذا التّأويل الأخير نظير قوله تعالى: " لَأَ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا"،^(٢) قال الكسائي: "وليس قولُ الله: " وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا " من هذا الباب في شيء؛ لأنّ واعدنا موسى إنّما هو من باب الموافاة وليس من الوعد في شيء، وإنّما هو من قولك: مَوَعِدُكَ يَوْمُ كَذَا وموضعُ كذا، والفصيح في هذا واعدنا. وقال مكي أيضاً: " والاختيارُ واعدنا بالألف، لأنّه بمعنى وَعَدْنَا في أحدِ مَعْنَيْهِ، ولأنّه لا بُدَّ لموسى من وَعَدٍ أو قبول يُقَوْمُ مقامَ الوعدِ فَتَصَحَّ المفاعلة ".^(٣)

ويجوز أن تكون هذه القراءة من باب (فاعلت) بمعنى (فعلت) نحو: عاقبت اللص، وطارقت نعلي، وسافرت أمس،^(٤) يقول أبو البقاء: " وَيَقْرَأُ وَاعَدْنَا بِالْفِ، وَلَيْسَ مِنْ بَابِ الْمُفَاعَلَةِ الْوَأَقَعَةَ مِنْ اثْنَيْنِ، بَلْ مِثْلَ قَوْلِكَ: عَافَاهُ اللهُ، وَعَاقَبْتُ اللَّصَّ.

^١ سورة المائدة، الآية ٩. النحاس، إعراب القرآن، ج ١، ص ٥٣.

^٢ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٩٦.

^١ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ١، ص ١٣٣. الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ١٥٠.

^٢ سورة البقرة، الآية ٢٣٥. ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ٦٤.

^٣ مكي، الكشف، ج ١، ص ٢٤٠. السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج ١، ص ٣٥٣.

^٤ السمرقندي، بحر العلوم، ج ١، ص ٥٢. ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٩٦.

وَقِيلَ: هُوَ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْوَعْدَ مِنَ اللَّهِ، وَالْقَبُولَ مِنْ مُوسَى، فَصَارَ كَالْوَعْدِ مِنْهُ،
وَقِيلَ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَ مُوسَى أَنْ يَعِدَ بِالْوَفَاءِ فَفَعَلَ." (١)

ولذلك لا نعجب إذا ما وجدنا أبا الحسن الأخفش يذهب في تفسير قوله تعالى: " وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً " أنّ الوعد كان من ربّ البرية لموسى - عليه السلام - على التعيين، قال معناها: " واعدناه انقضاءً أربعين ليلة، أي: رأس الأربعين، كما قال: " وَسئَلِ الْقَرْيَةَ "، وهذا مثل قولهم " اليومَ أربعونَ يوماً منذُ خرجَ " و " اليومَ يومانَ " أي: " اليومَ تمامَ الأربعينَ " و " تمامَ يومينَ ". (٢)

(تَفَادُوهُمْ)، (تَفَدُّوهُمْ): (٣)

وقرأ الكسائي ويعقوب وعاصم ونافع وأبو جعفر (تَفَادُوهُمْ) من قوله تعالى: " وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ " (١) بضمّ التاء وفتح الفاء وألف بعدها، من " فَادَاهُ يُفَادِيهِ مُفَادَاةً إِذَا أُعْطِيَ فِدَاءَهُ وَأَنْقَذَهُ "، (٢) قال الشاعر: (٣)

فَلَوْ كَانَ مَيْتٌ يُفْتَدَى، لَفَدَيْتُهُ،
بِمَا لَمْ تَكُنْ عَنْهُ النَّفْسُ تَطِيبُ

وتقول العرب: " فاديتُ الأسير، وكان أخي أسيراً ففاديتُهُ بأسير "، (٤) قال نصيب: (٥)

^١ العكبري، التبيان في إعراب القرآن، ج ١، ص ٦٢.

^٢ سورة يوسف، الآية ٨٢. الأخفش، معاني القرآن، ج ١، ص ٩٩، ١٠٠.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٣. شرح طيبة النشر، ص ١٧٩. تحبير التيسير، ص ٢٩١. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢١٨. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ١٦٩. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٤٢.

^١ سورة البقرة، الآية ٨٥.

^٢ ابن منظور، لسان العرب، (فدي)، ج ١٥، ص ١٥٠.

^٣ البيت لغريقة بن مسافع العبسي، الأصمعي، الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصم (ت: ٢١٦هـ-)، (١٩٩٣م)، الأصمعيات اختيار الأصمعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، ط ٧، دار المعارف، مصر، ص ٩٩.

^٤ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ١٦٣.

^٥ نصيب بن رباح، (٥١٠٨)، (١٩٦٧م)، شعر نصيب بن رباح، جمع وتقديم: داوود سلّوم، مكتبة مروان العطية، مطبعة الإرشاد، بغداد، ص ٦٥. الأزهرى، تهذيب اللغة، فدي. ابن منظور، لسان العرب، فدي.

وَلَكِنِّي فَادَيْتُ أُمِّي، بَعْدَ مَا عَلَا الرَّأْسَ مِنْهَا كِبَرَةٌ وَمَشِيبٌ

بِعَبْدَيْنِ مَرَضِيَيْنِ لَمْ يَكُ فِيهِمَا لُئِنِ عُرِضَا لِلنَّاظِرِينَ مَعِيبٌ

والمُفَادَاةُ هي: " أَنْ تَدْفَعَ رَجُلًا وَتَأْخُذَ رَجُلًا "، قاله أبو العباس المبرد،^(١) وقيل: " المُفَادَاةُ: أَنْ تَفْتَكَّ الْأَسِيرَ بِأَسِيرٍ مِثْلَهُ "،^(٢) " وَتَفَادُوا أَي فَدَى بَعْضُهُ بَعْضًا "،^(٣) ويكون معنى هذه القراءة: " تُمَآكِسُونَ مَنْ هُمْ فِي أَيْدِيهِمْ فِي الثَّمَنِ وَيُمَآكِسُونَكُمْ "، حكاها أبو معاذ،^(٤) وهذه القراءة هي اختيار أبي حاتم.^(٥)

وقرأ الباقر (تَفْدُوهُمْ) بفتح التاء وإسكان الفاء وحذف الألف التي بعدها، من فَدَى^(١) يَفْدِي فِدْيَةً، وهو " مِنْ الْفِدَاءِ وَهُوَ الْعَوْضُ مِنَ الشَّيْءِ صِيَانَةً لَهُ "،^(٢) وحكى أبو العباس المبرد: " المُفَادَاةُ أَنْ تَدْفَعَ رَجُلًا وَتَأْخُذَ رَجُلًا، وَالْفِدَاءُ أَنْ تَشْتَرِيَهُ، فِدْيَتُهُ بِمَالِي فِدَاءٍ وَفِدْيَتُهُ بِنَفْسِي "،^(٣) وقال أبو معاذ: " معناه تَشْتَرُوهُمْ مِنَ الْعَدُوِّ وَتُفْدُوهُمْ "،^(٤) وروى صاحب (التّهذيب) عن نصير الرازي قوله: " فَادَيْتُ الْأَسِيرَ وَالْأُسَارَى، هَكَذَا تَقُولُهُ الْعَرَبُ: وَيَقُولُونَ: { فِدْيَتُهُ بِأَبِي وَأُمِّي } وَفِدْيَتُهُ بِمَالٍ كَأَنَّكَ اشْتَرَيْتَهُ وَخَلَصْتَهُ بِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَسِيرًا، وَإِذَا كَانَ أَسِيرًا مَمْلُوكًا قُلْتَ {فَادَيْتَهُ؛ كَذَا تَقُولُهُ الْعَرَبُ... قَالَ وَإِذَا قُلْتَ: فِدَيْتُ الْأَسِيرَ فَهُوَ أَيْضًا جَائِزٌ بِمَعْنَى فِدْيَتِهِ مِمَّا كَانَ فِيهِ أَي

^١ الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٤، ص ١٤٠. الفيومي، المصباح المنير، ج ٢، ص ٤٦٥. الزبيدي،

تاج العروس، ج ٣٩، ص ٢٢١، (فدي).

^٢ ابن الأثير، النهاية، ج ٣، ص ٤٢١.

^٣ الجوهرى، الصحاح، (فدي)، ج ٦، ص ٢٤٥٣.

^٤ ابن منظور، لسان العرب، (فدي)، ج ١٥، ص ١٥٠.

^٥ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ١، ص ٢٣٠.

^١ أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص ٤٦٩.

^٢ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣، ص ٥٩٢.

^٣ الأزهرى، تهذيب اللغة، (فدي)، ج ١٤، ص ١٤٠.

^٤ الزبيدي، تاج العروس، (فدي)، ج ٣٩، ص ٢٢٢.

خَلَصَتْهُ مِنْهُ، وَفَادَيْتُ أَحْسَنُ فِي هَذَا الْمَعْنَى"،^(١) وهذه القراءة هي اختيار أبي عبيدة. (٢)

ويجوز أن تكون هاتان القراءتان بمعنى واحد؛ إذ المفاعلة يمكن أن تغيّر معنى المشاركة فتكون مسندة للواحد أي: تغدو " ففَاعَلَ بِمَعْنَى: فَعَلَ الْمُجَرَّدِ "،^(٣) نحو: عاقبت اللص، وسافرتُ إلى بلاد كذا. يقول ابن عاشور: " فَاسْتَعْمَلُ فَادَى هُنَا مَسْلُوبُ الْمُفَاضَلَةِ مَثَلُ عَافَاهُ اللَّهُ "،^(٤) ومنه قول امرئ القيس:^(٥)

فَعَادَى عَدَاءً بَيْنَ ثَوْرٍ وَنَعَجَةٍ دِرَاكًا وَلَمْ يَنْضَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ

ومما تقدّم نلاحظ عبر هذا البيان لدلالات (الفديّة والمفاداة) مدى التآلف والتكامل بين هاتين القراءتين؛ حيث يأخذ كل واحدة منهما بركاب الأخرى؛ فـ (فدى) في أصل استعماله اللّغوي يعني " أَنْ يُجْعَلَ شَيْءٌ مَكَانَ شَيْءٍ حِمَى لَهُ "،^(١) فإذا صادف أن قال أحدهم: إنني أفديك بكذا، كان مراده أنه يحميه بنفسه " أَوْ بِشَيْءٍ يُعَوِّضُ عَنْهُ "،^(٢) وهذا العوض قد يكون من طرف واحد بالمال أو بالنفس، وقد يكون تبادلياً مشتركاً، هذا عوض هذا وذاك مكان هذا فتلك (المفاداة). يقول صاحب (الدرّ المصون): " وَالظَّاهِرُ أَنْ (تُفَادَهُمْ) عَلَى أَصْلِهِ مِنْ اثْنَيْنِ، وَذَلِكَ أَنْ الْأَسِيرَ يُعْطَى الْمَالَ وَالْأَسِيرَ يُعْطَى الْإِطْلَاقَ، وَتَقْدُومَهُمْ عَلَى بَابِهِ مِنْ غَيْرِ مَشَارَكَةٍ، وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَ الْفَرِيقَيْنِ يَفْدِي صَاحِبَهُ مِنَ الْآخِرِ بِمَالٍ أَوْ غَيْرِهِ، فَالْفِعْلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ وَاحِدٍ، وَالْفِدَاءُ مَا يُفْتَدَى بِهِ "،^(٣)

^١ الأزهرى، تهذيب اللّغة، (فدي)، ج ١٤، ص ١٤١.

^٢ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ١، ص ٢٣٠.

^٣ أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص ٤٦٩. ابن عادل، اللباب، ج ٢، ص ٢٥١.

^٤ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١، ص ٥٩١.

^٥ امرؤ القيس، الديوان، ص ٦٢. أبو علي القالي، الأمالي، ج ٢، ص ٢٢٩.

^١ ابن فارس، مقاييس اللّغة، (فدي)، ج ٤، ص ٤٨٣.

^٢ المصدر نفسه.

^٣ السمين الحلبي، الدرّ المصون، ج ١، ص ٤٨٣.

(تَقَاتِلُوهُمْ، تَقْتُلُوهُمْ)، (يُقَاتِلُوهُمْ، يَقْتُلُوهُمْ)، (قَاتِلُوكُمْ، قَتَلُوكُمْ): (١)

قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر (ولا تَقَاتِلُوهُمْ، حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ، فَإِنْ قَتَلُوكُمْ) من قوله تعالى: " وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ " (٢) بفتح تاء الفعل الأول وياء الثاني، وإسكان القاف فيهما وضمّ التاء بعدها، وحذف الألف التي بعد القاف في المواضع الثلاثة، من قَتَلَ يُقْتَلُ قَتَلًا، فهو " من القتل على معنى لا تقتلوا بعضهم. تقول العرب: قتلنا بني فلان وإنما قتلوا بعضهم، لفظه عام ومعناه خاص"، (٣) ويقول الأزهرى في تأويل هذه القراءة: " من قرأ: (لا تَقَاتِلُوهُمْ) فالمعنى: لا تَبَدُّوهُمْ بِقَتْلِ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ بِهِ، وَجَازَ وَلَا تَقْتُلُوهُمْ وَإِنْ وَقَعَ الْقَتْلُ بِبَعْضٍ دُونَ بَعْضٍ، لِأَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: قَتَلْنَا الْقَوْمَ، وَإِنَّمَا قَتَلُوا بَعْضَهُمْ " (٤).

ويروى " أَنْ الْأَعْمَشَ قَالَ لِحَمْزَةَ: أَرَأَيْتَ قِرَاءَتَكَ إِذَا صَارَ الرَّجُلُ مَقْتُولًا فَبَعَدَ ذَلِكَ كَيْفَ يَصِيرُ قَاتِلًا لِغَيْرِهِ؟ فَقَالَ حَمْزَةُ: إِنَّ الْعَرَبَ إِذَا قَتَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَالُوا قَتَلْنَا، وَإِذَا ضَرَبَ رَجُلٌ مِنْهُمْ قَالُوا ضَرَبْنَا " (١). ويرى أبو حيان أن هذه القراءة يمكن حملها على المجاز، فيجوز أن يكون المعنى: " وَلَا تَأْخُذُوا فِي قَتْلِهِمْ حَتَّى يَأْخُذُوا فِي قَتْلِكُمْ " (٢)، ويجوز أيضاً أن يكون المراد: " وَلَا تَقْتُلُوا بَعْضَهُمْ حَتَّى يَقْتُلُوا بَعْضَكُمْ " (٣)، ومنه قول امرئ القيس: (٤)

فَإِنْ تَقْتُلُونَا نَقْتُلُكُمْ؛ وَإِنْ نَقْصِدُوا لِدِمِّ نَقْصِدِ

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٥. شرح طيبة النشر، ص ١٩٣. تحبير التيسير،

ص ٣٠٢. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٢٧. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٠١.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٧٣.

^٢ سورة البقرة، الآية ١٩١.

^٣ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٢، ص ٨٨.

^٤ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ١٩٥، ١٩٦.

^١ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٥، ص ٢٩٠.

^٢ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٢٤٤.

^٣ المصدر نفسه.

^٤ امرؤ القيس، الديوان، ص ٨٨.

وقرأ الباقيون بصيغة (فاعل) بإقحام ألف بعد القاف في المواضع كلها، مع ضمّ تاء الفعل الأوّل وياء الثاني وفتح القاف فيهما مع كسر تائهما، من قاتل يُقاتل قتالاً ومقاتلة، والمعنى: "ولا تبدؤوا أيها المؤمنون المشركين بالقتال عند المسجد الحرام، حتى يبدؤكم به، فإن بدأكم به هناك عند المسجد الحرام في الحرم فاقتلوهم، فإن الله جعل ثواب الكافرين على كفرهم وأعمالهم السيئة، القتل في الدنيا والخزي الطويل في الآخرة".^(١)

(تَمَسُّوهُنَّ، تَمَسُّوهُنَّ):^(٢)

اختلف القراء العشرة في قراءة (تمسوهن) حيثما وردت في القرآن المجيد، وقد جاءت في ثلاثة مواضع، وهي:

١- قوله تعالى: " لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفَرَّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً".^(٣)

٢- في قوله تعالى: " وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ".^(١)

٣- في قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ".^(٢)

حيث قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر (تمسوهن) (تمسوهن) بضمّ التاء وإقحام ألف بعد الميم، على وزن (تفاعلوهن)، على إرادة المشاركة والمفاعلة؛ حيث إن " بدن كل واحد منهما يمس بدن صاحبه فيتماسان جميعاً"،^(٣) " والمماسة: كناية عن المباضعة؛ وكذلك التماس"، حكاه الجوهري،^(٤) قال السمين: معنى المفاعلة في

^١ الطبري، جامع البيان، ج٣، ص٥٦٦. ٥٦٧.

^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص٦٦. شرح طيبة النشر، ص١٩٧. تحبير التيسير،

ص٣٠٥. النشر في القراءات، ج٢، ص٢٢٨. النويري، شرح طيبة النشر، ج٢، ص٢٠٨.

محيسن، الهادي، ج٢، ص٨٢.

^٣ سورة البقرة، الآية ٢٣٦.

^١ سورة البقرة، الآية ٢٣٧.

^٢ سورة الأحزاب، الآية ٤٩.

^٣ الثعلبي، الكشف والبيان، ج٢، ص١٨٨.

^٤ الجوهري، الصحاح، (مسس)، ج٣، ص٩٧٨.

هذه القراءة هو: " المشاركة، ... فَإِنَّ الْفَعْلَ مِنَ الرَّجْلِ وَالتَّمَكِينَ مِنَ الْمَرْأَةِ، ولذلك قيلَ لها زانيةٌ "،^(١) ونظيره قول متنزّه التّنزيل: " فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكُمْ تَوْعْظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ " .^(٢)

وقرأ الباقر (تمسّوهنّ) بفتح التاء وتقصير الألف على وزن (فعل)، من: " مَسَّتْ أُمَّةٌ " ^(٣) ذي الدلالة الإفرادية؛ إذ إنَّ " الغشيان إنما هو من فعل الرجل "،^(٤) وهو الجماع، قاله ابن عباس - رضي الله عنهما -^(٥) قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ ثَعْلَبُ: " اخْتَارَ بَعْضُهُمْ (مَا لَمْ تَمَسُّوهن) وَقَالَ: لَأَنَا وَجَدْنَا هَذَا الْحَرْفَ فِي غَيْرِ مَوَاضِعَ مِنَ الْكِتَابِ بِغَيْرِ أَلْفٍ " وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشْرٌ " فَكُلُّ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ فَهُوَ فِعْلُ الرَّجْلِ فِي بَابِ الْغَشْيَانِ " .^(٦)

وقد احتج أنصار قراءة القصر على صحّة قراءتهم، أنّ أكثر ما ورد من ألفاظ في معنى النكاح والجماع قد صيغت من باب (فعل)،^(١) نحو: " نَكَحَ وَسَقَدَ وَفَزَعَ وَدَقَطَ وَضَرَبَ "،^(٢) وفي التّنزيل قرآن تشهد بذلك، منها قوله تعالى: " قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِئِنَّ أَنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ "،^(٣) وقوله سبحانه: " بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَأَتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ "،^(٤) قال سيبويه: " ونكحها نكاحاً، وسفدها سفاداً "،^(٥) وقال أيضاً: " وقالوا: ضربها الفحل ضرباً كالنكاح، والقياس

^١ السمين الحلبيّ، الدر المصون، ج ٢، ص ٤٨٦.

^٢ سورة المجادلة، الآية ٣.

^٣ الجوهريّ، الصحاح، (مسس)، ج ٣، ص ٩٧٨. هذه هي اللّغة الفصيحة (مَسَّتْ) بكسر العين،

وروي عن أبي عبيد (مَسَّتْ) بالضم.

^٤ الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج ٢، ص ١٨٨.

^٥ النحاس، معاني القرآن، ج ١، ص ٢٣٠.

^٦ سورة آل عمران، الآية ٤٧. الأزهرّيّ، تهذيب اللّغة، (مسس).

^١ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٦، ص ٤٧٤.

^٢ أبو حيّان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٥٢٨.

^٣ سورة الرحمن، الآية ٥٦.

^٤ سورة النساء، الآية ٢٥.

^٥ سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٩. الفارسيّ، الحجّة، ج ٢، ص ٣٣٧.

ضرباً، ولا يقولونه كما لا يقولون نكحاً وهو القياس. وقالوا: دَفَعَهَا دَفْعاً كالقرقع، وذقتها ذقطاً، وهو النكاح ونحوه من باب المباشعة".^(١)

قال الفارسي معلقاً على قراءة حمزة وأصحابه: "ألا ترى أنه جاء على: فَعَلَ دون فاعل، ... فكما أن هذه الأفعال على فَعَلَ دون فاعل، فكذلك ينبغي أن يكون في الموضع المختلف فيه".^(٢) ويقول الرازي في ذلك أيضاً: "المُرَادُ مِنْ هَذَا الْمَسِّ: الْغَشْيَانُ، وَذَلِكَ فِعْلُ الرَّجُلِ، وَيَدُلُّ فِي الْآيَةِ الثَّانِيَةِ عَلَى الْمُرَادِ مِنْ هَذَا الْمَسِّ الْغَشْيَانُ، وَأَمَّا مَا جَاءَ فِي الظَّهَارِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: " مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا "، فَالْمُرَادُ بِهِ الْمَمَاسَةُ الَّتِي هِيَ غَيْرُ الْجَمَاعِ وَهِيَ حَرَامٌ فِي الظَّهَارِ "،^(٣) قال أبو العباس ثعلب: " فكلُّ شَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَابِ فَهُوَ فِعْلُ الرَّجُلِ فِي بَابِ الْغَشْيَانِ "،^(٤) ويجوز أن تكون (فاعل) في القراءة الثانية هي من باب (فاعل) بمعنى (فَعَلَ)،^(١) نحو: " طَارَقَتْ النَّعْلَ، وَعَاقَبْتُ اللَّصَّ "،^(٢)

وأحسب أن هاتين القراءتين تفضي كل واحدة منهما للأخرى؛ فالجماع هو فعل إنجازي لا يتحصّل إلا باشتراك طرفين اثنين في تحقيقه، إلا أن هذا الفعل قد ينجز على مرحلتين، فإن المبادرة في النكاح لا يكون في الأغلب إلا من الرجل ثم ينعقد بقبول المرأة، فإذا كانت لحظة المس المباح شرع الزوج بإزالة غشاوة الحياء التي تتمتع بها المرأة بالفطرة، فإذا كان له ذلك بالموّدة التي أوجدها لهما فالق الحب والنوى جرت المماساة منهما معاً فكل منهما يطلب صاحبه بما قسمه الله بينهما من الرحمة ورباط الشرع المتين، ولذلك قيل: المسّ هو كناية عن النكاح، فقيل: " مسّها وماسّها "،^(٣)

^١ المصدران السابقان.

^٢ الفارسي، الحجّة، ج ٢، ص ٣٣٧.

^٣ سورة المجادلة، الآية ٣. الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٦، ص ٤٧٤.

^٤ الأزهرّي، تهذيب اللّغة، (مسس)، ج ١٢، ص ٢٢٦.

^١ الفارسي، الحجّة، ج ٢، ص ٣٣٨.

^٢ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ١٩٩.

^٣ الأصفهاني، المفردات، ص ٧٦٧.

ولعلّ هذا ما يفسّر - في ظنّي - إجماع القراء على قراءة (يَمَسَّنِي) في سورة مريم - عليها السّلام - بهذه الصّيغة؛ إذ هو بمعنى ما تزوّجني أحد أي ما أبحت لأحد بالمسّ فأحمل كبقية النساء، وهذا أيضاً يفسّر لنا سبب إسناد ضمير الاثنتين للفعل (يتماساً) من قوله تعالى: " مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا "؛^(١) ذلك أنّهما أعني الزّوجين قد كان منهما المسّ من قبل، ثم كان التّحريم بفعل الإظهار، فلمّا زال ما كان مانعة بالحرمة، صار المسّ منهما مباحاً كما كان، " وبذلك تحل الزّوجة مرة أخرى، وتعود الحياة الزّوجية لسابق عهدها ".^(٢)

(فَأَذِنُوا، فَأَذِنُوا):^(٣)

قرأ حمزة وشعبة (فأذنوا) من قوله تعالى: "فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ"^(١) بألف بعد الهمزة وكسر الذال، على وزن (فأعلوا)، وهو فعل أمر من: "أذن الرباعيّ بمعنى: أعلم، مثل قوله: فَقُلْ أَذْنُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ"،^(٢) حكاه سيبويه،^(٣) ويقال: " قد آذنته بكذا وكذا، أو ذنه إيذاناً، إذا أعلمته؛ وقد أذن به يأذن، إذا علم "،^(٤) والمعنى: " فاعلموا من وراءكم أن كل من لم يترك الربا فهو حرب "،^(٥) وروى أبو عبيد عن الأصمعيّ قوله: " فأذنوا، فكونوا على أذن من ذلك أي على علم ".^(٦)

^١ سورة المجادلة، الآية ٣.

^٢ قطب، في ظلال القرآن، ج ٥، ص ٢٨٢٤.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٧. شرح طيبة النشر، ص ٢٠٣. تحبير التيسير،

ص ٣١٥. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٣٦. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٢٤.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٩٧.

^١ سورة البقرة، الآية ٢٧٩.

^٢ سورة الأنبياء، الآية ١٠٩. أبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٧١٤.

^٣ سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٦٢. الفارسي، الحجّة، ج ٢، ص ٤١٣.

^٤ الأزهرّي، تهذيب اللّغة، (أذن)، ج ١٥، ص ١٥.

^٥ الأزهرّي، معاني القراءات، ج ١، ص ٢٣١، ٢٣٢.

^٦ النّحاس، إعراب القرآن، ج ١، ص ١٣٤. ابن منظور، لسان العرب، (أذن).

وقرأ الباقر (فَأَذْنُوا) بتقصير الألف وفتح الذال على وزن (فَعَلُوا)، وهو فعل أمر من: "أَذِنَ، الثَّلَاثِيَّ، مِثْلَ قَوْلِهِ: لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ"،^(١) ومعناه: "فاعلموا أنتم به"،^(٢) أو "كُونُوا عَلَى عِلْمٍ"،^(٣) يقال: "أَذِنَ الشَّيْءُ يَأْذِنُ أَذْنًا وَأَذَانَةً إِذَا سَمِعَهُ وَعَلِمَهُ. قَالَ اللَّهُ: وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ"،^(٤) أي: "اعلموا ذلك واسمعوه، وكُونُوا عَلَى أَذْنٍ مِنْهُ"،^(٥) وقيل: معناه: "فَأَنْصِتُوا"،^(٦) وحكى الجوهري: "وَأَذِنَ لَهُ أَذْنًا: اسْتَمَعَ"،^(٧) قَالَ قَعْنَبُ بْنُ أُمِّ صَاحِبٍ:^(٨)

إِنْ يَسْمَعُوا رِيْبَةً طَارُوا بِهَا فَرَحًا مَنِّي، وَمَا سَمِعُوا مِنْ صَالِحٍ دَفَنُوا
صُمٌّ إِذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرَتْ بِهِ، وَإِنْ ذُكِرَتْ بَشَرٌ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

قال الزجاج: معناه: "أَيَقِنُوا"،^(١) وحكى أبو بكر بن الأنباري عن العرب قولهم: "إِيذِنُوا بِحَرْبٍ"، قال أبو بكر: "معناه: اعلموا ذلك وتيقنوه واسمعوه. يقال قد أذن الرجل يأذن إذناً: إذا سمع وعلم، وقد آذنته للصلاة: إذا أعلمته حضورها".^(٢) وهكذا كانت هذه الآية تهديداً ووعيداً لأولئك الذين غرتهم الحياة الدنيا فطمعوا بأموال الناس فأخذوهم بالرِّبَا، غاضبين الطرف عن أمر المولى بالكف عن ذلكم الفعل، فإن لم ينصاعوا لما نهوا عنه (فَأَذِنُوا) ولينتظروا حرباً ذات بأس شديد، فإن أقرّوا وامتلوا لإرادة رب البرية، كان عليهم أن (يؤذِنُوا) فيُعرفوا أقرانهم بما علموه من وخيم المصير لفعالهم إن لم ينتهوا كما انتهوا، فهو إذن علم وإعلام.

(وَيَقَاتِلُونَ)، (وَيَقْتُلُونَ):^(٣)

^١ سورة النبأ، الآية ٨. أبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٧١٤.

^٢ الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ١٨٩.

^٣ ابن سيده، المحكم، (أذن).

^٤ سورة الانشراح، الآية ٢. الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٢، ص ٢٨٥.

^٥ السجستاني، غريب القرآن، ص ١٠١.

^٦ الأزهرى، تهذيب اللغة، (أذن)، ج ١٥، ص ١٥.

^٧ الجوهري، الصحاح، (أذن)، ج ٥، ص ٢٠٦٨.

^٨ ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ١٠. المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ص ١٠١٣.

^١ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ١، ص ٣٥٩.

^٢ الأنباري، الزاهر، ج ٢، ص ٤.

قرأ حمزة وحده (وَيَقَاتِلُونَ) من قوله تعالى: " وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ " (٢) بياء مضمومة وألف بعد القاف وياء مكسورة، على وزن (يُفَاعِلُونَ)، من قاتل يُقاتِلُ، والمعنى: " أنه يقاتلون الذين يخالفونهم في كفرهم، والمقاتلة من اثنين، والقتل من واحد " (٣) وقرأ الباقون (وَيَقْتُلُونَ) بياء مفتوحة وقاف ساكنة، وحذف الألف التي بعدها، على وزن (يَفْعَلُونَ) من قَتَلَ يَقْتُلُ، والمعنى: " أنهم يَقْتُلُونَ الذين لا يقاتلونهم " (٤) وانفق القراء العشرة على قراءة (وَيَقْتُلُونَ) التي في صدر الآية الكريمة وهي قوله تعالى: " وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ " (١) بياء مفتوحة وقاف ساكنة.

لقد دللت هذه الآية الكريمة على صفات الكافرين ومن شايحهم من اليهود الذين كان من أسلافهم قتلة الأنبياء، ولو أنهم أمكنوا من ذلك لاستنوا بهذه السنة فقتلوا الرسول والذين معه من الصالحين الأبرار، وهم في الوقت نفسه من عادتهم العداوة والغدر؛ فإنهم لا ينتظرون قتالاً من أحد فيقاتلوه لمقاتلته إياهم، واعتدائه عليهم، إنما القتل صفة لازمة فيهم، فيقتلون ويقاتلون، " ولعل تكرير الفعل للإشعار بما بين القتلين من التفاوت أو باختلافهما في الوقت " (٢).

(أَتَيْتُمْ، آتَيْتُمْ): (٣)

انفرد ابن كثير من بين القراء العشرة بقراءة (أتيتم) من قوله تعالى:

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٨. شرح طيبة النشر، ص ٢٠٥. تحبير التيسير، ص ٣٢٠. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٤٦. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٣٤. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١٠٥.

^٢ سورة آل عمران، الآية ٢١.

^٣ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٢٤٦.

^٤ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٢٤٦.

^١ سورة آل عمران، الآية ٢١.

^٢ الألوسى، روح المعاني، ج ٢، ص ١٠٥.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٦. شرح طيبة النشر، ص ١٦٩. تحبير التيسير، ص ٣٠٥. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٢٨. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٠٧. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٨١.

- ١ - " فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ ".^(١)
- ٢ - " وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيرَبُّوْا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوْا عِنْدَ اللَّهِ ".^(٢)
- حيث قرأهما (أتيتم) بتقصير الألف، على وزن (فعل)، من: أتى يأتي، أي: جاء وفعل،^(٣) ومعناها: " ما جئتم وفعلتم "،^(٤) يقال: " أتيت جميلاً. أي: فعلته "،^(٥) " وَأَتَى إِلَيْهِ، إِحْسَانًا فَعَلَهُ، وَقَالَ: " إِنَّ وَعْدَهُ كَانَ مَأْتِيًّا "، أي: مَفْعُولًا "،^(١) قال زهير:^(٢)

فَمَا يَكُ مِنْ خَيْرٍ أَتَوْهُ فَإِنَّمَا تَوَارَثَهُ آبَاءُ آبَائِهِمْ قَبْلُ

قال الواحدي: " يعني: فعلوه وقصدوه. ويكون التسليم على هذه القراءة بمعنى الطاعة والانقياد، لا بمعنى تسليم الأجرة "،^(٣) والمعنى: " إذا سَلَّمْتُمْ مَا جِئْتُمْ وَفَعَلْتُمْ "،^(٤)

وقرأ الباقر (أتيتم) بتطويل الألف على وزن (أفعل)، من أتى يأتي، أي: أعطى،^(٥) بآية من قوله تعالى: " إِذَا سَلَّمْتُمْ "، " والتسليم لا يكون إلا بالإعطاء "،^(٦) واتفق القراء العشرة على قراءة (أتيتم) من الروم وهو قوله تعالى: " وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ "،^(٧) بإطالة الألف، " لأنَّ المراد به: أعطيتم "،^(٨) يقول ابن

^١ سورة البقرة، الآية ٢٣٣.

^٢ سورة الروم، الآية ٣٩.

^٣ الفيومي، المصباح المنير، (أتي)

^٤ السمرقندي، بحر العلوم، ج ١، ص ١٥٤.

^٥ الفارسي، الحجّة، ج ٢، ص ٣٣٥.

^١ سورة مريم، الآية، ٦١. أبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٥٠٩.

^٢ القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ٦٨. زهير بن أبي سلمى، الديوان، ص ٨٧.

^٣ الواحدي، التفسير الوسيط، ج ١، ص ٣٤٣.

^٤ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٢، ص ٤٧٥.

^٥ الأزهرّي، معاني القراءات، ج ١، ص ٢٠٧.

^٦ ابن خالويه، الحجّة، ص ٩٧.

^٧ سورة الروم، الآية ٣٩.

^٨ محيسن، القراءات، ج ١، ص ٥٣٠.

خالويه: " وكل ما في كتاب الله من (أتى) بالمد فمعناه: الإعطاء، وما كان فيه من (أتى) بالقصر فهو من المجيء إلا قوله: " فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا "، أي: أخذهم. وقوله في قراءة لـ (مجاهد): " أَتَيْنَا بِهَا " جازينا بها. وقوله: " كَمْ أَتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ " أي: أريناهم " (١).
(لَمَسْتُمْ)، (لَامَسْتُمْ): (٢)

اختلف القراء العشرة في قراءة (لَمَسْتُمْ) في موضعين من التنزيل، وهما:

١- في قوله تعالى: " أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ " (١).

٢- وفي قوله تعالى: " أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ " (٢).

فقد قرأ حمزة والكسائي وخلف العاشر (لَمَسْتُمْ) بفتح اللام والميم، على وزن (فَعَلْتُمْ)، من لَمَسَ يَلْمِسُ لَمْسًا، وهو: جسّ الجارحة بالشيء طلباً للملاصقة، ويكون " بِالْيَدِ خَاصَّةً "؛ (٣) " لِأَنَّهَا أَلْتُهُ الْغَالِبَةُ "، (٤) ومنه قول الأعشى: (٥)

وَلَا تَلْمِسِ الْأَفْعَى يَدَاكَ تُرِيدُهَا وَدَعَهَا إِذَا مَا غَيَّبَتْهَا سَفَاتُهَا

وقال لبيد: (٦)

يَلْمِسُ الْأَخْلَاسَ فِي مَنْزِلِهِ بِيَدَيْهِ كَالْيَهُودِيِّ الْمُصَلِّ

وقال الأعشى: (٧)

^١ سورة الحشر، الآية ٦. سورة الأنبياء، الآية ٤٧. سورة البقرة، الآية ٢١١. ابن خالويه، الحجّة، ص ٩٧.

^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٠. شرح طيبة النشر، ص ٢١٥. تحبير التيسير، ص ٣٤٦. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٥٠. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٧١. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١٥٣.

^١ سورة النساء، الآية ٤٣.

^٢ سورة المائدة، الآية ٦.

^٣ أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية، ص ٣٠٣.

^٤ ابن العربي، أحكام القرآن، ج ١، ص ٥٦٤.

^٥ الأعشى، الديوان، ص ٨٥.

^٦ لبيد بن ربيعة، الديوان، ص ٩٢.

وَرَادِعَةً بِالْمِسْكِ صَفْرَاءَ عِنْدَنَا
لَجَسِّ النَّدَامَى فِي يَدِ الدَّرْعِ مَفْتَقُ
وقال الشاعر: (٢)

وَلَمَسْتُ بِكَفِّي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ ذَوْو الْغِنَى
وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدي
أَفَدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَتَلَفْتُ مَا عِنْدِي

وفي التّزليل ما يناظر هذا المعنى، ومنه: قوله تعالى: " فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ "، (٣)
وقوله: " إِنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ "، (١) وروي عن النبيّ - صلى الله عليه وسلّم - أنه نهى
عن بيع الملامسة، (٢) وهو: " أن يقول الرجل لصاحبه إذا لمست ثوبي أو لمست
ثوبك فقد وجب البيع بكذا وكذا "، (٣) وقيل: هو " أن يلمس المتاع من وراء ثوب، ولَا
يَنْظُرُ إِلَيْهِ ثُمَّ يُوقِعُ الْبَيْعَ عَلَيْهِ "، (٤)

ثم اتّسعت الدلالة فأوقعوا اللّمس على ما لا يدرك باليد، (٥) فروي عن ابن عمر
- رضي الله عنهما - أنه كان يقول: " قُبَلَةُ الرَّجُلِ امْرَأَتُهُ وَجَسُّهُ بِيَدِهِ مِنَ الْمَلَامَسَةِ
"، (٦) وحكي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: " اللَّمْسُ، مَا دُونَ الْجَمَاعِ "، (٧) قال

^١ الأعرشى، الديوان، ص ٢١٩. الشيباني، أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني، (ت ٢٠٦هـ-)،
(٢٠٠١م)، شرح المعلقات التسع، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، ط ١، مؤسسة الأعلمي
للمطبوعات، بيروت، لبنان، ص ٦١.

^٢ لم أقف على قائله وهو في (سمط اللّالي) بلا نسبة. أبو عبيد البكري، سمط اللّالي، ج ١،
ص ٣١٠.

^٣ سورة الأنعام، الآية ٧.

^١ سورة الجن، الآية ٨.

^٢ ابن الأثير الجزري، (١٩٦٩م)، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر
الأرنؤوط وبشير عيون، مكتبة الحلواني، ط ١، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ج ١،
ص ٥٢٣.

^٣ الجواليقي، شرح أدب الكاتب، قدّم له: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت،
ص ٦٧.

^٤ ابن الأثير، النهاية، ج ٤، ص ٢٦٩، ٢٧٠.

^٥ الفارسي، الحجّة، ج ٣، ص ١٦٣.

^٦ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٢٧٧.

المبرد: " الملامسة أن يلمسها الرجل بيد أو بإدناء جسد من جسد "،^(٢) وقال أيضاً: " ولمستم بمعنى غشيتهم ومستم وليس للمرأة في هذا فعل"،^(٣) فكان الفعل وفقاً لهذا المعنى يجري من طرف واحد،^(٤) بآية أنه أسند إلى ضمير المذكرين ليجعل الحدث منوطاً بهم خاصة،^(٥) وهي اختيار أبي عبيدة.^(٦)

وقرأ الباقون (لَامَسْتُمْ) بألف بعد اللام على وزن (فَاعَلْتُمْ) الذي يفيد بصيغته معنى المشاركة والمفاعلة من قبل اثنين يصنعان الحدث، إذ الملامسة حاصلة من الزوجين كليهما، قال المبرد: " وَلَامَسْتُمْ: قَبَلْتُمْ؛ لِأَنَّهَا لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ اثْنَيْنِ، وَالَّذِي يَكُونُ بِقَصْدٍ وَفِعْلٍ مِنَ الْمَرْأَةِ هُوَ التَّقْبِيلُ"،^(١) وقيل هي: المباشرة،^(٢) فسره الطبري،^(٣) وقيل: الجماع، حكاة مقاتل،^(٤) والحسن^(٥) ومجاهد،^(٦) قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: "هُوَ الْجِمَاعُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَعِفُّ وَيُكْنِي"،^(٧) وهي اختيار أبي حاتم السجستاني.^(٨)

^١ الطبري، جامع البيان، ج ٨، ص ٣٩٣.

^٢ المبرد، الكامل، ج ٢، ص ٩٨.

^٣ النحاس، إعراب القرآن، ج ١، ص ٢١٧.

^٤ مكي، الكشف، ج ١، ص ٣٩١.

^٥ المصدر نفسه.

^٦ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٣، ص ٣١٤.

^١ ابن العربي، أحكام القرآن، ج ١، ص ٥٦٤.

^٢ النحاس، إعراب القرآن، ج ١، ص ٢١٧.

^٣ الطبري، جامع البيان، ج ٨، ص ٣٨٩.

^٤ مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج ١، ص ٣٧٥.

^٥ ابن أبي الزميين، التفسير، ج ١، ص ٣٧٥.

^٦ الطبري، جامع البيان، ج ٨، ص ٣٩٢.

^٧ عبد الرزاق، التفسير، ج ٢، ص ٩. الطبري، جامع البيان، ج ٨، ص ٣٩٠.

^٨ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٣، ص ٣١٤.

ويجوز أن تكون المفاعلة في هذه القراءة ليست على بابها؛ إذ قد تكون بمعنى (فَعَلَ)،^(١) نحو: "جَاوَزْتُ الشَّيْءَ وَجَزْتُهُ"،^(٢) فتكون القراءتان وفق هذا التوجيه الأخير بمعنى واحد.^(٣)

وقد باتت هاتان القراءتان مضمراً تساجل فيه علماء الفقه والتفسير؛ إذ كان استشراف باطن مدلولهما هو غاية اجتهد أرباب الفقه والتشريع في إزالة الستار عنه، فكان لكل فريق منهم فهمه الخاص لهما وفقاً لمنهج نظره وطريقة تفكيره، فـ " فِيهَا خِلَافٌ كَثِيرٌ، وَأَقْوَالٌ مُتَعَدِّدَةٌ لِلْعُلَمَاءِ، وَمُتَعَلِّقَاتٌ مُخْتَلِفَاتٌ، وَهِيَ مِنْ مَسَائِلِ الْخِلَافِ الطَّوِيلَةِ ".^(٤)

وتدور هذه المسألة في جوهرها حول الدلالة الإشارية للفعل (لَمَسَ) أو (لَامَسَ)؛ فأصحاب المدرسة الحنفية كانوا يرون أن اللّمس في هذه الآية الكريمة هو الجماع،^(١) ودليلهم على ذلك ما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال: " اللّمس والمس والمباشرة، الجماع، ولكن الله يكتني بما شاء "،^(٢) فالقراءة الأولى لا تعني اللّمس باليد إنما هي كناية عن الجماع، والقراءة الثانية هي تفسير لها بل دليل عليها إذ (الملامسة) لا تقع إلا بين اثنين، فذاك الجماع،^(٣) ثم إن الله جل ثناؤه ذكر المسّ وأراد به الجماع، واللّمس والمس سيان،^(٤) فدلّ ذلك على صحّة ما ذهبوا إليه. وقد ترتّب على هذا الاستدلال من قبل الحنفيّة أن أبطلوا وجوب الوضوء للمتلامسين باليد؛ إذ الآية الكريمة لا تشير إليهما من قريب ولا من بعيد، ثم إن في

^١ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٣، ص ٦٩٢.

^٢ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٣، ص ٦٥٤.

^٣ السخاوي، فتح القصيد، ج ٢، ص ١٦٢.

^٤ ابن العربي، أحكام القرآن، ج ١، ص ٥٦٣.

^١ السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: ٤٨٣هـ-)، (١٩٩٣م)،

المبسوط، دار المعرفة، بيروت، بدون طبعة، ج ١، ص ٦٧.

^٢ الطّبري، جامع البيان، ج ٨، ص ٣٩١.

^٣ ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم

الدمشقي الحنبلي، (ت: ٦٢٠هـ-)، (١٩٦٨م)، المغني، مكتبة القاهرة، ج ١، ص ١٤٢.

^٤ ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ٢٠٩، ٢١٧.

السنة الشريفة ما ينصّ على فعل اللّمس وما سواه من تقبيل من لدن الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلّم - (١).

وأما مذهب الشافعية فإنهم قد حملوا القراءتين على الحقيقة؛ فأوا اللّمس في الآية الكريمة هي لصريح اللّمس باليد أو ما قارب اليد من البشارة ممّا هو دون الجماع؛ (٢) إذ الاستعمال اللّغويّ للّمس هو لليد، وحمل الكلام على الحقيقة أولى من أخذه بالكناية والمجاز، (٣) ثمّ إنّ قراءة الجمهور بالمفاعلة لا تعني أنّ اللّمس لا يكون من اثنين، "فإنّ حُمِلَتْ قِرَاءَةٌ مِنْ قَرَأَ أَوْ لَمْ يَسْتَمَّ عَلَى الْجَمَاعِ كَانَتْ قِرَاءَةً مِنْ قَرَأَ أَوْ لَمْ يَسْتَمَّ مَحْمُولَةً عَلَى الْمَسِيَسِ بِالْيَدِ، فَيَكُونُ اخْتِلَافُ الْقِرَاءَتَيْنِ مَحْمُولًا عَلَى اخْتِلَافِ حُكْمَيْنِ". (١).

وبناءً على هذه المباحثة وجدنا أصحاب المذهب الشافعيّ قد أوجبوا الوضوء على كلّ من وقع منه اللّمس، (٢) محتجّين على صحّة ذلك بأقوال نفر من الصّحابة الأجلّاء، نحو ابن عمر وابن مسعود وغيرهما. (٣) وأحسب أنّ هذه المسألة يمكن توجيهها بما يلي:

١- إنّ القول بأنّ اللّمس في حقيقة الاستعمال اللّغويّ هو لليد خاصّة هو قول صحيح يشهد عليه كلام العرب شعراً ونثراً.

^١ السرخسي، المبسوط، ج ١، ص ٦٧.

^٢ الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلب القرشي المكي، (ت: ٢٠٤ هـ)، (١٩٩٠م)، الأم، دار المعرفة، بيروت، ج ١، ص ٣٠.

^٣ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٠، ص ٨٩.

^١ الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: ٤٥٠ هـ)، (١٩٩٩م)، الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج ١، ص ١٨٥.

^٢ الماوردي، الحاوي الكبير، ج ١، ص ١٨٣.

^٣ الشافعي، الأم، ج ١، ص ٣٢٩، ٣٠. الطبري، جامع البيان، ج ٨، ص ٣٩٣، ٣٩٤.

٢- والقول بأنّ اللّمس بمعنى الجماع هو من باب الكناية والمجاز قول صحيح أيضاً.

٣- وأمّا من ذهب إلى أنّ المس واللّمس هما سيّان في المعنى فهو على صواب أيضاً.

٤- وإذا كان ذلك كذلك فكيف يقبل رأي القائلين بأنّ الملامسة في هذه الآية هو الجماع، والترادف هو ممّا تنزّه عنه كلام الله بإجماع العلماء؟ فكيف إذا كان ذلك أن نفى صفة التّرادف عن كلام الله عز وجلّ.

لقد تبصّرت في أمّهات كتب اللّغة والمعاجم أفتش عن الدّلالات التي تحتملها لفظة (اللّمس)، فوجدت العرب قد تعارفت في كلامها الفصيح على استعمالين اثنين: الأوّل: اللّمس هو جس اليد لشيء ما، يقال: " قد لَمَسْتُ الشّيء فأنا أَلْمُسُهُ لَمْساً"، (١) قال ابن دريد في الجمهرة: " واللّمس أصله بِالْيَدِ لِيُعْرَفَ مَسُّ الشّيءِ، ثمّ كثر ذلك في كَلَامِهِمْ حَتَّى صَارَ كُلُّ طَالِبٍ مَلْتَمِساً " (٢).

الثّاني: هو الوطء والجماع، وهذا المعنى الأخير لا يحصل إلّا بالاقتران المعجمي؛ أي: باصطحاب هذه اللفظة مع لفظة النّساء في سياق واحد، حكاها ابن السكّيت في إصلاح المنطق، (٣) قال: " اللّمس إذا فُرِنَ بِالْمَرْأَةِ يُرَادُ بِهِ الْجِمَاعُ، تَقُولُ الْعَرَبُ لَمَسْتُ الْمَرْأَةَ أَيَّ جَامَعْتَهَا "، (٤) وقيل: " وَلَمَسْتُ الْمَرْأَةَ فَأَنَا أَلْمُسُهَا لَمْساً، إِذَا غَشِيَتْهَا " (٥).

^١ ابن السكّيت، إصلاح المنطق، ص ١٩٣.

^٢ ابن دريد، الجمهرة، ج ٢، ص ٨٥٩.

^٣ الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت: ٥٨٧هـ)، (١٩٨٦م)، بدائع الصّنائع في ترتيب الشّرائع، ط ٢، دار الكتب العلميّة، ج ١، ص ٣٠.

^٤ الزيلعي، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلعي الحنفي (ت: ٧٤٣هـ)، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي، المطبعة الكبرى الأميرية، ط ١، بولاق، القاهرة، ج ١، ص ١٢.

^٥ ابن السكّيت، إصلاح المنطق، ج ١، ص ١٩٣.

ومن جهة ثانية فإنّ المتأمل للسياقات القرآنية التي ورد فيها ذكر (المس) مقروناً بالنساء يقف على حقيقة مؤداها أنّ البديع الحكيم قد جعل المسّ لأوّل وطء الرجل بعروسه، فالآيات التي ورد فيها لفظ (المس) تتعلّق بمقدار الصّدق الذي يُفرض على الرجل دفعه لخطيبته التي لما يمسه بعد.

وأما المسّ الذي جاء على لسان مريم - عليها السّلام - فهو يصبّ في المعنى نفسه؛ فهذه مريم تتعجّب من حملها بعيسى - عليه السّلام - وهي العذراء التي لما يجامعها رجل أبداً.

وأما آية المجادلة فإنّ ذكر الفعل (يتمّاساً) يسير إلى أنّ الحياة الزوجية قد توقفت وكأنّها لم تكن، ثمّ سرعان ما عادت بالكفارة الموجبة، وهذه الأخيرة بمنزلة العقد أو الصّدق الذي هو أحد أركان شرعية النّكاح، وبذلك يباح للزوجين الجماع من جديد، فيتمّاساً تماس العروسين.

وإذا ما جننا إلى (المس) لنتفحص مواضع استعمالها في التّنزيل، وجدنا السياقات القرآنية التي وردت فيها مصحوبة بالنساء لا تتعدّى الموضعين اللذين اختلف القراء العشرة في قراءتهما في صدر هذه المباحثة، وإذا اتّفق لنا فرضاً أنّ المراد باللمس هو الوطء، فمن أولاء النسوة اللواتي ينقضن طهارة الرجال بمجرد لمسهن؟ إنهن بلا شكّ الزّوجات؛ إذ اللّمس للأجنبيّة حرام، ومحال أن تقيم الآية الكريمة حكماً شرعياً أساسه معصية، أمّا اللّمس عينه فإننا نرجّح معنى الجماع فيه؛ لأنّ لمس الرجل يد زوجته هو من الأمور اليومية التي تحدث بين الزوجين، ومحال أن يبطل وضوءهما كلّما مسك أو لمس يد أحدهما الآخر، وهذا لا يعني أنّ المسّ واللمس مترادفان، إنّما اللّمس هو الجماع المعتاد بين أيّ زوجين، أمّا المسّ فهو أوّل الوطء كما بيّناه قبلاً، قالوا: " وَكُلُّ مَاسٍ لَامِسٌ " (١).

^١ ابن فارس، مجمل اللّغة، ج ١، ص ٧٩٤. مقاييس اللّغة، ج ٥، ص ٢١٠. الفيومي، المصباح المنير، ج ٢، ص ٥٥٨، (المس).

(يُدْفَعُ)، (يُدْفَعُ): (١)

قرأ أبو عمرو ويعقوب وابن كثير (يُدْفَعُ) من قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا " (٢) بفتح الياء وإسكان الدال وفتح الفاء على وزن (يَفْعَلُ)، من دَفَعَ يَدْفَعُ دَفْعًا؛ إذ الله عز وجل لا ينفعه شيء، إنما الدَفْع حاصل منه سبحانه لعباده. (٣)

وقرأ الباقر (يُدْفَعُ) بضم الياء وألف بعد الدال وكسر الفاء على وزن (يُفَاعِلُ)، من دَفَعَ يُدْفَعُ دِفَاعًا، (١) على إرادة تكرير فعل الدَفْع، (٢) والمبالغة " فِي الدَّفْعِ "، (٣) قال الخليل: " ودافع الله عنك المكروه دفاعًا، وهو أحسن من دَفَعَ " (٤) ويقال: " دافعت عن زيد يجوز أن يُرَادَ بِهِ دَفَعْتُ عَنْهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ " (٥) وليس الفعل ههنا للمفاعلة؛ إنما المراد انفراد الفاعل، نحو: سافر وعاقب، " وقد جاءت حروفٌ على (فاعل) للواحد، منها: قاتله الله، وعافاه الله، وعاهدت الله " (٦).

ويجوز أن تكون هاتان القراءتان متقاربتين في المعنى، حكاة الفارسي، قال: " كأنَّ معنى دفع ودافع سواء، ألا ترى أن قوله:

ولقد حَرَصْتُ بَأَن أُدْفِعَ عَنْهُمْ فَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَقْبَلَتْ لَا تُدْفَعُ

فوضع أدافع موضع أدفع، كأنَّ المعنى: حرصت بأن أدفع عنهم المنية، فإذا المنية لا تدفع... وإذا كان كذا فقوله: إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ، ويدافع يتقاربان، وليس يدافع كيضارب.

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٧. شرح طيبة النشر، ص ٢٨١. تحبير التيسير،

ص ٤٧١. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٢٦. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٦٤.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٦٨.

^٢ سورة الحج، الآية ٣٨.

^٣ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٤٧٨.

^١ الفارسي، الحجة، ج ٢، ص ٣٥٢.

^٢ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٤٧٨.

^٣ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٣، ص ٢٢٨.

^٤ الفراهيدي، كتاب العين، (دفع)، ج ٢، ص ٤٥. الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٣، ص ٢٢٨.

^٥ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٤٧٨.

^٦ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ١٨٢.

ومما يقوي ذلك قوله: " قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ"، وليس للمفاعلة التي تكون من اثنين هنا وجه". (١)

وأحسب أن هاتين القراءتين يمكن توجيههما من جهة أن الله تعالى قد تكفل للمؤمنين بالرعاية والعتاية؛ فهو يدفع عن عباده الصالحين ما قد يوقعه المشركون بهم من الأذى، فيكشف ما يمكرون ويدراً ما يكيدون. ولما كانت العداوة والبغضاء من المشركين باقية لا تنتهي كانت العناية الإلهية بالدفاع عن أوليائه دائمة مستمرة في كل زمان ومكان، " كَلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ"، (١) فَهَذِهِ الْآيَةُ بِشَارَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِإِعْلَانِهِمْ عَلَى الْكُفَّارِ وَكَفَّ بَوَائِقِهِمْ عَنْهُمْ وَهِيَ كَقَوْلِهِ: " لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذَىً"، وَقَوْلِهِ: " إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا"، وَقَالَ: " إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ"، " وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ"، (٢) يقول الرازي: " ذَكَرَ إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَذْكَرْ مَا يَدْفَعُهُ حَتَّى يَكُونَ أَفْحَمَ وَأَعْظَمَ وَأَعَمَّ، وَإِنْ كَانَ فِي الْحَقِيقَةِ أَنَّهُ يُدَافِعُ بِأَسَ الْمَشْرِكِينَ. فَذَلِكَ قَالَ بَعْدَهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ فَنَبَّهَ بِذَلِكَ عَلَى أَنَّهُ يَدْفَعُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ كَيْدَ مَنْ هَذَا صِفَتُهُ". (٣)

(تَحَاضُّونَ)، (تَحَضُّونَ): (٤)

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر وأبو جعفر (تَحَاضُّونَ) من قوله تعالى: " وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ" (٥) بفتح الحاء وإقحام ألف بعدها، على

^١ الفارسي، الحجة، ج ٢، ص ٣٥٣. والبيت لأبي ذؤيب الهذلي، السكري، ديوان الهذليين، ق ١، ص ٢. المفضل الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، (ت: نحو ١٦٨هـ)، المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط ٦، دار المعارف، القاهرة. سورة التوبة، الآية ٣٠.

^٢ سورة المائدة، الآية ٦٤.

^٣ سورة آل عمران، الآية ١١١. سورة غافر، الآية ٥١. سورة الصافات، الآية ١٧٢. سورة الصَّفِّ، الآية ١٣. الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٣، ص ٢٢٨.

^٤ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٣، ص ٢٢٨.

^٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ١٠١. شرح طيبة النشر، ص ٣٢٩. تحبير التيسير، ص ٦١٢. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٤٠٠. النويري، شرح طيبة النشر، ج ١، ص ٦١٧. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٣٥٢.

وزن (تَفَاعَلُونَ)، أي: لا تحافظون،^(٢) أو هي على معنى لا " يَحُضُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا... وَتَفَاعَلَ وَفَاعَلَ يَأْتِي بِمَعْنَى فَعَلَ"،^(٣) وهو في الأصل من تتحاضون " حذفت إحدى التائين كما قال " وَلَا تَفَرَّقُوا".^(٤)

وقرأ الباكون (تَحُضُّونَ) بحذف الألف وبضمّ الحاء، على وزن (تَفَعَّلُونَ)، من: " حَضَّهُ يَحُضُّهُ حَضًّا وَحَضَّضَهُ وَهَمْ يَتَحَضَّضُونَ، وَاللَّاسِمُ الْحُضُّ"،^(١) والمعنى: " لا يحث بعضهم بعضاً"،^(٢) وقيل معناها: " ولا تأمرون بإطعام المسكين".^(٣)

٤.٤ في الزيادة بتضعيف العين:

(يُكذِّبُونَ، يَكْذِبُونَ):^(٤)

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (يُكذِّبُونَ) من قوله تعالى: " وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ"،^(٥) بضمّ الياء وفتح الكاف وكسر الذال مع تشديدها، من كذّب مضعّف العين الذي يدلّ على الكثرة والمبالغة،^(٦) ومعناه: " بتكذيبهم الرّسل وردّهم على الله وتكذيبهم بآياته"، قاله أبو حاتم،^(٧) وقيل هو: " تردّد منهم إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم مرّة بعد أخرى فيما جاء به".^(٨)

^١ سورة الفجر، الآية ١٨.

^٢ أبو العلاء الحنفي، مفاتيح الأغاني، ص ٤٤٠.

^٣ أبو حيان، البحر المحيط، ج ١٠، ص ٤٧٤.

^٤ النّحاس، إعراب القرآن، ج ٥، ص ١٣٨. سورة آل عمران، الآية ١٠٣.

^١ ابن منظور، لسان العرب، (حضض)، ج ٧، ص ١٣٦.

^٢ السمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ٥٨٠.

^٣ الطّبري، جامع البيان، ج ٢٤، ص ٤١٤.

^٤ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦١. شرح طيبة النشر، ص ١٦٨. تحبير التيسير،

ص ٢٨٢. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٠٧، ٢٠٨. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢،

ص ١٤٢. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٠.

^٥ سورة البقرة، الآية ١٠.

^٦ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٣٠٦.

^٧ النّحاس، معاني القرآن، ج ١، ص ٩١، ٩٢.

^٨ ابن خالويه، الحجّة، ص ٦٨.

وقرأ الباقر (يَكْذِبُونَ) بفتح الياء وسكون الكاف وكسر الذال مخففة، من: " كَذَبَ يَكْذِبُ كَذْبًا وَكَذَابًا "،^(١) أي: "بكذبهم"، قاله أبو حاتم،^(٢) " فَإِنْ كَذِبَهُمْ قَوْلُهُمْ أَنَّهُمْ مُؤْمِنُونَ "،^(٣) " وهم على الكفر مُصِرُّون "،^(٤) (فَأْمَتُّعُهُ، فَأْمَتُّعُهُ):^(٥)

وقرأ ابن عامر وحده (فَأْمَتُّعُهُ) من قوله تعالى: " قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأْمَتُّعُهُ قَلِيلًا "،^(٦) بإسكان الميم وتخفيف التاء، من أَمَّتَعَ يَمْتَعُ، وقرأ الباقر (فَأْمَتُّعُهُ) بفتح الميم وتشديد التاء، من مَتَّعَ يَمْتَعُ مضعَّف العين، على إرادة " تكرير الفعل ومداومته "،^(٧) قال الفارسي: " التشديد أولى لأنَّ التَّنْزِيلَ عليه، قال تعالى: " فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ " فتمتَّع مطاوع مَتَّعَ، وعامة ما في التَّنْزِيلِ على التَّنْقِيلِ. قال جلَّ اسمه: " يُمَتَّعُكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا، " كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا "، " وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ "، فكما أنَّ هذه الألفاظ على مَتَّعَ دون أَمَّتَعَ، فكذلك الأولى بالمختلف فيه أن يكون على مَتَّعَ دون أَمَّتَعَ "،^(٨) وهناك من ساوى بين القراءتين فذهب إلى أنَّهما لغتان بمعنى واحد، يُقَالُ: "مَتَّعَ اللهُ بِهِ وَأَمَّتَعَ بِهِ"^(٩) ويقال أيضاً: " مَتَّعَ اللهُ بِكَ وَأَمَّتَعَ "،^(١٠) قال الأزهري: " وهما لغتان جيدتان: أَمَّتَعْتُ، وَمَتَّعْتُ بمعنى واحد "،^(١١)

^١ الفارسي، الحجّة، ج ١، ص ٣٢٩.

^٢ النحاس، معاني القرآن، ج ١، ص ٩٢.

^٣ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ١، ص ٨٧.

^٤ الطبري، جامع البيان، ج ١، ص ٢٧٤.

^٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٤. شرح طيبة النشر، ص ١٨٥. تحبير التيسير،

ص ٢٩٤. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٢٢. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ١٨٣.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٥٥.

^٦ سورة البقرة، الآية ١٢٦.

^٧ ابن خالويه، الحجّة، ص ٨٨.

^٨ الفارسي، الحجّة، ج ٢، ص ٢٢١. سورة هود، الآية ٦٥، ٣. سورة القصص، الآية ٦١. سورة

يونس، الآية ٩٨.

^٩ الفارابي، ديوان الأدب، ج ٢، ص ٣٦٥.

(وَلِتُكْمَلُوا، وَلِتُكْمَلُوا): (٣)

قرأ يعقوب وشعبة (وَلِتُكْمَلُوا) من قوله تعالى: " وَلِتُكْمَلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ " (١) بفتح الكاف وتشديد الميم، من كَمَلَ يُكْمَلُ، (٢) " وَالتَّضْعِيفُ لِلتَّعْدِيَةِ "، (٣) وتكرير حدوث الفعل؛ أي: " تكرير فعل الصِّيَامِ فِي الشَّهْرِ إِلَى إِمْتَامِ عِدَّتِهِ " (٤) وقال الزجّاج: " المعنى فعل الله ذلك ليسهل عليكم ولتكمّلوا العدة " (٥).

وقرأ الباقر (وَلِتُكْمَلُوا) بإسكان الكاف وتخفيف الميم، من أَكْمَلَ يُكْمَلُ، (٦) " والهمزة فيه للتعدية "، (٧) والمراد: جعل " عقد شهر رمضان عقداً واحداً " (٨). ويجوز أن تكون هاتان القراءتان لغتين بمعنى واحد؛ (٩) إذ كثيراً ما تتعاقب (أَفْعَلَ وَفَعَّلَ) فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، (١٠) " وَيَجِيءُ أَفْعَلَ بِمَعْنَى فَعَّلَ كَثِيرًا فِي اللُّغَةِ

^١ ابن سيده، المخصص، ج ٤، ص ٣٥٣. الجواليقي، ما جاء على فَعَّلْتُ وَأَفْعَلْتُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ، ص ٦٨.

^٢ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ١٧٧.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٥. شرح طيبة النشر، ص ١٩٢. تحبير التيسير، ص ٣٠٢. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٢٦. النويرى، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ١٩٨. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٧٠.

^٤ سورة البقرة، الآية ١٨٥.

^٥ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ١، ص ٢٥٤.

^٦ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٢، ص ٢٨٧.

^٧ ابن خالويه، الحجّة، ص ٩٣.

^٨ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ١، ص ٢٥٤.

^٩ المصدر نفسه.

^{١٠} السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٢، ص ٢٨٧.

^{١١} ابن خالويه، الحجّة، ص ٩٣.

^{١٢} النحاس، إعراب القرآن، ج ١، ص ٩٧. الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٥، ص ٢٥٨.

^{١٣} الفارسي، الحجّة، ج ٢، ص ٢٧٤، ٢٧٥.

والأصل اختلاف معنييهما "،^(١) يقال: " كَمَلت الشيء وَأَكْمَلته "،^(٢) وتقول العرب: " كَمَلت الشيء وَأَكْمَلته بمعنى واحد، مثل: وصَّيت وأوصيت، ونجَّيت وأنجيت "،^(٣)

(يَطْهَرُنْ، يَطْهَرُنْ):^(١)

قرأ حمزة والكسائي وشعبة وخلف العاشر (يَطْهَرُنْ) على وزن يَنْفَعَلُنْ، من قوله تعالى: " فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرُنَّ " ^(٢) بطاءٍ وهاءٍ مفتوحتين مشددتين، من تطهَّر أي يغتسلن بالماء،^(٣) قال أبو الحسن الأخفش: " طَهَّرَتِ المرأةُ فَهِيَ تَطْهَرُ. وقال بعضهم طَهَّرَت. وقالوا: طَلَّقَتْ تَطْلُقُ وَطَلَّقَتْ تَطْلُقُ أَيضاً. ويقال للنِّسَاءِ إِذَا أَصَابَهَا النِّفَاسُ: نَفَسَتْ إِذَا أَصَابَهَا الطَّلُقُ قِيلَ: طَلَّقَتْ "،^(٤) وهي اختيار أبي عبيد.^(٥)

وقرأ الباقر (يَطْهَرُنْ) بطاء ساكنة وهاء مضمومة مخففة، من " طَهَّرَ طُهْرًا وَطَهَّارَةً وَطَاهِرًا "،^(٦) حكاه سيبويه،^(٧) يقال: " طَهَّرت وَطَهَّرت؛ إِذَا رَأَتْ الطُّهْرَ، وَإِنْ لَمْ تَغْتَسِلْ بِالماءِ "،^(٨) والمعنى: " ولا تقربوا النساء في حال حيضهن حتى ينقطع

^١ النماس، بحث في صيغة أفعال، ص ٢٣٧.

^٢ السمرقندي، بحر العلوم، ج ١، ص ١٢٣.

^٣ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ١٩٣.

^٤ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٦. شرح طيبة النشر، ص ١٩٥. تحبير التيسير،

ص ٣٠٤. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٢٧. النويرى، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٠٤.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٧٩.

^٥ سورة البقرة، الآية ٢٢٢.

^٦ الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ١٤٣.

^٧ الأخفش، معاني القرآن، ج ١، ص ١٨٦.

^٨ نشوان الحميرى، شمس العلوم، ج ٧، ص ٤١٧٣.

^٩ سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٢٩.

^{١٠} ابن منظور، لسان العرب، (طهر)، ج ٤، ص ٥٠٤.

^{١١} ابن قتيبة، غريب القرآن، ج ١، ص ٨٤. ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ١٩٠.

عنهن دمُ الحيض وَيَطْهُرْنَ "،^(١) قاله مجاهد،^(٢) وعن مقاتل بن سليمان: حتى يَطْهُرْنَ
معناه: " يَغْتَسِلْنَ "،^(٣) وقال ابن عباس: " حَتَّى يَطْهُرْنَ " أَي: مِنْ الدَّمِ ".^(٤)

وقد تمخّض عن هذا الخلاف في توجيه هاتين القراءتين مسألة فقهية كان لها
حضورها البارز في حلقات الفقه والتشريع، وهي تدور في مجملها حول قضية "
حكم وطء الحائض بعد انقطاع الحيض وقبل الاغتسال"، حيث تساجل حولها أقطاب
المدارس الفقهية كلاً حسب منهجه وطريقة نظره.^(١)

فقد ذهب نفر من العلماء إلى إباحة وطء الرجل لامرأته بعد انقطاع دم الحيض،
دون أن يشترطوا الغسل لذلك،^(٢) وقد نسب ابن العربي هذا الرأي لأبي حنيفة
النعمان،^(٣) وقد احتج أصحاب هذا المذهب على صحة مذهبهم بحجج كثيرة، منها:
أن قراءة " يَطْهُرْنَ" بالتخفيف والتشديد سيئين في المعنى، وهو انقطاع الدم؛ " إذ
جائزٌ أن يُقال: طَهَّرَتُ الْمَرْأَةَ وَتَطَهَّرَتُ، إِذَا انْقَطَعَ دَمُهَا، كَمَا يُقَالُ: تَقَطَّعَ الْحَبْلُ

^١ الطَّبْرِي، جامع البيان، ج٤، ص٣٨٣.

^٢ الطَّبْرِي، جامع البيان، ج٤، ص٣٨٣. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص١٤١.

^٣ مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، ج١، ص١٩٢.

^٤ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ص٤٤١.

^١ شندي، إسماعيل شندي/عبد الباسط، تقي الدين عبد الباسط، (٢٠٠٤)، القراءات القرآنية
وأثرها في اختلاف الفقهاء، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، الخليل،
ص١٢-١٥.

^٢ الكيا الهراسي، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، (ت: ٥٠٤هـ-)، (٥١٤٠٥هـ)،
أحكام القرآن، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، ط٢، دار الكتب العلمية،
بيروت، ج١، ص١٣٧.

^٣ ابن العربي، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، (ت:
٥٤٣هـ-)، (٢٠٠٣م)، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد عبد
القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج١، ص٢٢٨.

وَتَكَسَّرَ الْكُوزُ، وَالْمَعْنَى: انْقَطَعَ وَانْكَسَرَ، وَلَا يَقْتَضِي ذَلِكَ فِعْلاً مِنَ الْمَوْصُوفِ بِذَلِكَ".^(١)

وقد أنكر ابن العربي على أصحاب هذا المذهب حجّتهم هذه، قال: " لَا يُقَالُ أَطْهَرْتُ الْمَرْأَةَ بِمَعْنَى انْقَطَعَ دَمُهَا، وَلَا يُقَالُ قَطَعَ مُشَدِّدًا بِمَعْنَى قَطَعَ مُخَفَّفًا، وَإِنَّمَا التَّشْدِيدُ بِمَعْنَى تَكْثِيرُ التَّخْفِيفِ. وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَا بَعْدَ الْغَايَةِ فِي الشَّرْطِ هُوَ الْمَذْكُورُ فِي الْغَايَةِ قَبْلَهَا، فَيَكُونُ قَوْلُهُ تَعَالَى: "حَتَّى يَطْهَرْنَ" مُخَفَّفًا، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ "يَطْهَرْنَ" مُشَدِّدًا بِعَيْنِهِ، وَلَكِنَّهُ جَمَعَ بَيْنَ اللَّغَتَيْنِ فِي الْآيَةِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: " فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ".^(١)

وزهد الشافعي إلى حرمة الوطء دون الغسل، وتبعه في ذلك " جُمهُورُ الْفُقَهَاءِ: الْمَالِكِيَّةُ وَالشَّافِعِيَّةُ وَالْحَنَابِلَةُ "،^(٢) قال الشافعي: " وَكَانَ مُبَيَّنًا فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: "حَتَّى يَطْهَرْنَ": "أَنْهَنَ حَيْضٌ فِي غَيْرِ حَالِ الطَّهَارَةِ، ... وَلَا مَدَّةَ لِطَهَارَةِ الْحَائِضِ إِلَّا ذَهَابَ الْحَيْضِ، ثُمَّ الْغُسْلُ: لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: " حَتَّى يَطْهَرْنَ "، وَذَلِكَ: انْقِضَاءُ الْحَيْضِ: " فَإِذَا تَطَهَّرْنَ "، يَعْنِي: بِالْغُسْلِ لِأَنَّ السُّنَّةَ دَلَّتْ عَلَى أَنَّ طَهَارَةَ الْحَائِضِ: الْغُسْلُ وَدَلَّتْ عَلَى بَيَانِ مَا دَلَّ عَلَيْهِ كِتَابُ اللَّهِ مِنْ أَنَّ لَا تُصَلِّيَ الْحَائِضُ ".^(٣)

^١ الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، (ت: ٣٧٠هـ-)، (١٩٩٤م)، أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج١، ص٤٢٢.

^٢ ابن العربي، أحكام القرآن، ج١، ص٢٢٨، ٢٢٩. سورة التوبة، الآية ١٠٨. الموسوعة الفقهية الكويتية، (١٩٩٧م)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط٢، دار السلاسل الكويت، ج١٨، ص٣٢٥.

^٣ الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، (ت: ٢٠٤هـ-)، (٢٠٠٦م)، تفسير الإمام الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: أحمد بن مصطفى الفرّان، دار التدمرية، ط١، المملكة العربية السعودية، ج١، ص٣٣٣. البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ-)، (١٩٩٤م)، أحكام القرآن جمع البيهقي، كتب هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، قدم له: محمد زاهد الكوثري، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ج١، ص٥٣.

وأحسب أنّ هذه المسألة يمكن توجيهها أنّ القراءة بصيغة التّخفيف هي مشتقة من (الطُّهُر) ومعناه انقطاع الدّم من الحائض بإجماع أهل العربيّة، حيث إنّ (الطُّهُر) في أصل الاستعمال ذو دالّتين لغويّتين: الأولى: نَقِيضُ الحَيْضِ، والثانية: " نَقِيضُ النّجاسة "،^(١) قال الخليل: " يقال: طَهَّرَتِ المرأةُ وطَهَّرَتِ لغتان، فهي طاهر. إذا انقطع، وهي ذات طُهر " .^(٢)

وأما القراءة الثّانية ذات الصّيغة المشدّدة، فإنّ معناها - كما هو ظاهر من بنيتها الصّرفيّة - هو التّطهّر بالغسل، يقال: " طَهَّرَتِ المرأةُ، وطَهَّرَتِ فَهِيَ طَاهِرٌ: إذا انقطع عنها الدّم، ورأت الطُّهر... فإذا اغتسلت قيل: تطهّرت، واطهّرت. قال الله جلّ وعزّ: " وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا " .^(١) وليس في هذا التّوجيه تناقض أو اختلاف كما ظنّ أبو العبّاس ثعلب،^(٢) وأبو جعفر الطّبري،^(٣) ذلك أنّ قراءة التّخفيف تعني فيما تعنيه انقضاء حالة خاصّة كانت تعيشها المرأة المحيض، فتفارقها لتحلّ في صفة حادثة مغايرة لتلكم الأولى وهي الطُّهر، وهذه المغايرة هي في حقيقتها انتقال من حالة خاصّة إلى حالة عامّة، إذ الأصل في الأشياء الإباحة، ما لم يكن هناك عارض يمنع ذلك.

وأحترس ههنا لأبّين أنّ ما زعمناه من تغيير حال المحيض هو ليس في حقيقته تحوّل إلى حالة الطّهارة؛ بحيث نحكم على من انقطع دم حيضها أنّها طهور، فيباح لها ما يجوز لغيرها من النّساء غير ذات الحيض، إنّما المقصد ينعقد من جهة أنّ هذه المنقضية عاداتها قد صارت طهوراً بعينها، فحكمها حكم من تجب عليها الغسل من دون نوات الحيض كالجنب، فهي طهور من دم الحيض الذي هو ضدّ الطّهارة، وليس هذا الأخير هو آية على تطهرّها، إنّما هو بيان لمن تأدّت به بإباحة التّطهر بالاغتسال، والدليل على ذلك أنّ من كانت بها الحيض لو أنّها اغتسلت لم يزدنها

^١ ابن منظور، لسان العرب، (طهر)، ج ٤، ص ٥٠٤.

^٢ الفراهيدي، كتاب العين، (طهر)، ج ٤، ص ١٨. الأزهرى، تهذيب اللّغة، (طهر)، ج ٦، ص ٩٩.

^١ الأزهرى، تهذيب اللّغة، (طهر)، ج ٦، ص ٩٩. سورة المائدة، الآية ٦.

^٢ المصدر نفسه.

^٣ الطّبري، جامع البيان، ج ٤، ص ٣٨٤.

غسلها مزيّة فيبيح لها بعض ما حظر عليها، ثم إنّها حتى لو " خَرَجَتْ بِهِ مِنْ الْحَيْضِ فَإِنَّهَا غَيْرُ مُبَاحٍ لِزَوْجِهَا جَمَاعُهَا، وَغَيْرُ مُبَاحٍ لَهَا الصَّلَاةُ وَالطَّوَافُ بِالْبَيْتِ حَتَّى تَغْتَسِلَ " (١).

ومما تقدّم يلح المرء مدى التلاؤم والانسجام بين هاتين القراءتين، فقراءة التّخفيف تعني الطّهر، ونظيرتها المثقّلة تعني إبّاحة التّطهر، وليس بين الدّالّتين أيّ تنافر أو تخالف بل إنّ كلّاً منهما تفضي إلى الأخرى.

(فِيضَاعِفُهُ)، (فِيضَعْفُهُ): (١)

وقد اختلف القراء العشرة في قراءة (فِيضَاعِفُهُ) حيثما وردت في التّنزيل، بصيغة الفعل المضارع، سواء أكان الفعل مبنياً للمعلوم أم كان مبنياً للمجهول، مسنداً إلى ضمير أم مجرداً منه، " بأيّ إعراب كان، واسم المفعول"، (٢) وقد وردت في المواضع الآتية:

- ١- في قوله تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً " (٣)
- ٢- في قوله جلّ ثناؤه: " وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا " (٤)
- ٣- في قوله تعالى: " إِنْ تَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ " (٥)
- ٤- وقوله تبارك اسمه: " يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ " (٦)
- ٥- وفي قوله تعالى: " فَيُضَاعِفُهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ " (٧)

^١ الطحاويّ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري، (ت: ٣٢١هـ-)، (١٩٩٥م)، أحكام القرآن، تحقيق: سعد الدين أونال، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، ط١، اسطنبول، ج١، ص٢٢٨.

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص٦٦. شرح طيبة النشر، ص١٩٧. تحبير التيسير، ص٤٨٦. النشر في القراءات، ج٢، ص٢٣٢، ٣٣٤. النويري، شرح طيبة النشر، ج٢،

ص٢٠٩. محيسن، الهادي، ج٢، ص٨٤.

^٢ النويري، شرح طيبة النشر، ج٢، ص٢١٠.

^٣ سورة آل عمران، الآية ١٣٠.

^٤ سورة النساء، الآية ٤٠.

^٥ سورة التغابن، الآية ١٧.

^٦ سورة هود، الآية ٢٠.

٦- وقوله تعالى: " يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا " (٢).

٧- في قوله تعالى: " فَيُضَاعَفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً " (٣).

فقد قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (يضعفه) حيثما وردت في التنزيل بتشديد العين وحذف الألف مع فتح الفاء على وزن (يُفَعِّلُ)، من ضَعَّفَ يَضَعِّفُ على إرادة التَّكْثِيرِ والتَّصْيِيرِ، و" التكرير ومداومة الفعل"،^(١) وقيل: التَّشْدِيدُ والتَّخْفِيفُ في هاتين القراءتين لغتان بمعنى واحد؛ إذ "... معنى التَّضْعِيفِ والإضعاف والمضاعفة واحد وهو الزيادة على أصل الشيء حتى يصير مثلين أو أكثر".^(٢) وقرأ الباقون (يضاعف) بتخفيف العين وإثبات الألف بعد الضاد، من ضَاعَفَ يَضَاعِفُ على إرادة المبالغة؛ إذ (المفاعلة) وهنا ليست على بابها؛ إذ لا مشاركة".^(٣)

وهكذا كانت هاتان القراءتان تليين المراد من الخطاب القرآني، فإِنَّه جَلَّ فِي عِلَاهِ هُوَ الْمَنَّانُ بِفَضْلِهِ عَلَى عِبَادِهِ الْوَاسِعِ بِعَطَائِهِ وَمَنْهَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ مِنْ رَحْمَتِهِ بَعِيدٌ أَنَّهُ يَجْزِي الْمُنْفِقَ فِي سَبِيلِهِ أَضْعَافَ مَا جَادَتْ بِهِ نَفْسِهِ، وَهَذَا الْعَطَاءُ مِنَ الْمَوْلَى هُوَ فِي زِيَادَةِ لَا تَنْتَهِي عِلْمَهَا عِنْدَ بَارِئِهَا، فَالْحَسَنَةُ تَصْبِحُ سَبْعًا ثُمَّ السَّبْعُ تَصِيرُ سَبْعِمِئَةً ثُمَّ تَزْدَادُ أَضْعَافًا بِمَشِيئَةِ الرَّزَاقِ الْمَنَّانِ.

وفي مقابل هذه الرَّحْمَةِ وَالْكَرَمِ وَالْمَنْنِ مِنْ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَإِنَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ لِمَنْ عَصَاهُ وَعَانَدَ فِي كُفْرِهِ وَتَجَبَّرَ، فَإِنَّهُ يَرُدُّهُ لِشَدِيدِ الْعَذَابِ جَزَاءً لِكُفْرِهِ وَإِصْرَارِهِ عَلَى شِرْكِهِ وَعَصِيَانِهِ، فَالْنَّارُ بِحِرَّهَا وَزَقْوَمُهَا هِيَ دَارُ الْخُلُودِ، وَالْوَانُ الْعَذَابُ هِيَ الْمَأْكَلُ وَالزَّادُ، وَعَدَالَةُ السَّمَاءِ هِيَ الْحُكْمُ فِي مَقْدَارِ ذَلِكَ الْجَزَاءِ بِالْعِقَابِ، " فَتَضَاعَفُ الْعُقُوبَةُ لِمُضَاعَفَةِ الْمُعَاقِبِ عَلَيْهِ، ... أَنَّ الْمُضَاعَفَةَ وَالزِّيَادَةَ يَكُونُ حَالُهُمَا

^١ سورة الحديد، الآية ١١.

^٢ سورة الفرقان، الآية ٦٩.

^٣ سورة البقرة، الآية ٢٤٥.

^١ ابن خالويه، الحجة، ص ٩٨.

^٢ أبو العلاء الحنفي، مفاتيح الأغاني، ج ١، ص ١١٨.

^٣ الألويسي، روح المعاني، ج ١، ص ٥٥٤.

في الدَّوَامِ كَحَالِ الْأَصْلِ، فَقَوْلُهُ: وَيَخْلُدُ فِيهِ أَيَّ وَيَخْلُدُ فِي ذَلِكَ التَّضْعِيفِ، ثُمَّ إِنَّ ذَلِكَ التَّضْعِيفَ إِنَّمَا حَصَلَ بِسَبَبِ الْعِقَابِ عَلَى الْمَعَاصِي، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ عِقَابُ هَذِهِ الْمَعَاصِي فِي حَقِّ الْكَافِرِ دَائِمًا^(١).
(وَكَفَّلَهَا، وَكَفَّلَهَا):^(١)

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر (وَكَفَّلَهَا) من قوله تعالى: " فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا " ^(٢) بكاف مشددة على وزن (فَعَّلَ)، من كَفَّلَ يُكَفِّلُ، بالتضعيف على إرادة التَّعْدِيَةِ، نحو: " غرَمَ زَيْدٌ مَالًا، وَغَرَمْتُ زَيْدًا مَالًا " ^(٣)، ويقال: " تَكَفَّلْتُ بِكَذَا، وَكَفَّلْتُهُ فُلَانًا " ^(٤)، أي: كَفَّلَ اللَّهُ زَكَرِيَّا أَمْرَ مَرْيَمَ - عَلَيْهَا السَّلَامُ - ^(٥) أَي: " ضَمَمَهَا إِلَيْهِ " ^(٦).

وقرأ الباقر (وَكَفَّلَهَا) بتخفيف الكاف على وزن (فَعَّلَ) من كَفَّلَ يُكَفِّلُ، يقال: " كَفَّلَ يَكْفُلُ كَفَالَةً وَكَفَّلًا فَهُوَ كَافِلٌ، وَهُوَ الَّذِي يُنْفِقُ عَلَى إِنْسَانٍ وَيَهْتَمُّ بِإِصْلَاحِ مَصَالِحِهِ " ^(٧)، والمعنى: أن زكريا قد أوكل له أمر مريم - عليها السلام - ف - ضَمِنَ الْقِيَامَ بِأَمْرِهَا وَتَرْبِيَّتَهَا " ^(٨).

^١ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٤، ص ٤٨٤.

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٨. شرح طيبة النشر، ص ٢٠٦. تحبير التيسير،

ص ٣٢١. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٣٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٣٤.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١٠٧.

^٢ سورة آل عمران، الآية ٣٧.

^٣ الفارسي، الحجّة، ج ٣، ص ٣٤.

^٤ الأصفهاني، المفردات، ج ١، ص ٧١٧.

^٥ الأزهرّي، معاني القراءات، ج ١، ص ٢٥٢.

^٦ ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص ١٦١.

^٧ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٨، ص ٢٠٦.

^٨ الأزهرّي، معاني القراءات، ج ١، ص ٢٥٢.

(تُعَلِّمُونَ، تَعَلَّمُونَ): (١)

قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر (تُعَلِّمُونَ) من قوله تعالى: " وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ " (٢) بناءً مضمومة وعين مفتوحة ولام مفتوحة مشددة، على وزن (تَفَعَّلُونَ) مضَعَّف العين من عِلْمٍ يُعَلِّمُ تَعْلِيمًا، على إرادة التَّعْدِيَةِ، (١) والمبالغة، (٢) والمعنى: كونوا أرباب علم وفقه بتعليمكم الناس ما علمتموه؛ " ليكن هديكم ونيتكم في التَّعْلِيمِ هدى العلماء والحكماء، لأنَّ العالم إنَّما ينبغي أن يقال له عالم إذا عمل بعلمه، وإلا فليس بعالم "، (٣) وهي اختيار أبي عبيد، قال: " لِأَنَّهَا تَجْمَعُ الْمَعْنِيِّينَ " تعلمون، وتدرسون". (٤) قال صاحب الكشف عن وجوه القراءات: " التَّشْدِيدُ أَبْلَغُ، لِأَنَّ كُلَّ مُعَلِّمٍ عَالِمٌ بِمَعْنَى يَعْلَمُ وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ عِلْمٌ شَيْئًا مُعَلِّمًا، فَالتَّشْدِيدُ يَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ وَالتَّعْلِيمِ، وَالتَّخْفِيفُ إِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى الْعِلْمِ فَقَطُّ، فَالتَّعْلِيمُ أَبْلَغُ وَأَمْدَحُ وَغَيْرُهُ أَبْلَغُ فِي الذَّمِّ "، (٥) وثمة علة ثانية احتجَّ بها أصحاب هذا المذهب، وهي أنَّ هذه اللَّفْظَةَ تصحبها في سياقها المقالي لفظة (الربَّانِيِّينَ)، " والربَّانِيُّ يَفْتَضِي أَنَّ يَعْلَمَ وَيُعَلِّمَ غَيْرَهُ، لَا أَنَّ يَقْتَصِرَ بِالْعِلْمِ عَلَى نَفْسِهِ " (٦).

وقرأ الباقر (تُعَلِّمُونَ) بفتح التاء وإسكان العين وفتح اللام مع تخفيفها، على وزن (تَفَعَّلُونَ)، من عِلْمٍ يَعْلَمُ عِلْمًا، أي: بما كنتم تعلمون وتعرفون الكتاب في

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٨. شرح طيبة النشر، ص ٢٠٨. تحبير التيسير،

ص ٣٢٥. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٤٠. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٤٠.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١١٣.

^٢ سورة آل عمران، الآية ٧٩.

^١ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ١٦٧.

^٢ ابن خالويه، الحجة، ص ١١٢.

^٣ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ١، ص ٤٣٦.

^٤ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ١٢٣.

^٥ مكي، الكشف، ج ١، ص ٣٥١. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ١٢٣.

^٦ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٣، ص ٢٧٧.

أنفسكم،^(١) أي: عالمين به،^(٢) واختارها أبو حاتم،^(٣) قال أبو عمرو: " وَتَصَدِّقُهَا " تَدْرُسُونَ " وَلَمْ يَقُلْ " تَدْرُسُونَ " بِالتَّشْدِيدِ مِنَ التَّدْرِيسِ. ^(٤)

ونخلص ممّا تقدّم إلى أنّ هذه الآية هي بيان وحكم في الوقت نفسه؛ فهي إعلان صريح لأولئك النصارى الذين تجنّوا على نبيّ الله وكلمته عيسى - عليه السّلام - فزيّفوا على لسانه ادّعاءه الربوبيّة، وأنّه أمرهم باتّباعه عبوديّة له، فجاءت هذه الآية تبريئاً وتنزيهاً له عن ذلك، متوجّهاً لمن صدّقه وآمن بنبوّته بما يجب أن يكونوا عليه، فيأمرهم أن يخلصوا لله وحده، فيكونوا ربّانيين منسبين إليه^(١) بشديد إقبالهم عليه وبعظيم طاعتهم له، ومداومتهم على عبادته، فيصبحون والحال هذه أرباب علم يفقهون الناس بتعليمهم دينهم وإصلاح أمرهم، فهم علماء معلّمون.

(قُتِلُوا)، (قُتِلُوا): ^(٢)

وهذه اللفظة كانت مضماراً للخلاف بين القراء العشرة، وذلك في خمسة مواضع

من التنزيل، وهي:

- ١- في قوله تعالى: " الَّذِينَ قَالُوا لِلِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ". ^(٣)
- ٢- في قوله عزّ من قائل: " وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً ". ^(٤)
- ٣- وفي قوله جلّ ثناؤه: " وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا ". ^(٥)
- ٤- وفي قوله سبحانه وتعالى: " وَقَاتِلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ ". ^(٦)

^١ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٢٦٤.

^٢ الألوسى، روح المعاني، ج ٢، ص ٢٠٠.

^٣ الثعلبى، الكشف والبيان، ج ٣، ص ١٠٣.

^٤ القرطبى، الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ١٢٣.

^٥ سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ٣٥٩. الرازى، مفاتيح الغيب، ج ٨، ص ٢٧١.

^٦ ابن الجزرى، متن طيبة النشر، ص ٦٩. شرح طيبة النشر، ص ٢١٠. تحبير التيسير،

ص ٣٢٩. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٤٣. النويرى، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٤٩.

محيسن، الهادى، ج ٢، ص ١٢٥.

^٣ سورة آل عمران، الآية ١٦٨.

^٤ سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

^٥ سورة الحج، الآية ٥٨.

٥- وفي قوله تعالى: " قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ". (٢)
 فقد قرأ هشام (بخلاف عنه) (ما قُتِلُوا) في الموضع الأول بضمّ القاف وتشديد
 التاء، على وزن (فُعِلُوا)، من قُتِلَ يُقْتَلُ، مضعّف العين، على إرادة التّكثير في
 القتل، (٣) وقرأ الباقون (ما قُتِلُوا) بتخفيف التاء، (وهو الوجه الثاني لهشام)، على
 وزن (فُعِلُوا) من قُتِلَ يُقْتَلُ، وقرأ ابن عامر وحده المواضع الأربعة الباقية بتشديد
 التاء من قُتِلَ، مضعّف العين على إرادة التّكثير في القتل. (١)
 وأمّا ابن كثير فإننا نجد قراءته تتأرجح بين التّخفيف والتّثقل بحسب موضع
 القراءة، فقد اختار القراءة بالتّخفيف في الموضعين: الثاني والثالث، وهما: الآية
 ١٦٩ من سورة آل عمران، والآية ٥٨ من سورة الحجّ، ثمّ غير ذلك ليقراً بالتّشديد،
 في الموضعين الرابع والخامس، وهما: الآية ١٩٥ من سورة آل عمران، والآية
 ١٤٠ من سورة الأنعام. وقرأ الباقون المواضع الأربعة بتخفيف التاء، " والتّخفيف
 يدلّ على القلّة والكثرة ". (٢)

وقد اتفق القراء العشرة على قراءة (وَمَا قُتِلُوا) من قوله تعالى: " وَقَالُوا لِيَاخُوَانِهِمْ
 إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا " (٣) بضمّ
 القاف وبتخفيف التاء، (٤) وذلك إمّا للمشاكلّة اللّفظيّة مع الفعل (ماتوا) الوارد في الآية،
 وإمّا لأنّ دلالة القتل في هذا السّياق الكريم لا تتعلّق بمعنى الجهاد في سبيل الله، بآية
 قوله تعالى: " إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ "، (٥) إذ المراد به " السّفَرُ فِي التّجَارَةِ، وَالسّيْرُ

^١ سورة آل عمران، الآية ١٩٥.

^٢ سورة الأنعام، الآية ١٤٠.

^٣ الأزهرّي، معاني القراءات، ج ١، ص ٢٨٠، ٣٩١.

^١ الأزهرّي، معاني القراءات، ج ١، ص ٢٨٠، ٣٩١.

^٢ الطّبرسي، تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٩٤.

^٣ سورة آل عمران، الآية ١٥٦.

^٤ ابن الجزري، النشر في القراءات العشر، ج ٢، ص ٢٤٣.

^٥ المصدر نفسه.

في الأَرْضِ لَطَلَبِ الْمَعِيشَةِ" (١) وقد روي عن ابن عامر أنه قال: " مَا كَانَ مِنَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَهُوَ بِالتَّشْدِيدِ " (٢).

كما اتفق القراء العشرة أيضاً على قراءة (قتلوا) من قوله تعالى: " وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ " (٣) بتخفيف التاء، (٤) وانفقوا على قراءة (وقتلوا) من قوله تعالى: " أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا " (١) بتشديد التاء. (٢).
(عَقَدْتُمْ)، (عَقَدْتُمْ)، (عَاقَدْتُمْ): (٣)

قرأ ابن ذكوان وحده (عَاقَدْتُمْ) من قوله تعالى: " لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْاَيْمَانَ " (٤) بألف بعد العين وتخفيف القاف، على وزن (فاعلتم)؛ إذ المعاقدة في اليمين تحصل بين اثنين، وهي أن يحلف المرء لصاحبه يمينا بأمر ما، (٥) " وَقَدْ يَكُونُ الثَّانِي مَنْ حَلَفَ لِأَجْلِهِ فِي كَلَامٍ وَقَعَ مَعَهُ، وَقَدْ يَعُودُ ذَلِكَ إِلَى الْمَحْلُوفِ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ رَبَطَ بِهِ الْيَمِينَ " (٦) ويجوز أن تكون المفاعلة في هذا السياق مغايرة لأصل بابها؛ إذ قد يكون المراد بها معنى (فعل) نحو قولنا: عَاقَبْتُ اللَّصَّ وَعَافَاكَ اللَّهُ.

^١ الطَّبْرِيّ، جامع البيان، ج٧، ص٣٣٢.

^٢ الدَّانِي، جامع البيان، ج١، ص٣٣٢. ابن الجزريّ، النشر في القراءات، ج٢، ص٢٤٣.

^٣ سورة محمد، الآية ٤.

^٤ ابن الجزريّ، النشر في القراءات، ج٢، ص٢٤٣.

^١ سورة الأحزاب، الآية ٦١.

^٢ ابن الجزريّ، النشر في القراءات، ج٢، ص٢٤٣.

^٣ ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص٧٢. شرح طيبة النشر، ص٢٢٠. تحبير التيسير،

ص٣٤٩. النشر في القراءات، ج٢، ص٢٥٥. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج٢، ص٢٩٠.

محيسن، الهادي، ج٢، ص١٧٧.

^٤ سورة المائدة، الآية ٨٩.

^٥ السمرقنديّ، بحر العلوم، ج١، ص٤١٥.

^٦ ابن العربيّ، أحكام القرآن، ج٢، ص١٥٠.

وقرأ شعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر (عَدَّتُمْ) بحذف الألف التي بعد العين وتخفيف القاف، على وزن (فَعَلْتُمْ)، من عَدَّ يَعْقُدُ عَقْدًا، قَالَ الْحَطِيبِيُّ: (١)
 أولئك قومٌ، إن بنوا أحسنوا البناء، وإن عاهدوا أوفوا، وإن عاهدوا شدوا
 والمراد بها القليل والكثير، يقال: "عَدَّ زَيْدٌ يَمِينَهُ، وَعَقَدُوا أَيْمَانَهُمْ"، (٢) وحكي
 عن أبي عبيد أنه فسرها على معنى: "وجدتم"، (٣) وقال ابن جرير: "معناها:
 أوجبتموها على أنفسكم"، (١) وهي اختيار أبي عبيدة، (٢) وقيل: هي اختيار أبي
 عبيد. (٣)

وقرأ الباقر (عَدَّتُمْ) بحذف الألف وتشديد القاف على وزن (فَعَلْتُمْ)، على إرادة
 التكرير؛ إذ هو متعلق بالجماعة، (٤) ويعني أيضاً التكرير مرة بعد مرة، (٥) حكاه ابن
 عمر - رضي الله عنهما - قال: "التَّشْدِيدُ يَقْتَضِي التَّكْرَارَ، فَلَا تَجِبُ عَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ إِلَّا
 إِذَا كَرَّرَ الْيَمِينَ"، (٦) وهذا القول من ابن عمر قد ضعفه ابن العربي لأن في الأثر
 عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ما يظهر فساد مقولة ابن عمر هذه، فقد
 روي عنه - عليه أفضل الصلاة والتسليم - أنه قال: "وَأِنِّي وَاللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَا
 أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ فَارَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا إِلَّا كَفَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ

^١ الحطبي، ديوان الحطبي، ص ٧٢. ثعلب، (١٩٩٥م)، قواعد الشعر، تحقيق: رمضان عبد

التواب، ط ٢، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ٣١. السيوطي، المزهري، ج ٢، ص ٣٢٤.

^٢ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٢، ص ٤١٩.

^٣ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٣٣٨.

^١ ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ٤٧٨.

^٢ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٤، ص ١٠٢.

^٣ ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ٤٧٨.

^٤ القنوجي، فتح البيان، ج ٤، ص ٤١.

^٥ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٤، ص ١٠٢.

^٦ ابن العربي، أحكام القرآن، ج ٢، ص ١٥٠.

أَوْ أُتِيَتْ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي"،^(١) قال ابن العربي: " فَذَكَرَ وَجُوبَ الْكُفَّارَةِ فِي الْيَمِينِ الَّتِي لَمْ تَتَكَرَّرْ ".^(٢)

وروي عن مجاهد تأويل آخر لمعنى قراءة التثقيل وهو التأكيد، قال: " التَّشْدِيدُ لِلتَّأْكِيدِ، وَهُوَ قَوْلُهُ: وَاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ "،^(٣) وحكى الأزهري عن أبي عبيد قوله: " مَنْ قَرَأَ (عَقَّدْتُمْ) بِالتَّشْدِيدِ فَمَعْنَاهُ: وَكَدْتُمْ"،^(٤) ونسب ابن النحاس^(٥) وابن الجوزي^(٦) هذا القول لأبي عمرو بن العلاء، قال: " قال أبو عمرو: عَقَّدْتُمْ وَكَدْتُمْ أَي فَكَمَا تَقُولُ: وَكَدْتُمْ فَكَذَا تَقُولُ: عَقَّدْتُمْ وَمَعْنَى عَقَدْتَ الْيَمِينَ وَوَكَدْتَهَا أَنْ يَحْلِفَ الْحَالِفُ عَلَى الشَّيْءِ غَيْرِ غَالِطٍ وَلَا نَاسٍ"،^(١) وحكي عن نافع هو: " أَنْ يَحْلِفَ عَلَى الشَّيْءِ مَرَارًا".^(٢)

وقد أنكر أبو عبيدة قراءة التشديد؛ لأنها - كما يزعم - تدل على تكرير حدوث فعل اليمين، الأمر الذي يترتب عليه " سَقُوطَ الْكُفَّارَةِ عَنِ الْيَمِينِ الْوَاحِدَةِ لِأَنَّهَا لَمْ تَتَكَرَّرْ"،^(٣) وهذا وهم من أبي عبيد؛ إذ ليس بالضرورة بمكان أن تدل الصيغة ذات العين المضعفة على التكرير والمرار، قال السمين: " وقد تَجَرَّأَ أَبُو عَبِيدٍ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ وَزَيَّقَهَا فَقَالَ: التَّشْدِيدُ لِلتَّكْرِيرِ مَرَّةً مِنْ بَعْدِ مَرَّةٍ، وَلَسْتُ أَمْنُ أَنْ تَوْجِبَ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ سَقُوطَ الْكُفَّارَةِ فِي الْيَمِينِ الْوَاحِدَةِ لِأَنَّهَا لَمْ تَتَكَرَّرْ وَقَدْ وَهَمَوه النَّاسُ فِي ذَلِكَ، وَذَكَرُوا تِلْكَ الْمَعَانِي الْمَتَقَدِّمَةَ، فَسَلِمَتِ الْقِرَاءَةُ تَلَاوَةً وَمَعْنَى وَلِلَّهِ الْحَمْدُ ".^(٤)

ولو سلّمنا جدلاً بأنّ القراءة تعني بصيغتها المشددة معنى التكرير، فإنّ هذا المعنى لا يعني بالضرورة تكرّر الفعل نفسه عدّة مرّات، إنّما التكرير يحصل من

^١ البخاري، صحيح البخاري، حديث رقم (٦٦٢٣)، ج ٨، ص ١٢٨.

^٢ ابن العربي، أحكام القرآن، ج ٢، ص ١٥١.

^٣ ابن العربي، أحكام القرآن، ج ٢، ص ١٥١.

^٤ الأزهري، معاني القراءات، ج ١، ص ٣٣٨.

^٥ النحاس، إعراب القرآن، ج ١، ص ٢٨٠.

^٦ ابن الجوزي، زاد المسير، ج ١، ص ٥٧٨.

^١ النحاس، إعراب القرآن، ج ١، ص ٢٨٠.

^٢ الأزهري، معاني القراءات، ج ١، ص ٣٣٨.

^٣ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٢، ص ٤١٩.

^٤ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ١، ص ٦٢١.

تأكيد القصد والإصرار على الفعل، إنه فعل إنجازي: يلفظه اللسان وينجزه القصد في الفؤاد، يقول ابن العربي: " أنَّ التَّشْدِيدَ عَلَى وَجْهِ صَاحِبِهِ؛ فَإِنَّ الْمَرْءَ يَعْتَدُّ عَلَى الْمَعْنَى بِالْقَصْدِ إِلَيْهِ، ثُمَّ يُؤَكِّدُ الْحَلْفَ بِقَصْدٍ آخَرَ، فَهَذَا هُوَ الْعَقْدُ الثَّانِي الَّذِي حَصَلَ بِهِ التَّكْرَارُ أَوْ التَّأَكُّدُ، بِخِلَافِ اللَّغْوِ فَإِنَّهُ قَصَدَ الْيَمِينَ وَفَاتَهُ التَّأَكُّدُ بِالْقَصْدِ الصَّاحِبِ إِلَى الْمَحْلُوفِ عَلَيْهِ ".^(١)

وقد وقفت على جواب لطيف للواحد رَدَّ فيه على أبي عبيدة في إنكاره لهذه القراءة، فذكر الواحدي أن من العلماء من ذهب إلى أن التشديد والتخفيف سيئين في المعنى، ثم " هَبْ أَنَّهَا تُفِيدُ التَّكْرِيرَ كَمَا فِي قَوْلِهِ: " وَغَلَقْتَ الْأَبْوَابَ " إِلَّا أَنَّ هَذَا التَّكْرِيرَ يَحْصُلُ بَأَنِّ يَعْتَدُّهَا بِقَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَمَتَى جَمَعَ بَيْنَ الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ فَقَدْ حَصَلَ التَّكْرِيرُ أَمَا لَوْ عَقَدَ الْيَمِينَ بِأَحَدِهِمَا دُونَ الْآخَرِ لَمْ يَكُنْ مُعَقِّدًا ".^(١) وقد اختار هذه القراءة أبو حاتم.^(٢)

(يُغْشِي، يَغْشَى):^(٣)

قرأ يعقوب وشعبة وحمزة والكسائي وخلف العاشر (يُغْشَى) من قوله تعالى:

١ - " يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا ".^(٤)

٢ - " يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ".^(٥)

بفتح الغين وتشديد الشين على وزن (يُفَعَّلُ)، من غَشَى يُغْشَى مضعّف العين، على إرادة التكرير والمداومة.^(٦)

^١ ابن العربي، أحكام القرآن، ج ٢، ص ١٥١.

^١ سورة يوسف، الآية ٢٣. الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٢، ص ٤١٩.

^٢ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٤، ص ١٠٢.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٥. شرح طيبة النشر، ص ٢٣٣. تحبير التيسير،

ص ٣٧٢. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٦٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٣٠.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٣٦.

^٤ سورة الأعراف، الآية ٥٤.

^٥ سورة الرعد، الآية ٣.

^٦ ابن خالويه، الحجة، ص ١٥٦.

وقرأ الباقون (يُغشِّي) بإسكان الغين وتخفيف الشين، على وزن (يَفْعَل)، من أغشى يغشي، المزيد بالهمزة، "وَهُمَا لُغَتَانِ أَغْشَى وَغَشَى"،^(١) بمعنى واحد، هو التعدية،^(٢) إلا أن التشديد أبلغ.^(٣) قال الواحدي: "الْأَغْشَاءُ وَالْتَّغْشِيَةُ الْبَاسُ الشَّيْءُ بِالشَّيْءِ، وَقَدْ جَاءَ التَّنْزِيلُ بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ فَمِنَ التَّشْدِيدِ قَوْلُهُ تَعَالَى: "فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى"، وَمِنَ اللُّغَةِ الثَّانِيَةِ قَوْلُهُ: "فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ" وَالْمَفْعُولُ الثَّانِي مَحْذُوفٌ عَلَى مَعْنَى فَأَغْشَيْنَاهُمْ الْعَمَى وَقَدْ الرُّؤْيَةَ".^(٤)

(سَنَقُتْلُ)، (يُقَتِّلُونَ):^(١)

اختلف القراء في (سَنَقُتْلُ) من قوله تعالى: " قَالَ سَنَقُتْلُ أَبْنَاءَهُمْ "^(٢) و(يُقَتِّلُونَ) من قوله تعالى: " يُقَتِّلُونَ أَبْنَاءَكُمْ "^(٣). قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر (سَنَقُتْلُ) بفتح النون وإسكان القاف وضمّ التاء مع تخفيفها، على وزن (سَنَفَعْلُ)، من قَتَلَ يُقَتِّلُ قَتْلًا، على معنى حدوث القتل مرة واحدة.^(٤) وقرأ الباقون (سَنَقُتْلُ) بضمّ النون وفتح القاف وكسر التاء مع تشديدها، على وزن (سَنَفَعْلُ)، من قَتَلَ، يُقَتِّلُ مضعّف العين، على إرادة التّكثير^(٥) والتكرير؛ أي: " تكرير القتل بأبناء بعد أبناء ".^(٦)

^١ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٧، ص ٢٢١.

^٢ السمين الحلبي، الدر المصون، ج٥، ص ٣٤١.

^٣ ابن خالويه، الحجة، ص ١٥٦.

^٤ سورة النجم، الآية ٥٤. سورة يس، الآية ٩. الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٤، ص ٢٧١.

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٥. شرح طيبة النشر، ص ٢٣٥. تحبير التيسير،

ص ٣٧٧. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٧١. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٣٥.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٤٥.

^٢ سورة الأعراف، الآية ١٢٧.

^٣ سورة الأعراف، الآية ١٤١.

^٤ المصدر نفسه.

^٥ الفارسي، الحجة، ج ٤، ص ٧٢.

^٦ ابن خالويه، الحجة، ص ١٦٢.

وقرأ نافع (يَفْتُلُونَ) بفتح الياء وسكون القاف وضمّ التاء، على وزن (يَفْعُلُونَ)، من قَتَلَ يُقْتَلُ. وقرأ الباقون (يُفْتَلُونَ) بضمّ الياء وفتح القاف وكسر التاء مع تشديدها، من قَتَلَ يُقْتَلُ مضعف العين.

(فَتَحْنَا)، (فَتَحْنَا): (١)

وهذه من الألفاظ التي تعددت قراءات التنزيل فيها بين التشديد والتخفيف، وذلك في ثلاثة مواضع، وهي:

- ١- من قوله تعالى: " فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ " (٢).
 - ٢- ومن قوله تعالى: " وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ " (١).
 - ٣- ومن قوله تعالى: " فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ " (٢).
- فقد قرأ ابن عامر وابن وردان (فَتَحْنَا) بتشديد التاء على وزن (فَعَلْنَا)، على إرادة التكثير، (٣) " والنَّثْقِيلُ مُؤَدَّنٌ بِالتَّكْثِيرِ؛ لِأَنَّ بَعْدَهُ (أَبْوَابَ) فَنَاسِبَ التَّكْثِيرِ "، (٤) ونظيرها قوله تعالى: " مُفْتَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ "، (٥) يقول الفارسي: " فقياس مُفْتَحَةٌ: تَفْتَحُ "، (٦) وقيل: هي على معنى التكرير، ؛ أي: الفتح " مرّة بعد مرّة " (٧).

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٢. شرح طيبة النشر، ص ٢٢٣. تحبير التيسير،

ص ٣٥٥. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٥٨. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٩٨.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١٨٩.

^٢ سورة الأنعام، الآية ٤٤.

^١ سورة الأعراف، الآية ٩٦.

^٢ سورة القمر، الآية ١١.

^٣ الأزهرّي، معاني القراءات، ج ١، ص ٣٥٥.

^٤ السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج ٤، ص ٦٣٤.

^٥ سورة ص، الآية ٥٠.

^٦ الفارسي، الحجّة، ج ٤، ص ١٨.

^٧ ابن زنجلة، حجّة القراءات، ص ٢٥٠.

وقرأ ابن جمّاز وروح (فَتَحْنَا) مشدّدة في القمر، واختلف عن ابن جمّاز في الأنعام والأعراف، فقرأ هذين الموضعين بالتشديد والتخفيف. وقرأ رويس بالتشديد والتخفيف في القمر والأنعام والأعراف.

وقرأ الباقر (فَتَحْنَا) بالتخفيف على وزن (فَعَلْنَا) لدلالاتها على القليل والكثير،^(١) يقول الفارسي: " و(فَتَحْنَا) قد يقع على التّكثير كما يقع (فَتَحْنَا) "،^(٢) ونظيرها في التّزليل قول الله تعالى: " فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمَرٍ "،^(٣) وقوله جلّ ثناؤه: " فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ "،^(٤) وقيل: هما لغتان بمعنى واحد؛ إذ " ... التخفيف والتشديد لغتان، إلّا أنّ التشديد فيه دلالة على التّكثير "،^(٥) وقد اتفق القراء العشرة على القراءة بصيغة التخفيف، حيثما وردت في القرآن الكريم ما خلا المواضع المتقدمة،^(٦) ومنها:

١- في قوله تعالى: " وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ "،^(٧)

٢- ومن قوله تعالى: " حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ "،^(٨)

٣- ومن قوله تعالى: " إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا "،^(٩)

(يُنسِيكَ)، (يُنسِيكَ):^(١٠)

^١ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٥٠.

^٢ الفارسي، الحجة، ج ٤، ص ١٨.

^٣ سورة القمر، الآية ١١.

^٤ سورة الأنعام، الآية ٤٤.

^٥ محيسن، القراءات، ج ١، ص ٤٢٥.

^٦ ابن الجزري، النشر في القراءات، ج ٢، ص ٥٨٢.

^٧ سورة الحجر، الآية ١٤.

^٨ سورة المؤمنون، الآية ٧٧.

^٩ سورة الفتح، الآية ١.

^{١٠} ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٣. شرح طيبة النشر، ص ٢٢٥. تحبير التيسير،

ص ٣٥٧. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٥٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٠٤.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١٩٧.

قرأ ابن عامر وحده (يُنْسِيَنَّكَ) من قوله تعالى: " وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ
بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (١) بفتح النون الأولى وتشديد السين، على وزن
(يُفْعَلْ)، من: نَسَى يُنْسِي مضعف العين، يقال: " نَسِيتُ الشَّيْءَ وَأَنْسَانِي غَيْرِي
وَنَسَانِي أَيْضاً" (٢) وفي الحديث عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه قال: " لَأ
يَقُلُّ أَحَدَكُمْ نَسِيتُ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتٍ، بَلْ هُوَ نُسِيٌّ " (٣) قال الفارسي في توجيه هذه
القراءة: " ووجه قول ابن عامر أنك تقول: نَسِيتُ الشَّيْءَ، فإذا أَرَدْتَ أَنْ غَيْرَكَ
أَنْسَاكَ جاز أَنْ تتقل الفعل بتضعيف العين كما تنقله بالهمزة، وعلى هذا قالوا:
غَرَمْتَهُ وَأَغْرَمْتَهُ، فَفَعَلَ وَأَفْعَلَ يجري كل واحد منهما مجرى الآخر، وفي التنزيل: "
فَمَهَّلِ الْكَافِرِينَ أَمَّهُمْ رُؤُودًا" (١)

وقرأ الباقر (يُنْسِيَنَّكَ) بإسكان النون الأولى وتخفيف السين، على وزن (يُفْعَلْ)،
من أَنْسَى يُنْسِي الرباعي، ونظيره في التنزيل قوله جل ثناؤه: " وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا
الشَّيْطَانُ أَنْ أذْكَرُهُ " (٢) وقوله سبحانه: " فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ " (٣) " ولم يقل
فَنَسَاهُ " (٤)

ويرى الباحث أن هاتين القراءتين متقاربتان في المعنى؛ يقال: " أَنْسَى وَنَسَى
بمعنى واحد، مثل: أَنْجَى وَنَجَّى " (٥) إلا أن قراءة التشديد قد تدل على التأكيد، (٦)

^١ سورة الأنعام، الآية ٦٨.

^٢ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٥٦.

^٣ مسلم، المسند الصحيح، باب الأمر بتعهد القرآن، وكراهة قول نَسِيتُ آيَةَ كَذَا، وجواز قول
أُنْسِيتُهَا. حديث رقم: ٧٩٠، ج ١، ص ٥٤٤.

^١ الفارسي، الحجة، ج ٣، ص ٣٢٤. سورة الطارق، الآية ١٧.

^٢ سورة الكهف، الآية، ٦٣.

^٣ سورة يوسف، الآية ٤٢.

^٤ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٥٦.

^٥ الأزهرى، معاني القراءات، ج ١، ص ٣٦٣.

^٦ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ١٣.

وهي كما يذهب ابن عطية أكثر مبالغة من قراءة التخفيف،^(١) وهو ما أنكره أبو حيان، قال: "لَا فَرْقَ بَيْنَ تَضْعِيفِ التَّعْدِيَةِ وَالْهَمْزَةِ".^(٢)

ومهما يكن الأمر من توجيه هاتين القراءتين فإنّ المعنى الذي تؤدّيانه في هذا السياق الشريف هو النهي عن مجالسة أولئك النفر من أهل السّفه والضلالة ممّن لا يتورعون عن الخوض في كلام الله جلّ في علاه سخرية واستهزاء،^(٣) إنّها خطاب من الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يُعرض عن مجالسة هؤلاء؛ أي: "... يَا مُحَمَّدُ ... صُدَّ عَنْهُمْ بِوَجْهِكَ، وَقُمَّ عَنْهُمْ، وَلَا تَجْلِسْ مَعَهُمْ، ... حَتَّى يَأْخُذُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِ الْاسْتِهْزَاءِ بِآيَاتِ اللَّهِ مِنْ حَدِيثِهِمْ بَيْنَهُمْ ... وَإِنْ أَنْسَاكَ الشَّيْطَانُ نَهَيْنَا إِيَّاكَ عَنِ الْجُلُوسِ مَعَهُمْ وَالْإِعْرَاضِ عَنْهُمْ فِي حَالِ خَوْضِهِمْ فِي آيَاتِنَا ثُمَّ ذَكَرْتَ ذَلِكَ، فَقُمْ عَنْهُمْ وَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ذِكْرِكَ ذَلِكَ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ".^(٤)

(يَصْعَدُ)، (يَصَاعِدُ)، (يَصَعْدُ):^(٥)

قرأ ابن كثير (يَصْعَدُ) من قوله تعالى: " وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ"^(٦) بإسكان الصّاد وتخفيف العين من غير ألف، من صَعَدَ يَصْعَدُ صُعُودًا أي: علا وارتفع.^(٧)

وقرأ شعبة (يَصَاعِدُ) بتشديد الصّاد وإقحام ألف بعدها، مع تخفيف العين، وأصله يتصاعد،^(٨) ثم " أدغمت التّاء في الصّاد تخفيفاً".^(٩) فصارت يَصَاعِدُ، أي: "

^١ ابن عطية، المحرر الوجيز، ج ٢، ص ٣٠٤.

^٢ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٤، ص ٥٤٦.

^٣ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٣، ص ٢٢.

^٤ الطبري، جامع البيان، ج ١١، ص ٤٣٦.

^(٥) ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٤. شرح طيبة النشر، ص ٢٢٨. تحبير التيسير،

ص ٣٦٤. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٦٢. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣١٤.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢١٥.

^٦ سورة الأنعام، الآية ١٢٥.

^(٧) الفيومي، المصباح المنير، (صعد)، ج ١، ص ٣٣٩.

^(٨) الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٣٥٤.

^(٩) السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٥، ص ١٤٦.

يتعاطى الصُّعُودَ ويتكلفه".^(١) وقرأ الباقون (يَصْعَدُ) بفتح الصاد المشددة، مع حذف الألف وتشديد العين، على وزن (يَنْفَعُلُ)، وأصله يتصعد،^(٢) ثم أدغمت التاء في الصاد تخفيفاً، يقال: "... تَصَعَّدَهُ الشَّيْءُ، أي: شَقَّ عَلَيْهِ".^(٣) ومعنى (يَتَصَعَّدُ): " يتكلف ما لا يطيق شيئاً بعد شيء، مثل قولك: يَتَجَرَّعُ"،^(٤) وقولهم: " يتعفف ويتحرَّج، ونحو ذلك مما يتعاطى فيه الفعل شيئاً بعد شيء"،^(٥) قال الجوهري: " وتَعَفَّفَ أي: تَكَلَّفَ العِفَّةَ"؛^(١) إذ إنَّ "... تَفَعَّلَ يكون لتكَلُّفِ الشَّيْءِ وليس به، نحو: تَشَجَّعَ وتَعَقَّلَ"،^(٢) ومنه قول جرير:^(٣)

وَقَائِلَةٌ مَا لِلْفَرْزَدَقِ لَأُيْرَى عَلَى السَّنِّ يَسْتَعْنِي، وَلَا يَتَعَفَّفُ

ومن ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه قال: " مَا تَصَعَّدَنِي شَيْءٌ مَا تَصَعَّدَتْنِي خُطْبَةُ النِّكَاحِ"؛^(٤) أي: " مَا شَقَّ" ^(٥) قال أبو عبيد: يريد " مَا تَكَاءَدَتْنِي وَمَا بَلَغَتْ مِنِّي وَمَا جَهَدَتْنِي، وَأَصْلُهُ مِنَ الصُّعُودِ، وَهِيَ الْعَقَبَةُ الشَّاقَّةُ"،^(٦) يقال: " تَصَعَّدَهُ الأَمْرُ إِذَا شَقَّ عَلَيْهِ وَصَعَبَ"،^(٧) قال الجاحظ: " سئِلَ ابْنُ

(١) المصدر نفسه.

(٢) الأزهري، معاني القراءات، ج ١، ص ٣٨٥.

٣ الفارابي، ديوان الأدب، ج ٢، ص ٤٤٣.

٤ مكي، الكشف، ج ١، ص ٤٥١. محيسن، القراءات، ج ١، ص ٤٨٩.

٥ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٦٥.

١ الجوهري، الصحاح، (عفف)، ج ٤، ص ١٤٠٦.

٢ ابن فارس، فقه اللغة، ص ١٦٩.

٣ جرير، الديوان، ص ٢٩٩. الزبيدي، تاج العروس، (عفف)، ج ٢٤، ص ١٧٣.

٤ الزيلعي، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد (ت: ٧٦٢هـ-)، (١٩٩٤م)،
تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري، ط ١، تحقيق: عبد الله بن

عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، السعودية، ج ٤، ص ١٠٠.

٥ أبو عبيد، غريب الحديث، ج ٣، ص ٣٨٧. الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج ٢، ص ٢٩٩.

٦ ابن منظور، لسان العرب، (صعد)، ج ٣، ص ٢٥٢.

٧ ابن الأثير، النهاية، ج ٣، ص ٣٠. ابن منظور، لسان العرب، (صعد)، ج ٣، ص ٢٥٢.

المفقع عن قول عمر فقال: ما عرفه إلا أن يكون لقرب الوجوه من الوجوه ونظر الحداق في أجواف الحداق ولأنه إذا كان جالساً معهم كانوا نظراء وأكفاء وإذا علا المنبر كانوا سوقة ورعية. كان رضي الله عنه يصيح الصيحة فيكاد من يسمعها يصعق كالجمال المحجوم". (١)

ويرى الباحث أن بين هذه القراءات قاسماً دلاليّاً مشتركاً؛ فإن من يمعن النظر فيها ليبصرها تلتقي على معنى لغويّ جامعاً هو الشدة والمشقة، ثم سرعان ما تفرق في بنيتها الصرفية على نحو يزيد المعنى بلاغة ويوسع الدلالة المستفادة من تطويل المبنى، وتفصيل ذلك: أن القراءة بصيغة التخفيف تخبر عن حال من ضاق صدره عن الإيمان، فكان حاله كمن يحاول الصعود إلى السماء، فكان هذه القراءة تنبئ عن عظم الضيق الذي يحتبس في قلب ذلك المعاند لدين الله، إنها كناية عن الشيء المستحيل غير الممكن مناله؛ " لأن صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة، وتضيق عنه المقدرة"، (١) قال عمر - رضي الله عنه -: " كذلك قاب المناق لا يصل إليه شيء من الخير كأنما يصعد في السماء يعني يشق عليه الإيمان، ويمتنع ويعجز عنه كما يشق عليه صعود السماء". (٢)

ومن قرأ (يصاعداً) فإنه أراد المعنى نفسه؛ " فهو مثل ضاعف وضعف، وناعم ونعم، وهما من المشقة وصعوبة الشيء"، (٣) ومنه قوله عز من قائل: " ومن يُعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً"؛ (٤) أي: عذاباً شاقاً (٥) " لا راحة فيه"؛ (٦) "

^١ الزمخشري، الفائق في غريب الحديث، ج ٢، ص ٢٩٩.

^(١) الزمخشري، الكشاف، ج ٢، ص ٦٤.

^(٢) الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٤، ص ١٨٨. ابن الزكي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبلي المزي (ت: ٧٤٢هـ)، (١٩٨٠م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط ١، مؤسسة

الرسالة، بيروت، لبنان، ج ١٥، ص ٣٢٥.

^٣ الطبرسي، تفسير مجمع البيان، ج ٩، ص ٢٦٥.

^٤ سورة الجن، الآية ١٧.

^٥ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٥، ص ٢٤٦.

^٦ عبد الرزاق، تفسير عبد الرزاق، ج ٣، ص ٣٥٣.

أَيَّ ذَا صَعَدَ وَمَشَقَّةٌ" (١) وَأَمَّا مَنْ قَرَأَ (يَصْعَدُ) بِتَشْدِيدِ الْبِنْيَةِ فَإِنَّهُ قَدْ أَتَى بِالْمَعْنَى نَفْسَهُ؛ وَهُوَ الصَّعُودُ بِمَشَقَّةٍ، "كَأَنَّهُ يَتَكَلَّفُ شَيْئاً بَعْدَ شَيْءٍ، وَكُلُّهُ لَا يَطِيقُهُ"، (٢) يُقَالُ: " تَصَعَّدَنِي الشَّيْءُ، وَتَصَاعَدَنِي: شَقَّ عَلَيَّ" (٣).

ويقول الرازي: " فِي كَيْفِيَّةِ هَذَا التَّشْبِيهِ وَجَهَانَ الْأَوَّلِ كَمَا أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا كَلَّفَ الصَّعُودَ إِلَى السَّمَاءِ ثَقُلَ ذَلِكَ التَّكْلِيفُ عَلَيْهِ وَعَظُمَ وَصَعُبَ عَلَيْهِ وَقَوِيَتْ نَفْرَتُهُ عَنْهُ فَكَذَلِكَ الْكَافِرُ يَثْقُلُ عَلَيْهِ الْإِيمَانُ وَتَعَظُمُ نَفْرَتُهُ عَنْهُ. وَالثَّانِي أَنْ يَكُونَ التَّقْدِيرُ أَنَّ قَلْبَهُ يَنْبُو عَنِ الْإِسْلَامِ وَيَتَبَاعَدُ عَنِ قَبُولِ الْإِيمَانِ فَشَبَّهَ ذَلِكَ الْبُعْدَ بِبُعْدِ مَنْ يَصْعَدُ مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ" (١).

(فَرَّقُوا)، (فَارَّقُوا): (٢)

قرأ حمزة والكسائي (فَرَّقُوا) من قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ"، (٣) ومن قوله تعالى: " مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً"، (٤) بإقحام ألف بعد الفاء، وتخفيف الراء، من فارق يُفَارِقُ فَرَاقاً، (٥) أو مُفَارَقَةً؛ (٦) بمعنى: زَائِلُوهُ أَي فَارَقُوهُ، (٧) فـ " تركوه وانصرفوا عنه"، (٨) فكأنهم قد " مازوه عن غيره

^١ ابن منظور، لسان العرب، (صعد)، ج ٣، ص ٢٥٢.

^(٢) مكي، الهداية، ج ٣، ص ٢١٨٠.

^(٣) الفيومي، المصباح المنير، (صعد)، ج ١، ص ٣٣٩.

^١ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٣، ص ١٤٢.

^(٢) ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٥. شرح طيبة النشر، ص ٢٣٠. تحبير التيسير،

ص ٣٦٧. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٦٦. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٢٤.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٢٥-٢٢٦.

^(٣) سورة الأنعام، الآية ١٥٩.

^(٤) سورة الروم، الآية ٣٢.

^(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ١٤٩.

^(٦) الأخفش، معاني القرآن، ج ١، ص ٣١٧.

^٧ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٧٨. الفيومي، المصباح المنير، (زيل)، ج ١، ص ٢٦١.

الخفاجي، القراءات المتواترة، ص ٢٢٩.

^(٨) ابن خالويه، الحجة، ص ١٥٢.

من سائر الأديان"،^(١) قال ابن عباس - رضي الله عنهما - هم "اليهود والنصارى تركوا الإسلام والدين الذي أمروا به وكانوا شيعاً فرقاً حزاباً مختلفة"،^(٢) وهو قول مجاهد^(٣) ومقاتل أيضاً.^(٤) وقد روي أن رجلاً قرأ عند عليّ - كرم الله وجهه - قوله تعالى: "إن الذين فرقوا دينهم"،^(٥) فقال علي: "والله ما فرقوه ولكن فارقوه"،^(١) يريد اليهود والنصارى؛^(٢) أي: إنهم قد تركوا دينهم الحق الذي أمرهم الله باتباعه ودعاهم إليه".^(٣)

وقرأ الباقر (فرقوا) في الموضعين بحذف الألف وتشديد الراء، من: فرق يُفرَّقُ تقريباً بتضعيف العين، على معنى: زيّلوه^(٤) ف "فرقوه، وعضّوه أعضاء، فخالقوا بين بعضه وبعض"،^(٥) ف "جعلوه فرقاً"،^(٦) بآية قوله: "وكانوا شيعاً"؛^(٧) أي: صاروا "فرقاً. وقال السدي: حزاباً، يعني: أهل الكتاب".^(٨) وروي عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعائشة -

(١) ابن جنّي، المحتسب، ج ١، ص ٢٣٨.

٢ النحاس، (١٩٨٨م)، الناسخ والمنسوخ، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، ط ١، مكتبة الفلاح، الكويت، ص ٤٤٢.

٣ الجصاص، أحكام القرآن، ج ٣، ص ٣٤.

٤ مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ج ١، ص ٥٩٩.

(٥) سورة الأنعام، الآية ١٥٩.

(٦) ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٧٨. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ١٤٩.

٢ الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٣٦٦.

٣ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢٧٨.

٤ الفيومي، المصباح المنير، (زيل)، ج ١، ص ٢٦١.

(٥) ابن جنّي، المحتسب، ج ١، ص ٢٣٨.

(٦) ابن خالويه، الحجة، ص ١٥٢.

(٧) سورة الأنعام، الآية ١٥٩.

(٨) يحيى بن سلام، تفسير يحيى بن سلام، ج ٢، ص ٦٥٩.

رضي الله عنها - " يَا عَائِشَةُ، " إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا "، هُمْ أَصْحَابُ
الْبِدْعِ وَأَصْحَابُ الْأَهْوَاءِ وَلَيْسَ لَهُمْ تَوْبَةٌ، أَنَا مِنْهُمْ بَرِيءٌ، وَهُمْ مِنِّي بَرَاءٌ " (١).

ويرى الباحث أن هاتين القراءتين سيين في المعنى، (٢) أو هما على حدّ كلام
صاحب (البحر المحيط) متقاربتين؛ (٣) ذلك أن العربية قد بادلت بين صيغتي (فاعل)
و(فعل) فأقامت كل منهما محل الأخرى، فيقال: " ضَعَّفَ وَضَاعَفَ، وَعَالَى وَعَلَّى،
وَصَاعَرَ وَصَعَّرَ "، (١) يقول عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان: (٢) " وتصديقها قوله: "
كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ "، يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّهُمْ صَارُوا أَحْزَابًا وَفِرْقًا، وَالْمَعْنِيَانِ
مُتَقَارِبَانِ؛ لِأَنََّّهُمْ إِذَا فَرَّقُوا الدِّينَ فَقَدْ فَارَّقُوهُ "، (٣) قال الرازي: " وَمَعْنَى الْقِرَاءَتَيْنِ عِنْدَ
التَّحْقِيقِ وَاحِدٌ لِأَنَّ الَّذِي فَرَّقَ دِينَهُ بِمَعْنَى أَنَّهُ أَقْرَبَ بَعْضٍ وَأَنْكَرَ بَعْضًا فَقَدْ فَارَقَهُ فِي
الْحَقِيقَةِ " (٤).

(يُمَسِّكُونَ)، (يُمَسْكُونَ): (٥)

(١) الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللّخميّ الشّاميّ، الطبراني (ت: ٣٦٠هـ)، (١٩٨٥م)، المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، ط١،
المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمّار، عمّان، حديث رقم: ٥٦٠، ج١، ص٣٣٨. سورة
الأنعام، الآية ١٥٩.

(٢) العكبري، التبيان، ج١، ص٥٥٢.

(٣) أبو حيان، البحر المحيط، ج٤، ص٧٠١.

(٤) الأزهرى، معاني القراءات، ج١، ص٣٩٦.

(٥) هو عبد الوارث بن سعيد بن ذكوان أبو عبيدة التنوري العنبري، وكان إماماً حافظاً مقرئاً
ثقة، وعرض القرآن على أبي عمرو ورافقه في العرض على حميد بن قيس المكي، روى
القراءة عنه ابنه عبد الصمد وبشر بن هلال وغيرهما، وكان ثقة حجة موصوفاً بالعبادة
والدين والفصاحة والبلاغة، وكانت وفاته بالبصرة سنة ١٨٠ للهجرة. ابن الجزري، غاية
النهاية، ج١، ص٤٧٨.

(٣) سورة المؤمنون، الآية ٥٣. ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٢٧٨.

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٤، ص١٨٨.

(٥) ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص٧٦. شرح طيبة النشر، ص٢٣٩. تحبير التيسير،

ص٣٨٠. النشر في القراءات، ج٢، ص٢٧٣. النويري، شرح طيبة النشر، ج٢، ص٣٤٣.

محيسن، الهادي، ج٢، ص٢٥٥-٢٥٦.

قرأ شعبة وحده (يُمسكون) من قوله تعالى: " وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ "،^(١) بإسكان الميم، وتخفيف السين، من أَمَسَكَ يُمَسِّكُ إِمْسَاكًا بزيادة الهمزة،^(٢) بمعنى: " يُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَحْكُمُونَ بِمَا فِيهِ "؛^(٣) أي: التوراة.^(٤)

وقرأ الباقر (يُمسكون) بفتح الميم وتشديد السين، من مَسَكَ يُمَسِّكُ مضَعَّف العين، " إذا عاود فعل التَّمَسُّك "،^(٥) وقيل هي بمعنى تَمَسَّكَ،^(١) " حكاه أهل التصريف "،^(٢) على إرادة " التَّكْرِيرِ وَالتَّكْثِيرِ "،^(٣) قال مجاهد: " هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه تمسكوا بالكتاب الذي جاء به موسى عليه السلام فلم يحرقوه ولم يكتُموه ولم يتخذوه مأكلة وقال عطاء هم أمّة محمد صلى الله عليه وسلم " .^(٤)

وهناك من اعتمد العلاقات التركيبية بين الكلم أساساً في المفاضلة بين هاتين القراءتين؛ فالفعل (أَمَسَكَ) هو من زمرة الأفعال المتعدية التي تنصب مفعولاً به، في حين ينتمي الفعل (مَسَكَ) إلى فصيلة الأفعال اللازمة؛ ولذلك اختار أبو عبيدة وأبو حاتم قراءة التشديد؛ " لأنه يقال تمسكت بالشيء ولا يقال أمسكت بالشيء: إنما يقال أمسكته " .^(٥)

وأحسب أنّ هذا القول ليس بدقيق؛ ذلك أنّ في العربية شواهد فصيحة ورد فيها الفعل (مَسَكَ) متعدياً، ولعلّ قراءة شعبة هذه خير شاهد على رسوخ هذا الاستعمال

(١) سورة الأعراف، الآية ١٧٠.

(٢) الفيومي، المصباح المنير، (مسك)، ج ٢، ص ٥٧٣.

(٣) الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٠، ص ٥٣. ابن منظور، لسان العرب، (مسك)، ج ١٠، ص ٤٨٧.

(٤) مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ج ٢، ص ٧٢.

(٥) ابن خالويه، الحجة، ص ١٦٦.

(١) الألوسى، روح المعاني، ج ٥، ص ٩٢.

(٢) السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٥، ص ٥٠٨.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٧، ص ٣١٣.

(٤) أبو السعود، إرشاد العقل السليم، ج ٣، ص ٢٨٨.

(٥) الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٤، ص ٣٠١.

في العربية، وربما كان الصواب أن يقال: إن الأكثر في الاستعمال مجيء الفعل أمسك متعدياً والفعل مسك لازماً، ولعلّ الواحدي كان مصيباً حين قال معلقاً على هاتين القراءتين: ولعلّ الواحدي كان مصيباً حين قال معلقاً على هاتين القراءتين: " والتشديد أقوى، لأنّ التشديد للكثرة وههنا أريد به الكثرة، ولأنّه يُقال: أمسكته، وقلماً يُقال أمسكتُ به " (١).

وبناءً على ما تقدّم يعتقد الباحث أنّ هاتين القراءتين هما مترادفتان في المعنى؛ حيث إنّ العربية كثيراً ما تعاقب بين الهمزة والتضعيف فتستبدل بالبنية المشدّدة بنية أخرى مزيدة بالهمزة.

(تُرْهَبُونَ)، (تُرْهَبُونَ): (١)

قرأ رويس وحده (تُرْهَبُونَ) من قوله تعالى: " تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ " (٢) بإسكان الراء وتشديد الهاء على وزن (تَفْعَلُونَ)، من رَهَبَ يُرْهَبُ مُضَعَّفَ الْعَيْنِ، يُقَالُ: " رَهَبْتُ الشَّيْءَ أَرْهَبُهُ رَهَبًا وَرَهَبَةً، أَي: خِفْتُهُ " (٣).

وقرأ الباقر (تُرْهَبُونَ) بفتح الراء وتخفيف الهاء، على وزن (تَفْعَلُونَ)، من أَرْهَبَ يُرْهَبُ الْمَزِيدُ بِالْهَمْزَةِ، بِمَعْنَى: " تُخِيفُونَ وَتُرْعَبُونَ " (٤).

ويرى الباحث أنّ هاتين القراءتين سيّين في المعنى؛ (٥) إذ كثيراً ما تجنح العربية إلى المبادلة بين الهمزة والتضعيف عند إرادة تعديّة الفعل، فكانت القراءة ذات الصيغة المشدّدة تعادل القراءة الثّانية في المعنى الصرفي لزيادة الهمزة؛ (٦) يُقَالُ: "

(١) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١٥، ص ٣٩٦.

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٧. شرح طيبة النشر، ص ٢٤٣. تحبير التيسير، ص ٣٨٦. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٧٧. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٣٥٣.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٦٩.

^٢ سورة الأنفال، الآية ٦٠.

^٣ الفراهيدي، العين، (رهب)، ج ٤، ص ٤٧.

^٤ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ١، ص ٢٤٩.

^٥ الأزهرّي، معاني القراءات، ج ١، ص ٤٤٣.

^٦ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٥، ص ٦٢٨.

أَرْهَبْتُهُ وَرَهَبْتُهُ سِوَاءَ "؛^(١) ولذلك وجدنا من العلماء من حمل هاتين القراءتين على التَّبَايُنِ اللَّهْجِيِّ، فقال: هما لغتان بمعنى واحد،^(٢) يقال: "أَرْهَبْتُهُ وَرَهَبْتُهُ"،^(٣) ويقال أيضاً: "أَرْهَبْتُ الْعَدُوَّ وَرَهَبْتُهُ، فَأَنَا أَرْهَبُهُ وَأَرْهَبُهُ إِرْهَابًا وَتَرْهِيْبًا، وَهُوَ الرَّهَبُ وَالرَّهْبُ"،^(٤) ومنه قول طفيل الغنوي:^(٥)

وَيْلٌ أُمَّ حَيٍّ دَفَعْتُمْ فِي نُحُورِهِمْ بَنِي كِلَابٍ غَدَاةَ الرَّعْبِ وَالرَّهَبِ
(وَيُثْبِتُ)، (وَيُثْبِتُ):^(١)

قرأ عاصم وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (وَيُثْبِتُ) من قوله تعالى: "يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ"^(٢) بِإِسْكَانِ النَّاءِ وَتَخْفِيفِ الْبَاءِ، عَلَى وَزْنِ (يُفْعَلُ)، مِنْ أَثْبِتَ يُثْبِتُ الْمَزِيدُ بِهَمْزَةٍ،^(٣) أَي: "وَيَقْرَأُ"،^(٤) "وَيُبْقِي مِنْ أَمْرِهِ مَا يَشَاءُ".^(٥) وقرأ الباقون (وَيُثْبِتُ) بِفَتْحِ النَّاءِ وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ عَلَى وَزْنِ (يُفْعَلُ)، مِنْ ثَبَّتَ يُثْبِتُ مُضَعَّفِ الْعَيْنِ، وَهِيَ الْقِرَاءَةُ الْمَخْتَارَةُ عِنْدَ أَبِي حَاتِمٍ^(٦) وَأَبِي عبيد؛ وذلك "لكثرة مَنْ قرأها، ولقوله تعالى: "يُثْبِتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ".^(٧)

^١ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ١، ص ٢٤٩.

^٢ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٤، ص ٣٦٩. ج

^٣ أبو العلاء الحنفي، مفاتيح الأغاني، ص ١٩٢.

^٤ الطبري، جامع البيان، ج ١٤، ص ٣٥.

^٥ طفيل الغنوي، الديوان، ص ١٢٨.

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨١. شرح طيبة النشر، ص ٢٥٧. تحبير التيسير،

ص ٤٢٣. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٩٨. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٠٠.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٣٣٧.

^٢ سورة الرعد، الآية ٣٩.

^٣ ابن خالويه، الحجّة، ص ٢٠٢.

^٤ مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل بن سليمان، ج ٢، ص ٣٨٣.

^٥ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٣، ص ١٥٠.

^٦ القرطبي، جامع البيان، ج ٩، ص ٣٢٩.

^٧ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ٥، ص ٢٩٦. سورة إبراهيم، الآية ٢٧.

ويرى الباحث أنّ هاتين القراءتين هما كغيرهما من قراءات التّنزيل ممّن كان الاختلاف فيها منصباً نحو القراءة بتشديد العين والقراءة بتخفيفها مع إلحاق الفعل المخفّف همزة قطع؛ " فاستغني بتعدية الأول من الفعلين عن تعدية الثاني؛" (١) ولذلك يمكن القول إنّ هاتين القراءتين هما متساويتان في المعنى، إذ ورد في العربية الفعل (ثَبَّتَ) متعدياً بالهمزة والتّضعيف، فيقال: أَثْبَتَهُ وَبَيَّنَّهُ بمعنى واحد، (٢) وقيل: هما لغتان بمعنى واحد، نحو: " وَفَيْتَ وَأَوْفَيْتَ، وَعَظَّمْتَهُ وَأَعْظَمْتَهُ " (٣).

(فُتِحَتْ)، (فُتِّحَتْ): (١)

وقريب من ذلك (فُتِحَتْ) من قوله تعالى: " حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ " (٢) حيث قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب (فُتِحَتْ) بتشديد التاء، على وزن (فُعِلْتُ) على معنى التكرير والتكثير؛ (٣) إذ المعنى يحيل إلى كثرة ما يقوم به هؤلاء القوم حتى ينجزوا هدم السدّ، وهم في دأبهم لتحقيق ذلك يكرّرون محاولة الهدم حتى يظفروا بمنالهم. (٤)

وقرأ الباقر (فُتِحَتْ) بتخفيف التاء على وزن (فُعِلْتُ)، على معنى " فتح واحد للسدّ الذي سدّه ذو القرنين، وكان التّخفيف أجود لوجهين؛ لأنه سدّ لا يُفتح إلا مرة واحدة ثم لا يُسدّ "، (٥) وفي ذلك يقول الفارسي: " فَإِنَّمَا خَفَّفَ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى: فَتَحَ سَدًّا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ؛ فَأَجْرَى التَّائِيثَ عَلَى لَفْظِ يَأْجُوجُ، وَإِنْ كَانَ الْمَعْنَى عَلَى السَّدِّ، أَوْ

^١ الفارسي، الحجة، ج ٥، ص ٢٠.

^٢ الفيومي، المصباح المنير، ج ١، ص ٨٠. ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ١٩. (ثبت).

^٣ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٣٧٤.

^٤ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧٣. شرح طيبة النشر، ص ٢٢٣. تحبير التيسير،

ص ٣٥٥. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٥٨. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٩٩.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١٩٠.

^٥ سورة الأنبياء، الآية ٩٦.

^٦ الأزهرّي، معاني القراءات، ج ٢، ص ١٧٢.

^٧ الفارسي، الحجة، ج ٥، ص ٢٦٢. مكّي، الكشف، ج ٢، ص ١١٤.

^٨ الأزهرّي، معاني القراءات، ج ٢، ص ١٧٢.

يكون: فتحت أرض يأجوج، لأنّ فتح سدّها فتح أرضهم؛ فهو فتح واحد لا تكرير فيه، فيحسن التشديد". (١)

(وَفَرَضْنَاهَا)، (وَفَرَضْنَاهَا): (٢)

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (وَفَرَضْنَاهَا) من قوله تعالى: "سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا"^(٣) بتشديد الراء على وزن (فَعَلْنَاهَا) أي: بينّاها،^(١) نحو: قوله في منتزّه التنزيل: " قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ "؛^(٢) أي: " بينّ لكم كيف تكفرون عن أيمانكم إذا حلفتكم "،^(٣) وقيل معناها: فصلناها، حكاه أبو عمرو،^(٤) فهي فرائض متعدّدة واجبة على الناس كافة في جميع الأزمان، ولعلّ صيغة التضعيف تلبّي هذا المقصد، قاله الفراء،^(٥) وقال الزجاج: " ... من قرأ بالتشديد فعلى وجهين: أحدهما على معنى التّكثير، على معنى أنا فرَضْنَا فيها فُرُوضاً كثيرةً وعلى معنى بيّنّا وفضلنا ما فيها من الحلال والحرام"،^(٦) وقيل: المراد بالتّضعيف ههنا المبالغة؛ حيث " إِنَّهَا حُدُودٌ وَأَحْكَامٌ فَلَا بُدَّ مِنَ الْمُبَالَغَةِ فِي إِجَابِهَا لِيَحْصَلَ الْأَنْقِيَادُ لِقَبُولِهَا"، قاله الفراء.^(٧)

^١ الفارسي، الحجّة، ج ٤، ص ١٩.

^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٨. شرح طيبة النشر، ص ٢٨٤. تحبير التيسير، ص ٤٧٩. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٣٠. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٧٢.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٨٣.

^٣ سورة النور، الآية ١.

^١ يحيى بن سلام، التّصاريح لتفسير القرآن، ص ١٨٨.

^٢ سورة التحريم، الآية ٢.

^٣ أبو هلال العسكري، الوجوه والنظائر، ص ٣٦٨.

^٤ النّحاس، إعراب القرآن، ج ٣، ص ٨٨.

^٥ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٢٤٤. ابن خالويه، الحجّة، ص ٢٥٩.

^٦ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٤، ص ٢٧.

^٧ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٣، ص ٣٠١. ولم أجد ذلك في معاني الفراء.

وقرأ الباقر (وَفَرَضْنَاهَا) بتخفيف الرّاء على وزن (فَعَلْنَاهَا)، من فَرَضَ يَفْرِضُ، بمعنى: " أَلزَمْنَاكُمْ الْعَمَلَ بِمَا بَيَّنَّ فِيهَا مِنَ الْوَاجِبَاتِ وَالْحَقُوقِ "؛^(١) لذلك كانت هذه القراءة المخففة تشمل بينيتها الصّرفية القليل والكثير،^(٢) كما كان ذلك في قوله تعالى: " إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيَّ مَعَادٍ "،^(٣) قال الفارسي: " والمعنى: أحكام القرآن وفرائض القرآن، كما أنّ التي في سورة النور كذلك "؛^(٤) وهكذا كانت هذه الآية الكريمة بمثابة إعلام وتنبيه لكل من يقرأ هذه السورة أن يتدبّر ما فيها من أحكام وشرائع تنظم حياة المسلم في مجتمعه، وهي بالجملة قوانين وحدود وفرائض عديدة كثيرة، وكأنّها قد شرعها الله فرضاً فرضاً، فلمّا اجتمعت صارت فروضاً متعدّدة فكان التّضعيف بيان على تلك الأحكام التي جاء تفصيلها فيما تلاها من آيات ففرضها الله على جميع خلقه وألزمهم بتمثلها والإقرار بالعمل بها.

(وَيَلْقَوْنَ)، (وَيَلْقَوْنَ):^(١)

قرأ ابن عامر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب وحفص (وَيَلْقَوْنَ) من قوله تعالى: " وَيَلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا "؛^(٢) بضمّ الياء وفتح اللام وتشديد القاف على وزن (يَفْعَلُونَ)، من لَقِيَ يُلْقَى، بتضعيف العين، نحو: قوله تعالى: " وَلَقَاهُمْ نَضْرَةٌ وَسُرُورًا "،^(٣) فعديّ الفعل بالتّضعيف بعد أن كان لازماً.

وقرأ الباقر (وَيَلْقَوْنَ) بفتح الياء وإسكان اللّام وتخفيف القاف على وزن (يَفْعَلُونَ)، من لَقِيَ يُلْقَى، نحو: قوله تعالى: " فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا "؛^(٤)

^١ الأزهرّي، معاني القراءات، ج ٢، ص ٢٠١.

^٢ الفارسي، الحجّة، ج ٥، ص ٣٠٩.

^٣ سورة القصص، الآية ٨٥.

^٤ الفارسي، الحجّة، ج ٥، ص ٣٠٩.

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٩. شرح طيبة النشر، ص ٢٨٨. تحبير التيسير،

ص ٤٨٦. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٣٥. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٨١.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ١٠١.

^٢ سورة الفرقان، الآية ٧٥.

^٣ سورة الإنسان، الآية ١١.

^٤ سورة مريم، الآية ٥٩.

وقد آثر أبو زكريا الفراء قراءة التّخفيف؛ لأنّ الاستعمال الفصيح - كما يزعم - ورد فيه (يتلقّى) لازماً فكانت القراءة بالتّخفيف تتماشى مع الفعل لقى، قال: " (يُلَقُّونَ) أَعْجَبُ إِلَيَّ؛ لأنّ القراءة لو كانت على (يُلَقُّونَ) كانت بالباء في العربيّة لأنك تقول: فلان يُتَلَقَّى بالسلام وبالخير. وهو صواب يُلَقُّونه ويلقون به كما تقول: أخذت بالخطام وأخذته"،^(١) وهذا القول من لدن الفراء يُغلّطه الاستعمال اللّغويّ الفصيح أيضاً؛ فقد ورد في التّزليل الفعل (لقى) مضعفاً ومتعدّياً، وهو قوله تعالى: " وَلَقَاهُمْ نَضْرَةٌ وَسُرُورًا "،^(٢) ثمّ إنّ الفراء قد قاس (يُلَقُّونَ) على (يَتَلَّونَ) وشتان بين هذين الفعلين، قال الأزهرى: " وقال غيره: فلان يلقى الخير، ويلقى به. كما تقول: أخذت الزمام، وأخذت بالزمام".^(٣)

والمعنى أنّ من عظيم جزاء الله لعباده أنّه يدخلهم الجنّة ثواباً لإيمانهم وجزاء لتقواهم، فتستقبلهم الملائكة ببشرى خلود الإقامة وعظيم النعيم، وتتلّقاهم بالسلام، " فيقبل كل واحد منهم على الآخر فيلقاه بالتحية والبشرى لما سيلقى من الكريم في جنان الخلد، " ثمّ هذه التّحيّة والسّلام يُمكنُ أن يكونَ منَ الله تعالى لقوله: " سلامٌ قولاً من ربِّ رحيمٍ "، ويُمكنُ أن يكونَ منَ الملائكة لقوله: " والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب سلامٍ عليكم "، ويُمكنُ أن يكونَ من بعضهم على بعض".^(١)

(وَاتَّبَعَكَ)، (وَاتَّبَعُكَ):^(٢)

قرأ العشرة إلّا يعقوب (وَاتَّبَعَكَ) من قوله تعالى: " قَالُوا أَنْوْمُنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْدُلُونَ"،^(٣) بألف وصل، وتشديد التاء مع فتحها، وفتح الباء والعين، على وزن (افْتَعَلَ)، بصيغة الفعل الماضي^(٤) أي: " وَتَبِعَكَ الْأَرْدُلُونَ".^(٥)

^١ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٢٧٥.

^٢ سورة الإنسان، الآية ١١.

^٣ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ٢٢١.

^١ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٤، ص ٤٨٨. سورة يس، الآية ٥٨. سورة الرعد، الآية ٢٣، ٢٤.

^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٩. شرح طيبة النشر، ص ٢٨٨. تحبير التيسير،

ص ٤٨٨. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٣٥. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٨٣.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ١٠٤.

وقرأ يعقوب وحده (وَأَتْبَاعُكَ) باستبدال همزة قطع بألف الوصل، مع إسكان التاء وتخفيفها وإقحام ألف بعد الباء وضمّ العين، على وزن (أَفْعَال) جمع تكسير واحده " تَابِعُ كَشَاهِدٍ وَأَشْهَادٍ، أَوْ جَمْعُ تَبِعٍ كَبَطَلٍ وَأَبْطَالٍ "،^(٤) وقيل: هي " جَمْعُ تَبِيعٍ، كَشَرِيفٍ وَأَشْرَافٍ "،^(٥) ومعناه: " وأشياعك الأردلون "،^(٦)

وقد استحسّن الفراء قراءة الجمهور،^(١) وذهب أبو إسحاق الزجاج إلى أنها قراءة جيدة قويّة في العربيّة؛^(٢) لأنّ واو الحال " تصحبُ الأسماءَ أكثرَ في العربيّة؛ لأنّك تقول: جَنَّتُكَ وَأَصْحَابُكَ الزَيْدُونَ، ويجوز: وَصَحْبِكَ الزَيْدُونَ، والأكثرُ جَنَّتُكَ وَقَدْ صَحْبِكَ الزَيْدُونَ "،^(٣) وإلى ذلك ذهب أبو جعفر النحاس، قال: " وَهِيَ قِرَاءَةٌ حَسَنَةٌ، وَهَذِهِ الْوَاوُ أَكْثَرُهَا تَتَّبِعُهَا الْأَسْمَاءُ وَالْأَفْعَالُ بَقَدِّ. وَأَتَّبَاعُ جَمْعُ تَبِعٍ وَتَبِعٌ يَكُونُ لِلْوَّاحِدِ وَالْجَمْعِ "،^(٤)

وأحسب أنّ هذا القول ليس بدقيق؛ ذلك أنّ هاتين القراءتين هما قراءتان متواترتان لا مزيّة لإحداهما على الأخرى، ولا مكان للمفاضلة بينهما. وأمّا القول بأنّ واو الحال لا يأتي بعدها الفعل الماضي إلاّ مقترناً بقَدِّ فمسألة خلافية بين النحاة تحتاج إلى بحث مستقل،^(٥) والذي يمكن قوله إنّ واقع الاستعمال في العربيّة ليكشف عن شواهد فصيحة ورد فيها الفعل الماضي في جملة الحال دون أن يقترن بقَدِّ،

^١ سورة الشعراء، الآية ١١١.

^٢ السمرقندي، بحر العلوم، ج ٢، ص ٥٦١.

^٣ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ٢٢٧.

^٤ الزمخشري، الكشاف، ج ٣، ص ٣٢٤. الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٤، ص ٥٢١.

^٥ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٨، ص ١٧٦.

^٦ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ٢٢٧.

^١ الفراء، معاني القرآن، ج ٢، ص ٢٨١.

^٢ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٤، ص ٩٥.

^٣ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٤، ص ٩٥.

^٤ النحاس، معاني القرآن، ج ٥، ص ٩٠. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٣، ص ١٢٠.

^٥ الأنباري، الإنصاف في مسائل الخلاف، ج ١، ص ٢٠٥. مسألة ٣٢.

ولعلّ في قراءة يعقوب هذه لخير دليل على أصالة هذا الاستعمال وفصاحته،^(١) وكان الأجدر بالنحاة القول بأنّ الغالب أو الأكثر في الاستعمال هو اقتران جملة الحال بالفعل الماضي بقد.

وأما هاتان القراءتان فهما في ظنيّ متقاربتان في المعنى؛ فقراءة الجمهور تخبر عن حال قوم نوح - عليه السّلام - وتكبّرهم عن اتّباع دين الله فيتساووا مع غيرهم من الضّعفاء أو الفقراء أو غير ذلك ممّا فسّر به (الأردلون)؛^(٢) أي كيف يكون أن نؤمن بما تدعوننا إليه يا نوح " وَقَدْ اتَّبَعَكَ أَرَادِلُنَا، فَتَتَسَاوَى مَعَهُمْ فِي اتِّبَاعِكَ؟ " .^(١) وأما قراءة يعقوب فإنّها تخبر عن قريب من هذا المعنى؛ إذ الاتّباع لا يكونون إلّا بالاتّباع، وكانّ هذه القراءة هي بمثابة نتيجة متحصّلة من القراءة الأولى والمعنى - والله أعلم - : كيف نكون يا نوح أتباعاً لك فنكون مع الأردلين في منزلة واحدة، " نُؤْمِنُ لَكَ وَإِنَّمَا اتَّبَاعُكَ الْأَرْدَلُونَ فَنَسَاوِيهِمْ فِي أَنْ نَكُونَ مَرْدُولِينَ مِثْلَهُمْ؟ " .^(٢) (لَهْدِمَتْ)، (لَهْدِمَتْ):^(٣)

قرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر (لَهْدِمَتْ) من قوله تعالى: " لَهْدِمَتْ صَوَامِعُ وَبَيْعٌ"^(٤) بتخفيف الدال على وزن (فَعَلَتْ)، من هَدَمَ يَهْدِمُ، وهو يدلّ على القليل والكثير،^(٥) " وهدّمت يختصّ به الكثير، كما أنّ الرّكبة والجلسة تختصّ بالحال التي هو عليها "، حكاها الفارسيّ،^(٦) وفي التّنزيل: " وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ "،^(٧) قال الفرزدق:^(٨)

^١ ابن هشام، مغني اللبيب، ص ٢٢٩.

^٢ الماورديّ، النكت والعيون، ج ٤، ص ١٧٩.

^١ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٨، ص ١٧٦.

^٢ ابن جنّي، المحتسب، ج ٢، ص ١٣١.

^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٧. شرح طيبة النشر، ص ٢٨١. تحبير التيسير،

ص ٤٧١. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٢٧. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٦٥.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٦٩.

^٤ سورة الحج، الآية ٤٠.

^٥ مكي، الكشف، ج ٢، ص ١٢١.

^٦ الفارسيّ، الحجّة، ج ٥، ص ٢٧٩.

^٧ سورة يوسف، الآية ٢٣.

ما زِلْتُ أَفْتَحُ أَبْوَاباً وَأُغْلِقُهَا حَتَّى أَتَيْتُ أَبَا عَمْرٍو بْنِ عَمَّارٍ
قال سيبويه معلّقاً على بيت الفرزدق: " وفتحت في هذا أحسن، كما أنّ قعدة في ذلك
أحسن " (١).

وقرأ الباقر (لَهْدَمْتُ) بتشديد الدال على وزن (فَعَلْتُ)، من هَدَمَ يَهْدِمُ بتضعيف
العين على إرادة تكرير حدوث الفعل، (٢) وتكثيره. (٣) وهذا يعني أنّ هذه القراءة
الأخيرة قد أضافت معنىً بليغاً نبّهت على عظم خطر أعداء الدين وما يمكن أن
يلحقوه بالبشرية لو تركوا؛ فإنّ الانتقام والتخريب وقتل الأنفس وتخريب دور العبادة
هو من دأبهم وسنتهم، وفي هذا دحض لمن ادّعى الإقليميّة على دين الإسلام وإنّه
جاء لبدو الصّحراء، إنّما الإسلام رسالة السّماء للبشرية جمعاء.
(وَلْيُؤْفُوا)، (وَلْيُؤْفُوا): (٤)

قرأ شعبة وحده (وَلْيُؤْفُوا) من قوله تعالى: " ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُؤْفُوا نُذُورَهُمْ " (٥)
بفتح الواو وتشديد الفاء على وزن (يُفَعِّلُوا)، من: وَفَى يُوْفِي بتضعيف العين، للدلالة
على تكرير حدوث الفعل، (٦) أو هو لتأكيد الحدث لاسيّما إذا كان المراد بالوفاء ههنا

^١ لم أجد هذا البيت في ديوان الفرزدق. سيبويه الكتاب، ج ٤، ص ٦٥. الفارسي، الحجّة، ج ٥،
ص ٢٨٠. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ)،
أدب الكاتب، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ص ٤٦١.

^٢ سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٦٥.

^٣ ابن خالويه، الحجّة، ص ٢٥٤.

^٤ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ١٨٣.

^٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٨٧. شرح طيبة النشر، ص ٢٨٠. تحرير التيسير،
ص ٤٧٠. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٢٦. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٤٦٢.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٦٤.

^٥ سورة الحج، الآية ٢٩.

^٦ مكّي، الكشف، ج ٢، ص ١١٧.

" مَا أُوجِبُوهُ بِالنَّذْرِ الَّذِي هُوَ الْقَوْلُ "،^(١) ويمكن أن يكون القصد من التضعيف الدلالة على الكثرة؛^(٢) أي كثرة المناسك والعبادات التي توجبها فريضة الحج.^(٣)

وقرأ الباقر (وَلْيُؤْفُوا) بإسكان الواو وتخفيف الفاء، على وزن (يُفْعِلُوا)، من أَوْفَى يُؤْفَى إيفاءً، على إرادة القليل والكثير،^(١) قال أبو زيد: " أَوْفَى نَذْرُهُ أَحْسَنَ الْإِيفَاءِ فَجَعَلَ الرَّبَّاعِيَّ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ "،^(٢) وحكى صاحب (ديوان الأدب) أن وْفَى وأوفى سيين في المعنى، قال: " أَوْفَيْتُهُ حَقَّهُ، أَي: وَفَيْتُهُ إِيَّاهُ. وَأَوْفَى لَهُ بِمَا قَالَ، أَي: وَفَى، وَأَوْفَى عَلَى الشَّيْءِ، أَي: أَشْرَفَ "،^(٣) وروى أبو عبيد عن الكسائي وأبي عبيدة: " وَفَيْتَ بِالْعَهْدِ، وَأَوْفَيْتَ بِهِ، سَوَاءٌ "،^(٤) وقيل: هما لغتان،^(٥) قال الفارسي: " وَأَوْفُوا وَوَفَى وَأَوْفَى وَوَفَى لُغَاتٌ مُسْتَعْمَلَةٌ "،^(٦) قال الشاعر: (٧)

أَمَّا ابْنُ طَوْقٍ فَقَدْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ كَمَا وَفَى بِقِلاصِ النَّجْمِ حَادِيهَا
(وَلَا تُمْسِكُوا)، (وَلَا تُمْسِكُوا):^(٨)

وقريب من ذلك (تُمْسِكُوا) من قوله تعالى: " وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ "،^(٩) حيث قرأها أبو عمرو ويعقوب (وَلَا تُمْسِكُوا) بفتح الميم وتشديد السين، من مَسَّكَ

^١ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٣، ص ٢٢٢.

^٢ مكي، الكشف، ج ٢، ص ١١٧.

^٣ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٣، ص ٢٢٢.

^١ مكي، الكشف، ج ٢، ص ١١٧.

^٢ الفيومي، المصباح المنير، (وفي)، ج ٢، ص ٦٦٧.

^٣ الفارابي، ديوان الأدب، ج ٣، ص ٢٧١.

^٤ الأزهرى، تهذيب اللغة، (وفي)، ج ١٥، ص ٤٢٠.

^٥ مكي، الكشف، ج ٢، ص ١١٧.

^٦ الفارسي، الحجّة، ج ٥، ص ٢٧٦.

^٧ البيت لطفي الغنوي، طفيل بن عوف الغنوي، (١٩٩٧م)، ديوان طفيل الغنوي، شرح:

الأصمعي، تحقيق: حسان فلاح أوغلي، ط ١، دار صادر، بيروت، ص ١٤١.

^(٨) ابن الجزري، متن طبية النشر، ص ٩٨. شرح طبية النشر، ص ٣١٨. تحبير التيسير،

ص ٥٨٠. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٨٧. النويري، شرح طبية النشر، ج ٢، ص ٥٨٥.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٢٨٢.

يُمْسِكُ مضعف العين، على إرادة المبالغة. (٢) وقرأ الباقون (ولَا تُمْسِكُوا) بإسكان الميم، وكسر السين مع تخفيفها، من أَمْسَكَ يُمْسِكُ. (٣) وأحسب أن هاتين القراءتين هما لغتان بمعنى واحد، (١) أو كما قال أبو زكريا الفراء هما متقاربتان في المعنى، قال: " والعرب تقول: أَمْسَكَتُ بِكَ، وَمَسَّكَتُ بِكَ، وَتَمَسَّكَتُ بِكَ "، (٢) وقد جمع كعب بن زهير بين هاتين اللغتين (٣) في قوله: (٤)

وَمَا تَمَسَّكَتُ بِالْوَصْلِ الَّذِي زَعَمْتَ، إِلَّا كَمَا تُمْسِكُ الْمَاءَ الْغَرَابِيلُ
(قَدَرٌ)، (قَدَّرٌ): (٥)

تعدّد القراء العشرة في قراءة هذه اللفظة بين القراءة بالتخفيف تارة وبالتثقل تارة أخرى، وذلك في مواضع مخصوصة من التنزيل، وتفصيل ذلك: قرأ الكسائي وحده (قَدَّر) من قوله تعالى: " وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى " (٦) بتخفيف الدال، على وزن (فَعَلَ) على معنى: " القدرة على جميع الأشياء والملك لها والمعنى فيه:

(١) سورة الممتحنة، الآية ١٠.

(٢) النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٨٥.

(٣) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٥، ص ١٥٩.

(٤) ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٢، ص ٤٧٣.

(٥) الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ١٥١.

(٦) السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٥، ص ٥٠٨.

(٤) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، (٥٢٦هـ)، (١٩٩٧م)، ديوان كعب بن زهير، حققه وشرحه وقدم له: علي الفاعوري، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت، ص ٦١.

(٥) ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ١٠١. شرح طيبة النشر، ص ٣٢٨. تحبير التيسير،

ص ٦١٠. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٩٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٦١٦.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٣٤٧.

٦ سورة الأعلى، الآية ٣.

فهدي وأضل، ثم حذف لفظ الضلال لدلالة لفظ الهداية عليه،^(١) ويجوز أن يكون من "قَدَّر"،^(٢) بمعنى التقدير.^(٣)

وقرأ الباقر (قَدَّرَ) بتشديد الدال، على وزن (فَعَّلَ) على معنى: "قَدَّرَ خلقه فهدي كل مخلوق إلى مصلحته"،^(٤) يقول الفارسي: "وكانَّ المشدَّدة في هذا المعنى أكثر في الاستعمال، وفي التنزيل، كقوله: "وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا"، "وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا".^(٥)

وعلى سعيد آخر قرأ أبو جعفر وابن عامر (فَقَدَّرَ) من قوله تعالى: "فَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ"^(٦) بتشديد الدال على إرادة التكثر،^(٣) "وَقَدَّرَ اللَّهُ الرِّزْقَ يَقْدِرُهُ وَيَقْدِرُهُ ضَيْقَهُ".^(٤) وقرأ الباقر (فَقَدَّرَ) بتخفيف الدال بمعنى التضييق،^(٥) أي: "ضَيَّقَ عَلَيْهِ بِأَنْ جَعَلَهُ عَلَى مِقْدَارِ الْبُلْغَةِ، فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِي أَي هَذَا الْهَوَانُ مِنْهُ لِي حِينَ أَدْنَيْ بِالْفَقْرِ".^(٦)

ويجوز أن تكون (قَدَّرَ وَقَدَّرَ) لغتين بمعنى واحد، وهما "من التقدير لا من القدرة"، حكاه الأزهرى،^(٧) قال الفراء: "العرب تقول: قَدَّرَ عَلَيْهِ المَوْتَ، وَقَدَّرَ عَلَيْهِ المَوْتَ،

^١ مكي، الكشف، ج ٢، ص ٣٧٠.

^٢ الفارسي، الحجّة، ج ٥، ص ٥٠.

^٣ مكي، الكشف، ج ٢، ص ٣٧٠.

^٤ المصدر نفسه.

^١ سورة فصلت، الآية ١٠. سورة الفرقان، الآية ٢. الفارسي، الحجّة، ج ٥، ص ٥٠، ٥١.

^٢ سورة الفجر، الآية ١٦.

^٣ مكي، الكشف، ج ٢، ص ٣٧٢.

^٤ الفيومي، المصباح المنير، (قدر)، ج ٢، ص ٤٩٢.

^٥ ابن منظور، لسان العرب، (قدر)، ج ٥، ص ٧٧.

^٦ ابن الجوزي، زاد المسير، ج ٤، ص ٤٤٣. الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣١، ص ١٥٦.

^٧ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٢، ص ٧٢.

وَقَدَّرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ وَقَدَّرَ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ وَقَدْ يَجْمَعُ الْعَرَبُ بَيْنَ اللَّغَتَيْنِ، قَالَ اللَّهُ
تَبَارَكَ وَتَعَالَى: " فَمَهَّلَ الْكَافِرِينَ أُمَّهْلَهُمْ رُوَيْدًا "،^(١) قَالَ الْأَعْشَى: ^(٢)
وَأُنْكَرْتَنِي، وَمَا كَانَ الَّذِي نَكَرْتُ مِنْ الْحَوَادِثِ إِلَّا الشَّيْبَ وَالصَّلَاةَ
وَيُقَالُ: " قَدَرْتُ الشَّيْءَ بِمَعْنَى قَدَرْتَهُ "،^(١) وَمِنْهُ قَوْلُ أَبِي ذُوَيْبِ الْهَذَلِيِّ: ^(٢)
وَمُفْرَهَةٌ عَنَسٍ قَدَرْتُ لِسَاقِهَا، فَخَرَّتْ كَمَا تَتَابَعُ الرِّيحُ بِالْقَفْلِ
وَقَوْلُ الرَّاجِزِ: ^(٣)

يَا رَبِّ قَدْ أُولِعَ بِي وَقَدْ عَبَثَ
فَاقْدِرْ لَهُ أُصَيْلَةَ مِثْلَ الْحَفْثِ
(سُجِّرَتْ)، (سُجِّرَتْ): ^(٤)

قَرَأَ رُوحُ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَرُؤَيْسُ بَخْلَفٍ عَنْهُ (سُجِّرَتْ) مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: " وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ " ^(٥) بِتَخْفِيفِ الْجِيمِ، عَلَى وَزْنِ (فُعِلَ) مِنْ: سَجَرَ يَسْجُرُ سَجْرًا

^١ الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٢٤. الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣٠، ص ٧٧٢. سورة الطارق، الآية ١٧. وقد وقفت على هذه الرواية نفسها في اللسان ولكن بضم القاف في (قدر)، قال الفراء: " وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى فِي التَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ وَاحِدًا لِأَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ: قُدِّرَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ وَقُدِّرَ عَلَيْهِ الْمَوْتُ، وَقُدِّرَ عَلَيْهِ وَقُدِّرَ، وَقَدْ تَجَمَّعَ الْعَرَبُ بَيْنَ اللَّغَتَيْنِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: " فَمَهَّلَ الْكَافِرِينَ أُمَّهْلَهُمْ رُوَيْدًا ". وَقَدَّرَ عَلَى عِيَالِهِ قَدْرًا: مِثْلَ قَتَرَ. وَقُدِّرَ عَلَى الْإِنْسَانِ رِزْقُهُ قَدْرًا: مِثْلَ قَتَرَ؛ وَقَدَّرْتُ الشَّيْءَ تَقْدِيرًا وَقَدَّرْتُ الشَّيْءَ أَقْدَرُهُ وَأَقْدَرُهُ قَدْرًا مِنْ التَّقْدِيرِ "، انظر مادة (قدر) في اللسان.

^٢ الأعشى، الديوان، ص ١٠١. أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو ٣٩٥ هـ)، (١٩٩٩ م)، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت، ص ٨٣.

^١ ابن قتيبة، غريب الحديث، ج ١، ص ٢٥٥.

^٢ ورد هذا البيت في ديوان الهذليين برواية أخرى حيث وضع (رجلها) مكان قوله (لساقها)، السكري، ديوان الهذليين، ق ١، ص ٣٨.

^٣ لم أقف على قائله. الفارسي، الحجة، ج ٥، ص ٤٩.

^٤ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ١٠٠. شرح طيبة النشر، ص ٣٢٧. تحبير التيسير، ص ٦٠٦. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٩٨. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٦١٢.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٣٣٥.

وَسُجُوراً، ومعناه: مُلِئَتْ، قاله ثعلب،^(٢) وقيل: غيضت، حكاه الخليل،^(٣) ومنه قوله تعالى: " وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ "^(٤) قال الخليل: " والسُّجُورُ: امتلاءُ البحر والعين، وكثرة مائه. والبحرُ المسجُورُ: المفعم الملائن. "^(٥)

والقراءة بصيغة التّخفي يراد بها القليل والكثير،^(١) وهو نظير قوله تعالى: " قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ "^(٢) وقوله عزّ من قائل: " قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ "^(٣) وقيل معنى سُجِرَتِ: " جُعِلَتْ مياهها نيراناً بها يعذب أهل النار ".^(٤)

وقرأ الباقر (سُجِرَتِ) بتشديد الجيم، وهو الوجه الثاني لرويس على وزن (فُعَلَّتْ)، أي: مَلَأَ،^(٥) يقال: " سَجِرَتِ الشَّيْءُ مَلَأَتْهُ "،^(٦) ومنه قول لبيد:^(٧)
فتوسّطاً عُرْضَ السَّرِيِّ وَصَدَعَا مَسْجُورَةً مُتَجَاوِراً قَلَامَهَا
وقال النمر بن تولب:^(٨)

إذا شاء طالع مسجورة ترى تحتها النبع والسّماسما

^١ سورة التكوير، الآية ٦.

^٢ ابن منظور، لسان العرب، (سجر)، ج ٤، ص ٣٤٦.

^٣ الفراهيدي، العين، (سجر)، ج ٦، ص ٥١.

^٤ سورة الطور، الآية ٦.

^٥ الفراهيدي، العين، (سجر)، ج ٦، ص ٥٠.

^١ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٧٥٠.

^٢ سورة الذّاريات، الآية ١٠.

^٣ سورة البروج، الآية ٤.

^٤ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٥، ص ٢٩٠.

^٥ ابن منظور، لسان العرب، (سجر)، ج ٤، ص ٣٤٥.

^٦ النّحاس، إعراب القرآن، ج ٥، ص ٩٩. معاني القرآن، ج ٦، ص ٢٣٤.

^٧ لبيد، الديوان، ص ١١١.

^٨ النمر بن تولب، الديوان، ص ١١٨. القرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ٢٦. ابن الشجري،

ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، (ت: ٥٤٢هـ)، (١٩٢٥م)،

مختارات شعراء العرب لابن الشجري، ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي، ط ١، مطبعة

الاعتماد، مصر، ج ١، ص ١٧.

والقراءة بصيغة التشديد يراد بها المبالغة،^(١) والتكثير،^(٢) والتكرير؛^(٣) " لأن ذلك إذا كسر جاء على هذا المثال يقال قُطِّعُوا وقُبِّلُوا ولا يقال للواحد قُطِّعَ يعني يده ولا قُتِّلَ"،^(٤) ويزيد ابن زنجلة المسألة وضوحاً فيبين ذلك بقوله: " وَلَوْ كَانَ وَاحِدًا لَكَانَ تَخْفِيفًا كَمَا قَالَ " وَالْبَحْرُ الْمَسْجُورُ " وَالْعَرَبُ تَقُولُ سَجَرَتِ التَّنُّورِ لَا تَقُولُ غَيْرَهُ وَسَجَرَتِ التَّنَانِيرِ بِالتَّشْدِيدِ وَمَعْنَى سَجَرَتِ أَي أَفْضَى بَعْضَهَا إِلَى بَعْضِ فَصَارَتْ بَحْرًا وَاحِدًا "،^(١) قال الفراء معناه: " أَفْضَى بَعْضَهَا إِلَى بَعْضِ فَصَارَ بَحْرًا وَاحِدًا "،^(٢) وقيل معناها: فَجِرَتْ حكاة أبو إسحاق الزجاج،^(٣) قال مقاتل بن سليمان معناها: " فجرت بعضها في جوف بعض العذب والمالح ملئت في البحر المسجور يعني الممتلئ فصارت البحور كلها بحراً واحداً "،^(٤)

ويتبين لنا مما تقدّم مدى التغيّر والتبدّل الذي سيصيب نواميس الكون لحظة الفرع الأكبر، فهذه البحار والمحيطات أجاجها وفراتها تجتمع على قدر واحد في قرار واسع، فتسجر " فصارت بحراً واحداً "،^(٥) فيلتقي الماء على الماء، " عذبتها على مالحها، ومالحها على عذبتها "،^(٦) ثم سرعان ما يغيظ ماؤها فتبيس،^(٧) أو تُسَجَّر

^١ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ١٠، ص ٧٠١.

^٢ النحاس، إعراب القرآن، ج ٥، ص ٩٩.

^٣ الأزهرى، معاني القرآن، ج ١، ص ٣٦٣.

^٤ الأخفش، معاني القرآن، ج ٢، ص ٥٦٨.

^١ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٧٥٠، ٧٥١.

^٢ الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٣٩.

^٣ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٥، ص ٢٩٠.

^٤ مقاتل بن سليمان، التفسير، ج ٤، ص ٦٠١.

^٥ هذا هو قول الضحاك، انظر: النكت والعيون للماوردي، ج ٦، ص ٢١٣.

^٦ قاله أبو الحجاج، انظر: النكت والعيون للماوردي، ج ٦، ص ٢١٣.

^٧ هو قول الحسن، انظر النكت والعيون للماوردي، ج ٦، ص ٢١٣.

سَجْرًا، فتملاً لتوقد ناراً تضطرم،^(١) وتحمى،^(٢) أو يحمى ماؤها حتى تحمرّ كالدم، فتكُ عيناً " سجراً"،^(٣) يشرب منها أهل النار تعذيباً لهم على كفرهم وعنادهم.^(٤) ولعلّ القراءة بالتخفيف تارة وبالتثقل تارة أخرى قد رسمت لنا هذا المعنى بجلاء؛ ففي القراءة الأولى ذات الهيئة المخففة إخبار عن ذلك المعنى في صورته الثابتة الواقعة باليقين الإلهي، وفي القراءة الثانية تأكيد عليه وإشعار لذلك الحدث وإبلاغ عنه في حالته المتكررة ذات الأفق الواسع الذي لا يعرف حدّه إلّا صانعه ومدبره جلّ في علاه.

(نُشِرَتْ)، (نُشِرَتْ): (١)

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمزة والكسائي وخلف العاشر (نُشِرَتْ) من قوله تعالى: " وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ " ^(٢) بتشديد الشين، على وزن (فُعَلَتْ) لإرادة التثنية والتكرير،^(٣) و " للمبالغة في تقريع العاصي وتبشير المطيع "،^(٤) ونظيره قوله تعالى: " بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً "،^(٥) قال الطبري: " وإنما حسن

^١ هذا هو قول علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه- انظر النكت والعيون للماوردي، ج٦، ص٢١٣.

^٢ القيشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، لطائف الإشارات، تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ج٣، ص٦٩٣.

^٣ الفراهيدي، العين، (سجر)، ج٦، ص٥١.

^٤ قاله ابن عيسى، انظر النكت والعيون للماوردي، ج٦، ص٢١٣. والعين السجاء هي الحمراء.

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص١٠٠. شرح طيبة النشر، ص٣٢٧. تحبير التيسير، ص٦٠٦. النشر في القراءات، ج٢، ص٣٩٨. النويري، شرح طيبة النشر، ج٢، ص٦١٢. محسن، الهادي، ج٣، ص٣٥٥.

^٢ سورة التكوير، الآية ١٠.

^٣ الأزهرّي، معاني القراءات، ج٣، ص١٢٣.

^٤ الماوردي، النكت والعيون، ج٦، ص٢١٥.

^٥ سورة المدثر، الآية ٥٢.

التشديد فيه لأنه خبر عن جماعة، كما يقال: هذه كباش مُذْبَحَةٌ، ولو أخبر عن الواحد بذلك كانت مخففة، فقليل مذبوحة^(١).^(١) وقرأ الباقون (نُشِرَتْ) بتخفيف الشين، على وزن (فُعَلَتْ)، لإرادة حدوث النشر مرة واحدة،^(٢) ونظيره قوله تعالى: " في رَقٍّ مَنشُورٍ " ^(٣).

وهذه الآية الكريمة هي إحدى أمارات يوم البعث، فبعد أن بيّن الحق سبحانه ما يكون من شأن الشمس والقمر، والجبال والبحار، وسائر الخلق، يأتي التنزيل ليكمل بعض تفاصيل هذا المشهد المهيّب، إنها لحظة كشف المخبأ المستور، ومعرفة المصير المحتوم، فهاهي صحائف أعمال العباد تُنشر بعد أن كانت طيًّا، فتتشر وتفرّق على أصحابها،^(١) فينتقونها نشرًا؛ أي: متفرقين.^(٢)

وربما يكون للمغايرة الصرّفيّة والمبادلة بين الصيغ سهم في إبراز هذا المعنى؛ فالقراءة بصيغة التخفيف تنبئ عن ذلك السجل الذي رصد كل ما كان من صاحبه في دار الدنيا، فينشر معلناً عن بدء ساعة الحساب، وتأتي القراءة ذات الصيغة المشددة لتبيّن أنّ هذا النشر ليس منوطاً بواحد من الخلق؛ إنّما العباد كلّهم سيلقون صحائفهم، فيهنأ من كانت الطاعة والإيمان هو عنوان صحيفته، ويخسأ ويخذل من كانت يمينه تمتع عن تسلّم صحيفته.

(سُعْرَتْ)، (سُعْرَتْ):^(٣)

قرأ ابن ذكوان وحفص ونافع وأبو جعفر ورويس وشعبة بخلف عنه (سُعْرَتْ) من قوله تعالى: " وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعْرَتْ " ^(٤) بتشديد العين، على وزن (فُعَلَتْ)؛ أي:

^١ الطبري، جامع البيان، ج ٢٤، ص ٢٤٩.

^٢ الماوردي، النكت والعيون، ج ٦، ص ٢١٥.

^٣ سورة الطور، الآية ٣.

^١ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣١، ص ٦٦.

^٢ الأزهرّي، تهذيب اللغة، (نشر)، ج ١١، ص ٢٣٢.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ١٠٠. شرح طيبة النشر، ص ٣٢٧. تحبير التيسير،

ص ٦٠٦. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٩٨. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٦١٢.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٣٣٦.

^٤ سورة التكوير، الآية ١٢.

أوقدت،^(١) قاله: معمر عن قتادة،^(٢) وقيل: أحميت، حكاة السدي،^(٣) والتشديد على إرادة التكرير والتكرير؛^(٤) أي: "أوقدت مرة بعد مرة"،^(٥) ودليله قوله عز من قائل: "كَلَّمَا خَبَتُ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا"^(١)، يقول ابن زنجلة في ذلك: "هَذَا يدل على كَثْرَةَ وَشْيَاءٍ بعد شَيْءٍ فحقه التَّشْدِيدُ".^(٢)

وقرأ الباقر (سُعِرَت) بتخفيف العين وهو الوجه الثاني لشعبة، على وزن (فُعَلَت) بمعنى: "أوقدت إيقاداً شديداً"،^(٣) يقال: "سَعَرَتِ النَّارُ أَسْعَرَهَا سَعْرًا إِذَا أوقدتها، وهي مسعورة"،^(٤) قال المبرد: "سُعِرَتِ النَّارُ فَهِيَ مَسْعُورَةٌ وَسَعِيرٌ كَقَوْلِكَ: مَقْبُولَةٌ وَقَبِيلٌ".^(٥)

(فَعَدَلَكْ)، (فَعَدَلَكْ):^(٦)

قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر (فَعَدَلَكْ) من قوله تعالى: "الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ"^(٧) بتخفيف الدال، على وزن (فَعَلَكْ) بمعنى: "فسواك وقومك، من قولك: عدلت الشيء فاعتدل أي سويته فاستوى"،^(٨) ومنه قول الشاعر:^(٩)

^١ السجستاني، غريب القرآن، ص ٢٧٨.

^٢ الماوردي، النكت والعيون، ج ٦، ص ٢١٥.

^٣ المصدر نفسه.

^٤ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٣، ص ١٢٣.

^٥ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٥، ص ٢٩١.

^١ سورة الإسراء، الآية ٩٧.

^٢ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٧٥١.

^٣ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣١، ص ٦٧.

^٤ الأزهرى، تهذيب اللغة، (سعر)، ج ٢، ص ٥٣.

^٥ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣٠، ص ٥٨٦.

^٦ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ١٠٠. شرح طيبة النشر، ص ٣٢٧. تحبير التيسير،

ص ٦٠٧. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٩٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٦١٣.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٣٣٩.

^٧ سورة الانفطار، الآية ٧.

^٨ الأزهرى، تهذيب اللغة، (عدل)، ج ٢، ص ١٢٥.

وقبلنا الضَّعْفَ مِنْ سَادَاتِهِمْ وَعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرِ فَاعْتَدَلْ
 أي: " قَوْمُنَاهُ فَاسْتَقَامَ، وَكُلُّ مُتَقَفٍ مُعْتَدِلٌ. وَعَدَلْتَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ أَعَدَلْتَهُ عُدُولًا إِذَا
 سَاوَيْتَهُ بِهِ "،^(٢) قال أبو العباس المبرِّد: " فعدلك أي قصد بك إلى الصُّورَةِ المستوية
 وَمِنْهُ الْعَدْلُ الَّذِي هُوَ الْإِنْصَافُ أَي هُوَ قَصْدٌ إِلَى الْإِسْتِوَاءِ فَقَوْلُكَ عَدَلَ اللهُ فَلَنَا أَي
 سَوَى خَلْقَهُ فَإِنْ قِيلَ فَأَيْنَ الْبَاءُ الَّتِي تَصْحَبُ الْقَصْدَ حَتَّى يَصِحَّ مَا تَقُولُ قُلْتَ إِنَّ
 الْعَرَبَ قَدْ تَحَدَفَ حُرُوفَ الْجَرِّ قَالَ اللهُ جَلَّ وَعَزَّ: " وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ " فَحَدَفَ
 اللامين فَكَذَلِكَ (فعدلك) بِمَعْنَى فَعَدَلَ بِكَ " .^(١)

ويجوز أن تكون من العُدول؛ أي: " أَمَّا لَكَ "،^(٢) و" صَرَافَكَ إِلَى مَا شَاءَ مِنْ
 الْهَيْئَاتِ وَالْأَشْكَالِ وَالْأَشْبَاهِ "،^(٣) يقال: عدله عن الطَّرِيقِ يَعْنِي: فعدلك عن خَلْقَةٍ
 غَيْرِكَ وَخَلَقْتَ خَلْقَةً حَسَنَةً مَفَارِقَةً لِسَائِرِ الْخَلْقِ، أَوْ فعدلك إلى بعض الأشكال
 وَالهَيْئَاتِ "، حكاها الزمخشري.^(٤)

وقرأ الباقر (فعدلك) بتشديد الدال، على وزن (فَعَلَّكَ)، من التَّعْدِيلِ،^(٥) أي: " قَوْمٌ
 خَلَقَكَ "،^(٦) وقيل: " قَوْمَكَ وَسَاوَى بَيْنَ مَا ازْدُوجَ مِنْ أَعْضَائِكَ "،^(٧) قال الفارسي: "
 معنى عدلك: عدل خلقك، فأخرجك في أحسن تقويم، وهياً فيك بلطف الخلق
 وتعديلها، ما قدرت به على ما لم يقدر عليه غيرك "،^(٨) وورد عن المصطفى -

^١ الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (٥٢٥٥هـ)، (١٩٦٦م)، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، دار الجيل، لبنان، بيروت، ج٥، ص٥٦٤.

^٢ ابن منظور، لسان العرب، (عدل)، ج١١، ص٤٣٣.

^٣ سورة المطففين، الآية ٣. ابن زنجلة، حجة القراءات، ص٧٥٣.

^٤ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٩، ص٢٤٦.

^٥ السمين الحلبي، الدر المصون، ج١٠، ص٧١٠.

^٦ الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٧١٦.

^٧ السمين الحلبي، الدر المصون، ج١٠، ص٧١٠.

^٨ ابن قتيبة، غريب القرآن، ص٥١٨.

^٩ ابن خالويه، الحجة، ص٣٦٤.

^{١٠} الفارسي، الحجة، ج٦، ص٣٨٢.

صلى الله عليه وسلم - أنه كان إذا نظر إلى الهلال، قال: " آمنت بالذي خلقك فسواك فعدلك"،^(١) قال ابن عطية: " لم يختلف الرواة في شدّ الدالّ".^(٢)

وقد اختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءة التشديد،^(١) قال الفراء: " وأبو عبيد: يدلُّ عليه قوله تعالى: " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ".^(٢) وإلى ذلك ذهب أبو زكريا الفراء، قال: لأنها أقرب القراءتين للعربية، وقال أيضاً: " ومن قرأ: (فعدلك) مشددة، فإنه أراد والله أعلم: جعلك معتدلاً معدّل الخلق، وهو أعجب الوجهين إليّ، وأجودهما في العربية لأنك تقول: في أي صورة ما شاء ربك، فتجعل في التركيب أقوى في العربية من أن يكون في للعدل لأنك تقول: عدلتك إلى كذا وكذا، وصرفتك إلى كذا وكذا، أجود من أن تقول: عدلتك فيه، وصرفتك فيه".^(٣)

وهذا القول من عند الفراء لا يخلو من غلط؛ ذلك أن (في) هي متعلّقة بـ (ركبك) لا بـ (عدلك)،^(٤) ثم إنّ المعنى يتحصّل دون هذا التقدير المضمّر، ويضاف إلى ذلك أنّ المفاضلة بين قراءتين صح تواترهما ليس بجائز، وهو ما نراه عند أبي جعفر الطبري صراحة، قال: " دخول" في" للتّعديل أحسن في العربية من دخولها للعدل، ألا ترى أنك تقول: عدلتك في كذا، وصرفتك إليه، ولا تكاد تقول: عدلتك إلى كذا وصرفتك فيه، فلذلك اخترت التشديد".^(٥)

وهناك من عدّ هاتين القراءتين سيّين من جهة الدلالة،^(٦) فقد روى القفال أنّ نفراً من علماء العربية كانوا يذهبون إلى أنّهما لغتان بمعنى واحد،^(٧) هو: عدول الهيئة،

^١ الحديث في مسند ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان الكوفيّ العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، (١٩٩٧م)، مسند ابن أبي شيبة، تحقيق: عادل بن يوسف

العزّازي وأحمد بن فريد المزيدي، ط١، دار الوطن، الرياض، ج٢، ص٣٤٢.

^٢ ابن عطية، المحرّر الوجيز، ج٥، ص٤٤٧.

^١ الثعلبي، الكشف والبيان، ج١٠، ص١٤٧.

^٢ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٩، ص٢٤٦.

^٣ الفراء، معاني القرآن، ج٣، ص٢٤٤. الواحدي، التفسير الوسيط، ج٤، ص٤٣٦.

^٤ النحاس، إعراب القرآن، ج٥، ص١٠٥.

^٥ الطبري، جامع البيان، ج٢٤، ص٢٦٩، ٢٧٠.

^٦ الأخفش، معاني القرآن، ج٢، ص٥٧٠. الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج٥، ص٢٩٥.

واعتدال الخلق، فـ " عَدَلَ بَعْضَ أَعْضَائِكَ بِبَعْضٍ حَتَّى اعْتَدَلَتْ " (٢) ولا يبعد أن تكون هاتان القراءتان لغتين بمعنى واحد، أو ربّما يكون القول: إنهما متقاربتان في المعنى أكثر دقّة؛ ذلك أنّ زيادة المبنى كثيراً ما يتبعه زيادة في المعنى؛ فالقراءة بالتشديد تعني زيادة في الكمال والإتقان، وهي في الوقت نفسه تحمل في مكوناتها معنى التأكيد على ذلك الإبداع في حسن الخلق والإنشاء الربّانيّ.

وتأتي صيغة التّخفيف في القراءة الثّانية لتدلّ على أنّ ذاك العدول هو من نعماء الله على عباده، فهو أي الإنسان يعلو على سائر المخلوقات بكمال الجسم، وجمال الخلق، حتى أنك لا تجد زيادة في إحدى أعضائك أو نقصان في بعضها الآخر، فـ " جَعَلَكَ قَائِمًا مُعْتَدِلًا حَسَنَ الصُّورَةِ لَأَنَّكَ كَالْبَهِيمَةِ الْمُتَّحِنَةِ " (١) حتى إذا كان ذلك " عَدَلَ خَلْقَكَ فَأَخْرَجَكَ فِي أَحْسَنِ التَّقْوِيمِ، وَبِسَبَبِ ذَلِكَ الِاعْتِدَالِ جَعَلَكَ مُسْتَعِدًّا لِقَبُولِ الْعَقْلِ وَالْقُدْرَةِ وَالْفِكْرِ، وَصَيَّرَكَ بِسَبَبِ ذَلِكَ مُسْتَوَلِيًّا عَلَى جَمِيعِ الْحَيَوَانَ وَالنَّبَاتِ، وَوَأَصِلًا بِالْكَمَالِ إِلَى مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَجْسَامِ هَذَا الْعَالَمِ "؛ (٢) إنّها قدرة الصّانع وإبداع الخالق وكمال المدبّر العارف بأحوال العباد المتصرّف بخلقه كيفما يشاء.

(قُتِلَتْ)، (قُتِلَتْ): (٣)

قرأ أبو جعفر وحده (قُتِلَتْ) من قوله تعالى " بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ " (٤) بتشديد التّاء على وزن (فُعِلَتْ) لإرادة التّكثير؛ " لِأَنَّ الْمَرَادَ اسْمُ الْجِنْسِ، فَنَاسِبَهُ التَّكْثِيرُ " (٥) قال

^١ الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج ٣١، ص ٧٦.

^٢ أبو حيان، البحر المحيط، ج ١٠، ص ٤٢٢.

^١ الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج ٣١، ص ٧٦.

^٢ المصدر نفسه.

^٣ ابن الجزريّ، متن طيبة النشر، ص ١٠٠. شرح طيبة النشر، ص ٣٢٧. تحبير التيسير،

ص ٦٠٦. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٩٨. النويريّ، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٦١٢.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٣٣٦.

^٤ سورة التّكوير، الآية ٩.

^٥ السّمين الحلبيّ، الدرّ المصون، ج ١٠، ص ٧٠٤.

الزّمخشري: " وفيه دليل بين علي أنّ أطفال المشركين لا يعذبون، وعلى أنّ التعذيب لا يستحق إلا بالذنب ".^(١)

وقرأ الباقون (قُتِلَتْ) بتخفيف التّاء على وزن (فُعِلَتْ) على معنى الإخبار عن النفس على طريقة الحكاية؛^(١) فإنّ المرء " قَدْ يُسْأَلُ عَنْ حَالِ نَفْسِهِ عِنْدَ الْمُعَايَنَةِ بِلَفْظِ الْمُعَايِنَةِ، كَمَا إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَسْأَلَ زَيْدًا عَنْ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ، فَتَقُولُ: مَاذَا فَعَلَ زَيْدٌ فِي ذَلِكَ الْمَعْنَى؟ وَيَكُونُ زَيْدٌ هُوَ الْمَسْئُولُ، وَهُوَ الْمَسْئُولُ عَنْهُ "،^(٢) ومنه قول عنتره:
(٣)

الشَّائِمِي عَرَضِي وَلَمْ أَشْتِمُهُمَا وَالنَّادِرِينَ إِذَا لَمْ أَلْقُهُمَا دَمِي
وقال آخر: (٤)

رَجُلَانِ مِنْ ضَبَّةٍ أَخْبَرَانَا أَنَا رَأَيْنَا رَجُلًا عُرْيَانَا
(عَرَفَ)، (عَرَفَ): (٥)

قرأ الكسائيّ وحده (عَرَفَ) من قوله تعالى: " فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضُهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ " ^(٦) بتخفيف الرّاء على وزن (فَعَلَ) بمعنى غضب

^١ الزّمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٧٠٨. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٩، ص ٢٣٤.

^١ الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ٢٤٠. الطّبري، جامع البيان، ج ٢٤، ص ٢٤٧.

^٢ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣١، ص ٦٦.

^٣ التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (ت: ٥٠٢هـ)،

(١٩٩٢م)، شرح ديوان عنتره، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، ط ١، دار

الكتاب العربي، بيروت، ص ١٨٦. الزوزني، حسين بن أحمد بن حسين الزوزني، أبو عبد

الله (ت: ٤٨٦هـ)، (٢٠٠٢م)، شرح المعلمات السبع، دار إحياء التراث العربي، ط ١،

ص ٢٦٥.

^٤ البيت بلا نسبة، ولم أجده في المصادر التي اطلعت عليها. ابن جني، الخصائص، ج ٢،

ص ٣٤٠. الزّمخشري، ج ١، ص ١٩١. البغدادي، خزنة الأدب، ج ٩، ص ١٨٣.

^٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٨. شرح طيبة النشر، ص ٣١٩. تحبير التيسير،

ص ٥٨٥. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٨٨. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٩٠.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٢٩١.

^٦ سورة التحريم، الآية ٣.

وجازى، وعرف فلاناً: أي جزاه،^(١) وجاء في القاموس: " عَرَفَهُ يَعْرِفُهُ مَعْرِفَةً وَعِرْفَانًا وَعِرْفَةً وَعِرْفَانًا، بِكَسْرَتَيْنِ مُشَدَّدَةِ الْفَاءِ: عِلْمَهُ، فَهُوَ عَارِفٌ وَعَرِيفٌ وَعَرُوفَةٌ"،^(١) وقال الفراء: " الَّذِينَ يَقُولُونَ: عَرَفَ خَفِيفَةً يَرِيدُونَ: غَضِبَ مِنْ ذَلِكَ وَجَازَى عَلَيْهِ، كَمَا تَقُولُ لِلرَّجُلِ يَسِيءُ إِلَيْكَ: أَمَا وَاللَّهِ لَأَعْرِفَنَّ لَكَ ذَلِكَ"^(٢) ومنه حَدِيثُ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَوْلُهُ: " لَتَرُدَّنَّهُ أَوْ لَأَعْرِفَنَّكَهَا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -"،^(٣) قال ابن الأثير معناه: " لأَجَازِيَنَّكَ بِهَا حَتَّى تَعْرِفَ سُوءَ صَنِيعِكَ".^(٤)

وقرأ الباقر (عَرَفَ) بتشديد الراء على وزن (فَعَّلَ)، من: عَرَفَ يَعْرِفُ تَعْرِيفًا، أي: خَبَرَ وَأَعْلَمَ،^(٥) والمعنى: أن رسول الله - عليه الصلاة والسلام - قد خبر زوجته حفصة بنت عمر - رضي الله عنهما - من إفشائها لما أسر لها به، وأعلمها أن الله قد عرفه ما كان ذلك منها،^(٦) فكان أن " عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ، فَلَمْ يَعْرِفْهُ إِيَّاهَا عَلَى وَجْهِ التَّكْرَمِ وَالْإِغْضَاءِ".^(٧) وقد كانت قراءة التشديد من اختيار أبي حاتم وأبي عبيد، قال أبو حاتم: " وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ أَي: لَمْ يَعْرِفْهَا إِيَّاهُ، وَلَوْ كَانَ مُخَفَّفًا لَقَالَ فِي ضِدِّهِ: وَأَنْكَرَ بَعْضًا وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ أَي وَأَعْرَضَ عَنْ

^١ الفيروزآبادي، القاموس المحيط، (عرف).

^١ المصدر نفسه.

^٢ الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ١٦٦. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٨، ص ١٨٧. الألويسي، روح المعاني، ج ١٤، ص ٣٤٥.

^٣ المخلص، محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا البغدادي المخلص، (ت: ٣٩٣هـ-)، (٢٠٠٨م)، المخلصيات وأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص، تحقيق: نبيل سعد الدين جرار، ط ١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لدولة قطر، ج ٢، ص ١٠٧.

^٤ ابن الأثير، النهاية، ج ٣، ص ٢١٨. الزبيدي، تاج العروس، (عرف).

^٥ ابن منظور، لسان العرب، (عرف).

^٦ الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ-)، (١٩٩٤م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ج ٧، ص ١٢٦.

^٧ الفارسي، الحجة، ج ٦، ص ٣٠٢.

تَعْرِيفِ بَعْضِ ذَلِكَ كَرَاهَةً أَنْ يَنْتَشِرَ فِي النَّاسِ، وَقِيلَ: الَّذِي أَعْرَضَ عَنْهُ هُوَ حَدِيثُ مَارِيَةَ".^(١)

ومهما يكن من سبب نزول هذه الآية الكريمة، فإننا نلاحظ أن التعدد في قراءتها لم يكن نتيجة التعدد في البنية؛ إنما كان هذا الاختلاف في القراءة متمخض عن التباين في الدلالة المعجمية للقراءتين، وهذا لا يعني بمكان أن إحدى القراءتين تناقض أختها أو تعاكسها، فإن كل منهما يفضي للأخرى نحو استشراف المعنى والإبانة عن القصد والمراد. فقراءة التشديد هي آية من آيات المعجزة المحمدية في الوحي الذي يتنزل بالمشيئة الربانية على قلب رسوله الأمين؛ تسرية له وتأيداً من عالم الغيب والشهادة. وقراءة التخفيف هي نتيجة القراءة الأولى؛ فلولا أن اطلع الله سبحانه وتعالى نبيه بما جرى من زوجه، لما كان منه الغضب والمجازاة لها.

(جَمَعٌ)، (جَمَعٌ):^(١)

قرأ ابن عامر وأبو جعفر وحمزة والكسائي وخلف العاشر وروح (جَمَعٌ) من قوله تعالى: " الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ"^(٢) بتشديد الميم، على وزن (فَعَلَّ)؛ لإرادة المبالغة^(٣) والتكثير،^(٤) و" تكرار الفعل ومداومة الجمع"^(٥)؛ إذ المعنى: " أنه جمعه من ههنا وههنا، وأنه لم يجمعهُ في يومٍ واحدٍ، ولما في يومين، ولما في شهرٍ ولما في شهرين، يُقَالُ: فلانٌ يجمعُ الأموالَ أي يجمعها من ههنا وههنا".^(٦) وقد اختارها أبو عبيد.^(٧)

^١ الشوكاني، فتح القدير، ج ٥، ص ٢٩٨.

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ١٠١. شرح طيبة النشر، ص ٣٣٠. تحبير التيسير،

ص ٦١٨. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٤٠٣. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٦٢٤.

محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٣٦١.

^٢ سورة الهزلة، الآية ٢.

^٣ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ١١، ص ١٠٦.

^٤ النحاس، إعراب القرآن، ج ٥، ص ١٨٠.

^٥ ابن خالويه، الحجة، ص ٣٧٥.

^٦ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣٢، ص ٢٨٤.

^٧ الطبري، جامع البيان، ج ٢٠، ص ١٨٣.

وقرأ الباقون (جَمَعَ) بتخفيف الميم، على وزن (فَعَلَ)، على إرادة القليل والكثير،^(١) يقال: " جمعتُ الشيءَ، إذا كان متفرقاً فجمَعْتُهُ. وجمَعْتُهُ، كثرته وجعلته مجموعاً"،^(١) قال الفراء: " فإذا أردت جمع المتفرق قلت: جمعت القوم فهم مجموعون، كما قال الله تعالى: " ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ "، وقال: وإذا أردت كسبَ المال قلت جمعت المال، كقول الله تعالى: " الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ "، وقد يجوز "الَّذِي جَمَعَ" بالتخفيف".^(٢)

^١ النحاس، إعراب القرآن، ج ٥، ص ١٨٠.

^١ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٣، ص ١٦٢.

^٢ الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٤٧٣. قال الفراء: فإذا أردت جمع المتفرق قلت: جمعت القوم فهم مجموعون، كما قال الله تعالى: " ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ"، قال: وإذا أردت كسبَ المال قلت جمعت المال، كقول الله تعالى: {الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ}. وقد يجوز " الَّذِي جَمَعَ " بالتخفيف.

الفصل الخامس في البنية الاشتقاقية

وهذا الموطن من القراءة تشتغل فيه البنية الاشتقاقية الجوانية للفعل في تعيين وجه القراءة؛ إذ السّطح البراني للفعل لا يسعنا في تعيين جهة المراد، إلا في حركة فائه وهي في حقيقتها بقية أثر من ذلك المخفي المضمّر في البنية العميقة، وفي السّطور الآتية مزيد تفصيل:

(فَازَ الْهُمَا، فَأَزَلَّهُمَا): (١)

وقرأ حمزة وحده (فَازَ الْهُمَا) من قوله تعالى: " فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا " (٢) بألف بعد الزّاي ولام مخففة، من: "... زَالَ يَزُولُ زَوَالًا وَهُوَ زَائِلٌ "، (٣) بمعنى ابتعد وتحرّى، (٤) يقال: " زَالَ زَيْدٌ عَنِ الْمَكَانِ يَزُولُ عَنْهُ "، (٥) وَيُقَالُ: " أَزَلْتُهُ عَنِ الْمَكَانِ وَزَلْتُهُ عَنْهُ، لُغَتَانِ فَصِيحَتَانِ "، (٦) قال ذو الرّمّة: (٧)

وَبَيضَاءَ لَأَ تَتَحَاشُ مِنَّا وَأُمُّهَا إِذَا مَا رَأَتْنَا زَيْلَ مِنَّا زَوِيلُهَا
وقال امرؤ القيس: (٨)

كُمَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّقَوَاءُ بِالْمُنْتَزَلِ

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٢. شرح طيبة النشر، ص ١٧١. تحبير التيسير، ص ٢٨٥. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢١١. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ١٥٢. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٤.

^٢ سورة البقرة، الآية ٣٦.

^٣ سيوييه، الكتاب، ج ٤، ص ٥٢.

^٤ نشوان الحميري، شمس العلوم، ج ٥، ص ٢٧٤٠.

^٥ ابن الوراق، علل النحو، ص ٢٥٠.

^٦ ابن دريد، جمهرة اللّغة، (زلو)، ج ٢، ص ٨٢٧.

^٧ ذو الرّمّة، الديوان، ص ٢٤١. البغدادي، خزنة الأدب، ج ٤، ص ٢٦١.

^٨ امرؤ القيس، الديوان، ص ٥٥.

وقال أيضاً: (١)

يُزَلُّ الْغَلَامَ الْخَفُّ عَلَى صَهَوَاتِهِ وَيُلْوِي بِأَثَابِ الْعَنِيفِ الْمُتَقَلِّ

والمعنى: أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ "نَحَّاهُمَا عَنْ مَوَاضِعِهِمَا"، أي آدم وحواء - عليهما السلام - عن رعد العيش الذي كانا ينعمان به في جنة الخلد، قاله ثعلب. (٢)

وقرأ الباقر (فَأَزَلَّهُمَا) بحذف الألف وتشديد اللام، من: "الزَّلُّ"، (٣) وهو الخطيئة، (٤) وهو من: "أَزَلَّتْهُ فَزَلَّ"، (٥) ويقال: أيضاً: "زَلَّتْ بِالْكَسْرِ تَزَلُّ زَلًّا، والاسم الزَّلَّةُ والزَّلِيلَةُ"، قاله الفراء، (٦) والمعنى: أَنَّ إِبْلِيسَ قَدْ أَزَلَّ آدَمَ وَحَوَاءَ - عليهما السلام - فأوقعهما بالخطيئة، (٧) أي: "اسْتَزَلَّهُمَا"، قاله أبو عبيدة. (٨)

ويجوز أن يكون من (أَزَلَّ) المتعدِّي بالهمزة، فيكون المعنى: "جَعَلَهُمَا زَلًّا بِإِغْوَائِهِ وَحَمَلَهُمَا عَلَى أَنْ زَلَّا وَحَصَلَا فِي الزَّلَّةِ"، (٩) ويحتمل أيضاً أن يكون من أَزَلَّهُمَا أَي: "أَبْعَدَهُمَا"، (١٠) ويقال: "وَأَزَلَّ فُلَانٌ فُلَانًا عَنْ مَكَانِهِ إِزْلَالًا؛ وَأَزَالَةٌ"، (١١) يقول أبو حيان: "تقول: زَلَّ عَنْ مَرْتَبَتِهِ، وَزَلَّ عَنِّي ذَاكَ، وَزَلَّ مِنَ الشَّهْرِ كَذَا: أَي ذَهَبَ وَسَقَطَ، وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ، لِأَنَّ الزَّلَّةَ هِيَ سُقُوطٌ فِي الْمَعْنَى، إِذْ فِيهَا

^١ امرؤ القيس، الديوان، ص ٥٧. وهو في كتاب (شرح القصائد العشر) برواية أخرى. التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، أبو زكريا (ت: ٥٠٢ هـ)، (١٣٥٢ هـ)، شرح القصائد العشر، عنيت بتصحيحها وضبطها والتعليق عليها للمرة الثانية: إدارة الطباعة المنيرية. ص ٤١.

^٢ ابن سيده، المحكم، (زلل).

^٣ ابن خالويه، الحجة، ص ٧٤.

^٤ ابن منظور، لسان العرب، (زلل).

^٥ النحاس، إعراب القرآن، ج ١، ص ٤٦.

^٦ الجوهري، الصحاح، (زلل).

^٧ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٣١١.

^٨ أبو عبيدة، مجاز القرآن، ج ١، ص ٣٨.

^٩ أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص ٢٦٠.

^{١٠} المصدر نفسه.

^{١١} الأزهرى، تهذيب اللغة، (زلل)، ج ١٣، ص ١١٤.

خُرُوجُ فَاعِلِهَا عَنْ طَرِيقِ السِّتْقَامَةِ، وَبَعْدَهُ عَنْهَا. فَهَذَا جَاءَ عَلَى الْأَصْلِ مِنْ تَعْدِيَةِ
الْهَمْزَةِ " (١).

ويرى الزمخشري أن قراءة " فأزلهما " تحتل دالتين اثنتين، وذلك بحسب جهة
عود الضمير في (عنها)؛ فـ " إن كَانَ الضَّمِيرُ لِلشَّجَرَةِ فَالْمَعْنَى حَمَلَهَا عَلَى الزَّلَّةِ
بِسَبَبِهَا وَحَقِيقَتُهُ أُصْدِرَ الزَّلَّةَ عَنْهَا ... وَإِنْ كَانَ لِلجَنَّةِ فَالْمَعْنَى نَحَاهَا عَنْهَا " (٢).
وهكذا وجدنا هاتين القراءتين الكريمتين يعضد كل واحدة منهما الأخرى،
فتزيدان المعنى وضوحاً والنظم بياناً وبلاغة، فهذا نبي الله أبو البشرية آدم - عليه
الصلاة والسلام - يوسوس له الشيطان هو وزوجه حواء بكل ما أوتي من مكر
ودهاء ليخرجهما من رغد العيش ونعيم المأوى، فيصرفهما عن طاعة المولى
وحظره لذاك المأكول الممنوع؛ " لَأَنَّ إِغْوَاءَهُ وَإِيقَاعَهُ لَهُمَا فِي الزَّلَّةِ سَبَبٌ لِلزَّوَالِ
" (٣) من جنة الخلد.

(تُنْسِيهَا، تَنْسَاهَا): (٤)

قرأ ابن كثير وأبو عمرو (تُنْسَاهَا) من قوله تعالى: " أَوْ نُنْسِيهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ
مِثْلَهَا " (٥) بفتح النون الأولى والسين، وهمزة ساكنة بين السين والهاء، من (النساء)
وهو التأخير. (٦).

^١ أبو حيان، البحر المحيط، ج ١، ص ٢٦٠.

^٢ الزمخشري، الكشاف، ج ١، ص ١٢٦. ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن
يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت: ٧٦١هـ)، (١٩٨٥م)، مغني اللبيب عن
كتب الأعراب، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، ط ٦، دار الفكر، دمشق،
ص ٢٥٩.

^٣ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ١، ص ٢٨٨.

^٤ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٤. شرح طيبة النشر، ص ١٨٢. تحبير التيسير،
ص ٢٩٣. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٢٠. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ١٧٧.
محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٤٨.

^٥ سورة البقرة، الآية ١٠٦.

^٦ مكي، الكشف، ج ١، ص ٢٥٨.

وقرأ الباقر (أو ننسها) بضمّ النون وكسر السين من غير همز، من النسيان الذي بمعنى الترك، أي نتركها فلا نبذلها ولا ننسخها.

(فَصْرُهُنَّ)، (فَصْرُهُنَّ): (١)

قرأ أبو جعفر وحمزة وخلف العاشر ورويس (فصرهنّ) من قوله تعالى: " قال فَخَذُ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ " (٢) بكسر الصاد، من: " صار يصير " إذا جمع، (٣) أي: " قطعهنّ، ... من قولهم: صارَه يصيره، إذا قطعه "، حكاه ابن دريد، (٤) وهو قول بعض اللغويين على حدّ قول الزجاج، (٥) وأنشد عليه صاحب (ديوان الأدب) قول العجاج: (٦)

صُرْنَا بِهِ الحُكْمَ وَأَعْيَا الحُكْمَا

أي: " فصلنا به الحُكْمَ ". (٧)

وقرأ الباقر (فَصْرُهُنَّ) بضمّ الصاد، من: " صار يصور إذا مال وعطف "، (٨) وهو مذهب أغلب أهل اللّغة على حدّ كلام الزجاج، (٩) ومنه قول لبيد: (١)

مِنَ فَقْدِ مَوْلَى تَصَوَّرُ الحَيَّ جَفَنَتُهُ

أَوْ رُزءَ مالٍ، وَرُزءَ المَالِ يُجْتَبَرُ

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٦٦. شرح طيبة النشر، ص ١٩٩. تحبير التيسير، ص ٣٠٩. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٣٢. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢١٧. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٩٠.

^٢ سورة البقرة، الآية ٢٦٠.

^٣ الأخفش، معاني القرآن، ج ١، ص ١٩٩. ابن خالويه، الحجة، ص ١٠١.

^٤ ابن دريد، جمهرة اللّغة، (رصو)، ج ٢، ص ٧٤٥.

^٥ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ١، ص ٣٤٥.

^٦ العجاج، عبد الله بن روبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي أبو الشعثاء، ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، تحقيق: عبد الحفيظ السطلي، مكتبة أطلس، دمشق، ج ٢، ص ٣٣٥.

^٧ الفارابي، ديوان الأدب، ج ٣، ص ٣٩٣. الفارسي، الحجة، ج ٢، ص ٣٩١.

^٨ الأخفش، معاني القرآن، ج ١، ص ١٩٩. ابن خالويه، الحجة، ص ١٠١.

^٩ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ١، ص ٣٤٥.

^١ ديوان لبيد، الديوان، ص ٣٨.

ويقال: "صُرْتُ الشَّيْءَ فأنْصَرُ؛ أي: أَمَلْتُهُ فَمَالٌ"،^(١) ومنه قولهم: "الصُّورُ: المَيْلُ، يقال: فلانٌ يَصُورُ عُنُقَهُ إلى كذا أي مالَ بَعُنُقِهِ ووجَّهَهُ نحوه، والنعتُ أَصُورٌ"، حكاه الخليل،^(٢) وأنشد عليه قول الشاعر:^(٣)

فَقَلْتُ لَهَا غُضِّي فَإِنِّي إِلَى التِّي تَرِيدِينَ أَنْ أَصْبُوَ لَهَا، غَيْرُ أَصُورِ
قال الخليل: معنى "فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ": "فَشَفَّقَهُنَّ إِلَيْكَ"، ويقال: فَصْرُهُنَّ أَي ضَمَّهُنَّ،
ويقال: قَطَّعُهُنَّ"،^(٤) وأنشد عليه قول أمية:^(٥)

فَشَتَّتِي فَصْرُهُنَّ ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَ زَهْرًا بَدَارَ القَطَا
ويقال: "صُرْتُ إِلَيَّ الشَّيْءَ وَأَصْرَتُهُ: إِذَا أَمَلْتَهُ إِلَيْكَ"، رواه أبو عبيد عن اللَّحْمَرِ،
وأنشد:^(٦)

أَجْشَمُهَا مَفَاوِزَهُنَّ حَتَّى أَصَارَ سَدَيْسَهَا مَسَدًا مَرِيحُ
وقيل: معنى (صُرُّهُنَّ) بِالضَّمِّ: "اضْمَمَهُنَّ إِلَيْكَ ووجَّهَهُنَّ إِلَيْكَ، يقال: صُرُّ وجهك إِلَيَّ أَي أَقْبَلْ بِهِ إِلَيَّ، ووجَّهَهُ إِلَيَّ"، قاله الكسائي،^(٧) وقيل: معناه: "قَطَّعُهُنَّ"،
قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمَجَاهِدٌ وَأَبُو عُبَيْدَةَ وَابْنُ الْأَنْبَارِيِّ، يُقَالُ: صَارَ الشَّيْءُ يَصُورُهُ أَي قَطَّعَهُ،
وقَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ. وَعَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ الدَّوْلِيِّ: هُوَ بِالسَّرِيَانِيَّةِ التَّقْطِيعُ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ وَعِكْرِمَةُ وَابْنُ عَبَّاسٍ فِي بَعْضِ مَا رُوِيَ عَنْهُ: إِنَّهَا لَفِظَةٌ بِالنَّبْطِيَّةِ مَعْنَاهُ قَطَّعُهُنَّ"،^(٨) قال السَّمِينُ: "والجمهورُ على أَنَّهَا عَرَبِيَّةٌ لَا مَعْرَبَةٌ".^(٩)

^١ ابن قتيبة، غريب القرآن، ص ٩٦. تأويل مشكل القرآن، ج ١، ص ٨٦.

^٢ الفراهيدي، كتاب العين، (صور).

^٣ المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٤٩. ولم أقف على قائله.

^٤ الفراهيدي، كتاب العين، (صور).

^٥ الفراهيدي، العين، ج ٧، ص ١٥٠. لم أجده في ديوان أمية بن أبي الصلت، ولعله لشاعر آخر يدعى (أمية) لم أهتد إليه.

^٦ ابن سيده، المخصص، ج ٤، ص ٣٤٩.

^٧ القيسي، الهداية، ج ١، ص ٨٧٨.

^٨ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٣، ص ٣٠١. أبو حيان، البحر المحيط، ج ٢، ص ٦٤٦.

^٩ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٢، ص ٥٧٦.

ويجوز أن تكون هاتان القراءتان لغتين بمعنى واحد، قاله جماعة من العلماء،^(١) ولكنهم اختلفوا في أيّ القراءتين هي الأصل فذهب نحاة البصرة إلى أنّهما سواء، قالوا: "وهما لغتان: إحداهما: "صار يصور"، والأخرى: "صار يصير"،^(٢) "معناهما في هذا الموضع: فقطعهن"،^(٣) واحتجّوا على صحّة مذهبهم بأشعار الفحول من الشعراء، فممن استشهدوا به قول توبة بن الحمير: ^(٤)

فَمَدَّتْ لِيَ الْأَسْبَابَ حَتَّى بَلَغَتْهَا بِرَفْقِي، وَقَدْ كَادَ ارْتِقَائِي يَصُورُهَا
فَلَمَّا دَخَلْتُ الْخِذْرَ أَطْتُ نُسُوعَهُ وَأَطْرَافُ عَيْدَانٍ شَدِيدٍ أُسُورُهَا

وقال المعلى بن جمال العبدي: ^(٥)

وَجَاءَتْ خُلْعَةٌ دُهْسٌ صَفَايَا يَصُورُ عَنْوَقَهَا أَحْوَى زَيْمٍ

وقالت الخنساء: ^(٦)

فَلَوْ يَلْقَى الَّذِي لَاقَيْتَهُ حِضْنٌ لَظَلَّتِ الشَّمُّ مِنْهُ وَهِيَ تَتَّصَرُ

وقال أبو ذؤيب الهذلي: ^(٧)

^١ الأزهرى، معاني القرآن، ج ١، ص ٢٢٥.

^٢ الطبري، جامع البيان، ج ٥، ص ٤٩٩.

^٣ الطبري، جامع البيان، ج ٥، ص ٥٠٠.

^٤ توبة بن الحمير بن ربيعة بن كعب بن عقيل، (٥٥٥)، (١٩٩٨م)، ديوان توبة بن الحمير، عني بتحقيقه وشرحه: خليل إبراهيم العطيّة، ط ١، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص ٣٥. الطبري، جامع البيان، ج ٥، ص ٤٩٧.

^٥ النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري النهرواني، (ت: ٣٩٠هـ)، (٢٠٠٥م)، المجلس الصالح الكافي والأئيس الناصح الشافى، تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، لبنان، ص ١٠٤. ابن منظور، لسان العرب، (صور).

^٦ لم أقف على هذا البيت في ديوان الخنساء، وهو في: تهذيب اللغة ولسان العرب وتاج العروس، (صور).

^٧ هذا البيت قد أوردته بهذه الرواية أبو عبيدة في مجاز القرآن، ج ١، ص ٨١. والطبري، جامع البيان، ج ٥، ص ٥٠٠. والقرشي، جمهرة أشعار العرب، ص ٥٤٥. وأما في ديوان الهذليين

فَانصَرْنَ مِنْ فَرَعٍ وَسَدَّ فُرُوجَهُ غَبْرٌ ضَوَارٍ: وَافِيَانِ وَأَجْدَعُ

وقد تتبع الفارسي نحاة البصرة في مذهبهم، ولكنه أضاف إلى معنى (قطعهن) معنى (أمالهن)، قال: " فقول حمزة: فَصْرُهُنَّ إِلَيْكَ، يكون من القطع، ويكون من الميل، كما أن قول من ضمَّ يحتمل الأمرين ".^(١)

وأما نحاة الكوفة فإنهم أنكروا مجيء (فصرهن) في كلام العرب بمعنى (القطع)، سواء أكانت بالكسر أم بالضم، إنما القراءتان عندهم هما لغتان بمعنى واحد هو (الميل)،^(٢) قَالَ الْفَرَاءُ: " ضَمَّتِ الْعَامَّةُ الصَّادَ، وَكَانَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ يَكْسِرُونَهَا، وَهِيَ لُغَتَانِ، فَأَمَّا الضَّمُّ فَكَثِيرٌ، وَأَمَّا الْكَسْرُ فَفِي هُذَيْلٍ وَسُلَيْمٍ، وَأَنْشَدَنِي الْكَسَائِيُّ عَنْ بَعْضِ بَنِي سَلِيمٍ: (٣)

وَفَرَعٌ يَصِيرُ الْجِيدَ وَحَفٌّ كَأَنَّهُ عَلَى اللَّيْثِ قِنْوَانُ الْكُرُومِ الدَّوَالِحِ

ويفسر معناه: قطعهن، ويقال: وجههن. ولم نجد قطعهن معروفة من هذين الوجهين، ولكني أرى - والله أعلم - أنها إن كانت من ذلك أنها من صريت تصري، قدمت ياؤها كما قالوا: عثت وعتيت، وقال الشاعر: (٤)

صَرَّتْ نَظْرَةً لَوْ صَادَفَتْ جَوْزَ دَارِعٍ غَدَاً وَالْعَوَاصِي مِنْ دَمِ الْجَوْفِ تَنَعَّرُ

فإنه برواية أخرى وهو قوله: فَاهْتَجَّ مِنْ فَرَعٍ وَسَدَّ فُرُوجَهُ غَبْرٌ ضَوَارٍ: وَافِيَانِ وَأَجْدَعُ

أبو سعيد السكري، ديوان الهذليين، ق ١، ص ١٢.

^١ الفارسي، الحجة، ج ٢، ص ٣٩٢.

^٢ الطبري، جامع البيان، ج ٥، ص ٤٩٨.

^٣ لم أقف على قائل هذا البيت وهو بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ١٧٤. الفارابي، ديوان الأدب، ج ٣، ص ٤٠٥. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ١٢، ص ١٥٩. الجوهري، الصحاح، ج ٢، ص ٧١٨. ابن منظور، لسان العرب، ج ٤، ص ٤٧٨.

^٤ لم أقف على قائل هذا البيت وهو بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ١٧٤. الفارابي، ديوان الأدب، ج ٢، ص ٢٠٤. الزبيدي، تاج العروس، ج ١٤، ص ٢٥٧. الجوهري، الصحاح، ج ٢، ص ٨٣٢. ابن منظور، لسان العرب، ج ٥، ص ٢٢١.

والعرب تقول: بات يصرى في حوضه إذا استقى ثم قطع واستقى فلعله من ذلك
" (١).

وقال الشاعر: (٢)

يقولون إنَّ الشَّامَ يَقْتُلُ أَهْلَهُ فَمَنْ لِي إِذَا لَمْ آتِهِ بِخُلُودٍ

تَعَرَّبَ آبَائِي، فَهَلَا صَرَاهُمْ مِنْ الْمَوْتِ أَنْ لَمْ يَذْهَبُوا وَجُدُودِي!

وقد أنكر أبو العباس المبرد على أبي زكريا هذا القول، أعني: مقولته بالأصالة
والفرعية، قال: " وَهَذَا لَا يَصِحُّ، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ اللَّفْظَيْنِ أَصْلٌ فِي نَفْسِهِ
مُسْتَقِلٌّ بِذَاتِهِ، فَلَا يَجُوزُ جَعْلُ أَحَدِهِمَا فِرْعَاءً عَنِ الْآخَرِ " (٣).

وقال ابن قتيبة في تفسير حديث ابن مجاهد " أنه كره أن تصور شجرة مثمرة "،
قال: " فِيهِ قَوْلَانِ: أَحَدُهُمَا: تَمِيلُ. يُقَالُ: صَرْتُ عُنُقَ أَصُورِهَا صُورًا. وَفِيهِ لُغَةٌ
أُخْرَى: صَرْتُهَا أَصِيرُهَا صِيرًا. مِنْهُ قَوْلُ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ. وَذَكَرَ الْعُلَمَاءُ فَقَالَ:
تَتَعَطَّفُ عَلَيْهِمْ بِالْعِلْمِ قُلُوبٌ لَمْ تَصُورْهَا الْأَرْحَامُ. وَقُرِئَتْ: {فَصْرَهْنَ إِلَيْكَ} بِضَمِّ الصَّادِ
وَكَسْرِهَا. أَي: ضَمَّهْنَ إِلَيْكَ ثُمَّ اقْطَعْنِ وَأَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا وَقَالَ
الْعَجَّاجُ وَذَكَرَ الْمَرْأَةَ: مِنَ الرَّجْزِ: وَكَفَلٍ يَنْصَارُ لِانْصِيَارِهَا عَلَى الْيَمِينِ
وَعَلَى يَسَارِهَا

أَي: يَمِيلُ كَفَلِهَا كَيْفَ مَالَتْ لِعَظْمِهِ، وَيَقُولُ رُؤْبَةً: مِنَ الرَّجْزِ

صُرْنَا بِهِ الْحُكْمَ وَأَعْيَا الْحُكْمَا

قَالَ: يُرِيدُ فَصَلْنَا بِهِ الْحُكْمَ. وَعَلَى هَذَا التَّأْوِيلِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُجَاهِدٌ نَهَى أَنْ تَقْطَعَ
شَجَرَةٌ مَثْمَرَةٌ. وَالْمَذْهَبُ الْأَوَّلُ أَشْهَرُ فِي اللُّغَةِ وَأَعْلَى " (١).

^١ الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ١٧٤. الأزهرى، تهذيب اللغة، (صري).

^٢ لم أف على قائل هذين البيتين وهما بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الفراء، معاني
القرآن، ج ١، ص ١٧٤. الطبري، جامع البيان، ج ٥، ص ٤٩٨. ابن منظور، لسان العرب،
ج ١٢، ص ٣١٦. الصفي، صلاح الدين خليل بن أبيك الصفي (ت: ٧٦٤هـ)، (١٩٨٧م
)، تصحيح التصحيف وتحريير التحريف، حققه وعلق عليه وصنع فهرسه: السيد
الشرقاوي، راجعه: رمضان عبد التواب، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص ٣٢٧.

^٣ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٧، ص ٣٧.

ويلخص لنا الماوردي في النكت والعيون آراء العلماء في توجيه هذه المسألة، فيذكر أن في قراءة الضم والكسر قولين: " أحدهما: أن معناهما متفق ولفظهما مختلف، فعلى هذا في تأويل ذلك أربعة أقاويل: أحدها: معناه أنتفهن بريشهن ولحومهن، قاله مجاهد. والثاني: قطعهن، قاله ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن. قال الضحاك: هي بالنبطية صرتا، وهي التشقق. والثالث: اضممهن إليك، قاله عطاء، وابن زيد. والرابع: أملهن إليك، والصور: الميل، ومنه قول الشاعر في وصف إيل: (٢)

تَظَلُّ مُعَقَّلَاتِ السُّوقِ خَوْصًا تَنَازِعُ أَنْفَهَا رِيحُ الْجَنُوبِ

والقول الثاني: أن معنى الضم والكسر مختلف، وفي اختلافهما قولان: أحدهما: قاله أبو عبيدة أن معناه بالضم: اجمعهن، وبالكسر: قطعهن. والثاني: قاله الكسائي ومعناه بالضم أملهن، وبالكسر: أقبل بهن. (٣)

ومهما يكن من أمر اختلاف العلماء في توجيه هاتين القراءتين دلالة وتصريفاً، فإن المتأمل لهما يبصر بوحدة دلالية تنسج أوصالهما، فإن بينهما من الالتقاء والتلاؤم ما يزيد المعنى عمقا والأسلوب بلاغة، فهذا خليل الرحمن إبراهيم - عليه السلام - يوقن بقدرة الله على الخلق والإحياء، فهو الذي يحي ويميت، وهو الحي الذي لا يموت، يشناق لتأمل أسرار بديع صنع المصور الخلاق، فيقبل على مولاه الأحد في طمأنينة وإيمان، يسأله أن يخصه برؤية قدرته على الخلق والإحياء، فينعم الحي الكريم على عبده وخليله بالإجابة، فيأمره أن يأخذ أربعة من الطير (فيصرهن) فيميلهن ويضمهن إليه كي يألف أجزاءهن ويتحسس أعضاءهن، فإذا تحصل ذلك

^١ ابن قتيبة، غريب الحديث، ج ٢، ص ٥٩٤، ٥٩٥. ولم أقف على البيت الأول في ديوان العجاج، وأما البيت الثاني فهو في ديوان العجاج، ج ٢، ص ٣٣٥.

^٢ البيت بلا نسبة ولم أقف على قائله في: ثعلب، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني، أبو العباس، (ت: ٢٩١هـ) (١٩٥٦م)، مجالس ثعلب، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، ط ٢، دار المعارف، القاهرة، مصر، ص ٣٩.

^٣ الماوردي، النكت والعيون، ج ١، ص ٣٣٤، ٣٣٥.

شرح في تمزيق أوصالهن، فـ (يَصِرُهُنَّ) فيقطعهنَّ أربعة ويجعل على كل جبل
منهنَّ جزءاً.

(تَلُّوا)، (تَلَّوُوا): (١)

قرأ ابن عامر وحمزة (تَلُّوا) من قوله تعالى: " وَإِنْ تَلَّوُوا أَوْ تُعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ
كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا" (٢) بضم اللام وإسكان الواو، من: وَلِي يَلِي، (٣) حكاة
الكسائي، (٤) قال الرازي: " أَنْ وَلِيَاةَ الشَّيْءِ إِقْبَالٌ عَلَيْهِ وَاشْتِغَالٌ بِهِ، وَالْمَعْنَى أَنْ
تُقْبَلُوا عَلَيْهِ فَتَتِمُّوهُ أَوْ تُعْرَضُوا عَنْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا فَيَجَازِي الْمُحْسِنُ
الْمُقْبِلُ بِإِحْسَانِهِ وَالْمُسِيءُ الْمُعْرَضُ بِإِسَاءَتِهِ"، (٥) والحاصل: إن "اسْتَقَلَّتُمْ بِالْأَمْرِ أَوْ
ضَعَفْتُمْ عَنْهُ فَاللَّهُ خَبِيرٌ بِذَلِكَ". (٦)

وقد اختلف العلماء في الأصل الاشتقاقي لهذه القراءة، (٧) فذهب الفراء (٨)
والزجاج (٩) والفرسي في أحد قوليه (١٠) إلى أنها مشتقة من: لَوَى يَلْوِي لَيًّا، فأصل
(تَلُّوا) هو: (تَلَّوُوا)، (١١) قلبت عين الفعل (الواو) همزة، فصارت (تَلَّوُوا) كما في

^١ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧١. شرح طيبة النشر، ص ٢١٧. تحبير التيسير،
ص ٣٤٣. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٥٢. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٧٩.
محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١٦١.

^٢ سورة النساء، الآية ١٣٥.

^٣ مكي، مشكل إعراب القرآن، ج ١، ص ٢١٠.

^٤ النحاس، معاني القرآن، ج ٢، ص ٢١٥.

^٥ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١١، ص ٢٤٢.

^٦ ابن العربي، أحكام القرآن، ج ١، ص ٦٤٠.

^٧ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٤، ص ١١٨.

^٨ الفراء، معاني القرآن، ج ١، ص ٢٩١.

^٩ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٢، ص ١١٨.

^{١٠} الفرسي، الحجة، ج ٣، ص ١٨٥.

^{١١} مكي، الكشف، ج ١، ص ٣٩٩.

(أُقْتَت) و(أجوه)، ثم حذفت الهمزة، فنقلت حركتها (الضمة) إلى فاء الفعل (اللام)، فصارت (تَلُوا)،^(١) " وَالْعَرَبُ تَفْعَلُ ذَلِكَ " .^(٢)

وذهب فريق آخر إلى أن هذه القراءة مشتقة من: لَوَى يَلْوِي أيضاً، إلا أنه لا إبدال فيها؛ إنما " استنقلت الضمة على الواو وبعدها واو أخرى، وألقت الحركة على اللام، وحذفت إحدى الواوين لالتقاء الساكنين "،^(٣) ونسب هذا الرأي للنحاس.^(٤) وبحسب هذين التوجيهين يكون وزن هذه الكلمة (تَقُوا)؛^(٥) إذ هي في الأصل مشتقة من (تَلْوِيُوا)،^(٦) ثم تحولت إلى (تَلَوُوا)، ثم انتهت إلى صورتها الأخيرة في القراءة الكريمة (تَلُوا)، وهذا التقدير - كما يرى السمين الحلبي - فيه " إجحاف بالكلمة "،^(٧) ذلك أنه يختزل بنيتها الثلاثية فيجعلها أحادية قال: " وفي هذين التخريجين نظراً، وهو أن لَامَ الكلمة قد حُذِفَتْ أولاً، كما قرّرتَه فصارَ وَزْنُهُ: تَقَعُوا، بحذف اللام، ثم حُذِفَت العينُ ثانياً فصارَ وَزْنُهُ: تَقُوا " .^(٨)

وهذا القول ليس بصحيح؛ ذلك أن العربية كثيراً ما تنجح إلى اختزال بنيتها الصرّفية لعارض صوتي يطرأ عليها، فتلجأ إلى حذف بعض أصوات الكلمة، كما في يكُ التي على وزن (يَفُ)، فهي من كان يكون، وفي التنزيل قوله سبحانه " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ " .^(٩)

^١ أبو حيان، البحر المحيط، ج ٤، ص ٩٧. السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٤، ص ١١٨.

^٢ ابن العربي، أحكام القرآن، ج ١، ص ٦٤٠.

^٣ مكي، الكشف، ج ١، ص ٣٩٩.

^٤ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٤، ص ١١٨.

^٥ المصدر نفسه.

^٦ الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، (٢٠٠٢م)، تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم، عمادة البحث العلمي، ط ١، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ج ١، ص ٣٧٢.

^٧ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ٤، ص ١١٨، ١١٩.

^٨ المصدر نفسه، ج ٤، ص ١١٨.

^٩ سورة التحريم، الآية ٦.

وثمة مذهب ثالث وجد القراءة مشتقة من: وَلِي يَلِي ولاية، بمعنى: " مباشرة الشهادة"،^(١) وأصل الكلمة هو: (تَوَلَّيُوا)^(٢) حذفت الواو التي هي فاء الكلمة؛ لاعتلالها وتوسطها بين ياء المضارعة وكسرة، فصارت (تَلَّيُوا)، نحو: وَزَنَ تَزَنَ وَوَعَدَ تَعَدَ،^(٣) ثم نقلت ضمة الياء إلى اللام لاستئصالها، فاجتمع ساكنان: الياء والواو، فطرحت الياء التي هي لام الكلمة تخلصاً من ذلك الالتقاء، " ثم ضم ما قبل الواو"،^(٤) فصارت (تَلَّوَا) بحذف الفاء واللام على زنة (عُوا).

وأما التّفكير الصوتي الحديث فيذهب إلى أنّ (تَلَّوَا) إن كانت من لَوَى يَلْوِي، فإنها عند إسنادها لضمير الجماعة تصبح (تَلَّوِيُوا)، فيتشكّل مزدوج حركي صاعد، ممّا يحدث ثقلاً في النطق، فتلجأ العربيّة إلى إسقاط الياء فراراً منه، ويترتب على هذا الإبعاد للمزدوج الحركي أن تتغيّر البنية المقطعيّة للكلمة.

وأما إن كانت القراءة مشتقة من: وَلِي يَلِي ولاية، فإنّ هذا الفعل الماضي عند تحوّلِهِ إلى المضارع يتشكّل مزدوج حركي في صدره (تولوا)، ممّا يحدث ثقلاً في النطق، فيحذف لذلك فتصبح (تَلَوَ). ثمّ إنّ هذا الفعل عند إسناده لواو الجماعة يتشكّل مزدوج حركي صاعد يحدث ثقلاً في النطق، فيلجأ إلى إسقاطه لتسهيل النطق؛ فالأصل: (تَلَّيُوا) مثل رمى ترمي ترميوا، ثمّ تصبح (تَلَّوَا).^(٥)

وقرأ الباقيون (تَلَّوُوا) بلام ساكنة وبواوين الأولى مضمومة والثانية ساكنة، على وزن (تَفْعُونَ)، من: لَوَى يَلْوِي لَيًّا^(٦) وَلَيَانًا،^(٧) أي: دَفَعَ وَأَعْرَضَ^(٨) وَمَطَّلَ، حكاه أبو عبيد،^(٩) وأنشد للأعشى:^(١٠)

^١ الألويسي، روح المعاني، ج ٣، ص ١٦٢.

^٢ مكي، الكشف، ج ١، ص ٣٩٩.

^٣ الصاعدي، تداخل الأصول، ج ١، ص ٣٧١.

^٤ المصدر نفسه.

^٥ الخليل، عبد القادر مرعي الخليل، المحاسنة، فايز المحاسنة، (٢٠٠٩م)، التشكيل الصوتي للمشتقات، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، ع ١٤، ص ٩٤.

^٦ سيبويه، الكتاب، ج ٣، ص ٥٣٨.

^٧ الفيومي، المصباح المنير، (لوي).

^٨ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١١، ص ٢٤٢.

يَلْوِينَنِي دَيْنِي النَّهَارَ وَأَجْتَزِي دَيْنِي إِذَا وَقَدَ النَّعَاسُ الرُّقْدَا
وَالْمَعْنَى: " إِنْ مَطَلْتُمْ حَقًّا فَلَمْ تَفْذُوهُ إِلَّا بَعْدَ بَطْءٍ، أَوْ عَرَضْتُمْ عَنْهُ جُمْلَةً فَالَلَّهُ خَبِيرٌ بِعَمَلِكُمْ "،^(٣) يقال: " لوى الحَاكِمُ بِقَضِيَّتِهِ، إِذَا دَافَعَ بِهَا "،^(٤) ويقال: " لويت فلاناً حقه لِيَا، إِذَا دَافَعْتَهُ وَمَطَلْتَهُ "،^(٥) ومنه: " لَوَيْتُ الدَّيْنَ لِيَا وَلِيَانَا، أَي: مَطَلْتَهُ "،^(٦) قال ذو الرِّمَّة: ^(٧)

تُطِيلِينَ لِيَانِي وَأَنْتِ مَلِيَّةٌ وَأُحْسِنُ يَا ذَاتَ الْوِشَاحِ التَّقَاضِيَا
قال أبو عبيدة " يُقَالُ رَجُلٌ لِيَانٌ وَامْرَأَةٌ لِيَانَةٌ أَي مِمَّاظَلَةٌ فَمَعْنَى {تَلَوُوا} تَدَافَعُوا وَتَمَطَّلُوا "،^(٨)

ويجوز أن يكون المراد بهذه القراءة "التَّحْرِيفُ وَالتَّبْدِيلُ"،^(٩) من قولهم: " لَوَيْتُ الحَبْلَ: فَتَلْتَهُ "،^(١٠) يقال: " التَّوَى هَذَا اللَّامُ إِذَا تَعَقَّدَ وَتَعَسَّرَ تَشْبِيهًا بِالشَّيْءِ الْمُنْفَتِلِ "،^(١١) وقال مجاهد معناها: " تَلَوُوا، أَي تَحَرَّفُوا الشَّهَادَةَ وَتَغَيَّرُوهَا، وَاللِّيُّ هُوَ التَّحْرِيفُ وَتَعَمَدَ الكَذِبَ، قَالَ تَعَالَى: " وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ "، والإعراض هو كتمان الشهادة وتركها "،^(١٢) قال ابن عباس ومجاهد وقتادة: " هو أن

^١ الأزهري، تهذيب اللغة، (لوي). الزاهر، ص ١٥٤.

^٢ الأعشى، الديوان، ص ٢٢٧.

^٣ ابن العربي، أحكام القرآن، ج ١، ص ٦٣٩.

^٤ الأزهري، تهذيب اللغة، (لوي).

^٥ الأزهري، معاني القراءات، ج ١، ص ٣١٩.

^٦ الفراهيدي، العين، (لوي).

^٧ ذو الرِّمَّة، الديوان، ص ٢٧٧.

^٨ ابن زنجلة، حجة القراءات، ص ٢١٥.

^٩ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١١، ص ٢٤٢.

^{١٠} الجوهري، الصحاح، (لوي).

^{١١} الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١١، ص ٢٤٢.

^{١٢} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٣٨٤. مجاهد، تفسير مجاهد، ص ٢٩٥. سورة آل

عمران، الآية ٧٨.

يلوي الإنسان لسانه بالشهادة كما يلوي الرجل دين الرجل إذا مطلقه^(١)، ومنه قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : " لِيُؤَاغِدِ يُحِلَّ عِرْضَهُ وَعُقُوبَتَهُ " .^(٢) وأما الأصل الاشتقائي لـ (تَلَوُوا) فهو من: لَوَى يَلْوِي لَيًّا، فأصله (تَلَوُوا) وهو ثقيل في النطق، فكانت اللّغة أن لجأت إلى تخفيف البنية بطرح الياء التي هي لام الكلمة، فألقت الضمة على الواو التي قبلها فصارت الياء ساكنة فاجتمع ساكنان: الياء والواو، فحذفت الياء التي هي لام الكلمة منعاً لذلك الالتقاء فأصبحت تلووا^(٣) على وزن تفعوا بحذف اللام.

لقد جاءت هذه الآية الكريمة في سياق الحديث عن الحقوق الإنسانية التي جاء الإسلام ليقومها بعد أن كانت شريعة الغاب هي الحكم في المجتمع الجاهلي، فـ " لَمَّا تَقَدَّمَ ذِكْرُ النِّسَاءِ وَالنُّشُوزِ وَالْمُصَالِحَةِ بَيْنَهُنَّ وَبَيْنَ الْأَزْوَاجِ عَقَّبَهُ بِالْأَمْرِ بِالْقِيَامِ بِأَدَاءِ حُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى وَبِالشَّهَادَةِ لِأَحْيَاءِ حُقُوقِ اللَّهِ " .^(٤)

وقد جاء الأمر الربّاني للمكلفين بتلك الواجبات أن ينصاعوا لإقامة العدل والاحتراز عن الوقوع في الجور والميل، وتبلغ عدالة السّماء ذروتها حين نلني الإرادة الإلهية تدفع المؤمنين أن يكونوا مبالغين في تحريّ أعلى درجات القسط، وأنزه حالات الشّهادة، فلا يأخذهم في غنيّ طمع في حظوة، ولا في فقير عاطفة شفقة أو رحمة فيميلوا معه؛ " إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا " ،^(٥) فـ " لَأَ تَمِيلُوا بِالْهَوَىٰ مَعَ الْفَقِيرِ لِضَعْفِهِ، وَلَا عَلَى الْغَنِيِّ لِاسْتِغْنَائِهِ، وَكُونُوا مَعَ الْحَقِّ؛ فَاللَّهُ الَّذِي أَغْنَىٰ هَذَا وَأَفْقَرَ هَذَا أَوْلَىٰ بِالْفَقِيرِ أَنْ يُغْنِيَهُ بِفَضْلِهِ بِالْحَقِّ لَأَ بِالْهَوَىٰ وَالْبَاطِلِ، وَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِالْغَنِيِّ أَنْ يَأْخُذَ مَا فِي يَدِهِ بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ، لَأَ بِالتَّحَامُلِ عَلَيْهِ، فَإِنَّمَا جَعَلَ

^١ الماوردي، النكت والعيون، ج ١، ص ٥٣٥.

^٢ ابن أبي شيبة، مسند ابن أبي شيبة، ج ٢، ص ٣٩٠.

^٣ مكّي، الكشف، ج ١، ص ٣٩٩. الصّاعدي، تداخل الأصول، ج ١، ص ٣٧٢.

^٤ الرازي، مفاتيح الغيب، ج ١١، ص ٢٤٢.

^٥ سورة النساء، الآية ١٣٥.

اللَّهُ سُبْحَانَهُ الْحَقُّ وَالْعَدْلُ عِيَارًا لِمَا يَظْهَرُ مِنَ الْخُبْثِ وَمَيِّزَانًا لِمَا يَنْبَيِّنُ مِنَ الْمَيْلِ
.. (١)

وبعد أن بيّن لنا المولى عزّ جلاله شروط وصفات عدالة الحكم والقضاء، أو عد
بسوء المنقلب لكلّ من يشطط عن هذه السبيل فيلوي في قضائه بين الخصوم فيعدل
عن الحقّ، أو يلوي في أداء شهادته فيعدل عن الصدق، أو يجنح نحو " التثاقل في
تمكين المحقّ من حقه وأداء الشهادة لطالبها، أو الميل في أحد الخصمين في القضاء
والشهادة " (٢).

وهنا يتبادر للذهن سؤال وهو: ألا يتعارض هذا التأويل للقراءة مع من قدر
قراءة حمزة وابن عامر أنها من الولاية؟ بمعنى آخر كيف يمكن أن تكون الشهادة
ضرباً من الولاية؟

إنّ قراءة (تَلَوُوا) بواو واحدة (تَلُوا) قد أوّلت على معنى مباشرة الأمر، والمراد:
" وَإِنْ تَلَّوْا الْقَضَاءَ بَيْنَ الْخُصُومِ " (٣) وهذا يعني أنّ الفعل (تَلُوا) يتعلّق بالعدل في
الحكم حسب؛ إذ لا يتصور أن تكون الشهادة أمراً بتكليف؛ إنّما هي طلب بالتماس.
وبناءً على ما تقدّم يذهب الباحث إلى أنّ هاتين القراءتين بمعنى واحد، وكأنّ
قراءة حمزة وابن عامر الوجه المخفّف من قراءة الجمهور، يقول الطاهر بن
عاشور: "... لَيْسَ أَدَاءُ الشَّهَادَةِ بَوَلَايَةٍ. وَالْوَجْهُ أَنَّ هَذِهِ الْقِرَاءَةَ تَخْفِيفٌ تَلَوُوا نَفَلَتْ
حَرَكََةُ الْوَاوِ إِلَى السَّاكِنِ قَبْلَهَا فَالْتَقَى وَوَأَنَّ سَاكِنَانَ فَحَذَفَ أَحَدُهُمَا، وَيَكُونُ مَعْنَى
الْقِرَاءَتَيْنِ وَاحِدًا " (٤).

(لا تَعْدُوا)، (لا تَعْدُوا)، (لا تَعْدُوا): (٥)

^١ ابن العربي، أحكام القرآن، ج ١، ص ٦٣٩.

^٢ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ٢٢٨.

^٣ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٥، ص ٢٢٨.

^٤ المصدر نفسه.

^٥ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٧١. شرح طيبة النشر، ص ٢١٨. تحبير التيسير،

ص ٣٤٤. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٢٥٣. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٢٨٠.

محيسن، الهادي، ج ٢، ص ١٦٤.

قرأ ورش (لا تَعْدُوا) من قوله تعالى: " وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ " (١) بفتح العين وتشديد الدال، من: اعتدَى يعتدي اعتداءً، أي: " لا تتجاوزوا في يوم السبت ما أبيح لكم إلى ما لم يبيح لكم "، (٢) وهو مشتق من: (تَعَدَّوْا)؛ ولما كانت التاء مفتوحة، والحرف الذي يسبقها ساكناً، والدال تقاربها من جهة المخرج " فنقل حركة التاء إلى العين، وأدغم التاء في الدال "، (٣) على سبيل التخفيف؛ " وَلِذَلِكَ جَازَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِظْهَارُهَا فَقَالُوا: تَعَدَّوْا وَتَعَدَّوْا، لِأَنَّهَا وَقَعَتْ قَبْلَ الدَّالِ، فَكَانَتْ غَيْرَ مَجْدُوبَةٍ إِلَى مَخْرَجِهِ، وَلَوْ وَقَعَتْ بَعْدَ الدَّالِ لَوَجَبَ إِدْغَامُهَا فِي نَحْوِ أَدَانَ " (٤) " والاعتداء والتعدّي والعُدوان: الظلم " (٥).

وقرأ قالون بخلف عنه (٦) وأبو جعفر (لا تَعْدُوا) بإسكان العين وتشديد الدال من: اعتدَى يعتدي اعتداءً، فأصله الاشتقائي من: (تَعَدَّوْا) ثم " أدغم التاء في الدال لتقاربها "، (٧) وهو وجه ضعيف عند أكثر الصرّفيين؛ لأنه يجمع بين حرفين ساكنين " ولم يكن الأول حرف لين، نحو: دابة، وشابة "، (٨) قال النحاسُ ولَا يَجُوزُ إِسْكَانُ الْعَيْنِ وَلَا يُوصَلُ إِلَى الْجَمْعِ بَيْنَ سَاكِنَيْنِ فِي هَذَا، وَالَّذِي يَقْرَأُ بِهِ إِنَّمَا يَرُومُ الْخَطَأَ "، (٩) ولكنّ أبا علي الفارسي رأى جواز ذلك أعني الجمع بين ساكنين، قال: " وكثير من النحويين ينكرون الجمع بين الساكنين إذا كان الثاني منهما مدغماً، ولم يكن الأول حرف لين، نحو: دابة وشابة... ويقولون: إنّ المدّ يصير عوضاً من الحركة. وقد قالوا: ثوب بكر، وجيب بكر فأدغموا، والمدّ الذي فيهما أقلّ من المدّ الذي يكون فيهما إذا كان حركة ما قبلهما منهما. وساغ فيه وفي نحو: أصيمّ ومديقّ ودويبة، فإذا

^١ سورة النساء، الآية ١٥٤.

^٢ الطبري، جامع البيان، ج ٩، ص ٣٦١.

^٣ ابن خالويه، الحجّة، ص ١٢٨.

^٤ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٦، ص ١٦.

^٥ الأزهرى، تهذيب اللغة. ابن منظور، لسان العرب. (عدا)

^٦ والوجه الثاني لقالون: "هو اختلاس فتحة العين مع تشديد الدال".

^٧ أبو العلاء الحنفي، مفاتيح الأغاني، ص ١٥٠.

^٨ الفارسي، الحجّة، ج ٣، ص ١٩٠.

^٩ النحاس، إعراب القرآن، ج ١، ص ٢٤٨. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٦، ص ٧.

جاز ما ذكرنا مع نقصان المدّ الذي فيه، لم يمتنع أن يجمع بين الساكنين في نحو تعدّوا، وتخطف، وقد جاء في القراءة، وجاز ذلك لأنّ الساكن الثاني لما كان يرتفع اللسان عنه وعن المدغم فيه ارتفاعاً واحدة؛ صار بمنزلة حرف متحرّك، يقوّي ذلك: أنّ من العلماء بالعربيّة من جعل المدغم مع المدغم فيه بمنزلة حرف واحد، وذلك قول يونس في النسب إلى مثني: مثنويّ، جعله بمنزلة ملهويّ، ويقوّي ذلك جواز نحو أصيمّ وأنه قول العرب جميعاً مع نقصان المدّ فيه ... فإذا كانوا قد جعلوا مواضع حرف اللين غيره في هذه الأشياء التي ذكرنا؛ جاز أن يجعل موضع حرف اللين غيره في هذه المواضع التي قرأت بها القراء، ولم يكن ذلك لحناً وإن كان الوجه الآخر أكثر في الاستعمال".^(١)

وقرأ قالون في وجهه الثاني باختلاس حركة العين وتشديد الدال، وقرأ الباقون (تعدّوا) بإسكان العين وضمّ الدال مع تخفيفها، من: عدا يعدو، أي: " لا تعدّوا باقتناص السّمك فيه"،^(٢) تقول العرب: " عدوت في الأمر"، إذا تجاوزت الحقّ فيه"^(٣) يُقالُ في الظلم: " قدّ عدا فلانٌ عدواً وعدواً وعدواناً وعداءً أي ظلم ظُلماً جاوزَ فيه القدر".^(٤) ويجوز أن تكون هذه القراءة من (العدو) الذي هو الحظر والمنع، فيكون المعنى: "النهْيُ عَنِ الْعَمَلِ وَالْكَسْبِ يَوْمَ السَّبْتِ"،^(٥) ونظيرها في التنزيل قوله تعالى: " إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ ".^(٦)

وأما الأصل الاشتقاقيّ لهذه القراءة فهو من: (تعدّوا)، استنتقلت الضمة على الواو الأولى التي هي لام الكلمة فحذفت، فكان أن التقى ساكنان، هما: واو الفعل (لامه) وواو الضمير، فأسقطت الأولى، وبقيت واو الضمير، فوزنه: (تفعوا).^(١)

^١ الفارسيّ، الحجّة، ج ٣، ص ١٩١، ١٩٢، ١٩٣. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٦، ص ١٦.

^٢ أبو العلاء الحنفي، مفاتيح الأغاني، ص ١٥٠.

^٣ الطبري، جامع البيان، ج ٩، ص ٣٦٢.

^٤ ابن منظور، لسان العرب، (عدو)، ج ١٥، ص ٣٢.

^٥ الرازيّ، مفاتيح الغيب، ج ١١، ص ٢٥٧.

^٦ سورة الأعراف، الآية ١٦٣.

^١ السمين الحلبيّ، الدرّ المصون، ج ٤، ص ١٤١.

ولا يبعد هذا التوجيه الأخير لبنية الكلمة عما قرره التّفكير الصوتي الحديث إلّا في تفسير سقوط لام الفعل؛ فقد ذهب علم الصوتيات الحديث إلى أنّ الفعل إذا كان معتلّ العجز بياء أو واو، واتصل به واو الجماعة؛ فإنّه ينتج مزدوجاً حركياً صاعداً فيحدث ثقلاً في النطق، فيحذف لذلك. (١)

(تَدْعُونَ)، (تَدْعُونَ): (٢)

قرأ يعقوب وحده (تَدْعُونَ) من قوله تعالى: "وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ" (٣) بدال ساكنة مخفّفة، على وزن (تَفْعَلُونَ)، من: دَعَا يَدْعُو دَعْوَةً وَدُعَاءً، (٤) أي: " تستعجلون، وتدعون إليه في قولكم: فأمطر علينا حجارة من السماء". (٥)

وقرأ الباقر (تَدْعُونَ) بدال مفتوحة مشدّدة، على وزن (تَفْعَلُونَ)، من: ادّعى يدّعي ادّعاءً، (٦) والاسم الدّعوى، (٧) ومعناه التّكذيب، فسره الحسن، من قولهم: " تَدْعِي الْبَاطِلَ وَتَدْعِي مَا لَا يَكُونُ "، (٨) قال أبو حاتم: " تَدْعُونَ: تكذبون "، (٩) وقيل: " تَدْعُونَ: يدعو بعضكم بعضاً إلى التّكذيب ". (١٠)

وينقل لنا الثعلبيّ في (الكشف والبيان) أنّ مذهب أغلب العلماء هو أنّ الفعل ههنا مشتقّ من الدّعاء، ومعناه: " يتمنون ويتسلّون "، (١١) قال أبو عبيد: " تدعون مشتقّ من

^١ عبد القادر مرعي، فايز المحاسنة، التشكيل الصوتي، ص ٩٤.

^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٨. شرح طيبة النشر، ص ٣١٩. تحبير التيسير، ص ٥٨٦. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٨٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٩١. محيسن، الهادي، ج ٢، ص ٢٩٣.

^٣ سورة الملك، الآية ٢٧.

^٤ ابن منظور، لسان العرب، (دعو)، ج ١٤، ص ٢٥٨.

^٥ السمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ٤٧٩.

^٦ الأزهرّي، تهذيب اللّغة. ابن منظور، لسان العرب، (دعو).

^٧ سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٤٠. الكرمانّي، غرائب التفسير وعجائب التّأويل، ج ٢، ص ١٢٣٣.

^٨ ابن منظور، لسان العرب، (دعو)، ج ١٤، ص ٢٦١.

^٩ مكي، الهداية، ج ١٢، ص ٧٦٠٧.

^{١٠} المصدر نفسه.

^{١١} الثعلبيّ، الكشف والبيان، ج ٩، ص ٣٦١. السمرقندي، بحر العلوم، ج ٣، ص ٤٧٩.

يدعون"،^(١) وحكى مكي: " تدعون هُوَ تفتعلون من الدُّعَاءِ وَأصله تدععون ثمَّ أدغمت التَّاءَ في الدَّالِ على إدغام التَّاني في الأوَّل ".^(٢)

وهناك من رأى أنَّ القراءتين سيَّين في الدَّلالة، يقال: " دعوت وأدَّعيت، كما يقال: خَبَرْت واختَبَرْت، ودخَرْت وأدَّخَرْت"،^(٣) قال الفراء: " يريد: تَدْعُونَ، وهو مثل قوله: تَذَكُّرُونَ، وتَذَكَّرُونَ، وتخبِرون وتختَبِرون، والمعنى واحد"،^(٤) قال مكي: " وهما بمعنى، كما يقال: قدر واقندر، وعدا واعتدى، إلا أن في " أفعل " : معنى التكرير، و"فعل" يقع للتكرير ولغير التكرير ".^(٥)

وهذه الآية كغيرها من آيات العذاب تصوِّر لنا مشهد من مشاهد عذاب الكافرين، فهؤلاء المعاندين الجاحدين لربوبيَّة الله ووحدانيَّته يدَّعون على نبيِّه الكذب والتدليس، وأنَّ ما جاء به هو كلام المجانين أو ضرب من الأساطير والتخريف، بل ويصل بهم أمر التَّحدي لرسوله المبشِّر النَّذير أن يطلبوا منه أن يستعجل لهم هذا الوعيد، فيدعو ربَّه أن يأتي بذاك العذاب الموعود.

وإذا ما جاء الوعد الحق اعطى وجوه أولئك المجرمين ما كان بعيداً عن الحساب إنَّها النَّار التي كانت بمنأى عن خيالهم، وهو العذاب الذي أبطلته عقولهم المظلمة، فإذا كان ما كان استقبلتهم زبانيَّة النَّار الملائكة الغلاظ الشَّداد بالزَّجر والتوبيخ، فتسألهم في نبرة مفعمة بالتَّأنيب والإنكار " أَهَذَا الَّذِي تَدَّعُونَ، لَأَبْلُ كُنْتُمْ تَدَّعُونَ عَدَمَهُ"،^(١) إنَّه ادَّعاء ودعاء.

(لِيَزَلِقُونَكَ)، (لِيَزَلِقُونَكَ):^(٢)

^١ النَّحاس، إعراب القرآن، ج٤، ص٣١١.

^٢ مكي، مشكل إعراب القرآن، ج٢، ص٧٤٧.

^٣ ابن قتيبة، غريب القرآن، ص٤٧٥.

^٤ الفراء، معاني القرآن، ج٣، ص١٧١. الواحدي، التفسير الوسيط، ج٤، ص٣٣١.

^٥ مكي، الهداية، ج١٢، ص٧٦٠٧.

^١ الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣٠، ص٥٩٧.

^٢ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص٩٨. شرح طيبة النشر، ص٣٢٠. تحبير التيسير،

ص٥٨٨. النشر في القراءات، ج٢، ص٣٨٩. النويري، شرح طيبة النشر، ج٢، ص٥٩٢.

محيسن، الهادي، ج٣، ص٢٩٥.

قرأ نافع وأبو جعفر (لِيَزْلِقُونَكَ) من قوله تعالى: " وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ " (١) بفتح الياء من: زَلِقَ يَزْلِقُ زَلَقًا، (٢) يقال: " زَلَقَهُ وَأَزْلَقَهُ إِذَا نَحَّاهُ عَنْ مَكَانِهِ "، (٣) قال الفارسي: " ... من قال: ليزلقونك جعله من زلق هو، وزلقته أنا مثل: شتت عينه، وشترتها أنا، وحزن وحزنته أنا، " (٤) قال سيبويه: " وزعم الخليل أنك حيث قلت فنتته وحزنته لم ترد أن تقول: جعلته حزيناً وجعلته فاتناً، كما أنك حين قلت: أدخلته أردت جعلته داخلاً ولكنك أردت أن تقول: جعلت فيه حزناً وفتنةً، فقلت فنتته كما قلت كحلته، أي جعلت فيه كحلاً، ودهنته جعلت فيه دهناً، فجئت بفعلته على حدة، ولم ترد بفعلته ههنا تغيير قوله حزن وفتن. ولو أردت ذلك لقلت لأحزنته وأفتنته. وفتن من فنتته كحزن من حزنته " (٥).

وقرأ الباقر (لِيَزْلِقُونَكَ) بضم الياء من: أَزْلَقَ يَزْلِقُ، أَي: " أَزَلَّ رَجُلَهُ، يُقَالُ: أَزْلَقَهُ عَنْ مَوْضِعِهِ إِذَا نَحَّاهُ "، (٦) تقول العرب " لِلَّذِي يَحْلِقُ الرَّأْسَ: قَدْ زَلَقَهُ وَأَزْلَقَهُ "، (١) " وَأَزْلَقَهُ بِبَصَرِهِ أَحَدًا النَّظَرَ إِلَيْهِ "، (٢) وقيل زلق وأزلق لغتين بمعنى واحد، يقال: " زَلَفَهُ تَزْلِقُهُ زَلَقًا، أَزْلَقَهُ تَزْلِقُهُ إِزْلَاقًا بِمَعْنَى وَاحِدٍ " (٣).

وبيّن لنا أبو إسحاق الزجاج أنّ هذه الآية تحتاج إلى فضل إيّانة في اللغة، (٤) وأنّ لكل من علماء اللغة والتفسير مذهبهم الخاص في تأويل هذه الآية؛ فأما جمهور اللغة فإنهم يحملونها على معنى شدة البغيضة والعداوة، والتقدير: أنّ هؤلاء الكفار قد كان من شديد بغضهم وعظيم عداوتهم للرّسول الكريم - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنّهم

^١ سورة القلم، الآية ٥١.

^٢ ابن منظور، لسان العرب، (زلق).

^٣ القنوجي، فتح البيان، ج ١٤، ص ٢٧٨. ابن منظور لسان العرب، (زلق).

^٤ الفارسي، الحجّة، ج ٦، ص ٣١٢.

^٥ سيبويه، الكتاب، ج ٤، ص ٥٦. الفارسي، الحجّة، ج ٦، ص ٣١٢.

^٦ الشوكاني، فتح القدير، ج ٥، ص ٣٣٠.

^١ الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ١٧٩.

^٢ ابن منظور، لسان العرب، (زلق).

^٣ الثعلبي، الكشف والبيان، ج ١٠، ص ٢٣.

^٤ الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج ٥، ص ٢١١.

إذا ما سمعوه يتلو القرآن نظروا إليه نظرة مفعمة بالضغينة والكرهية؛ " نظر عدو شائئ، يكاد يصرع مشنوءه "،^(١) أو بعبارة ثانية إنهم من شدة تحديقهم بك " شزراً بعُيونِ العداوة والبغضاء "،^(٢) يكادون لو أمكنهم أن يزلقونك فيزلون قدمك ليسقطوك^(٣) فيهلكوك،^(٤) قال الفراء معناه: " ليرمُون بك عن موضِعك، ويَزيلونك عنه بأبصارهم، كما تقول: كاد يصرعني بشدة نظره، وهو بين من كلام العرب كثير، كما تقول: أزهقت السهم فزهق "،^(٥) ومنه قول الشاعر:^(٦)

يَتَقَارِضُونَ، إِذَا التَّقَوَّا فِي مَوْطِنٍ،
نَظَرًا يُزِيلُ مَوَاطِئَ الْأَقْدَامِ

وأشد ابن عباس لما مرَّ بأقوامٍ حدَّدوا النظرَ إليه:^(١)

نَظَرُوا إِلَيَّ بِأَعْيُنٍ مُحَمَّرَةٍ نَظَرَ النَّيُّوسِ إِلَى شِفَارِ الْجَاذِرِ

وأما مذهب المفسرين فإنه لا يبعد كثيراً عن تأويل أهل اللغة، وقد أجمله صاحب (النكت والعيون)، قال: " فيه ستة أوجه: أحدها: معناه ليصرعونك، قاله الكلبى. الثاني: ليرمقونك، قاله قتادة. الثالث: ليزهقونك، قاله ابن عباس، وكان يقرؤها كذلك. الرابع: لينفذونك، قاله مجاهد. الخامس: ليمسونك بأبصارهم من شدة نظرهم إليك، قاله السدي. السادس: ليعتانونك، أي لينظرونك بأعينهم، قاله الفراء. وحكي أنهم قالوا: ما رأينا مثل حجمه ونظروا إليه ليعينوه، أي ليصيبوه بالعين، وقد

^١ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٣، ص ٨٥.

^٢ الرازى، مفاتيح الغيب، ج ٣٠، ص ٦١٨.

^٣ ابن قتيبة، غريب القرآن، ص ٤٨٢. تأويل مشكل القرآن، ص ١٠٨.

^٤ أبو حيان، البحر المحيط، ج ١٠، ص ٢٤٩.

^٥ الفراء، معاني القرآن، ج ٣، ص ١٧٩.

^٦ البيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الأزهرى، تهذيب اللغة، ج ٨، ص ٢٦٨.

معاني القراءات، ج ٣، ص ٨٥. ابن منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ٢١٨. أبو هلال

العسكري، الصناعتين، ص ٣٥٧.

^١ البيت بلا نسبة في المصادر التي اطلعت عليها. الرازى، مفاتيح الغيب، ج ٣٠، ص ٦١٨.

العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، (ت: ١١١١هـ)،

(١٩٩٨م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد

الموجود، علي محمد معوض، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٣، ص ٣٣.

كانت العرب إذا أراد أحدهم أن يصيب أحداً بعين في نفسه أو ماله تجوّع ثلاثاً ثم يتعرّض لنفسه أو ماله فيقول: تالله ما رأيت أقوى منه ولا أشجع ولا أكثر مالاً منه ولا أحسن، فيصيبه بعينه فيهلك هو وماله، فأنزل الله هذه الآية ^(١).

وهكذا وجدنا هاتين القراءتين مترادفتين في المعنى، أمّا من جهة البنية الصرفية فإنّ القراءة الأولى هي من فعل ثلاثي قيل: إنّه إن كان مفتوح العين فهو لازم، فإن كسرت عينه صار متعدياً، يقال: "زلق بالكسر وزلقتّه بالفتح. ونظيره: شترت عينه بالكسر، وشترها الله بالفتح" ^(٢) وأمّا القراءة الثانية فإنّها من فعل ثلاثي مزيد بهمزة التعدية.

^١ الماوردي، النكت والعيون، ج ٦، ص ٧٤.

^٢ السمين الحلبي، الدر المصون، ج ١٠، ص ٤٢٠.

(تَقُولُ)، (تَقُولَ): (٣)

قرأ يعقوب (تَقُولُ) من قوله تعالى: " وَأَنَا ظَنْنَا أَنَّ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا " (١) بفتح القاف وتشديد الواو مع فتحها، على وزن (تَفَعَّلُ)، من: تَقَوْلٌ يَتَقَوَّلُ تَقَوُّلاً، مضَعَّفُ العين، والأصل (تَتَقَوَّلُ) فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً، (٢) ومعناه افتراء الكذب، يقال: " قَوْلُهُ مَا لَمْ يَقُلْ (تَقَوُّيلاً) وَ(أَقُولُهُ) مَا لَمْ يَقُلْ أَي ادَّعَاهُ عَلَيْهِ، " (٣) ويقال: " تَقَوَّلَ قَوْلًا: ابتدَّعه كذبًا. وَتَقَوَّلَ فُلَانٌ عَلَيَّ بَاطِلًا أَي قَالَ عَلَيَّ مَا لَمْ أَكُنْ قُلْتُ وَكَذَبَ عَلَيَّ، " (٤) وتقول العرب: " قَوْلْتَنِي مَا لَمْ أَقُلْ، وَأَقَوْلْتَنِي مَا لَمْ أَقُلْ "، حكاها أبو عبيد عن الكسائي. (٥) وقرأ الباكون (تَقُولُ) بضم القاف وإسكان الواو مع تخفيفها، على وزن (تَفَعَّلُ)، من: قال يقول قولاً.

^٣ ابن الجزري، متن طيبة النشر، ص ٩٩. شرح طيبة النشر، ص ٣٢١. تحبير التيسير، ص ٥٩٤. النشر في القراءات، ج ٢، ص ٣٩٢. النويري، شرح طيبة النشر، ج ٢، ص ٥٩٨. محيسن، الهادي، ج ٣، ص ٣٠٦.

^١ سورة الجن، الآية ٥.

^٢ الألوسي، روح المعاني، ج ١٥، ص ٩٦. محيسن، القراءات، ج ١، ص ٤٤٢.

^٣ الرازي، مختار الصحاح، (قول).

^٤ ابن منظور، لسان العرب، (قول).

^٥ الأزهرى، معاني القراءات، ج ٣، ص ٩٧.

الخاتمة

لقد حاولت هذه الدراسة أن تقيم تصوراً شاملاً ومفصلاً لدور التوجيهات الصرفية للقراءات العشرة في تعدد المعنى، من خلال أبعاد عامة وأطر كلية. وقامت على فرض مؤداه أن اختلاف القراء العشرة في قراءة بعض ألفاظ التنزيل يعدّ مادة أساسية اعتمدها المفسرون في تفسير آي الذكر الحكيم، كما كانت ركيزة رئيسة بنى الأوائل عليها لبنات نظريتهم الصرفية لأبنية العربية.

وقد سعت هذه الدراسة إلى رسم صورة مفصلة ومحددة للأسس النظرية التي انتظمت عليها هذه الدراسة، وهي أسس استقرت مبادئ وقواعد عند معظم النحويين، بصريين وكوفيين، وهي أسس مقررة لدى اللسانيين المحدثين، ممن يتهجون نهجاً بنويّاً وظائفيّاً وتوليديّاً تحويليّاً في دراسة اللغة، وهذه الأسس هي: مراعاة الأصل والفرع، ومراعاة قرينة السياق، ومراعاة أمن اللبس.

كما سعت هذه الدراسة أيضاً إلى محاولة تحديد بعض العناصر والمفاهيم الداخليّة للظاهرة المدروسة، لتنماز بصورة جليّة عن غيرها من الظواهر المشابهة لها، وقد استقام لنا في أثناء هذه الدراسة تحديد الآتي:

أ- القراءات العشرة هي سنة متبعة تلقاها الخلف عن السلف عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتعبّد بتلاوتها ويؤجر دارسها.

ب- القراءات العشرة هي قراءات صحيحة متواترة لا مزية لإحداها على الأخرى، ولا يجوز المفاضلة بينها أو إيثار إحداها على الأخرى.

ج- اختلاف القراء العشرة في القراءة لا يعني بحال وجود تنافر أو تضاد بين القراءات.

د- طريق طيبة النشر هي مصدر هذه الدراسة ومادتها المستقاة.

ه- الدلالة الصرفية للبنية هي جوهر هذه الدراسة ومرتكزها الرئيس.

وبعد ذلك سعت هذه الدراسة إلى استشراف مواضع الأبنية الصرفية في مستوى فرش الحروف للقراءات العشرة، فتمّ رصد الكلم التي وقع فيها تعدد في القراءة، ثم جرى تصنيف تلك البنيات على أبواب الصرف المتعارف عليها، فكان هناك باب

لأبنية الأسماء، وآخر لأبنية الأفعال، وبين هذين البابين تتوزع الفصول التي تضم في ثناياها الظواهر الصرفية التي تدور في فلك هذه الدراسة. وتمّ في أثناء هذا الاستقصاء عرض هذه المواضيع على النظر الصرفي الذي ارتضيناه في هذا البحث، فما جرى على هذا المنهج أدخل في إطار هذه الأطروحة، وما لم يوافقه أخرج من إطارها.

ويمكن تلخيص أهم النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسة على النحو الآتي:

١- تشكلت القراءات العشرة مصدراً من مصادر التّعيد الصرفي؛ فإنّ فيها من الأدوات اللّغوية والاستعمالات الفصيحة ما يحاكي شواهد العربية في مضمار الشعر والنثر، بل يفوقها بلاغة وبيانا.

٢- تمثّل القراءات العشرة أصلاً من أصول التفسير القرآني، وعمدة تبنى على أساسها كثيراً من وجوه التّأويل للكتاب الكريم.

٣- تشير الدّراسة إلى أنّ العلاقة بين الدّرس الصرفي والقراءات القرآنية تبدو متلاحمة؛ حيث نجد التحليل الصرفي للأبنية يسير جنباً إلى جنب وتوجيهات القراءات القرآنية، حتى أنّا نلفي كثيراً من هذه الأنظار هي في حقيقتها مسائل صرفية كمسائل الجموع والتّناوب بين المصادر والمشتقات ... إلخ.

٤- كشفت هذه الدّراسة أنّ الظواهر الصرفية تتبوأ مكانة متميزة بين بقية الظواهر اللّغوية التي حفلت بها القراءات العشرة ولاسيما على مستوى فرش الحروف؛ فإنّ الاختلافات بين هذه القراءات تدور في أغلبها في فلك المغايرة والاستبدال الذي يشتغل في أكثر ظواهره على مستوى البنية الصرفية: بنية الأسماء وبنية الأفعال.

٥- أوضحت هذه الدّراسة أنّ كثيراً من الظواهر اللّغوية هي في حقيقتها نتيجة متحصّلة من تنوّع الأدوات القرآنية على مستوى بنيات الكلمة، فانتقال القراءة من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول وما يتمخض عنه من تغيير في البنية الإسنادية للتركيب هو حاصل من تغيّر البنية الصرفية للفعل، كما أنّ تحوّل عود الضمير في الجملة هو ناتج عن اختلاف البنية الإسنادية للأفعال.

٦- كشفت هذه الدراسة أنّ مقولة الصّرفيين زيادة المبنى يتبعها زيادة المعنى، هو فرض يحتاج إلى مزيد نظر؛ ذلك أنّ نظرة متبصرة في القراءات العشر يلاحظ أنّ هناك من القراءات ما تمتاز عن قرينتها ببنيته الصّرفيّة، كأن تكون إحداها ذات صيغة مجردة، والثانية مزيدة بحرف من حروف الزيادة، ومع ذلك لا نلمح أيّ بون دلالي بينهما، ولعلّ في صيغتي (فعلَ وأفعلَ) ما يجلي هذه الظاهرة.

٧- ومع ذلك تظلّ مقولة الأوائل بزيادة المعنى لزيادة المبنى لها ما يشهد لها بالمثل في أبنية العربيّة، ولعلّ ما سقناه من أداءات قرائيّة في بطن هذه الدراسة له خير دليل على أصالة هذه الظاهرة، ورسوخ قدمها في نسيجها اللّغوي.

٨- كشفت هذه الدراسة أنّ الحكم على البنيات اللّغويّة المتعدّدة في المبنى والمتوحدة في المعنى بأنّها نتاج تباين لهجي حكم مبالغ فيه ويمكن ردّه.

٩- كشفت الدراسة أنّ الظواهر الصّرفيّة المتعلّقة بالأفعال هي أكثر مباحث الصّرف تداولاً بين القراء العشرة؛ حيث تشكّل التّنوعات الأدائيّة بالتحوّل بين صيغ الأفعال نسبة كبيرة إذا ما قورنت بغيرها من الظواهر الصّرفيّة الأخرى.

١٠- أوضحت الدراسة أنّ اختلاف القراءة بتثقيّل الصّيغة وتخفيفها يمثل ظاهرة صرفيّة لها حضورها البارز على مستوى المعنى؛ فإنّ باستحضار الدّلالة الصّرفيّة للزيادة بالتضعيف يتجلّى ذلك البعد الدلاليّ الذي تضيفه الصّيغة المشدّدة من كثرة إنجاز الفعل وتكرير الحدث واستمراره في سياقه التّدالويّ.

١١- كشفت الدراسة أنّ القراءة بصيغة المفاعلة تعدّ شاهداً بيّناً على أثر هذه الصّيغة في إثراء المعنى، وتوجيه الخطاب القرآنيّ وجهة تتماشى والمقاصد التي يرنو إليها.

- ١٢- تشير الدراسة إلى الأبعاد الدلالية التي تنجزها الزيادة بالهمزة جرّاء إلحاقها بالفعل الثلاثي المجرد، وما يتمخض عنه من معاني صرفية يمكن استشرافها بتلمس السياقات الكريمة التي تؤدّي فيها القراءات القرآنية.
- ١٣- ترسم لنا هذه الدراسة صورة لمنهج العربية في بناء أسماء الجمع فيها، وكيف أنها تلجأ إلى التغيير في أصوات البنية لتعبّر عن معاني القلة والكثرة في سياقاتها التداولية، بل إنها أحياناً تنجح إلى جمع ما هو جمع لتدل به على كثرة ذلك الجمع، أو تصيره اسم جنس يعم أعضاء جنسه، وقد حفلت القراءات العشرة على مثل دالة تحكي أثر هذه البنيات الجمعية في تأويل المعنى، واستكناه مقاصد الخطاب القرآني.
- ١٤- تؤكد الدراسة على أنّ التباين اللهجيّ هو مظهر من مظاهر التنوع اللغوي المتحصّل بالأداء النطقيّ، وإنّ القراءات العشرة قد حملت لنا كثيراً من هذه الظواهر اللهجية.
- ١٥- تشير الدراسة إلى أنّ الظواهر اللهجية على مستوى البنية الصرفية ليس لها سهم في إبراز المعنى، وأنّ القراءات التي وجّهت على أنها لغات لم يلتفت فيها إلى جانب المعنى.
- ١٦- تشير هذه الدراسة إلى صيغ المصدر والمشتقات وما يكمن فيها من دلالات قارة ألفت بظلالها على القراءات العشرة فزادت المعنى بلاغة والمرمى بياناً.

المراجع

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، (ت: ٦٠٦هـ)، (١٩٧٩م)، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، (ت: ٦٠٦هـ)، (١٩٦٩م)، **جامع الأصول في أحاديث الرسول**، تحقيق: عبد القادر الأرئوط وبشير عيون، مكتبة الحلواني، ط١، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان.

الأخطل، غيَّاث بن غوث بن طارق (ت: ١١٠هـ)، (١٩٩٤م)، **ديوان الأخطل**، شرحه وصنف قوافيه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الأخفش، أبو الحسن المجاشعي، المعروف بالأخفش الأوسط، (ت: ٢١٥هـ)، (١٩٩٠م)، **معاني القرآن للأخفش**، تحقيق: هدى محمود قراعة، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة.

الأزهري، خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاويّ الأزهري، زين الدين المصري، (ت: ٩٠٥هـ)، (٢٠٠٠م)، **شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح في النحو**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، (ت: ٣٧٠هـ)، (١٩٩١م)، **معاني القراءات**، ط١، مركز البحوث في كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعودية.

الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، (ت: ٣٧٠هـ)، (٢٠٠١م)، **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

الأزهريّ، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، (ت: ٣٧٠هـ)، الزاهر
في غريب ألفاظ الشافعيّ، تحقيق: مسعد عبد الحميد السعدني، دار الطلائع.
الأشمونيّ، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي،
(ت: ٩٠٠هـ)، (١٩٩٨م)، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ط١، دار
الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الأصبهاني، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي القرشي الطليحي التيمي
الأصبهاني، أبو القاسم، (ت: ٥٣٥هـ)، (١٩٩٥م)، إعراب القرآن للأصبهاني،
قدمت له ووثقت نصوصه: فائزة بنت عمر المؤيد، ط١، فهرسة مكتبة الملك
فهد الوطنية، الرياض.

الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، (٣٥٦هـ)، الأغاني، تحقيق:
سمير جابر، ط٢، دار الفكر، بيروت.

الأصمعيّ، الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (ت:
٢١٦هـ)، (١٩٩٣م)، الأصمعيّات اختيار الأصمعي، تحقيق: أحمد محمد
شاكر، عبد السلام محمد هارون، ط٧، دار المعارف، مصر.

الأعشى، ميمون بن قيس، (٩٧٤م)، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: محمد
محمد حسين، دار النهضة العربية، بيروت.

الألوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت: ١٢٧٠)
(١٩٩٥م)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق:
علي عبد الباري عطية، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

الأنباريّ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين
الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، (١٩٩٩م)، أسرار العربية، ط١، دار الأرقم بن أبي
الأرقم.

الأنباريّ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين
الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، (٢٠٠٣م)، الإنصاف في مسائل الخلاف بين
النحويين: البصريين والكوفيين، ط١، المكتبة العصرية.

الأنباري، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (ت: ٥٧٧هـ)، (١٩٨٥م)، **نزهة الألباء في طبقات الأدباء**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ط٣، مكتبة المنار، الأردن.

الأنباري، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨هـ)، (١٩٩٢م)، **الزاهر في معاني كلمات الناس**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

الأمدي، أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي، (ت: ٣٧٠هـ)، (١٩٩١م)، **المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم**، تحقيق: ف. كرنكو، ط١، دار الجيل، بيروت.

الإيجي، محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسيني الإيجي الشافعي، (ت: ٩٠٥هـ)، (٢٠٠٤م)، **تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن**، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

بابعير، عبدالله صالح بابعير، (١٩٩٧م)، **ظاهرة النيابة في العربية دراسة وصفية تحليلية**، إشراف: هادي نهر، رسالة دكتوراه، الجامعة المستنصرية، بغداد، العراق.

البوردي (غلام ثعلب)، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرز البوردي، (ت: ٣٤٥هـ)، (٢٠٠٢م)، **ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن**، تحقيق: حقه وقدم له محمد بن يعقوب التركستاني، ط١، مكتبة العلوم والحكم، السعودية، المدينة المنورة.

البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، (٢٠٠٢م)، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه صحيح البخاري**، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، دار طوق النجاة.

البسيلي، أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد البسيلي التونسي، (ت: ٣٨٠هـ)، **التقييد الكبير في تفسير كتاب الله المجيد**، كلية أصول الدين، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية.

البعليّ، أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي، (ت: ٧٠٩هـ)، (٢٠٠٣م)، **المطلع على ألفاظ المقنع**، تحقيق: محمود الأرنؤوط وياسين محمود الخطيب، ط١، مكتبة السوادي للتوزيع.

البغدادي، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت: ١٠٩٣هـ)، (١٩٩٧م)، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط٤، مكتبة الخانجي، القاهرة.

البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، (ت: ٥١٠هـ)، (١٩٩٧م)، **معالم التنزيل في تفسير القرآن، تفسير البغويّ**، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، ط٤، دار طيبة للنشر والتوزيع.

البغوي، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، (ت: ٥١٠هـ)، (١٩٨٣م)، **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد زهير الشاويش، ط٢، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت.

بيان الحق، أبو القاسم، محمود بن أبي الحسن (علي) بن الحسين النيسابوريّ الغزنوي، (ت: بعد ٥٥٣هـ)، (١٩٩٨م)، **باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن**، تحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد باقي، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

البيضاويّ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، (١٩٩٨م)، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجِرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، (٢٠٠٣م)، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُوْجِرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ)، (١٩٩٤م)، **أحكام القرآن جمع البيهقي**، كتب

هوامشه: عبد الغني عبد الخالق، قدم له: محمد زاهد الكوثري، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة.

البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرُو جَرْدِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: ٤٥٨هـ-)، (٢٠٠٣م)، **شعب الإيمان**، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريره أحاديثه: مختار أحمد الندوي، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع دار السلفية، بمومباي، بالهند.

التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (ت: ٥٠٢هـ-)، (٥١٣٥٢هـ)، **شرح القصائد العشر**، عنيت بتصحيحها وضبطها والتعليق عليها: إدارة الطباعة المنيرية.

التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (ت: ٥٠٢هـ-)، **شرح ديوان الحماسة**، (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس (ت: ٢٣١هـ) دار القلم، بيروت.

التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (ت: ٥٠٢هـ-)، (١٩٩٢م)، **شرح ديوان عنتره**، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: ٢٧٩هـ-)، (١٩٩٨م)، **الجامع الكبير، سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

التستري، أبو محمد سهل بن عبد الله بن يونس بن رفيع التستري، (ت: ٢٨٣هـ-)، (٢٠٠٣م)، **تفسير التستري**، جمعها: أبو بكر محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت.

التتوخي، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التتوخي المعري (ت: ٤٤٢هـ-)، (١٩٩٢م)، **تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين**

وغيرهم، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة، مصر.

توبة بن الحمير بن ربيعة بن كعب بن عُقيل، (٥٥٥هـ)، (١٩٩٨م)، ديوان توبة بن الحمير، عني بتحقيقه وشرحه: خليل إبراهيم العطيّة، ط١، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

التيفاشي، أبو العباس أحمد بن يوسف التيفاشي، (ت: ٦٥١هـ)، (١٩٨٠م)، سرور النفس بمدارك الحواس الخمس، ط١، هذبة: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)، تحقيق: إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان.

الثعالبي، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي، (ت: ٤٢٩هـ)، (٢٠٠٢م)، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي.

الثعالبي، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، (٥١٤١٨هـ)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: محمد علي معوض وعادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

ثعلب، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني، أبو العباس، (ت: ٢٩١هـ)، (١٩٩٥م)، قواعد الشعر، تحقيق: رمضان عبد التواب، ط٢، مكتبة الخانجي، القاهرة.

ثعلب، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني، أبو العباس، (ت: ٢٩١هـ)، (١٩٥٦م)، مجالس ثعلب، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون، ط٢، دار المعارف، القاهرة، مصر.

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق، (ت: ٤٢٧هـ)، (٢٠٠٢م)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (٢٥٥هـ)، (٩٦٦م)، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٢، دار الجيل، لبنان، بيروت.

الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار، (ت: ٤٧١هـ)، (٩٨٧م)، المفتاح في الصرف، حققه وقدم له: علي توفيق الحمّد، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

جرير بن عطية الخطفي، (١١٤هـ)، (٩٨٦م)، ديوان جرير، تحقيق: كرم البستاني، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، (١٩٩٤م)، متن طيبة النشر في القراءات العشر، تحقيق: محمد تميم الزغبى، ط١، دار الهدى، جدة.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، النشر في القراءات العشر، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، تحبير التيسير في القراءات العشر، (٢٠٠٠م)، تحقيق: أحمد محمد مفلح القضاة، دار الفرقان، الأردن، عمان، ط١.

ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (ت: ٨٣٣هـ)، شرح طيبة النشر، (٢٠٠٠م)، تحقيق الشيخ أنس مهرة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت.

الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي، (ت: ٣٧٠هـ)، (١٩٩٤م)، أحكام القرآن، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن جنى، أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلي، (ت: ٣٩٢هـ)، (١٩٩٩م)، المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، وزارة الأوقاف المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلّي، (ت: ٣٩٢هـ-)، **اللمع في العربية**، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلّي، (ت: ٣٩٢هـ-)، **الخصائص**، ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلّي، (ت: ٣٩٢هـ-)، (١٩٥٤م)، **المنصف: شرح كتاب التصريف لأبي عثمان المازني**، ط١، دار إحياء التراث القديم.

الجهضمي، القاضي أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد الأزدي البصري ثم البغدادي المالكي الجهضمي (ت: ٢٨٢هـ-)، (٢٠٠٥م)، **أحكام القرآن**، تحقيق: عامر حسن صبري، ط١، دار ابن حزم، بيروت.

الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن، أبو منصور ابن الجواليقي (ت: ٥٤٠هـ-)، **شرح أدب الكاتب**، قَدَّمَ له: مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت.

الجواليقي، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر بن الحسن، أبو منصور ابن الجواليقي (ت: ٥٤٠هـ-)، **ما جاء على فعلتُ وأفعلتُ بمعنى واحد**، تحقيق: ماجد الذهبي، دار الفكر، دمشق.

الجَوْجَرِي، شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوْجَرِي القاهري الشافعي، (ت: ٨٨٩هـ-)، (٢٠٠٤م)، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، تحقيق: نواف بن جزاء الحارثي، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ-)، (٢٠٠٢م)، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت.

ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، (ت: ٥٩٧هـ-)، (٢٠٠٤م)، **تذكرة الأريب في تفسير الغريب (غريب القرآن الكريم)**، تحقيق: طارق فتحي السيد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الجوهريّ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٥٣٩٣هـ)،
(١٩٨٧م)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور
عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت.

ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي،
الحنظلي، (ت: ٥٣٢٧هـ)، (١٩٩٩م)، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم،
تحقيق: أسعد محمد الطيب، ط٣، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية
السعودية.

حبش، محمد حبش، (١٩٩٩م)، القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني
والأحكام الشرعيّة، دار الفكر، ط١، دمشق، سوريا.

ابن حجر العسقلانيّ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر
العسقلاني (٥٨٥٢هـ)، تهذيب التهذيب، اعتناء: إبراهيم الزبيّق وعادل مرشد،
مكتب تحقيق التراث في مكتبة الرسالة، مكتبة الرسالة.

ابن حجر العسقلانيّ، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر
العسقلاني (٥٨٥٢هـ)، (١٩٥٩م)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، رقم كتبه
وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصحّحه وأشرف على
طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن
باز، دار المعرفة، بيروت.

الحربيّ، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، (٢٨٥هـ)، (١٤٠٥)، غريب
الحديث، تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد، جامعة أم القرى، ط١، مكة
المكرمة.

الحريريّ، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان، أبو محمد الحريري البصري، (ت:
٥١٦هـ)، (١٩٩٨م)، درّة الغواص في أوهام الخواص، تحقيق: عرفات
مطرجي، ط١، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

حسان بن ثابت بن المنذر، (ت: ٥٥٠هـ)، (١٩٩٤م)، ديوان حسان بن ثابت، شرحه
وكتبه هوامشه وقدم له: عبدأ علي مهنا، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت،
لبنان.

حسن، عباس حسن (ت: ١٣٩٨هـ-)، **النحو الوافي**، دار المعارف، ط١٥٠.
الحطيئة، جـرول بن أوس بن مالك، (ت: ٤٥٥هـ)، (١٩٩٣م)، **ديوان الحطيئة**، برواية
وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب: مفيد محمد قميحة، ط١، دار الكتب
العلمية، بيروت، لبنان.

حمد، غانم قدوري حمد، (٢٠٠٣م)، **محاضرات في علوم القرآن**، ط١، دار عمّار،
عمّان، الأردن.

الحملوي، أحمد بن محمد الحملوي، (ت: ١٣٥١هـ-)، **شذا العرف في فن
الصرف**، تحقيق: نصر الله عبد الرحمن نصر الله، مكتبة الرشد، الرياض.
أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، (ت:
٥٧٤٥هـ) (٢٠٠٠م)، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل،
دار الفكر، بيروت، لبنان.

ابن خالويه، الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (ت: ٣٧٠هـ-)، (١٤٠١هـ)،
الحجة في القراءات السبع، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط٤، جامعة
الكويت، دار الشروق، بيروت.

الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف
بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ-)، (١٩٨٢م)، **غريب الحديث**، تحقيق: عبد الكريم
إبراهيم الغرباوي، وخرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر.
الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف
بالخطابي (ت: ٣٨٨هـ-)، (١٩٨٥م)، **إصلاح غلط المحدثين**، تحقيق: حاتم
الضامن، ط٣، مؤسسة الرسالة.

الخطيب الإسكافي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: ٤٢٠هـ-)،
(٢٠٠١م)، **درة التنزيل و غرة التأويل**، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد مصطفى
أيدين، ط١، معهد البحوث العلميّة، جامعة أم القرى، سلسلة الرسائل العلميّة
الموصى بها (٣٠)، وزارة التعليم العالي، مكة المكرمة، السعودية.

الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب
البغدادي، (ت: ٤٦٣هـ-)، (٢٠٠٢م)، **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشار عواد
معروف، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

ابن خلّكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن
خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ-)، (١٩٧١م)، **وفيات الأعيان وأنباء**
أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط١، بيروت، لبنان.

الخليل، عبد القادر مرعي الخليل، المحاسنة، فايز المحاسنة، (٢٠٠٩م)، **التشكيل**
الصوتي للمشتقات، مجلة جامعة أم القرى لعلوم اللغات وآدابها، العدد: ١،
ص ٩٤.

الدارقطنيّ، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن
دينار البغدادي الدارقطني (ت: ٣٨٥هـ-)، (١٩٨٦م)، **المؤتلف والمختلف**،
تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت،
لبنان.

ابن أبي داوود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، أبو بكر ابن أبي
داوود، (ت: ٣١٦هـ-)، (٢٠٠٢م)، **المصاحف**، تحقيق: محمد بن عبده، ط١،
الفاروق الحديثة، القاهرة، مصر.

ابن أبي داوود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني، أبو بكر ابن أبي
داوود، (ت: ٣١٦هـ-)، **سنن أبي داود**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد
الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

الداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت: ٩٤٥هـ-)،
طبقات المفسرين للداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت، راجع النسخة وضبط
أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: ٣٢١هـ-)، (١٩٨٧م)،
جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين، بيروت.

الدليمي، أكرم عبد خليفة حمد الدليمي، (٢٠٠٦م)، جمع القرآن (دراسة تحليلية لمروياته)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الدليمي، وجدان برهان عبد الكريم الدليمي، (٢٠٠٤م)، البحث الصرفي عند الشيخ مُحَمَّد عَبْد الخالق عَضِيْمَة، رسالة ماجستير، إشراف: لطيفة عبد الرسول، قسم اللغة العربية، كلية التربية، الجامعة المستنصرية.

الدمياطي، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدميّاطي، شهاب الدين الشهير بالبناء، (ت: ١١١٧)، (٢٠٠٦م)، إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، تحقيق: أنس مهرة، ط٣، دار الكتب العلمية، لبنان.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايّماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، (١٩٩٧م)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، ط١، دار الكتب العلميّة.

الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايّماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، (١٩٨٥م)، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، ط١، مؤسسة الرسالة.

الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، (ت: ٦٠٦هـ)، (٢٠٠٠م)، مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

الرازي، بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، (ت: ٦٦٦هـ)، (١٩٩٩م)، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، ط٥، الدار النموذجية، بيروت، صيدا.

أبوراس، منصور سعيد أحمد أبوراس، (٢٠٠٥م)، اختلاف البنية الصرفية في القراءات السبع من طريق الشاطبية توجيهه، وأثره على المعنى، إشراف: مصطفى عبد الحفيظ سالم، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، السعودية.

الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، (ت: ٥٠٢هـ)، (١٩٩٢م)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت.

الربعيّ، أبو سليمان محمد بن عبد الله بن أحمد بن ربيعة بن سليمان بن خالد بن عبد الرحمن بن زبر الربعي (ت: ٣٧٩هـ-)، (١٩٩٠م)، تاريخ مولد العلماء ووفياتهم، تحقيق: عبد الله أحمد سليمان الحمد، دار العاصمة، ط١، الرياض، السعودية.

ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٤٥٦هـ)، (١٩٨١م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط٥، بيروت، لبنان.

ابن أبي الرضا الحموي، أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا، الحموي الحلبي، (ت: ٧٩١هـ)، (١٩٨٦م)، القواعد والإشارات في أصول القراءات، تحقيق: عبد الكريم بن محمد الحسن بكار، دار القلم، ط١، دمشق، سوريا.
رضي الدين الاسترابادي، محمد بن الحسن الرضي الاسترابادي، نجم الدين، (ت: ٦٨٦هـ)، (١٩٧٥م)، شرح شافية ابن الحاجب، حققها وضبط غريبها، وشرح مبهمها، محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ركن الدين الإستراباديّ، حسن بن محمد بن شرف شاه الحسيني الأسترابادي، ركن الدين (ت: ٧١٥هـ)، (٢٠٠٤م)، شرح شافية ابن الحاجب، تحقيق: عبد المقصود محمد عبد المقصود، ط١، مكتبة الثقافة الدينية

الرمانيّ، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي، (ت: ٣٨٤هـ)، رسالة الحدود، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان.
الرمانيّ، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني المعتزلي، (ت: ٣٨٤هـ)، رسالة منازل الحروف، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان.

ذو الرُّمة، غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدويّ، أبو الحارث، ذو الرُّمة، (ت: ٥١١٧هـ)، (٢٠٠٦م)، ديوان ذي الرُّمة، اعتنى به وشرح غريبه: عبد الرحمن المصطاوي، ط١، دار المعرفة، بيروت.

أبو ريش أحمد بن إبراهيم القيسي، (١٩٨٦م)، شرح هاشميات الكميت، تحقيق: داوود سلوم ونوري حمودّي القيسي، ط٢، مكتبة النهضة العربية، بيروت.

فريد بن عبد العزيز الزامل السليم، (١٤٢٧هـ)، الخلاف التصريفي وأثره في القرآن الكريم، إشراف: عبد الجبار توامي، دار ابن الجوزي، ط١، المملكة العربية السعودية.

الزاملّي، مجيد خير الله راهي الزاملّي، (٢٠٠٢م)، أبو البقاء العكبري صرفياً، إشراف: هاشم طه شلاش، رسالة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة القادسية.

الزبيديّ، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، (ت: ١٢٠٥هـ)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

الزرقانيّ، محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط٣.

الزركشيّ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، (ت: ٧٩٤هـ)، (١٩٥٧م)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، القاهرة، مصر.

الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، (ت: ٣١١هـ)، (١٩٨٨م)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب، بيروت.

ابن الزكي، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعيّ الكلبّي المزي (ت: ٧٤٢هـ)، (١٩٨٠م)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، الكشاف، ط٣، دار الكتاب العرب، بيروت، لبنان.

الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، (١٩٩٣م)، **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقيق: علي بو ملحم، ط١، مكتبة الهلال، بيروت.

الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، **الفائق في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، دار المعرفة، لبنان.

الزمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، (١٩٩٨م)، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن أبي زمنين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، (ت: ٣٩٩هـ-)، (٢٠٠٢م)، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، ط١، الفاروق الحديثة، مصر، القاهرة.

ابن زنجلة، عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة، (ت: ٤٠٣هـ)، (د.ت)، **حجة القراءات**، حققه وعلق حواشيه: سعيد الأفغانيّ، دار الرسالة، بيروت، لبنان.

زهير بن أبي سلمى، زهير بن أبي سلمى ربيعة بن رياح المزني، (١٩٨٨م)، **ديوان زهير بن أبي سلمى**، شرحه وقدم له، علي حسن فاعور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الزوزنيّ، حسين بن أحمد بن حسين الزوزنيّ، أبو عبد الله (ت: ٤٨٦هـ-)، (٢٠٠٢م)، **شرح المعلقات السبع**، دار إحياء التراث العربي، ط١.

الزيلعيّ، جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد (ت: ٧٦٢هـ-)، (١٩٩٤م)، **تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في تفسير الكشاف للزمخشري**، ط١، تحقيق: عبد الله بن عبد الرحمن السعد، دار ابن خزيمة، الرياض، السعودية.

الزيلي، عثمان بن علي بن محجن البارعي، فخر الدين الزيلي الحنفي (ت: ٧٤٣ هـ)، **تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق وحاشية الشلبي**، المطبعة الكبرى الأميرية، ط١، بولاق، القاهرة.

الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشحي أبو الحسن، (ت: ٥٧٤١هـ)، (١٩٩٥م)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، وتصحيح: محمد علي شاهين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

السبكي، عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل، (ت: ٥٤٤هـ)، **مشارك الأنوار على صحاح الآثار**، المكتبة العتيقة ودار التراث.

السجستاني، محمد بن عزير السجستاني، أبو بكر العزيري، (ت: ٣٣٠هـ)، (١٩٩٥م)، **غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب**، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، ط١، دار قتيبة، سوريا.

السّخاويّ، علم الدين علي بن محمد أبي الحسن السّخاوي، (ت: ٦٤٣هـ)، **فتح الوصيد في شرح القصيد**، دراسة وتحقيق: أحمد عدنان الزعبي، مكتبة دار البيان، الكويت.

ابن السّراج، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي، (ت: ٣١٦هـ)، **الأصول في النحو**، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
السّرقسطي، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السّرقسطي، أبو محمد (ت: ٣٠٢هـ)، (٢٠٠١م) **الدلائل في غريب الحديث**، تحقيق: محمد بن عبد الله القنّاص، ط١، مكتبة العبيكان، الرياض.

ابن سعد، أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي (ت: ٢٣٠هـ)، (١٩٦٨م)، **الطبقات الكبرى**، تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار صادر، بيروت، لبنان.

السعديّ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت: ١٣٧٦هـ)، (٢٠٠٠م)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة.

أبو السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

أبو سعيد السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين، (١٩٦٥م)، ديوان الهذليين، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.

سفيان الثوري، أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي (ت: ١٦١هـ) (١٩٨٣م)، تفسير الثوري، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، (ت: ٢٤٤هـ)، (٢٠٠٢م)، إصلاح المنطق، تحقيق: محمد مرعب، ط١، دار إحياء التراث العربي.

ابن السكيت، عبد الوهاب بن يوسف بن إبراهيم، ابن السكيت الشافعي (ت: ٧٨٢هـ)، (٢٠٠٣م)، طبقات القراء السبعة وذكر مناقبهم وقراءاتهم، تحقيق: أحمد محمد عزوز، ط١، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي، (ت: ٤٨٩هـ)، (١٩٩٧م)، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، دار الوطن، الرياض، السعودية.

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الفقيه الحنفي، (ت: ٣٧٣هـ)، بحر العلوم، تحقيق: محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.

السمين الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم (ت: ٧٥٦هـ)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

السندي، أبو طاهر عبد القيوم عبد الغفور السندي، (١٩٩٥م)، صفحات في علوم القراءات، المكتبة الأمدادية، ط١.

السهيبي، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيبي (ت: ٥٨١هـ)، (١٩٩٢م)، نتائج الفكر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

- سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، أبو بشر، (ت: ١٨٠هـ)، (١٩٨٨م)،
الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت: ٤٥٨هـ)،
(٢٠٠٠م)، **المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق:** عبد الحميد هنداوي، ط١، دار
الكتب العلمية، بيروت.
- ابن سيده، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، (ت: ٤٥٨هـ)،
(١٩٩٦م)، **المخصص، تحقيق:** خليل إبراهيم جفال، ط١، دار إحياء التراث
العربي، بيروت.
- السيرافي، يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان أبو محمد السيرافي،
(ت: ٣٨٥هـ)، (١٩٧٤م)، **شرح أبيات سيبويه، تحقيق:** محمد علي الريح
هاشم، راجعه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.
- السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (ت: ٤٨٣هـ)،
(١٩٩٣م)، **المبسوط، دار المعرفة، بيروت.**
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، **مع
الهوامع في شرح جمع الجوامع، تحقيق:** عبد الحميد هنداوي، المكتبة
التوفيقية، مصر.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)،
(١٩٩٨م)، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق:** فؤاد علي منصور،
ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)، **الدرّ
المنثور في التفسير بالمأثور، دار الفكر، بيروت.**
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، (ت: ٩١١هـ)،
(١٩٨٨م)، **معتك الأقران في إعجاز القرآن، دار الكتب العلمية، ط١،
بيروت، لبنان.**

بنت الشَّاطِيَّة، عائشة محمد علي عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرقي، ط ٣، دار المعارف.

الشَّافِعِيَّ، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، (ت: ٢٠٤هـ-)، (٢٠٠٦م)، تفسير الإمام الشافعي، جمع وتحقيق ودراسة: أحمد بن مصطفى الفرَّان، دار التدمرية، ط ١، المملكة العربية السعودية.

الشَّافِعِيَّ، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي، (ت: ٢٠٤هـ-)، (١٩٩٠م)، الأم، دار المعرفة، بيروت.

أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، (ت: ٦٦٥هـ-)، إبراز المعاني من حرز الأمان، دار الكتب العلمية. أبو شامة، أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، (ت: ٦٦٥هـ-)، المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، (١٩٧٥م)، تحقيق: طيار آلتى قولاج، دار صادر، بيروت، لبنان.

ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، (ت: ٥٤٢هـ-)، ما لم ينشر من الأمالي الشجرية، تحقيق: حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة، (ت: ٥٤٢هـ-)، مختارات شعراء العرب لابن الشجري، ضبطها وشرحها: محمود حسن زناتي، ط ١، مطبعة الاعتماد، مصر.

الشريبي الشافعي، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشريبي الشافعي (ت: ٩٧٧هـ-)، (١٢٨٥هـ-)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، مطبعة بولاق (الأميرية)، القاهرة.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، (ت: ١٣٩٣هـ-)، (١٩٩٥م)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

الشمّاخ، الشمّاخ بن ضرار بن حرملّة بن ذبيان الغطفاني، (ت: ٥٢٢هـ)، ديوان الشمّاخ بن ضرار الذبياني، حققه وشرحه: صلاح الدين الهادي، دار المعرف، مصر.

الشمّري، شيماء متعب محمود الشمّريّ، (٢٠٠٥م)، أبنية الصرف في تفسير روح المعاني لأبي الثناء الألوّسي، دراسة صرفية دلالية، رسالة ماجستير، إشراف: خديجة زبار عنيزان الحمداني، قسم اللّغة العربيّة، كليّة الآداب، جامعة بغداد.

الشمري، مبروك حمود الشمري، (٢٠٠١م)، القراءات العشر المختلفة في العلامة الإعرابيّة وأثر ذلك في المعنى من خلال كتاب النّشر لابن الجزري، إشراف: سعد حمدان الغامدي، رسالة ماجستير.

شندي، إسماعيل شندي، عبد الباسط، تقي الدين عبد الباسط، (٢٠٠٤)، القراءات القرآنية وأثرها في اختلاف الفقهاء، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات، الخليل، ص ١٢-١٥.

شهاب الدين الشافعي، أحمد بن إسماعيل بن عثمان الكوراني، شهاب الدين الشافعيّ ثم الحنفي (ت: ٨٩٣هـ-)، (٢٠٠٧م)، غاية الأمان في تفسير الكلام الرباني، دراسة وتحقيق: محمد مصطفى كوكصو، جامعة صاقريا كلية العلوم الاجتماعيّة، تركيا.

أبو شُهبة، محمد بن محمد بن سويلم أبو شُهبة، (٢٠٠٣م)، المدخل لدراسة القرآن الكريم، مكتبة السنة، ط٢، القاهرة، مصر.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: ١٢٥٠)، (١٤١٤هـ)، فتح القدير، ط١، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.

الشيبياني، أبو عمرو إسحاق بن مرّار الشيباني، (ت ٢٠٦هـ-)، (٢٠٠١م)، شرح المعلقات التسع، تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان الكوفيّ العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، (١٩٨٩م)، **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ط١، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان الكوفيّ العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، (١٩٩٧م)، **مسند ابن أبي شيبة**، تحقيق: عادل بن يوسف العزازي وأحمد بن فريد المزدي، ط١، دار الوطن، الرياض.

ابن الصائغ، محمد بن حسن بن سباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، (ت: ٧٢٠هـ)، (٢٠٠٤م)، **اللمحة في شرح الملحة**، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

الصبان، أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي، (ت: ١٢٠٦هـ)، (١٩٩٧م)، **حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك**، ط١، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان.

الصابوني، محمد علي الصابوني، (١٩٨١م)، **مختصر تفسير ابن كثير**، اختصار وتحقيق: محمد علي الصابوني، ط٧، دار القرآن الكريم، بيروت، لبنان.

الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، (٢٠٠٢م)، **تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم**، عمادة البحث العلمي، ط١، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

الصفاقسي، علي بن محمد بن سالم، أبو الحسن النوري الصفاقسي المقرئ المالكي (ت: ١١١٨هـ)، (٢٠٠٤م)، **غيث النفع في القراءات السبع**، تحقيق: أحمد محمود عبد السميع الشافعي الحفيان، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، (١٩٨٧م)، **تصحیح التصحيف وتحريير التحريف**، حققه وعلق عليه وصنع فهرسه: السيد الشرقاوي، راجعه: رمضان عبد التواب، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة.

أبو طالب، المفضل بن سلمة بن عاصم، أبو طالب (ت: نحو ٢٩٠هـ)، (١٩٦٠م)،
الفاخر، تحقيق: عبد العليم الطحاوي، مراجعة: محمد علي النجار، ط١، دار
إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللّخميّ الشّاميّ، الطبراني
(ت: ٣٦٠هـ)، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط٢،
مكتبة ابن تيمية، القاهرة، مصر.

الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللّخميّ الشّاميّ، الطبراني
(ت: ٣٦٠هـ)، (١٩٨٥م)، المعجم الصغير، تحقيق: محمد شكور محمود
الحاج أمرير، ط١، المكتب الإسلامي، بيروت، دار عمّار، عمّان.

الطّبرسيّ، أمين الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن الطّبرسيّ، (ت: ٥٨٤هـ)،
(١٩٩٥م)، تفسير مجمع البيان في تفسير القرآن، حققه وعلق عليه: لجنة من
العلماء والمحققين الاخصائيين، قدم له الإمام الأكبر السيّد محسن الأمين
العالمي، ط١، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان.

الطّبريّ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري،
(ت: ٣١٠هـ)، (٢٠٠٠م)، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد
محمد شاكر، ط١، مؤسّسة الرسالة.

الطحاويّ، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي
الحجري المصري، (ت: ٣٢١هـ)، (١٩٩٥م)، أحكام القرآن، تحقيق: سعد
الدين أونال، مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، ط١،
اسطنبول.

طفيل الغنوي، طفيل بن عوف الغنوي، (١٩٩٧م)، ديوان طفيل الغنوي، شرح:
الأصمعي، تحقيق: حسان فلاح أوغلي، ط١، دار صادر، بيروت.

الطوسيّ، أبو جعفر محمد بن الحسن، (ت: ٤٦٠هـ)، (١٩٨٩م)، التبيان في
تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العالمي، ط١، دار
إحياء التراث العربي.

ابن عادل، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، (ت: ٧٧٥هـ-)، (١٩٩٨م)، اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، (ت: ١٣٩٣هـ)، (١٩٨٤م)، التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس.

عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، (ت: ٢١١هـ-)، (١٩٩٩م)، تفسير عبد الرزاق، دراسة وتحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت.

العبيد، علي بن سليمان العبيد، جمع القرآن الكريم حفظاً وكتابةً، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، السعودية.

أبو عبيد، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ-)، (٢٠٠٣م)، غريب الحديث، منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

أبو عبيد، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ-)، (١٩٨٠م)، الأمثال، تحقيق: عبد المجيد قطامش، ط١، دار المأمون للتراث.

أبو عبيد، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي (ت: ٢٢٤هـ-)، (١٩٩٥م)، فضائل القرآن، تحقيق: مروان العطية ومحسن خرابة ووفاء تقي الدين، ط١، دار ابن كثير، دمشق، بيروت.

أبو عبيد البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، (ت: ٤٨٧هـ-)، سمط اللآلي في شرح أمالي القالي، نسخه وصححه ونقحه وحقق ما فيه واستخرجه من بطون دواوين العلم: عبد العزيز الميمني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

أبو عبيدة، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، (ت: ٢٠٩هـ-)، (١٩٦١م)، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فواد سزكين، ط١، مكتبة الخانجي، القاهرة.

العجاج، عبد الله بن روبة بن لبيد بن صخر السعدي التميمي أبو الشعثاء، ديوان العجاج، رواية عبد الملك بن قريب الأصمعي وشرحه، تحقيق: عبد الحفيظ السطلي، مكتبة مروان العطيّة، مكتبة أطلس، دمشق.

عديّ بن زيد بن مالك بن عدي الرّقاع العاملي، (١٩٨٧م) برواية: أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب الشيباني، (ت: ٢٩١هـ)، ديوان شعر عديّ بن الرّقاع العاملي، تحقيق: نوري حمود القيسي وحاتم صالح الضامن، مطبعة المجمع العلمي العراقي.

ابن العربيّ، القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي، (ت: ٥٤٣هـ)، (٢٠٠٣م)، أحكام القرآن، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن عرفة، محمد بن محمد ابن عرفة الورغمي التونسي المالكي، أبو عبد الله (ت: ٨٠٣هـ)، (٢٠٠٨م)، تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

العز بن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، (ت: ٦٦٠هـ)، (١٩٩٦م)، تفسير القرآن (وهو اختصار لتفسير الماوردي)، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط١، دار ابن حزم، بيروت.

أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو ٣٩٥هـ)، (٢٠٠٧م)، الوجوه والنظائر، حققه وعلق عليه: محمد عثمان، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو ٣٩٥هـ)، (١٩٨٤م)، المصون في الأدب، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط٢، مطبعة حكومة الكويت.

أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو ٣٩٥هـ)، (١٩٩٦م)، التلخيص في معرفة

أسماء الأشياء، عني بتحقيقه: عزة حسن، ط٢، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، سوريا.

أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو ٣٩٥هـ)، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

أبو هلال العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، (ت: نحو ٣٩٥هـ)، (١٩٩٩م)، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية، بيروت.

العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي، (ت: ١١١١هـ)، (١٩٩٨م)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، الحضرمي الإشبيلي، أبو الحسن، (ت: ٦٦٩هـ)، (١٩٨٠م)، ضرائر الشعر، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، ط١، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.

ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، الحضرمي الإشبيلي، أبو الحسن، (ت: ٦٦٩هـ)، (١٩٩٦م)، الممتع الكبير في التصريف، مكتبة لبنان، ط١.

ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، (١٤٢٢هـ)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري، (ت: ٧٦٩هـ)، (١٩٨٠م)، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢٠، دار التراث، القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، (ت: ٦١٦هـ)، (د ت)، التبيان في إعراب القرآن، علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، (ت: ٥١٦هـ)،
(١٩٧٩م)، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع
القرآن، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، (ت: ٥١٦هـ)،
(١٩٩٥م)، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: عبد الإله الزنهان، ط١،
دار الفكر، دمشق.

أبو العلاء الحنبلي، محمد بن أبي المحاسن محمود بن أبي الفتح محمد بن أبي شجاع
أحمد الكرمانى، أبو العلاء الحنفى (ت: بعد ٥٦٣هـ)، (٢٠٠١م)، مفاتيح
الأغاني في القراءات والمعاني، دراسة وتحقيق: عبد الكريم مصطفى مدلج،
تقديم: محسن عبد الحميد، ط١، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع،
بيروت، لبنان.

أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم بن عيّنون بن هارون بن عيسى بن محمد بن
سلمان (ت: ٣٥٦هـ)، (١٩٢٦م)، الأمالي، شذور الأمالي، النوادر، عني
بوضعها وترتيبها: محمد عبد الجواد الأصمعي، ط٢، دار الكتب المصرية.
ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح
(ت: ١٠٨٩هـ)، (١٩٨٦م)، الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود
الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، ط١، دار ابن كثير، دمشق،
سوريا.

عمر، أحمد مختار عمر، (٢٠٠٨م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب،
ط١.

أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، (ت: ٤٤٤هـ)، (١٩٨٨م)،
الأحرف السبعة للقرآن، تحقيق: عبد المهيمن طحان، ط١، مكتبة المنارة،
السعودية.

أبو عمرو الداني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، (ت: ٤٤٤هـ)، (١٩٨٤م)،
التيسير في القراءات السبع، تحقيق: اوتو تريزل، ط١، دار الكتاب العربي،
بيروت، لبنان.

أبو عمرو الدّاني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، (ت: ٤٤٤هـ)، (٢٠٠٧م)،
جامع البيان في القراءات السّبع، تحقيق: عبد المهيم عبد السلام الطحان
وظلحة محمد توفيق وسامي عمر إبراهيم وخالد علي الغامدي، ط١، جامعة
الشارقة، الإمارات، (أصل الكتاب رسائل ماجستير من جامعة أم القرى وتم
التنسيق بين الرسائل وطباعتها بجامعة الشارقة).

أبو عمرو الدّاني، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر، (ت: ٤٤٤هـ)، **المقنع في
رسم مصاحف الأمصار**، تحقيق: محمد الصادق قمحاوي، مكتبة الكليات
الأزهرية، القاهرة، مصر.

عمرو بن كلثوم، أبو عباد عمرو بن كلثوم بن مالك، (١٩٩٦م)، **ديوان عمرو بن
كلثوم**، جمعه وحقّقه وشرحه: إميل حداد يعقوب، ط٢، دار الكتاب العربي،
بيروت.

العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي
بدر الدين العيني (ت: ٨٥٥هـ)، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، دار
إحياء التراث العربي، بيروت.

الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، (ت: ١٣٦٤هـ)، (١٩٩٣م)، **جامع
الدروس العربية**، المكتبة العصرية، ط٢٨، صيدا، بيروت.

الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت: ٣٥٠هـ)،
(٢٠٠٣م)، **معجم ديوان الأدب**، تحقيق: أحمد مختار عمر، مراجعة: إبراهيم
أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (ت:
٣٩٥هـ)، (١٩٧٩م)، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون،
دار الفكر.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (ت:
٣٩٥هـ)، (١٩٨٦م)، **مجل اللغة**، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان،
ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، (ت: ٥٣٩٥هـ)، (١٩٩٧م)، **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها**، نشره محمد علي بيضون، ط١.

الفارسي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، أبو علي، (ت: ٣٧٧هـ)، (١٩٩٣م)، **الحجّة للقراء السبعة**، تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، ط٢، دار المأمون للتراث، دمشق، بيروت.

أبو الفداء، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، (ت: ١٢٧هـ)، **روح البيان**، دار الفكر، بيروت.

الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، (ت: ٥٢٠٧هـ)، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، ط١، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر.

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، (ت: ١٧٠هـ)، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

الفرزدق، همام بن غالب بن صعصعة بن دارم، (ت: ١١٤هـ)، (١٩٨٧م)، **ديوان الفرزدق**، شرحه وضبطه وقدم له: علي فاعور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن فورك، أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، (ت: ٤٠٦هـ)، (٢٠٠٩م)، **تفسير القرآن العظيم**، دراسة وتحقيق: علال عبد القادر بندويش، ط١، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت: ٨١٧هـ)، (٢٠٠٥م)، **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت: ٨١٧هـ)،
(١٩٩٦م)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق: محمد علي
النّجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة، لجنة إحياء التّراث الإسلاميّ،
القاهرة.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت: ٨١٧هـ)،
تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، لبنان.

الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، (ت: ٨١٧هـ)،
(٢٠٠٠م)، البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، ط١، دار سعد الدين للطباعة
والنشر والتوزيع.

الفيوميّ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو
٧٧٠هـ)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.

القادوسيّ، عبد الرازق بن حمودة القادوسي، (٢٠١٠م)، أثر القراءات القرآنية في
الصناعة المعجمية تاج العروس نموذجاً، رسالة دكتوراه، إشراف: رجب عبد
الجواد إبراهيم، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة حلوان.

القاضي، عبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي، البدور الزاهرة في القراءات
العشر المتواترة من طريقي الشاطبية والدرة - القراءات الشاذة وتوجيهها
من لغة العرب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ)،
(١٩٧٨م)، غريب القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ)، تأويل
مشكل القرآن، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ)، الجرائم،
تحقيق: محمد جاسم الحميدي، قدم له: مسعود بوبو، وزارة الثقافة، دمشق.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ)،
(١٩٩٢م)، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، الهيئة المصرية العامة
للكتاب، القاهرة، مصر.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ)،
(١٩٩٨م)، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ)، أدب
الكاتب، تحقيق: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة.

ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت: ٢٧٦هـ)،
(١٩٨٣م)، الشعر والشعراء، دار الحديث، القاهرة.

ابن قدامة، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة الجماعلي
المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي، (ت: ٦٢٠هـ)، (١٩٦٨م)، المغني، مكتبة
القاهرة.

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي
شمس الدين القرطبي، (ت: ٦٧١هـ)، (١٩٦٤م)، الجامع لأحكام القرآن، تفسير
القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية،
القاهرة، مصر.

القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت: ١٧٠هـ)، جمهرة أشعار
العرب، حققه وضبطه وزاد في شرحه: علي محمد البجادي، نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع.

القضاة، محمد أحمد مفلح القضاة، شكري، أحمد خالد شكري، منصور، محمد خالد
منصور، (٢٠٠١م)، مقدمات في علم القراءات، دار عمار، ط١، عمان،
الأردن.

ابن القَطَّاع، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، (ت: ٥١٥هـ) (١٩٨٣م)،
كتاب الأفعال، ط٣، عالم الكتب.

القطامي، عمير بن شبيب بن عبّاد (ت: ١٠١هـ) (١٩٦٠م)، ديوان القطامي، تحقيق:
إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب، ط١، دار الثقافة، بيروت، لبنان.

قطب، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، (١٩٩٢م)، في ظلال
القرآن، دار الشروق، ط١٧، بيروت، القاهرة.

القفطيّ، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطيّ (ت: ٦٤٦هـ)، (١٩٨٦م)،
إنباه الرواة على أنباه النحاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار

الفكر العربي، القاهرة، مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
القنوجي، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني
البخاري القنوجي، (ت: ١٣٠٧هـ)، (١٩٩٢م)، فتح البيان في مقاصد
القرآن، عني بطبعه وقدم له وراجعته: خادم العلم عبد الله بن إبراهيم
الأنصاري، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا، بيروت.

القيسي، أبو رياش أحمد بن إبراهيم القيسي، (١٩٨٦م)، شرح هاشميات الكميت،
تحقيق: داوود سلوم ونوري حمودّي القيسي، ط٢، مكتبة النهضة العربية،
بيروت.

القيسي، أبو علي الحسن بن عبد الله القيسي، (ت: ٥٦٧هـ)، (١٩٨٧م)، إيضاح
شواهد الإيضاح، دراسة وتحقيق: محمد بن حمود الدعجاني، ط١، دار الغرب
الإسلامي، بيروت، لبنان.

القيشيريّ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ)، لطائف
الإشارات، تفسير القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، ط٣، الهيئة المصرية
العامة للكتاب، مصر.

الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (ت:
٥٨٧هـ)، (١٩٨٦م)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ط٢، دار الكتب
العلمية.

كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر بن عويمر (ت: ١٠٥هـ)، (١٩٧١م)،
ديوان كُثير عزة، شرحه وحققه: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت،
لبنان.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي،
(ت: ٧٧٤هـ)، (١٩٩٩م)، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق: محمد
حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون،
بيروت.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي،
(ت: ٧٧٤هـ)، (١٩٩٦م)، فضائل القرآن، ط١، مكتبة ابن تيمية.

الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، (ت:
٥٠٥هـ)، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية،
جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.

الكرماني، محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، (ت:
٥٠٥هـ)، البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، تحقيق: عبد
القادر أحمد عطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة.

كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، (٢٦هـ)، (١٩٩٧م)، ديوان كعب بن زهير،
حققه وشرحه وقدم له: علي الفاعوري، منشورات محمد علي بيضون، دار
الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني القريني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت:
١٠٩٤هـ)، الكليات، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة
الرسالة، بيروت.

الكُميت بن زيد بن الأخنس (٢٢٦هـ)، (٢٠٠٠م)، ديوان الكُميت بن زيد الأسيدي،
جمع وشرح وتحقيق: محمد نبيل طريفي، ط١، دار صادر، بيروت.

كوليبالي سيكو، طبيعة الاختلاف بين القراء العشرة وبيان ما انفرد بقراءته كل
منهم " من خلال إعراب القرآن وتفسيره"، رسالة ماجستير.

الکيا الهراسي، علي بن محمد بن علي، أبو الحسن الطبري، (ت: ٥٠٤هـ)،
(١٩٨٥م)، أحكام القرآن، تحقيق: موسى محمد علي وعزة عبد عطية، ط٢،
دار الكتب العلمية، بيروت.

ليبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، (ت: ٤١هـ)، (٢٠٠٤م)، ديوان ليبيد
بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدو طمّاس، ط١، دار المعرفة.

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت: ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه،
تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي
الخطبي.

المالقي، أحمد بن عبد النور المالقي (٥٧٠٢هـ)، **رصف المباني في شرح حروف المعاني**، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق.

ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجباني، أبو عبد الله، جمال الدين، (ت: ٦٧٢هـ)، **شرح الكافية الشافية**، تحقيق: عبد المنعم أحمد هريدي، ط١، جامعة أم القرى مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، مكة المكرمة.

ابن مالك، محمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجباني، أبو عبد الله، جمال الدين، (ت: ٦٧٢هـ)، (٢٠٠٢م)، **إيجاز التعريف في علم التصريف**، تحقيق: محمد المهدي عبد الحي عمار سالم، ط١، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: ٤٥٠هـ)، **تفسير الماوردي، النكت والعيون**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، (ت: ٤٥٠هـ)، (١٩٩٩م)، **الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي وهو شرح مختصر المزني**، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ)، (٢٠٠٥م)، **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، تحقيق: مجدي باسلوم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، (ت: ٢٨٥هـ)، (١٩٩٧م)، **الكامل في اللغة والأدب**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٣، دار الفكر العربي، القاهرة.

المبرد، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، (ت: ٢٨٥هـ)، **المقنضب**، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت.

المتنبي، أبو الطيّب أحمد بن الحسين الجعفي، (ت: ٥٣٥٤هـ)، (١٩٨٣م)، ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت.

مجاهد، أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ)، (١٩٨٩م)، تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر.

أبو محجن بن حبيب بن عمرو الثَّقَفي، ديوان أبو محجن الثَّقَفي، بشرح: أبو هلال العسكري، مطبعة الأزهار البارونية، مصر.

محمد، أحمد سعد محمد، (١٩٩٧م) التَّوَجِيه البَلاغِيّ للقراءات القرآنيّة، مكتبة الآداب، القاهرة.

محيسن، محمد محمد محمد سالم محيسن (ت: ١٤٢٢هـ)، (١٩٩٧م)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، ط١، دار الجيل، بيروت.

محيسن، محمد محمد محمد سالم محيسن (ت: ١٤٢٢هـ)، (١٩٨٤م)، القراءات وأثرها في علوم العربية، ط١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

المخلّص، محمد بن عبد الرحمن بن العباس بن عبد الرحمن بن زكريا البغدادي المخلّص، (ت: ٣٩٣هـ)، (٢٠٠٨م)، المخلصيات وأجزاء أخرى لأبي طاهر المخلص، تحقيق: نبيل سعد الدين جرار، ط١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية لدولة قطر.

المراديّ، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ)، (٢٠٠٨م)، توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك، شرح وتحقيق: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي.

المراديّ، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت: ٧٤٩هـ)، (١٩٩٢م)، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق:

فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت: ٤٢١هـ)، (٢٠٠٣م)، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ابن أبي مريم، نصر بن علي بن محمد، أبي عبدالله، الشيرازي الفارسي (ت: ٥٦٥هـ)، (١٩٨٨م)، الكتاب الموضح في وجوه القراءات وعللها، تحقيق: عمر حمدان الكبيسي، إشراف: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية.

مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

المفضل الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، (ت: نحو ١٦٨هـ)، المفضليات، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط٦، دار المعارف، القاهرة.

مقاتل بن سليمان، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي، (ت: ١٥٠هـ)، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، ط١، دار إحياء التراث، بيروت.

ابن مقبل، تميم بن أبي مُقْبَل بن عوف، (١٩٩٥م)، ديوان ابن مقبل، عني بتحقيقه: عزّة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان.

مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، (ت: ٤٣٧هـ)، (٢٠٠٨م)، الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، بإشراف: الشاهد البوشيخي، ط١، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الشارقة.

مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمَّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، (ت: ٤٣٧هـ)، الإبانة عن معاني القراءات، تحقيق: عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

مكي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي، (ت: ٥٤٣٧هـ)، (١٩٨٥م)، **مشكل إعراب القرآن**، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ابن المنذر، أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري، (ت: ٣١٩هـ)، (٢٠٠٢م)، **كتاب تفسير القرآن**، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، حققه وعلق عليه: سعد بن محمد السعد، ط١، دار المآثر.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، (ت: ٧١١هـ)، (٤١٤م)، **لسان العرب**، ط٣، دار صادر، بيروت.

الموسوعة الفقهية الكويتية، (١٩٩٧م)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط٢، دار السلاسل الكويت، ج١٨، ص٣٢٥.

الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، (ت: ٥١٨هـ)، **مجمع الأمثال**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

النحاس، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، (ت: ٣٣٨هـ)، (٢٠٠١م)، **إعراب القرآن**، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

النحاس، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، (ت: ٣٣٨هـ)، (١٩٨٩م)، **معاني القرآن**، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

النحاس، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي، (ت: ٣٣٨هـ)، النحاس، (١٩٨٨م)، **الناسخ والمنسوخ**، تحقيق: محمد عبد السلام محمد، ط١، مكتبة الفلاح، الكويت.

النخجواني، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، (ت: ٩٢٠هـ)،
(١٩٩٩م)، الفواتح الإلهية والمفاتيح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم

الفرقانية، ط١، دار ركابي للنشر الخورية، مصر.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي،
(ت: ٣٠٣هـ)، (٢٠٠١م)، السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد

المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرنؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن

التركي، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، (ت:
٧١٠هـ)، (١٩٩٨م)، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه

وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو،

ط١، دار الكلم الطيب، بيروت.

النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي، (ت:
٧١٠هـ)، (١٣١١هـ)، طلبية الطلبة، المطبعة العامرة، مكتبة المثنى ببغداد.

نشوان بن سعيد الحميري اليمني، (ت: ٥٧٣هـ)، (١٩٩٩م)، شمس العلوم ودواء
كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين بن عبد الله العمري، مطهر بن علي

الإرياني، يوسف محمد عبد الله، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

نُصَيْبُ بن رباح، (٥١٠٨هـ)، (١٩٦٧م)، شعر نصيب بن رباح، جمع وتقديم: داوود
سلّوم، مكتبة مروان العطيّة، مطبعة الإرشاد، بغداد.

النماس، مصطفى أحمد النماس، بحث في صيغة أفعال بين النحويين واللغويين
واستعمالاتها في العربية، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد: ٥٣، المدينة

المنورة، ص ٢٣٧.

النمر بن تولب بن زهير بن أقيش، (٢٠٠٠م)، ديوان النمر بن تولب العُكْلِي، جمع
وشرح تحقيق: محمد نبيل طريقي، ط١، دار صادر، بيروت.

النهرواني، أبو الفرج المعافى بن زكريا بن يحيى الجريري النهرواني، (ت:
٣٩٠هـ)، (٢٠٠٥م)، المجلس الصالح الكافي والأئيس الناصح الشافي،

تحقيق: عبد الكريم سامي الجندي، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، لبنان.

النُّويّ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، (ت: ٦٧٦هـ-)، (١٩٨٨م)، تحرير
ألفاظ التنبيه، تحقيق: عبد الغني الدقر، ط١، دار القلم، دمشق، سوريا.

النُّويّ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، (ت: ٦٧٦هـ-)، (١٩٩٤م)، التبيان
في آداب حملة القرآن، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، ط٣، دار ابن حزم
 للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

النُّويّري، محمد بن محمد بن محمد، أبو القاسم، محب الدين النُّويّري (ت:
٨٥٧هـ-)، (٢٠٠٣م)، شرح طيبة النشر في القراءات العشر، تقديم وتحقيق:
مجدي محمد سرور سعد باسلوم، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

النيسابوري، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، (ت:
٨٥٠هـ-)، (١٤١٦م)، غرائب القرآن ورجائب الفرقان، تحقيق: الشيخ زكريا
 عميرات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت.

ابن الهائم، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن
الهائم (ت: ٨١٥هـ-)، (١٤٢٣هـ-)، التبيان في تفسير غريب القرآن، تحقيق:
ضاحي عبد الباقي محمد، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

أبو سهل الهروي، محمد بن علي بن محمد، (ت: ٤٣٣هـ-)، (٢٠٠٠م)، إسفار
الفصح، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، ط١، عمادة البحث العلمي
بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال
الدين، ابن هشام، (ت: ٧٦١هـ-)، شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب،
تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال
الدين، ابن هشام، (ت: ٧٦١هـ-)، (١٩٨٥)، مغني اللبيب عن كتب الأعراب،
تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط٦، دار الفكر، دمشق.

الهوريني، نصر يونس الوفائي الهوريني (ت: ١٢٩١هـ-)، (٢٠٠٥م)، المطالع
النصرية للمطابع المصرية في الأصول الخطية، تحقيق وتعليق: طه عبد
المقصود، ط١، مكتبة السنة، القاهرة.

الهيثميّ، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (ت: ٨٠٧هـ-)،
(١٩٩٤م)، **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة
القدسي، القاهرة.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري،
الشافعي، (ت: ٤٦٨هـ)، (١٩٩٤م)، **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، وتعليق:
عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، أحمد محمد صيرة، أحمد عبد
الغني الجمل، عبد الرحمن عويس، قدمه: عبد الحي الفرماوي، ط١، دار
الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري،
الشافعي، (ت: ٤٦٨هـ)، (١٩٩٥م)، **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق:
صفوان عدنان داوودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت.

ابن الورّاق، محمد بن عبد الله بن العباس، أبو الحسن، ابن الورّاق، (ت: ٣٨١هـ-)،
(١٩٩٩م)، **علل النحو**، تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، ط١، مكتبة
الرشد، الرياض، السعودية.

ياقوت الحمويّ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت:
٦٢٦هـ-)، (١٩٩٣م)، **معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**،
تحقيق: إحسان عباس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.

يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، (ت: ٢٠٠هـ-)، (١٩٧٩م)،
التصارييف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسماؤه وتصرفت معانيه، قدمت له
وحققته: هند شلبي، الشركة التونسية للتوزيع.

أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي،
الموصلي، (ت: ٣٠٧هـ-)، (١٩٨٤م)، **مسند أبي يعلى الموصلي**، تحقيق:
حسين سليم أسد، ط١، دار المأمون للتراث، دمشق.

المعلومات الشخصية

الاسم: وليد حسين محمد عبدالله

الكلية: الآداب

التخصص: دكتوراه اللغة العربية وآدابها

السنة: ٢٠١٤

هاتف رقم: ٠٠٩٦٢٧٩٥٥٦٦٥٩٥

البريد الإلكتروني: waleed.hossein@gmail.com